دار الرشيد للنشر

سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية

إعداد
حسن فاضل زعين العاني

سياسة المنصور أبي جعفر

الداخلية والخارجية

الدكتور

حسن فاضل زعين العاني



دكتوراه في

التاريخ الاسلامي

بمرتبة الشرف الأولى

« بسم الله الرحمن الرحيم »

المقدمة

الحمدلله رب العالمين القائل « وتلك الايام نداولها بين الناس » وصلى الله على محمد خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى اله وصحبه اجمعين .

وبعد .

فان أهم أحداث التاريخ سير الرجال ؛ وأعظمهم من أثر في حوادثه ، وترك آثاره فيه خالدة كخلوده ، بقوة شخصيته ، ورجاحة عقله ، وعظمة مقدرته ، وحسن سياسته وتدبيره . وكان المنصور احد هؤلاء العظماء .

ويعد المؤرخون ، أبا جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي ، مؤسس الدولة العباسية ، وباني مجدها ، ومشيد عظمتها ، ومثبت اركانها . فكان سياسيا محنكا ، وذا بصيرة نافذة، وعقلية ناضجة ، ورأي سديد « فكان من الحزم ، وصواب الرأي ، وحسن السياسة ، علما تجاوز كل وصف » « وكان فحل بني العباس ، ومن افراد الدهر حزما ودهاء ، وجبروتا . . . وكان شجاعا مهيبا ، كامل العقل . . . » عركته الايام بتقلبه فيها ، فزادته خبرة واطلاعا فتمكن بفضل شخصيته القوية ، المتعددة الجوانب ، من قيادة الدولة الفتية ، وسط بحر لجي ، مليء بثورات عارمة ، ومشاكل معقدة ، فارساها على بر الامان ، وأصل قواعد حكمها ، على أسس راسخة البنيان ، ثابتة الاركان . واسلمها لمن جاء بعده ، عزيزة الجانب ، عظيمة الهيبة ، فسهل لابنائه واحفاده ،

قيادتها ودفعها خطوات سريعة نحو التقدم والازدهار ، فظلت تحمل منار الحضارة للعالم اجمع ، لاجيال عدة بعده .

ومما يؤسف له حقا ، ان صفحات نضال المنصور وكفاحه في الدعوة العباسية ، المليئة بالتضحية والفداء ، بقيت فترة طي النسيان ، حتى لم يعد احد منا يذكر دوره البارز فيها في حين سلط الضوء على غيره ، ممن لم يكن لهم فيها دور يذكر اذا قورن بدوره المجيد .

ولا اعدو الصواب ، اذا قلت ، لولا جهوده ، ومتابعته نشاط واعمال النقباء والدعاة ، ونشره مبادىء واهداف الدعوة العباسية في البلدان المختلفة ، والاماكن المتفرقة ، لجمع المؤيدين والانصار ، وتهيئة افكار الناس للثورة المرتقبة ، لما تهيأ لابي مسلم ولا لغيره ، ان يلعبوا الدور الذي لعبوه ، على مستوى الاحداث السياسية انذاك .

اما اصلاحاته الكبيرة ، واضافاته الجديدة، وتعديلاته المبتكرة ، التي ادخلها على سياسة الدولة في النواحي ، الادارية ، والمالية ، والعسكرية، فانها الاخرى تناثرت في ثنايا الكتب المختلفة ، فصارت الى النسيان أقرب منها الى غيره .

وما يقال عن ذلك ، يقال عن موقفه من الاحداث السياسية التي وقعت من قبل أو في عصره ، ورأيه فيها ، واجراءاته تجاهها ، فانها الاخرى ، لم تعالج معالجة علمية دقيقة .

وصار جل اعتماد المؤرخين المحدثين ، الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي العام ، على المصادر التاريخية المطبوعة الموجودة بين ايدينا ، ولم يكلفوا انفسهم الرجوع الى المخطوطات المهمة ، لسبر غورها ، وكشف أسرارها ، واظهار الجديد فيها ، وحتى ذلك المطبوع ، فان بعضه لم يلق حظه من البحث لظهوره مؤخرا ، من ذلك على سبيل المثال ، كتاب التاريخ لخليفة بن خياط المتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

والاخبار الموفقيات للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦ هـ ، والمعرفة والتاريخ للبسوي المتوفي ٢٧٧ هـ ، وتاريخ الموصل للازدي المتوفي ٣٣٤ هـ ، واخبار الاذكياء لابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ ؛ هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان قسما من هؤلاء المحدثين رددوا ما ردده غيرهم ممن سبقهم ، دون التأكد من الخبر ، بالرجوع الى المصدر الاصلي للرواية ، فوقعوا بذلك في نفس خطأ سابقيهم ، وقد نبه الباحث الى هذا في مواطن عدة .

اما الذين كتبوا عن المنصور من المعاصرين فأشهرهم فيما اعتقد اثنان :

أولهما : الدكتور عبد الجبار الجومرد في كتابه « داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس المطبوع سنة ١٩٦٣ م » .

وثانيهما : عبد السلام رستم في مؤلفه « ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي » المطبوع سنة ١٩٦٥ م .

والكتابان من الناحية العامة ، يفتقران الى الملاحظات التي اشرت اليها سابقا . اما من الناحية الخاصة ، فان الاول منهما ، يغلب عليه احيانا الاسلوب الروائي ، من ذلك مثلا ، انه يذكر عن المنصور في صفحة ٦٢ « انه مارس رياضة صيد الوحوش ، وبرز في السباحة والعدو والوثوب . . . » دون اشارة للمصدر ، وفي صفحة ٢١٥ « انه كان يعتم عمامة سوداء من الخز الناعم الثمين ، ملتاثة حول رأسه باتقان ، تبدو رفيعة من الامام والخلف ، عريضة عند الجانبين تتدلى من ورائها عذبة طويلة على رقبته ، ويصعد من طياتها الامامية جزء من حافتها الثانية على شكل ريشة صاعدة . . . » وفي صفحة ٣٨٥ « انه استورد لحوم الطيور والاسماك في غير موسمها » .

وفضلا عما تقدم ذكره ، فانه مثلا يتكلم في اول الكتاب ، حتى صفحة ٥١ عن قريش وهاشم وامية في الجاهلية والاسلام ، وفي صفحة ٧٠ وما بعدها نحو بضع صفحات ، عن اسرار الثورة العباسية ، وعن بكير بن ماهان والحالة في

خراسان ، وحروب ابي مسلم فيها ، مما ليس له علاقة بابي جعفر . اما في صفحة ٦١ مثلا فانه يذكر « بان محمد بن علي تزوج سلامة جارية بربرية . . . اشتراها فاعتقها وتزوجها » وينسب قوله لابن حزم في جمهرة انساب العرب صفحة ٢١ ، مع انه لا وجود لهذه الرواية بهذا الشكل عند ابن حزم ، واورد في صفحة ١١١ حادثة مقتل سليمان بن كثير ، وينسبها الى اليعقوبي ، الذي لم يذكر الحادثة بالصورة التي أوردها عنه . وهذا مما يجعلنا نشك في رواياته الاخرى . والدليل ما ذكرناه ، اضافة الى ذلك فانه يمكن للقارىء ان يلمس هذه الظاهرة عند قراءته للكتاب .

اما من الناحية المنهجية، فانه مثلا يتناول في صفحة ١٧٧ ثورة الراوندية ، يتبعها بتحرك الخزر ، ثم يذكر ثورة العلويين ، وفي صفحة ٢٩٤ يتكلم عن الخوارج في الجزيرة ثم في افريقية ، يتبعها بثورة استاذسيس ثم يرجع الى افريقية وسجستان ويذكر قتل المنصور لأبي ايوب ، ويرجع للمرة الثالثة الى الخوارج في افريقية .

اما السياسة الخارجية ، فانه تناولها باقتضاب شديد جدا، وفي خمس صفحات فقط .

اما الكتاب الثاني لاسد رستم ، فانه يفتقر الى منهج البحث العلمي الصحيح ، لصغر حجمه اولا ، ولا توجد ـ وهو الاهم ـ في حواشيه اية اشارة لاي مصدر تاريخي ، وانه كسابقه ، لم يتناول دور المنصور في الدعوة العباسية ، اما الاحداث المهمة في عصره ، فاوردها باختصار مخل ، فمثلا يتكلم عن ثورة عبدالله بن علي في صفحة واحدة فقط ، وما يقال عنها ، يقال عن ابي مسلم والعلويين وغيرهم .

اما عن بناء بغداد، فلم يتعرض لذكر اسباب بنائها ، فضلا عن اقتضاب الكلام عنها . وجاء الكلام عن ولاية العهد مبتورا وناقصا . اما السياسة الخارجية فلم يرد لها ذكر على الاطلاق .

وفضلا عن هذا كله ، فقد اغفل الباحثون جوانب مهمة من سياسة المنصور على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وتغاضوا او بالاحرى ، لم يتيسر لهم الوصول الى ذكر بعض الثورات الجديدة التي قامت في عصره ، كما احجموا عن دراسة بعض الحوادث التي اكتنفها الكثير من الغموض ، فلم تجد تفسيرا علميا عندهم ، لتعذر الحصول على ما يفسرها ، ويميط اللثام عنها . من ذلك على سبيل المثال مسألة امان أبي مسلم ، الذي اشار اليه النفس الزكية في رسالته التي وجهها للمنصور ، واسباب ثورة الجند على الوالي خالد الذهلي ، وثورات الخوارج الجديدة في منطقة الجزيرة والبصرة . وعلاقة المنصور بالأصبهبذ خورشيد ، والأصبهبذ قارن أميري طبرستان ، وعلاقة سنباذ بالأصبهبذ خورشيد وتسمية الجماعة التي تحركت على المنصور من الراوندية ، وكشف التناقضات لاراء واقوال المؤرخ ، الذي له أكثر من مؤلف .

ولهذا جاءت الدراسة عن عصر المنصور ناقصة من نواحٍ عدة، نظرا لعدم معالجتها معالجة متكاملة وشاملة . وكان هذا من اهم الاسباب التي دفعتني الى اختيار الكتابة عن « سياسة المنصور ابي جعفر الداخلية والخارجية » لسد هذا النقص ، خدمة لأمتنا العظيمة ، وتراثها الخالد .

فاقتضى ذلك مني الرجوع الى مصادر متعددة منها ، المخطوط والمطبوع ، ومنها ما كتب باللغة الاجنبية وما ترجم منها بصورة عامة ، وما ترجم منها لي خاصة من المصادر الفارسية . وذلك للوصول الى الحقيقة ـ لانها ام البحث كما يقال ـ لرد الفروع الى اصولها ، والحقائق الى مسارها ، والاضافات الجديدة الى اماكنها .

وقد عانيت في هذا معاناة كبيرة ، استنفذت مني كثيرا من الوقت والجهد ، خاصة المخطوطات التي زادت عن ثلاثينٍ مخطوط ، صورت بعضها من المتحف البريطاني ، ومن المانيا الغربية ، ومن تركيا ، ومن جامعة القاهرة ، واطلعت على مخطوطات مهمة في دار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ، والمتحف العراقي ، والمجمع العلمي العراقي ، ومكتبة

الدراسات العليا في جامعة بغداد ، والمكتبة القادرية في بغداد ، ومكتبة كليات جامعة الازهر وغيرها من المكتبات .

وكانت طريقتي في البحث ، اثبات الحقائق والمعلومات الجديدة ، التي انفرد بذكرها مخطوط او مطبوع ، بعد التأكد من قيمتها وصحتها ، ومن ثم استعراض الروايات الواردة في المصادر المختلفة ، ومناقشة التضارب الحاصل فيها ان وجد ، مرجحا بعضها ، ومضعفا أو مستبعدا اخرى ، وكشف التناقضات في اراء بعض المؤرخين ممن له اكثر من مؤلف ، كاليعقوبي والمسعودي مثلا .

وقد دفعني ذلك الى الاطلاع ، على كثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة وسأتناول بالدراسة والبحث ، اهم هذه المصادر ، مقسما اياها على النحو التالي .

أ ـ المخطوطات :

١ ـ مخطوط أنساب الأشراف : للبلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ ٨٩٢ م) والمخطوط توجد منه نسختان ، الأولى في الدار البيضاء بالرباط برقم ٦٨ ، وقد قامت جامعة بغداد بتصويرها في احد عشر جزءا ، واودعتها في مكتبة الدراسات العليا فيها . يبدأ الجزء الاول برقم ١٦٣٤ ، وينتهي الجزء الحادي عشر برقم ١٦٤٤ .

والثانية نسخة الاستانة ، والموجودة في مكتبة عاشر أفندي ، وقد اطلعت عليها ، فوجدتها مكونة من مجلدين ضخمين يحملان رقم ٥٩٧ و ٥٩٨ ، وكل مجلد فيه ستة اجزاء ، ومجموع اوراقها ٢٤٥٤ ورقة ، للأول منها ١١٩٦ ورقة ، والثاني ١٢٥٨ ورقة . وقد قامت دار الكتب المصرية بتصويرهما في اثني عشر مجلدا برقم ١١٠٣ تاريخ و ٤٨٥٦ تاريخ .

والذي يهمنا من المخطوط هو الجزء الثالث والرابع من نسخة الدار البيضاء والموجودان في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد ، تحت رقم ١٦٣٦ و ١٦٣٧ .

يبدأ الجزء الثالث ، بمقتل علي (رض) وينتهي بأمر ابن المقفع ، واوراقه تبدا من ١ أ وتنتهي في ٤٢ ب. وبالمقابلة وجدته يقابل ورقة ٤٣٠ ـ ٦٣٨ من مخطوط الاستانة .

اما الجزء الرابع ، فانه يبدا بأمر سديف وينتهي بيزيد بن معاوية. واوراقه تبدأ من ١ أ وتنتهي في ٤٢ آ، ويقابل ورقة ٦٣٩ ـ ٨٥٦ من مخطوط الاستانة .

تناول المخطوط الكلام عن المنصور في الورقة ٣٨ ب من الجزء الثالث ، وانتهى منه في الورقة ٧ آ من الجزء الرابع .

وانساب الاشراف ، مصنف كبير شامل ، نقل فيه البلاذري عن المدائني ، والعمري ، ومحمد بن سعيد كاتب الواقدي ، وعثمان بن أبي شيبة ، وغيرهم . ورتبه تبعا للانساب . يبدأ بنسب نوح (ع) ثم سيرة النبي (ص) وسير الصحابة ، ثم يورد العباسيين بعد العلويين . . . وبني عبد شمس بعد بني هاشم ، ويذكر الامويين من بني عبد شمس . . . ثم تحدث عن بقية قريش . . . واسلوبه ، يسوده الاختصار ، ويتميز بالايجاز، وقلما نجد له قصة على شيء من الطول .

ورغم ان الكتاب ، تناول انساب العرب ، لكنه يضيف دائما ، أهم الحوادث التي وقعت في عهود الخلفاء والحكام الى الفصول المناسبة لها ، فهو من جهة يعد كتاب انساب ، ومن جهة اخرى بعد كتاب أخبار أو تاريخ .

ويعتبر المخطوط من أهم المراجع في تاريخ الخوارج ، حيث فصل في ثوراتهم وأورد ثورات لم تذكرها مصادر اخرى ، كثورة عيسى مولى بني شيبان ، والضحضح الشيباني ، وطي بن المسيب العبدي وغيرهم . وكشف الغموض عن بعض الاحداث السياسية ، والتي لا نجدها في روايات ابن خياط واليعقوبي والطبري والمسعودي ، كثورة الجند على والي خراسان خالد الذهلي . وتحريض أبي مسلم لعيسى بن موسى على الثورة ضد المنصور . وأتى بتفصيلات جديدة عن

ثورة عبدالله بن علي ونهايته ، كما ذكر وصية المنصور السياسية للمهدي كاملة ، واعطانا معلومات غزيرة عن جوانب اخرى هامة من عصر المنصور .

وقد أفدت منه ، فائدة كبيرة ومهمة ، أضافت من الجديد الشيء الكثير ، مما لم يكن معروفا عن عصر ابي جعفر ، وزاد من قيمتها ، ان روايات البلاذري ، بصورة عامة تتسم بالجدية والواقعية فضلا عن انه ثقة ، وميوله معتدلة .

٢ ـ مخطوط كتاب اختيار المنثور والمنظوم، لابن طيفور : احمد بن ابي طاهر (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) .

والمخطوط موجود في دار الكتب المصرية قسم علم الادب برقم ٥٨١ ، وعدد اوراقه ٢٣٨ ورقة .

وأهمية المخطوط تظهر في ذكره لرسالة الصحابة لابن المقفع ، الذي تناول في رسالته هذه التي وجهها للمنصور سياسة الدولة بالجرح والتعديل ، فبين الداء ، ووصف له الدواء ، فكشف لنا اهم الجوانب السياسية في حكم المنصور ، والاوضاع في زمانه ، والخطة الواجب اتباعها في مواجهتها .

٣ ـ مخطوط الفتوح : لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .

وقد اعتمدت على الجزء الثاني منه ، والموجود في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٣٥٧ تاريخ ، وهو مصور عن الأصل الموجود في مكتبة احمد الثالث ـ بتركيا ـ تحت رقم ٢٩٥٦ . يبدأ هذا الجزء من وقعة المختار ، وينتهي بقوله : « وتولى بعد المعتصم ، المستعين بالله ، ثم خلع نفسه بعد ثلاث سنين وثمانية اشهر ، فهذا آخر الفتوح » .

وابن اعثم ، شيعي ، وهو عند اصحاب الحديث ضعيف ، نص على ذلك القمي في كتابه الكنى والالقاب ـ وتظهر نزعته هذه واضحة عند التكلم عن العباسيين ، فهو مثلا لا يذكر محاولة أبي سلمة الخلال لنقل الخلافة من العباسيين الى ابناء عمومتهم من العلويين ؛ وانه وهم حين جعل ام المنصور وأم أبي العباس

واحدة ، فضلا عن ذكره لبعض التهم الموضوعة ، أو المشكوك في ان المنصور وجهها لأبي مسلم اثناء محاكمته ، كقول المنصور لابي مسلم : أنسيت نظرك الي شزرا ، وعلى الجملة ، فان رواياته مرتبكة ، وغامضة احيانا ، ولا يمكن الأخذ بها ، والتسليم بصحتها ، الا بعد مقابلتها بالروايات الاخرى ، ومع هذا فقد أورد بعض الروايات والزيادات على جانب من الأهمية ، منها مثلا : ذكره لامان ابن هبيرة ، وادعاء عبدالله بالخلافة وهزيمته ، وتفصيلات جديدة عن تحركات الخزر في ارمينية ، والتي لا توجد في المصادر الأخرى .

٤ ـ مخطوط مختصر كتاب البلدان . قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ، لابن الفقيه الهمذاني « من علماء أواخر القرن الثالث الهجري » .

المخطوط موجود في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد ، برقم ١٣٩٣ ، مصور عن نسخة مشهد ـ في ايران ـ الوحيدة ، وعدد اوراقه ٤٥ ورقة ، يعطينا ابن الفقيه في هذه القطعة ، تفصيلات وافية عن بغداد ، واسباب بنائها ، واختيار المنصور لموضعها ، وما رافق ذلك من صعاب ومشاكل ، اضافت شيئا جديدا ، لما هو موجود .

وروايات ابن الفقيه ، تتسم بالواقعية والقبول .

٥ ـ مخطوط المنتظم ، لابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م) المخطوط مصور وموجود في معهد المخطوطات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ، تحت رقم ٥٢٦ تاريخ .

وقد اعتمدت على الجزء السابع والثامن منه . يبدأ الجزء السابع من سنة ٩٥ هـ ـ ١٣٧ هـ ، وعدد أوراقه ١٥٥ ورقة ، والجزء الثامن يبدأ من سنة ١٣٧ هـ ـ ١٩٤ هـ ، وعدد أوراقه ٢٨١ ورقة .

والمخطوط مرتب حسب السنين ، يتناول أحداث كل سنة على حده ، يليها

أحداث السنة التالية وهكذا . ويعطينا ابن الجوزي ، تفصيلات قد لا نجدها في المصادر التي سبقته ، من ذلك على سبيل المثال ، ما أورده من أقوال خمسة في اكراه عيسى بن موسى بالتنازل عن ولاية العهد للمهدي ، واطلاقه اسم (السبعية) على الجماعة التي ثارت على المنصور من الراوندية ، وقوله ان المنصور هو الذي أمر عامله على البصرة بقتل ابن المقفع . فضلاً عن بعض الإيضاحات ، التي أوردها عن مقتل العكي ، وقتل عبد الله بن علي للخراسانيين الموجودين في جيشه ، ونفيه لأمان أبي مسلم ، الذي قيل أن المنصور أعطاه له ، وتناوله لبعض الحركات الفارسية ، لكنه يذكر حركة أستاذ سيس ، تحت عنوان ، وخرجت الأعاجم وأهل باذغيس وغيرهم .

وروايات ابن الجوزي ، معتدلة .

٦ ـ مخطوط الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ، للبراقي ، حميد بن أحمد (ت بعد ٦٠٠ هـ) .

المخطوط موجود في المتحف العراقي ببغداد ، برقم ١٨٦٧ ، وعدد أوراقه ٣٨٠ ورقة .

والمؤرخ يمدح الزيدية ، ويورد تفصيلات جديدة عن ثورة إبراهيم بن عبد الله الحسني بالبصرة ، ويصف ثورته بأنها زيدية ، ويقول : ان المعتزلة والزيدية خرجت معه ولازموا مجلسه ، وتولوا أعماله . وتبرز أهمية المخطوط ، في أنه ينقل عن مصادر مفقودة ، ككتاب المصابيح ، لابن يزداد بن سويد آخر وزراء المأمون الذي ينقل عنه أبو القاسم الكعبي كثيراً في كتابه « طبقات المعتزلة » .

وذكر لنا البراقي رسالة جديدة رابعة للنفس الزكية ينقلها عن صاحب كتاب المصابيح ، ويصفها « بالرسالة الدامغة » كما أشار بعض الوقائع الجديدة ، التي لا توجد في المصادر الأخرى ، منها مثلاً ، قوله : « إن النفس الزكية ، أمر أن يكتب كتاب بالدعوة إلى الناس ، وأمر باذاعته ، ونقل إلينا ما جاء في هذا الكتاب ،

الذي يعتبر أول بيان سياسي للثورة » .

٧ ـ مخطوط زبدة الفكـرة في تاريـخ الهجرة ، لبيبـرس : ركن الدين المنصوري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) .

المخطوط مصور وموجود في معهد المخطوطات العربية ، برقم ٢٧٦ تاريخ ، وقد اعتمدت على المجلد الرابع منه ، والذي يبدأ بحوادث سنة ١٣٦ هـ ومرتب حسب نظام الحوليات .

وميول المؤلف عباسيه معتدلة ، فهو يمتدح الدولة العباسية في أول المجلد الرابع ، وتتركز أهميته ، في أنه كشف لنا وقائع جديدة ، منها مثلاً ، أنه أشار صراحة إلى أن المنصور ، هو الذي أمر بقتل عمه عبد الله ، فقال : «ان المنصور قال لأبي الأزهر المهلب بن عيسى : أقتله ـ أي لعبد الله ـ فدخل عليه وهو نائم فخنقه ، وخنق معه جارية كانت إلى جانبه . . . » ، ونفى أن يكون أبو العباس قد وعد عمه بالخلافة ، ان هو قضى على مروان ، وأورد بعض التفصيلات عن هزيمته ، وعن حركة أستاذ سيس .

٨ ـ مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، العيني : بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) .

المخطوط مصور وموجود في معهد المخطوطات العربية ، برقم ٣٣٤ تاريخ ، وقد اعتمدت على الجزء السابع والثامن منه .

يبدأ الجزء السابع من سنة ٩٦ هـ ـ ١٤٧ هـ وعدد أوراقه ٢٢٩ ورقة من القطع الكبير ، أما الجزء الثامن فيبدأ من سنة ١٥١ هـ ـ ٢٢٥ هـ ، وعدد أوراقه ٢١٨ ورقة .

وتبرز أهمية المخطوط في أنه أوصل إلينا بعض النصوص المفقودة من مخطوط أنساب الأشراف للبلاذري ، كما في التهم الموجهة لأبي مسلم ، وكشف لنا عن

نواياه العدوانية ، ورد على صاحب المرآة حول اتهام أبي مسلم بالقول بتناسخ الأرواح ، فقال : « ولم أر فيما ذكره ما يدل على ذلك . . . » . كما أورد بعض النقولات عن البلاذري ، كما في حركة أستاذ سيس ، ونهاية سنباذ ، وحدد لنا تاريخياً دقيقاً لحركة الراوندية فجعله أواخر سنة ١٤١ هـ .

وروايات العيني أغلبها معتدلة ، ومقبولة .

٩ ـ مخطوط كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة الموسوم بتاريخ عمان ، للازكوى : سرحان بن سعيد .

المخطوط موجود منه نسختان في المتحف البريطاني ، تحمل الأولى رقم «OR 8076» وعدد أوراقها ٤١٠ ورقة ، والثانية مختصراً لها تحمل رقم OR, 6568 وقد قمت بتصويرهما بصورة كاملة .

والمؤلف ميوله خارجية أباضية ، فهو يمتدح الأباضية كثيراً ويسمي مذهبهم «بالمذهب المختار » ويعطينا المخطوط معلومات وتفصيلات واسعة عن نشاط، وثورات الأباضية ، في كل من عمان وافريقية بصورة خاصة ، ولا تخلو بعض رواياته من المبالغة وهذا راجع بطبيعة الحال إلى ميوله .

١٠ ـ مخطوط أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، للألوسي : محمود شكري .

المخطوط موجود في المكتبة القادرية ببغداد «خزانة التاريخ بدون رقم » .

ويعطينا المخطوط إيضاحات لطيفة عن بغداد والعواصم التي سبقتها ، وعن أسباب بناء المنصور لها ، واختيار موقعها ، والمشاكل التي رافقت بناءها وعن بناء الرصافة للمهدي .

ب ـ مصادر التاريخ العام : ومن أهمها :

١ ـ كتاب التاريخ ، لخليفة بن خياط : أبو عمر بن أبي هبيرة الشيباني

العصفري البصري المعروف بشباب (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .

لقد قام بتحقيق الكتاب كل على انفراد ، الأستاذ أكرم العمري من العراق سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ، والأستاذ سهيل زكار من سوريا في نفس السنة .

وابن خياط ، من أهل السنة والجماعة ، محدث ثقة ، ونسابة أخباري علامة . ويعتبر أحد أئمة التاريخ ، تتصف رواياته بالصحة والقبول ، لكنها بصورة عامة مختصرة ، خاصة عن العصر العباسي .

ومن أهم ما يمتاز به ابن خياط ، أنه ركز في تاريخه على الروايات المهمة ، تاركاً سواها ، وبهذا اختلف عن الطبري ، الذي يجمع كل ما قيل عن الحادثة تاركاً للباحث مهمة الترجيح ، كما اهتم بذكر حركات الخوارج ، فهو مثلاً ينفرد بذكر الرسائل المتبادلة بين الخليفة المهدي وعبد السلام الخارجي ، والتي لا توجد بنصها الكامل في أي مصدر آخر ، وتبرز أهميته فضلاً عما سبق ذكره ، بانفراده بذكر تفاصيل واسعة ، عن ولاة الأقاليم ، والعمال ، والقضاة ، وقادة الشرطة ، وغيرهم . في نهاية عصر كل خليفة ، مما لها أهمية بالغة في التعرف على الأحوال السياسية والإدارية والمالية في ذلك العصر .

ومع هذا فإن بعض نصوص الكتاب ، لم تسلم من الضياع ، بدليل ، ان الطبري (٧ / ٥١٠ تحقيق محمد أبو الفضل) ينقل عن خليفة خبر فتح طبرستان زمن المنصور ، مما لا نجده في أصل تاريخ ابن خياط .

ونظراً لقدم المؤرخ ، ومعاصرته للأحداث التاريخية ، فلا يمكن للباحث الاستغناء عن كتابه .

٢ ـ المعرفة والتاريخ : للبسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) .

والكتاب حققه حديثاً الدكتور أكرم العمري من العراق سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م وهو مرتب حسب نظام الحوليات ، ويغلب على رواياته الإختصار

الشديد ، ويسودها في بعض الأحيان الغموض ، كقوله عن حركة سنباذ : « وفي سنة ١٣٧ هـ ، خرج خارجي بنيسابور وسار إلى الري فغلب عليها وعلى قومس ، فوجه أبو جعفر ، جهور العجلي فقتله » وبالتأكيد انه لم يقصد بأن سنباذ من الخوارج ، وإنما وصفه بذلك ، لكونه خرج على الدولة بإعلانه حركته التمردية ضدها ، كما ذكر عن عبد الله بن علي ، بأنه زاد مرتبات جنده من ستين درهماً إلى ثمانين ، ومع هذا فإن لرواياته أهمية تاريخية كبيرة ، لا يمكن الإستغناء عنها ، خاصة عند مقارنتها بالروايات الأخرى ، للوصول إلى الحقيقة ، نظراً لقدم المؤرخ ، وقربه من الأحداث .

٣ ـ الأخبار الطوال ، للدينوري : أحمد بن داود (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
إن أغلب روايات الدينوري يذكرها دون سند ، وباختصار ، ويغلب على بعضها الغموض والإرتباك والمبالغة أحياناً ، خاصة فيما يتعلق بدور أبي مسلم ، ويؤخذ عليه إهماله ذكر انحراف أبي سلمة الخلال ، وثورة عبد الله بن علي على المنصور ، وهي أهم أحداث ذلك العصر ، ويذكر أن الراوندية ثارت في بغداد ، وأن المنصور لم يكن موجوداً فيها وقت الثورة ، وإنما كان بالبصرة ، وانه لما سمع بأخبارها ، وجه إليهم أحد قواته فقتلهم . أما عن بناء بغداد ، فجاءت رواياته عنها أيضاً مضطربة ولهذا رجعت في تحقيق ذلك إلى مصادر أخرى أكثر وثوقاً . ومع هذا فإن الرجوع إلى رواياته ضروري ، نظراً لوجود صفة الأصالة في بعضها من ناحية ، ولقدم المؤرخ من ناحية ثانية .

٤ ـ كتاب التاريخ : لليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) .

وقد حققه كل من السيد محمد صادق بحر العلوم من العراق سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م وهو تسيما سنة ١٨٨٣ م ، واعتمدت على النسختين .

واليعقوبي شيعي ، وجده من موالي المنصور (نص على ذلك القمي) وميوله هذه ، لم تؤثر عليه في كتابته للتاريخ .

وقد رتب اليعقوبي كتابه حسب الخلفاء ، ومن مزاياه ، أنه يأتي بلباب التاريخ ، ويتحرى القضايا الصادقة ، ومع هذا فإنه لا يذكر أسانيد الرواة ، الذين استقى منهم معلوماته ، مكتفياً بذكرهم في أول كتابه . وقد صور لنا اليعقوبي العلاقة بين المنصور وأبي مسلم منذ خلافة أبي العباس ، وأوضح أساس العلاقة بين العباسيين والعلويين وأمر النفس الزكية زمن الخليفة الأول ، وذكر أن سبب قتل ابن المقفع كان بسبب كتابته لأمان عبد الله . كما بين بوضوح كثرة العرب في البلاط العباسي ، واعتماد المنصور عليهم في توليته إياهم للأمور الهامة في دولته . هذا ولا تخلو بعض رواياته من مبالغة ، خاصة حينما يذكر أن أبا أيوب المورياني كان الغالب على المنصور . فضلاً عن وجود تناقض فيما أورده في كتابه هذا وكتابه البلدان ، بشأن تحديد تاريخ بناء بغداد ، وقد نبهت عليه . ومع هذا فإن ما ذكر لا يقلل من أصالة وعمق رواياته ، إذا لا يمكن للباحث الإستغناء عنه ، خاصة وان معلوماته تعتبر متممة لما جاء في الطبري ، خاصة فيما يتعلق بالنواحي الإدارية ، وأحداث إفريقيا وعمان .

ولليعقوبي كتاب آخر بعنوان «مشاكلة الناس لزمانهم» حققه وليم ملورد سنة ١٩٦٢ م ، ذكر فيه الخصائص التي امتاز بها كل خليفة ، وكيف أن الناس قلدوها في زمانه .

٥ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ المعروف بتاريخ الطبري ، للطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) .

يعتبر الكتاب من المراجع المهمة في التاريخ الإسلامي حتى نهاية سنة ٢٩٠ هـ وهو مرتب حسب نظام الحوليات ، وانه يورد أخبار كل خليفة بعد نهاية عصره .

ومن أهم مميزاته ، انه يذكر سلسلة الرواة لكل حادثة ، وانه يجمع كل الأقوال التي قيلت عن الحادثة الواحدة ، دون إعطاء رأي فيها ، تاركاً للباحث مهمة الترجيح .

وقد ركز الطبري في رواياته على اقاليم الدولة المركزية مثل العراق ، ولا يولي مثل هذا الاهتمام إلى الشام ومصر وإفريقيا وغيرها . ولا يعير أهمية الى ثورات الخوارج في إفريقيا وعمان ، وهذا مما دعا ابن الأثير ، لأن يعتمد على مصادر أخرى لسد هذا النقص ، ومع ذلك فالرجوع إلى هذا المصدر القيم في التاريخ الإسلامي ، ضرورة لا بد منها ، نظراً لغزارة مادته وأهميتها .

٦ ـ كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والاشراف ، للمسعودي : أبو الحسن علي ابن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

وقد رتب المسعودي كتابه حسب الخلفاء ، فهو يذكر الخليفة . . ثم يذكر جملاً من أخباره وسيره .

والمسعودي من رجال اشيعة ، لكن ميوله هذه لم تؤثر على موضوعية رواياته ، خاصة عندما يتكلم عن علاقة العباسيين بالعلويين ، وأهم ما يمتاز به ، الإيجاز والإختيار لحوادث معينة ، ويحيل القارىء للرجوع إلى كتابيه « أخبار الزمان » و « الكتاب الأوسط » ويعلل ذلك بقوله : « وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً تدلك على ما سبق في كتبنا » والكتابان مفقودان ، أما أخبار الزمان المطبوع ، فلا يمكن أن يكون للمسعودي ، لعدم احتوائه على أية معلومات ذات قيمة . أما الكتاب الأوسط ، فتوجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة اكسفورد ، يظن أنها هو ، وهذه مسألة تحتاج إلى إثبات صحتها بالتحقيق .

والمسعودي لا يتورع في إدخال بعض الأساطير أو غيرها في الحوادث السياسية ، فضلاً عن وجود بعض التناقضات في كتابيه ، فذكر على سبيل المثال في مروج الذهب « ان المنصور قتل أبا مسلم في شعبان سنة ١٣٦ هـ ، بينما ذكر في التنبيه والإشراف » أنه قتله في سنة ١٣٧ هـ « وفي الوزارة ذكر « ان المنصور استكتب أبان بن صدقة ، بعد مقتل المورياني ـ إلى أن مات » ، بينما ذكر في التنبيه أنه استوزر الربيع بن يونس بعد أبي أيوب . وهذا يدعونا إلى الحذر في قبول بعض رواياته . قبل تمحيصها ومقارنتها بالروايات الأخرى .

٧ ـ تاريخ طبري (بالفارسية) للبلعمي : أبو علي محمد بن محمد (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م) .

طبع الكتاب بمطبعة نول كشور بالهند سنة ١٢٩١ هـ . وهو موجود في مكتبة جامعة القاهرة ، وقد قمت بتصوير الصفحات التي لها علاقة بهذا البحث . ومن ثم تعريبها .

والكتاب يتناول الأحداث السياسية بشكل لا يختلف كثيراً عما ورد في المصادر الأخرى . لكن بعض أخباره جاءت مرتبكة وغامضة ، فذكر مثلاً في صفحة ٧٤١ «أنه لما دخلت سنة ١٣٥ هـ ، مرض السفاح وأراد أن يبايع ، فجمع أبو جعفر الناس ، وذهب عبد الله إلى الشام ، وأبو مسلم إلى مكة ، وتجمع أهل العراق وبايعوا أبا جعفر . . . ثم مات السفاح في مرضه» وهذا خلاف ما ذكرته المصادر التاريخية ، فضلاً عن أن هذه الرواية لا يوجود لها أثر في أصل تاريخ الطبري . لكن أهميته تبرز في أنه انفرد عن الطبري بذكره في صفحة ٧٤٠ أمان ابن هبيرة ، الذي جاء موافقاً لما ذكره ابن أعثم الكوفي . وهذا ما جعلنا نرجح نسخة هذا الأمان .

جـ ـ مصادر التاريخ المحلية : وأهمها :

١ ـ تاريخ الموصل ، للأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) . والموجود منه الجزء الثاني ، الذي قام بتحقيقه الدكتور علي حبيبة سنة ١٩٦٧ م أما الجزء الأول فلا يزال مفقوداً إلى وقتنا هذا .

والأزدي ، مؤرخ ثقة ، ومحدث مشهور ، تحدث في كتابه عن تاريخ الموصل السياسي ، متبعاً في ذلك نظام الحوليات ، ابتدأ فيه من سنة ١٠١ هـ ـ ٢٢٤ هـ ، وحرص على ذكر سلسلة الرواة لرواياته.

تتسم كتاباته بالصدق والصراحة ، نظراً لعدم وجود ميول سياسية

واضحة له ، وهذا ما أكد عليه في أول كتابه . .

ويعتبر تاريخه من المصادر المهمة ، أورد فيه أخبار الموصل بصورة موسعة ، لكنه لم يقتصر عليها وحدها ، بل تناول مناطق الجزيرة وارمينية وخراسان وغيرها ، وتوسع في ذكر حركات الخوارج في المنطقة ، فالكتاب رغم اعتباره تاريخاً محلياً ، لكن له صفة التواريخ العامة الشاملة ، ومن هنا تظهر أهميته ، فضلاً عن أنه المصدر الوحيد ، الذي يذكر كتاب الأمان لعبد الله بن علي كاملاً . وبهذا يكون قد سد برواياته الفريدة ، النقص الموجود في التواريخ العامة .

٢ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ ١٠٧٠ م) .

يعتبر الكتاب أكبر موسوعة عن بغداد ، تناول فيه الخطيب ، أخبارها . والأحاديث التي جاءت فيها ، واختيار المنصور لها ، وسبب بنائها ، وأحوالها بعده ، ولهذا لا يمكن الإستغناء عنه من هذه الناحية ثم تناول بعد ذلك الاعلام والمشاهير من الناس ، حسب حروف الهجاء فترجم أخبار كل شخصية في مكانها المناسب لها ، وفق هذا الترتيب ، فترجم مثلاً لعيسى بن موسى ، ولأبي مسلم ، ولعبد الله بن علي وغيرهم وزاد من قيمة وصحة رواياته ، ان الخطيب البغدادي ، يعتبر محدث ثقة .

٣ ـ تاريخ طبرستان (بالفارسية) ، لابن اسفنديار : بهاء الدين محمد بن حسن « توفي في القرن السابع الهجري » « الثاني عشر الميلادي » .

ألف ابن أسفنديار كتابه هذا سنة ٦١٣ هـ ، وقام بتحقيقه باللغة الفارسية عباس اقبال استاذ جامعة طهران ، وطبع بمطبعة المجلس بطهرسان .

والكتاب موجود في مكتبة جامعة القاهرة ، وقد قمت بتصوير

الصفحات التي لها صلة بالبحث ومن ثم تعريبها .

تناول الكتاب أحداث طبرستان بشكل موسع ، لا نجدها في المصادر الأخرى ، فهو يذكر العلاقة بين الأصبهبذ خورشيد والمنصور ، وتطور هذه العلاقة ، وتوترها بسبب لجوء سنباذ إليه ، واحتجانه الأموال ، التي كانت السبب في تجهيز الخليفة حملة عسكرية فتحت طبرستان ، وضمتها للدولة العباسية ، وتناول أيضاً أحداث بغداد ، وصور العلاقة بين المنصور وأبي مسلم بشكل مرتبك ، فقال مثلاً في صفحة ١٦٧ « ان المنصور أجاز بعد البيعة أبا مسلم أن يذهب إلى خراسان » ومع هذا فلا يمكن الإستغناء عما كتبه عن طبرستان وأحداثها ، فأعطى صورة واضحة لأمورها .

٤ ـ الحلة السيراء، لابن الأبّار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله « ت ٦٥٨ هـ ١٢٥٩ م » وقد قام بتحقيق الكتاب الدكتور حسين مؤنس في جزئين سنة ١٩٦٣ م .

والصفة الغالبة عليه الصفة الأدبية ، لكنه لا يخلو من ذكر أحداث سياسية مهمة وواسعة عن افريقية ، قد لا نجدها في المصادر الأخرى ، كذكره دخول المنصور إلى افريقية . وكيف أن السلطات الأموية حاولت القاء القبض عليه ، فأفلت من يدها ، فألقت مثل هذه الأخبار ، ضوءاً جديداً على نشاط المنصور السياسي قبل خلافته .

٥ ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب ، لابن العديم : أبو القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠ هـ ١٢٦١ م) قام بتحقيقه سامي الدهان سنة ١٩٥١ م ، تناول الكتاب ، أخبار حلب بصورة موسعة ، ثم تناول أخبار الشام بصورة عامة ، فذكر أخبار ثورة عبد الله بن علي وغيرها ، ومن المهم للباحث الإطلاع على رواياته ومقارنتها بالروايات الأخرى ، للوصول إلى صورة أوضح للحوادث التي وقعت في المنطقة .

٦ ـ البيان المغرب في أخبار المغرب ، لابن عذاري : أبو عبد الله محمد المراكشي

(توفي في نهاية القرن السابع الهجري) « الثاني عشر الميلادي » .

وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام ، الأول في أخبار المغرب ، والثاني في الأندلس ، والثالث في تاريخ المرابطين ، والرابع قطعة من تاريخ المرابطين وقد حققه كل من دوزي وبروفنسال ، ونشر في بيروت سنة ١٩٥٠ م و ١٩٦٧ م واعتمدت على طبعة ليدن ، التي قام بتصحيحها دوزي سنة ١٨٤٨ م و ١٨٤٩ م .

يعتبر الكتاب تاريخاً سياسياً للمغرب والأندلس ، وهو أوسع الكتب وأشملها وأكثرها تنظيماً لسير الحوادث لهذه المناطق ، اذ يصور الحوادث تصويراً دقيقاً ، قد لا نجده عند غيره من المؤرخين ، فذكر حركات الخوارج في المنطقة والأحداث السياسية ، واشتعال نار العصبية في الأندلس بسبب التنازع على السلطة ، وذكر دخول عبد الرحمن الداخل إلى افريقيا ، ثم الى الأندلس ، واستيلائه على مقاليد الحكم فيها . ولهذا لا يمكن للباحث ، الذي يتناول أحداث المغرب والأندلس من الإستغناء عنه .

٧ ـ تاريخ سيستان (بالفارسية) ، لمؤلف مجهول .

طبع الكتاب في كتابخانة زوار بتهران ، وتوجد منه نسخة في المكتبة المركزية ببغداد تحت رقم ٩٥٥ ب هـ ت .

تناول الكتاب أحداث سيستان (أو سجستان) وركز على الحركات الخارجية فيها ، ونشاط الخوارج في المناطق المجاورة لها ، بالإضافة إلى تناوله الأحداث السياسية الأخرى التي وقعت في خراسان ، والمناطق الأخرى من الدولة .

وتكمن أهمية كتب التاريخ المحلية ، انها تذكر لنا تفاصيل واسعة ودقيقة عن الأحداث السياسية ، التي وقعت في المنطقة ، التي يتناولها كل كتاب منها على حده ، وبذلك سدت النقص الموجود في كتب التاريخ العام .

د ـ كتب الأنساب والتراجم :

تعطينا هذه الكتب معلومات مهمة ، عند تناولها للشخصيات السياسية المختلفة ، يستفاد منها عند مقارنتها بالروايات الواردة في كتب التاريخ العام ، للوصول إلى صورة أوضح للحادثة ، ومن أهم هذه الكتب :

١ ـ كتاب الطبقات : لابن سعد : محمد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) .

يهتم ابن سعد بالشخصيات الدينية أكثر من اهتمامه بغيرها ، فيصور لنا مثلاً ، ورع العباسيين أثناء أقامتهم في الحميمة ، ويورد أخباراً عن فترة السلام والمهادنة بينهم وبين العلويين بعد قيام الدولة العباسية ، ويطلق على أنصارها ومؤيديها لفظ « الشيعة » .

٢ ـ المحبر : لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ / ٨٥٩ م) .

تناول ابن حبيب في كتابه أسماء الخلفاء ، ومولدهم وألقابهم وكناهم ، وأورد بعض المعلومات المهمة عن الحوادث التاريخية ، ولكن أغلبها مختصرة ، ونظراً لقدم المؤرخ ، فمن الضروري الرجوع إلى كتاباته هذه لأهميتها .

٣ ـ مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .

والأصفهاني شيعي الهوى والعقيدة ، على مذهب الزيدية ، نص على ذلك التنوخي في نشوار المحاضرة ، وابن شاكر في عيون التواريخ ، والخوزستاني في روضات الجنان .

وقد ترجم الأصفهاني في كتابه هذا لجميع شهداء الطالبيين من ذرية عبد المطلب بن عبد مناف ، منذ عصر النبوة إلى سنة ٣١٣ هـ ، وهي سنة تأليف الكتاب ، سواء أكان المترجم له قتيل الحرب ، أم صريع السم في السلم ، أم قتيل الغدر في السجن . . . .

وتبدو ظاهرة التشيع عنده واضحة الدلالة ، عند التكلم عن هؤلاء ويرى في مصائبهم كل فضيلة ومجد ، فصور لنا علاقة عبد الله بن الحسن بأبي العباس ، وعلاقة المنصور بالعلويين ، وخاصة النفس الزكية وإبراهيم ، وتناول أحداث ثورتهم ، وتوجيه النفس الزكية لأولاده وأخوته لنشر دعوته في الأمصار وتعذيب المنصور لآل حسن وقتلهم ، وهو في كل ذلك ، يذكر روايات متنوعة للحادثة الواحدة ، ومع هذا فإن الرجوع إلى كتب الشيعة أمر ضروري لمقارنتها بالروايات الأخرى ، للوصول إلى الحقيقة .

٤ - جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)

وابن حزم على مذهب الظاهرية ، تناول في كتابه ، كما هو واضح من عنوانه الأنساب بصورة عامة ، ذكر فيه نسب العباسيين وغيرهم ، فأورد مثلاً أولاد محمد بن علي العباسي ، ثم بين المنصور من أم ولد بربرية ، وأوضح سبب رحلته إلى إفريقيا قبل خلافته .

ولابن حزم كتاب آخر اسمه «نقط العروس في تواريخ الخلفاء» أورد فيه بعض الأخبار الفريدة عن المنصور ، خاصة نشاطه في الدعوة العباسية ، فبين أنه اشتغل شرطياً عند الأمويين بستين درهماً في الشهر ، وأنه اتصل بوالي الموصل آنذاك . وهذه الأخبار وغيرها لا نجدها في مصادر التاريخ العام . ولهذا فالرجوع إلى هذه الكتب مهم وضروري .

هـ - كتب البلدان والجغرافية ، ومن أهمها :

١ - فتوح البلدان ، للبلاذري .

والكتاب يفيد المهتمين بالشؤون الإدارية والمالية ، فيذكر مثلاً أمور الخراج والدواوين ، إلا أن فيه معلومات سياسية مهمة تطرق إليها البلاذري في ثنايا كتابه ، قد لا نجدها في المصادر الأخرى ، منها على سبيل المثال ، عناية

المنصور بمدن الثغور وبنائها ، وتشجيع المقاتلة على السكن فيها ، نظير زيادة عطائهم . فضلاً عن ذكره للتعديلات التي أجراها المنصور على نظم الخراج والدواوين وغيرها ، ومن هنا تبرز قيمته للباحث ، في استكمال الجوانب المهمة الأخرى التي لها صلة بالحوادث ذات العلاقة .

٢ ـ كتاب البلدان ، لليعقوبي .

طبع الكتاب في النجف بالعراق ، وفي ليدن . واعتمدت على الطبعتين . ويعتبر الكتاب من أقدم المصادر التاريخية وأوثقها ، وميزته أنه لا ينقل عن كتاب آخر . فقد أبدع اليعقوبي فيه بوصف بغداد ، وتناول بعض أحداثها السياسية المهمة ، ولهذا جاءت بعض رواياته عنها مناقضة لما ذكره في كتابه التاريخ ، خاصة فيما يتعلق بتحديد سنة بنائها كما تناول سامراء فأفاض في وصفها ، وتناول مدن ومناطق أخرى .

٣ ـ مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه الهمذاني .

طبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٢ هـ ، وهو موجود في المتحف العراقي ببغداد تحت رقم ٣ / ٩١٠ ف ٤٥٤ ، وعدد أوراقه ٣٣٠ ورقة .

تناول الكتاب خلق الأرض ، وتطرق إلى القول في مكة والمدينة والطائف والعراق واليمن ثم مصر والنيل والمغرب وغيرها من البلاد ، ولا تخلو رواياته من الحوادث السياسية المهمة ، فهو عندما يتكلم عن الروم يتناول إجراءات المنصور التي اتخذها في بناء المدن وتعميرها وتحصينها ، لتكون قادرة على صد هجمات العدو . كما أشار إلى بعض الأخبار اللطيفة ، منها قوله : ان المنصور لقب في صغره بمدرك التراب .

٤ ـ معجم البلدان ، لياقوت الحموي : شهاب الدين (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨) م) .

يعتبر الكتاب من أضخم المصادر الجغرافية وأنفسها ، لأحتوائه على

معلومات قيمة ، تفيدنا في تعيين مواقع المدن ، بصورة دقيقة ، لتوضيح الأحداث المهمة التي وقعت فيها . وعليه فالرجوع إليه ضروري من هذه الناحية .

هـ ـ المصادر الأدبية :

وفيها مادة تاريخية مهمة ، تكشف لنا على حوادث سياسية ، بأسلوب أدبي لا يمكن تجاهلها أو إغفالها ، ومن أهمها .

١ ـ مؤلفات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ومنها : البيان والتبيين ، والتاج في أخلاق الملوك ، والمحاسن والأضداد ، وقد تناول الجاحظ في كتبه شتى المواضيع السياسية والإجتماعية والأخلاقية ، ويظهر ميولاً عباسية عندما يتكلم عن العباسيين ، ودفاعه عنهم ، فرد مثلاً بشكل لاذع على من اتهم المنصور بالبخل ، وأورد شواهد كثيرة لتأييد وجهة نظره هذه ، وبين علاقة المنصور بابن هبيرة ، كما أورد معلومات أخرى ، عن جوانب مهمة من عصر المنصور .

٢ ـ الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) .

حقق الكتاب أخيراً ، الدكتور سامي مكي من العراق سنة ١٩٧٢ . والكتاب يحوي الكثير من الأحداث السياسية العامة بين سطور صفحاته ، ولم تؤثر ميول ابن بكار العلوية على تناوله للأخبار ، فهو مثلاً أقدم مرجع يذكر كتاب عهد أبي العباس لأخيه المنصور بالخلافة ، كما انفرد بذكر حادثة عن لسان عيسى بن علي ، ألقت ضوءاً جديداً على عدم صحة ، ادعاء عبد الله بالخلافة .

٣ ـ مؤلفات ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
يعتبر ابن قتيبة أديباً أكثر منه مؤرخاً ، ومع هذا فإن كتبه مثل «المعارف» و (عيون الأخبار) لا تخلو من الأخبار السياسية المتناثرة في ثناياها ، خاصة

أثناء التكلم عن الخلفاء وأسماء الولاة والعمال في عصرهم ، من ذلك مثلاً ، ذكره لولادة المنصور في ذي الحجة سنة ٩٥ هـ ، وذكر خطبة داود بن علي ، الذي كان ابن عبد ربه قد نسبها للمنصور ، كما أورد أخبار المنصور قبل خلافته وتوجيه أبي سلمة القوات لمحاربة ابن هبيرة ، وإجراءات المنصور أثناء حصاره له .

أما كتاب «الامامة والسياسة » المنسوب إليه ، فالروايات الواردة فيه مضطربة وغامضة ، فهو مثلاً يذكر ثورة عبد الله زمن أبي العباس ، ثم يعود فيذكرها في عصر المنصور ، وهذا مما يجعل الباحث على حذر من قبول رواياته قبل مقارنتها بالروايات الأخرى .

العقد الفريد ، لابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) .

وابن عبد ربه ، أندلسي ، عاش في الجناح الغربي من الدولة العباسية وكان لبعده عن الأحداث السياسية ، أن جاءت بعض أخباره مرتبكة ، خاصة عن العصر العباسي الأول وقد نبهت على ما صادفني منها أثناء البحث ، ومع هذا فإن كتاباته لا تخلو من أخبار فريدة ، لا نجد لها أثراً في المصادر التاريخية ، منها وصية المنصور لعيسى بن موسى حين وجهه لقتال النفس الزكية ، كما أورد أخباراً عن حياة المنصور ، وعن الأحداث السياسية في عصره بأسلوب أدبي .

الوزراء والكتاب ، للجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ ٩٤٢ م) .

وكان الجهشياري أحد موظفي البلاط العباسي ، فأهله عمله هذا الاتصال برجاله من الوزراء والكتاب ، ولذلك جاءت أغلب رواياته عن طريقهم ، ومع هذا ، فإنه يروي عن غيرهم . أمثال المدائني والجاحظ .

وقد ركز الكتاب على النواحي الإدارية ، وأورد معلومات غزيرة عن

الوزراء كأبي سلمة الخلال ، وأبي أيوب المورياني ، وبداية علاقة المنصور به ، أثناء إلقاء القبض عليه في البصرة قبل خلافته بزمن ، فضلاً عن تناوله أحداث سياسية اخرى ، ولهذا أصبح من الضروري الرجوع اليه لاهميته .

٦ ـ الاغاني : للاصفهاني : أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ /٩٦٦ م) . تناول الاصفهاني في كتابه هذا ، اخبار الشعراء ، واتصالهم بالخلفاء والحكام ، واورد بعض النتف السياسية المهمة في تناوله للاخبار الادبية بصورة عامة ، فهو مثلا يذكر ان المهدي كان من جملة من خضع لرقابة عمال البريد في خراسان ، حين تناول مدح مؤمل الشاعر له ، ويمكن للباحث الاطلاع على امور هامة من خلال الشعر السياسي ، الذي أورده الاصفهاني في كتابه .

وقد اعتمدت أيضاً على بعض الكتب الأجنبية ، سواء ما كتب منها باللغة الإفرنجية ، أو ما ترجم منها إلى اللغة العربية ، ومن أهمها ، كتاب تاريخ الأدب الفارسي (A literary history of persia) لبراون (Browne) «وكتاب» صور من التاريخ الشرقي (Sketches frome eastern history) لنولدكه الألماني (Noldeke) وكتاب «تاريخ الأدب العربي(A literary history of the Arabs) لنيكلسون (Nicholson) وكتاب «الدولة العربية وسقوطها لفلهوزن «وكتاب» تاريخ الشعوب الإسلامية ، لبروكلمان» وكتاب (السيادة العربية لفان فلوتن) وكتاب« العرب والاسلام والخلافة العربية ، لبيلياييف» ، ولا تخلو هذه الكتب وغيرها من تعليقات وآراء ، بعضها كان صائباً ، والآخر كان من الضروري الرد عليه . لبيان الحقيقة التاريخية كما يجب .

وقد قمت بتقسيم البحث إلى : مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد بينت فيها سبب اختياري الموضوع ، وما عانيته من صعوبات في جمع المادة ، والإطلاع على المخطوطات العربية والفارسية ، وتصوير بعضها ، ومراجعة المكتبات للإطلاع على مصادر التاريخ الأخرى .

والباب الأول وعنوانه «حياة المنصور قبل خلافته» ويشتمل على ثلاثة فصول .

تكلمت في الفصل الأول عن مولده ونشأته ، وبينت أن سبب تسميته بعبد الله راجع إلى الوصية ، وان اشتراكه وأخاه وعمه بهذه التسمية ، أوقعت بعض المؤرخين في وهم ، فنبهت إليها ، وأثبت مولده على وجه الدقة بعد مناقشة الروايات المختلفة وأشرت إلى الروايات الضعيفة منها ، ثم تكلمت عن نشأته .

وتناولت في الفصل الثاني «جهوده في الدعوة العباسية» فأظهرت أنه كان أحد أركانها البارزين ، وأنه تحمل عبء نشر أهدافها بين الناس ، وتهيئة أفكارهم للثورة المرتقبة ، وأنه قاسى في سبيل ذلك الصعاب والشدائد ، حتى أثمرت جهوده وجهود غيره في تفجيرها ونجاحها .

وتكلمت في الفصل الثالث عن «المنصور في عهد أبي العباس» ، فبينت جهوده في أخذ البيعة لأبي العباس ، ودوره في التخلص من أبي سلمة الخلال ، ومحاربته ليزيد بن عمر بن هبيرة ، وقضاؤه على ثورات الجزيرة وأرمينية ، وشرحت كيف آلت الخلافة إليه بموجب عهد من أخيه .

والباب الثاني وعنوانه «السياسة الداخلية» ويتضمن ستة فصول .

تناولت في الفصل الأول «سياسته تجاه عناصر الثورة ومؤيديهم ، فتحدثت عن ثورة عبد الله بن علي ، وبينت أسبابها ، وفشلها ، ونتائجها ، ومدى علاقة مقتل ابن المقفع بالثورة . ثم تكلمت عن مقتل أبي مسلم الخراساني ، فأوضحت أسبابه ودواعيه ، كما تناولت بالبحث حركة جهور بن مرار العجلي ، وحركة عبد الجبار الأزدي في خراسان ، وتمرد عيينه بن موسى بالسند ، فأوضحت أسبابها ، والظروف التي رافقتها ، وإخماد المنصور لها .

وفي الفصل الثاني ، تكلمت عن «سياسته تجاه الخوارج» ، فتناولت بالتفصيل ثورات الخوارج في الجزيرة ، وعمان ، والبصرة ، وسجستان ،

وخراسان وإفريقيا والمغرب الأقصى ، واليمن ، مبيناً أسبابها ، وموضحاً أن الخليفة لم يتمكن من القضاء على بعضها ، خاصة تلك التي اندلعت في المغرب .

أما في الفصل الثالث فقد تكلمت عن «سياسته تجاه العلويين » فتطرقت إلى موقفهم من الدولة الجديدة ، واتباع أبي العباس تجاههم سياسة اللين طيلة فترة حكمه ، رغم موقفهم العدائي منه . ثم تناولت موقف المنصور منهم ، وموقفهم منه فأوضحت أنه حاول بشتى الوسائل ، حل المشكلة معهم سلمياً ، لكن محاولاته باءت بالفشل ، بتفجير النفس الزكية وأخيه الثورة ضده ، لاعتقادهما بأحقية الخلافة منه ، ولذلك لم يجد المنصور أمامه سوى التصدي لهما ، والقضاء عليهما ، بعد أن أصبح النزاع بينهما ، نزاعاً على البقاء ، ثم بينت أسباب فشل الثورتين ، ونتائجهما . وحالة كل من المدينة والبصرة بعد فشلهما . وختمت الفصل بتقدير سياسته تجاه العلويين ، فأبرزت حقه فيما فعله من تدابير تجاههم من جانب ، وأوقعت عليه اللوم من الجانب الآخر .

وتناولت في الفصل الرابع وعنوانه «سياسته تجاه الحركات الفارسية » حركة سنباذ ، فبينت دوافعها وفشلها ، وانها كانت السبب في توتر العلاقة بين المنصور والأصبهبذ خورشيد أمير طبرستان ، بسبب لجوء سنباذ إليه ، واستيلاء الأصبهبذ على الأموال التي كانت معه ، ثم تناولت حركة إسحق الترك ، وحركة الراوندية التي أطلق بعض المؤرخين عليها اسم «السبعية » وهي الطائفة التي تحركت ضد المنصور بهاشمية الكوفة ، فقضى عليهم . وتطرقت أيضاً إلى ذكر حركة أستاذ سيس ، وحركة أهل الديلم .

أما الفصل الخامس ، فهو عن « بغداد حاضرة الخلافة » تناولت فيه العواصم التي سبقت بناء بغداد ، ثم بينت الأسباب التي دعت المنصور لإنشائها ، وأرجعت اختيار موضعها إلى جملة أسباب ، سياسية ، وعسكرية وجغرافية ، واقتصادية وأوضحت الصعاب التي رافقت بناءها ، كتوقف العمل بسبب ثورة العلويين ، وأثبت أن بناء المدينة بشكلها المدور كان من ابتكار المنصور ، وان هذا

التخطيط كان من إبداع واستنباط الفكر العربي .

وتناولت في الفصل السادس وعنوانه «ولاية العهد» خلع عيسى بن موسى فأوضحت أن المنصور هو المسؤول الأول والأخير في اكراه عيسى بالتنازل عن حقه في ولاية العهد وبالبيعة لابنه المهدي ، متبعاً في ذلك أسلوب التهديد والوعيد والإستعانة بالجنود الخراسانيين وغيرهم ، في تحقيق هدفه هذا . ثم ناقشت الأقوال الخمسة التي رواها ابن الجوزي في هذا الصدد ، وخلصت إلى إدانة المنصور في هذه المسألة ، وأنه يتحمل وحده الآثار الشرعية المترتبة على هذا الإكراه ثم تطرقت إلى وصية المنصور السياسية ، فتناولتها بالبحث والتحليل ، وبينت أنها أعطت لنا صورة واضحة لشخصية المنصور السياسية ، ورأيه في الحوادث والمشاكل والحلول المقترحة في حلها .

أما الباب الثالث فهو عن « السياسة الخارجية » وتضمن أربعة فصول :

تناولت في الفصل الأول سياسته تجاه الدولة الأموية في الأندلس» ورغبته في إعادتها من جديد إلى جسم دولته ، لكن كثرة المشاكل السياسية حالت دون تحقيق هذه الرغبة ، فاكتفى بتقديم العون المعنوي لكل ثورة تهدف إلى إسقاط حكم عبد الرحمن الداخل ، لكنه لم يوفق في سياسته هذه ، فأدى ذلك إلى انفصال جزء من الدولة الإسلامية المتحدة ، له ثقله ومكانته المهمة فيها .

وفي الفصل الثاني ، تناولت «علاقته بالروم» فبينت جهوده في بناء مدن الثغور ، وتحصينها ، وتشجيع المقاتلة على السكن فيها ، نظير زيادة مرتباتهم بمقدار عشرة دنانير لكل مقاتل مع معونة مائة دينار . كم أوضحت أن الإحتكاك الحربي مع الروم طيلة مدة حكمه ، لم يكن القصد منه فتح القسطنطينية ، وإنما كان الهدف منه إرهاب العدو . حتى لا يطمع في البلاد الإسلامية .

وتكلمت في الفصل الثالث عن «سياسته نحو الترك والخزر» وانه تمكن من إخماد الثورات التي أشعلوها ، سواء أكانت بشكل تحالف بينهما ، أم بشكل

منفرد ، في بلاد أرمينية ، وفي جنوب بحر الخزر ، حتى تم له السيطرة على هذه المناطق ، وإخضاعها بالقوة لسلطانه .

وتحدثت في الفصل الرابع عن سياسته تجاه الأصبهبذ أمير طبرستان فبينت أن الأصبهبذ خورشيد ، كان على علاقة طيبة مع الدولة ، ولكن هذه العلاقة أخذت بالتدهور ، منذ لجوء سنباذ إليه ، ومطالبة الخليفة بالأموال التي استحوذ عليها الأصبهبذ خورشيد ، حتى آل الأمر إلى توجيه المنصور حملة عسكرية ، تمكنت من فتح طبرستان ، وضمها لأول مرة إلى الدولة الإسلامية .

أما الباب الرابع والأخير ، فعنوانه « حكومة المنصور ونهايته ، وتضمن أربعة فصول » .

تكلمت في الفصل الأول عن « سياسته الإدارية » فتناولت صفاته وأخلاقه ، وثقافته وعلمه ، لأثرها الكبير في توجيه سياسة الدولة ، أعقبتها بإدارة الدولة في عهده ، فأوضحت أنه كرس حياته لأجلها ، وانه اعتمد على عمال وولاة من العرب ، سواء أكانوا من أهل بيته ، أم من غيرهم ، وانه كان شديد المحاسبة لهم ، لا يتوانى عن عزل أي واحد منهم ، اذا أحس منه انحرافاً أو انصرافاً عن تدبير شؤون ولايته ، كما أنه استعمل البريد في أعمال التجسس ، بعد أن جعل ارتباطه به رأساً ، وطلب من عماله أن يكتبوا له بكل الأمور التي تتعلق بالولاية . ثم بينت أنه وزر له ثلاثة وزراء طوال خلافته ، وان الوزارة على أيامه ، لم تكن لها أبهة ولا رونق ، لأن شخصيته كانت المهيمنة على الأمور كلها .

وفي الفصل الثاني تناولت «سياسته المالية » فبينت أن المنصور قد حرص على المال حرصاً شديداً ، باعتباره الركن المهم في استمرار الدولة وبقائها ، فهو من وجهة نظره وسيلة إلى القوة والنفوذ ، وجمع المؤيدين والأنصار ، وليس وسيلة للهو والترف ، ولهذا كان ينفقه في المواضع التي تستحق الإنفاق ، ويمنعه في مواضع المنع ، كذلك لاحظت أنه أجرى تعديلات مهمة على نظام الدواوين ، وكان أول من سن نظام العدول عن الخراج إلى المقاسمة في أرض السواد . فضلاً عن

اصلاحاته المهمة الأخرى ، ولهذا ساس الدولة سياسة مالية صائبة « فكان يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزماً ، ويمنع الحقير اليسير ما كان عطاؤه تضييعاً » .

وفي الفصل الثالث ، تناولت « السياسة الحربية » فأثبت بالدليل أن المنصور كان من القادة المشهورين في زمانه ، شهد له بذلك خصمه ابن هبيرة ، وان أعماله العسكرية قبل خلافته وبعدها ، تؤكد هذه الحقيقة ، وأوضحت أنه زاد من مرتبات جنده من ستين درهماً في الشهر إلى ثمانين درهماً . وأنه أول من استعمل فرس النوبة ، وأول من لعب الصولجان في الإسلام ، وأنه كان يستعرض جيشه بين الحين والحين، وانه لم يغفل دور الشرطة ، باعتبارها أداة مهمة لحفظ الأمن الداخلي ، فولى أمرها وأمر الجيش للمخلصين من العرب ، وأن أغلب قادته كانت منهم ، وهنا أبرزت عدم صحة من زعم أن رئاسة العرب زالت في زمانه .

أما الفصل الرابع فكان عن «تقدير لسياسة المنصور ونهايته » ركزت فيه الضوء على أهم مؤشرات سياسته ، فأوضحت أن من أبرز سماتها ، انتهاجه منذ بداية حكمه سياسة الحزم والشدة ، تاركاً بذلك سياسة اللين والمسالمة التي سار عليها أخوه ، لتيقنه ان مثل هذه السياسة لم تعد صالحة لعصره ، نظراً لتغير الأحوال ، وتبدل الظروف . فتمكن بفضل ما أوتي من مقدرة فائقة ، ورجاحة عقل ، وقوة عزم ، من تصفية خصومه السياسين ، الواحد تلو الآخر ، بضرب بعضهم ببعض فقضى على اطماع عمه ، وتخلص من أبي مسلم وغطرسته ، وأنهى طموح العلويين بالخلافة . وأضعف تحالف القبائل ، باستعمال سلاح العصبية القبلية . ولعل سر نجاحه العظيم ، يمكن في طريقة معالجته لحوادث عصره ، رغم كثرتها ، بوضعه لكل عقدة حلاً ، ولكل مشكلة مخرجاً ، «فأصل الدولة ، وضبط المملكة ، ورتب القواعد » فتركها بعد وفاته ، شامخة البنيان ، قوية الأركان ، ولم يبالغ الفضل بن سهل وزير المأمون حين قال : « إن هذه الدولة لم تكن قط أعز منها في أيام أبي جعفر » .

أما الخاتمة ، فقد ضمنتها أهم النتائج والإضافات الجديدة التي توصل إليها البحث .

هذا ولا يفوتني هنا ، أن أقدم جزيل شكري ، وعظيم امتناني ، إلى كل من ساعدني ، وأعانني في هذا البحث ، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الفتاح علي شحاته ، المشرف على الرسالة ، الذي أعطاني من وقته الكثير ، ومن جهده أكثر ، فلم يبخل علي بعلمه الواسع الغزير ، وبمكتبته النفيسة ، فكانت لتوجيهاته السديدة ، وآرائه الصائبة ، وملاحظاته العلمية القيمة ، أثر كبير في إخراج هذه الرسالة « **وحصولها على مرتبة الشرف الأولى مع التوصية على طبعها على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى لأهميتها العلمية** » فجزاه الله عني خير جزاء ، كما أقدم شكري إلى كل من أخي الدكتور المهندس عدنان فاضل ، على مساعدته لي في الحصول على مخطوطات من المتحف البريطاني ، ومن ألمانيا الغربية ، وإلى الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ ، أستاذ الدراسات الشرقية ، بكلية الآداب ، بجامعة بغداد ، على قيامه بتعريب المصادر الفارسي ، التي احتجت إليها في بحثي ، وإلى الأستاذ الدكتور فاروق عمر ، أستاذ التاريخ العباسي في جامعة بغداد ، على إرشاداته وملاحظاته المهمة التي أسداها لي ، وإلى كل من ساعدني من موظفي مكتبة جامعة القاهرة ، ومعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية .

وبعد .فكان هدفي في كل ما كتبت الوصول إلى الحقيقة مجردة عن الهوى والغرض ، ولم أنصب نفسي مدافعاً عن الشخصية التي تناولتها ، فذكرت ما لها وما عليها ، ولم يمنعني الحق لها ، في إمضاء الحق فيها . فإن أصبت ، فذلك من توفيق الله ، وان أخطأت ، فهذه طبيعة البشر ، والكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ، «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» .

وأسأله تعالى ، أن يثبت أقدامنا على الإيمان ، ويهدينا سواء السبيل ، ويلهمنا الهداية والرشاد ، ويتقبل أعمالنا بقبول حسن ، ومنه التوفيق والسداد .

الدكتور

حسن فاضل زعين العاني

الباب الاول
حياة المنصور قبل خلافته

الفصل الأول : مولده ونشأته

الفصل الثاني : جهوده في الدعوة العباسية

الفصل الثالث : المنصور في عهد أبي العباس

الفصل الأول
مولده ونشأته

١ ـ اسمه :

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي وكنيته أبو جعفر[١] .

وقبل الخوض في مولده ونشأته ، نقف قليلاً عنه اسمه ـ عبد الله ـ ونسأل : ما السبب الذي حـدا بأبيه محمد بن علي أن يطلق اسم عبد الله على ولدين من أولاده ، هما : أبو جعفر ، وأبو العباس ، إضافة إلى أن اسم عمهما عبد الله أيضاً ؟ وهل ضاقت اللغة العربية على وجود أسماء أخرى ؟ أم أن أباهما مولع بهذا الإسم فأطلقه على ولدين من أولاده الستة ؟[٢] .

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ، تحقيق أكرم العمري ، مطبة الأداب ، نجف ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م ، ٢ / ٤٣٧ .

محمد بن حبيب : المحبر ، تحقيق الدكتورة إيلزة ليحتن ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢ م . ص ٣٤ .

الأزدي : تاريخ الموصل ، تحقيق الدكتور علي حبيبة . القاهرة ١٩٦٧ م ٢ / ٢٣٠

الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح رفن ركست ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ م ص ١٠٣ .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة دار المعارف ، مصر ١٩٧١ . ص ٢٠ .

(٢) أولاد محمد بن علي ، ستة ذكور وبنت واحدة هم : إبراهيم ، موسى ، عبد الله أبو جعفر ، عبد الله أبو العباس ، يحيى ، العباس ، ذكور ، وبنت واحدة اسمها لبابة تزوجها جعفر بن سليمان بن علي فماتت عنده ولم تلد .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٠ .

وللإجابة على ذلك ، نقول : نعم هناك سبب غير هذا وذاك ، وهو ما ورد في وصية أبي هاشم ـ عبد الله بن محمد بن الحنفية[٣] ، إلى محمد بن علي ، قبل وفاة الأول بالحميمة سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م . فذكر اليعقوبي بهذا الصدد ، أن أبا هاشم أوصى لمحمد بن علي ، فقال له « . . . وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذي أكبر منه . . . »[٤] ، وذكر صاحب العقد الفريد حول الموضوع نفسه ، فقال : أوصى أبو هاشم محمداً فقال له : « أنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم به ، ثم أخوه من بعده ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ، ثم قال له : وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه . ولم يكن لمحمد ابن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله . . . »[٥] .

هاتان الروايتان وغيرهما قد تكشف لنا السبب الذي حدا بمحمد بن علي العباسي لأن يطلق اسم « عبد الله » على ولديه ، إيماناً منه بأن الخلافة ستؤول آجلاً أو عاجلاً إلى ولديه حسب هذه الوصية ، فأطلقه عليهما ، خوفاً من أن يموت أحدهما قبل أن يتم له الأمر ، فعندئذٍ تؤول الخلافة إلى الثاني . وبذلك يضمن ما تنبأت به الوصية ، فإن لم يكن كلاهما فأحدهما على الأقل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن التشابه بين الأسماء الثلاثة ، أقصد ، عبد الله أبو جعفر ، وعبد الله أبو العباس ، وعبد الله عمهم ، ومعاصرتهم بعضهم لبعض ، جعلت

---

(٣) هو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . . . أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس من بكر بن وائل ، ويقال بل كانت أمه من سبى اليمامة فصارت إلى علي (رض) . ابن سعد : الطبقات الكبرى مطبعة دار صياد بيروت ١٩٥٧ ، ٥ / ٩١ .

(٤) أنظر الوصية في اليعقوبي : تاريخ طبعة النجف ١٩٦٤ م ، ٣ / ٤٢ وعلى ذكر الوصية فقد توهم ابن حزم حين قال :

« ان أبا هاشم أسند وصيته إلى علي بن عبد الله بن العباس » جمهرة أنساب العرب ص ٦٦ . والصحيح أنه أوصى لمحمد بن علي وليس كما ذكر ابن حزم .

أنظر مصعب الزبيري : نسب قريش ، مطبعة دار المعارف ١٩٥٣ م . ص ٧٤ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٤٢ .

(٥) ابن عبد ربه : مطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٠٥ هـ ٢/٢٩٧ .

روايات بعض المؤرخين مرتبكة ومشوهة ، فالتبس الأمر على ابن أعثم الكوفي حين ذكر أن محمداً بن علي العباسي قال الى دعاته : «فإن مت فالأمر من بعدي لابني أبي هاشم ، فإن أصيب فلإبني عبد الله وأبو العباس بن الحارثية ، فإن أصيب فلإبني عبد الله أبو جعفر بن الحارثية»[٦] وقال ابن عبد ربه « . . فولد له ـ لمحمد ابن علي ـ من الحارثية ولدان سمي كل واحد منهما عبد الله وكنى الأكبر أبا العباس ، والأصغر أبا جعفر ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز[٧] وبذلك وقع كل من ابن أعثم وابن عبد ربه في أخطاء :

أولها : أن أبا جعفر المنصور لم يكن من الحارثية ، وإنما كان من أم ولد اسمها سلامة بنت بشير بربرية من نفزة[٨] «أما أم أبي العباس فهي ريطة بنت عبيد الله بن الحارث»[٩] .

ثانيهما : أن أبا جعفر كان أكبر سناً من أبي العباس ، وهذا الأمر ثابت تاريخياً ، لاتفاق المصادر التاريخية على ذلك ، فأطلقت صفة الأكبر على أبي جعفر ، والأصغر على أبي العباس ، للتفريق بينهما[١٠] .

ومن هذا القبيل . أيضاً ، ما ذكره ابن عبد ربه ، فقال : خطب المنصور

---

(٦) مخطوط الفتوح . معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية رقم ٣٥٧ تاريخ جـ ٢ .

(٧) العقد الفريد ٢ / ٢٩٧ . ويقصد بأيام عمر وقت خلافته من سنة ٩٩ هـ / ٧١٨ م إلى سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م . أنظر خليفة بن خياط : تاريخ ١ / ٣٢٨ ، اليعقوبي : تاريخ ٢ / ٤٥ ـ ٥٢ ، المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٤٨ م ، ٣ / ١٩٢ .

(٨) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢٠ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ / ٢١٥ ، ابن أبي السرور : بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، مطبعة النجاح ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٠٩ م ص ٤٦ . العيني : مخطوط عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، رقم ٣٣٤ تاريخ ٨ / ١٥ .

(٩) مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٣٠ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٤٢ . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص ٢٠ .

(١٠) يؤيد ذلك ما ذكره اليعقوبي ، وهو قول أبي هاشم لمحمد بن علي حينما أوصاه « . . . وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذي أكبر منه » .

تاريخ ٣ / ٢٤٢ ، ويعضد ذلك أيضاً قول الأزدي « وبويع عبد الله أبو جعفر الأكبر بن محمد بن علي . . . في اليوم الذي توفي فيه أبو العباس» تاريخ الموصل ٢ / ١٦١ .

واسمه عبد الله بن محمد بن على لما قتل الامويين ، فقال : « احرز لسان رأسه انتبه امرؤ لحظة ، نظر امرؤ في يومه لغده ، فمشى القصد ، وقال الفصل ، وجانب الهجر ، ثم اخذ بقائم سيفه فقال : ايها الناس : ان بكم داء هذا داؤه وانا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبد قبل ان يعتبر به ، فانما بعد الوعيد الايقاع ، وانما يفتري الكتاب الذين لا يؤمنون بآياته »(١١) وهذا الوهم من ابن عبد ربه اوقعه بجملة اخطاء :

أولها : ان الخطبة لم تكن لعبد الله أبي جعفر ولم تكن لعمه عبد الله بن علي ، وإنما كانت حسب رأينا لعمه الآخر داود بن علي ، لورود أكثر ألفاظها في الخطبة المنسوبة للأخير ، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن قتيبة ، فقال : خطب داود ابن علي ، فقال : «احرز لسان رأسه ، اتعظ امرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر به ، فأمسك الفضل من قوله وقدم الفصل من عمله ، ثم أخذ بقائم سيفه فقال : إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع »(١٢) .

ثانيها : أنه نسب قتل الأمويين إلى عبد الله أبي جعفر ، وهو براء منه ، لأن المنصور لم يصل إلى الشام أبان تلك المجازر ، التي كان بطلها عمه عبد الله بن علي ، وإنما وصلها لأول مرة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، هذا إذا كان قصد ابن عبد ربه مجزرة نهر أبي فطرس المشهورة (١٣) ، أما إذا كان قصده قتل الأمويين في مكة والمدينة . فقد تم ذلك على يد داود بن علي(١٤) ، الذي نفذ مؤامرة شبيهة بالأولى ، وهاتان الحادثتان مشهورتان في التاريخ ، ولم نجد غيرهما ، خلال تلك الفترة ، ولهذا خلط صاحب العقد الفريد بين حوادث متفرقة .

---

(١١) العقد الفريد ٢ / ١٤٥ .

(١٢) عيون الأخبار نشر دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨ م ، ٢ / ٢٥٢ .

(١٣) قتل عبد الله بن علي في هذه المجزرة نيفاً وثمانين رجلاً من كبار بني أمية وذلك سنة ١٣٢ هـ اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٥ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٣٩ .

(١٤) زيادة في الإطلاع أنظر الحادثة مفصلة عند : خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٣٥ اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩١ـ٩٢ الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤١ .

هذا ولم يقتصر الأمر على ابن عبد ربه ، الذي ربما كان بعده عن مركز الخلافة العباسية في العراق ، سبب في عدم تمحيصه للروايات التاريخية ، ومن ثم دونها في كتابه دون التأكد من صحتها ، بل نجد أن ابن قتيبة الدينوري قد وقع في هدا الوهم حين قال : « إن عبد الله بن علي ثار بالشام على أبي العباس عبد الله بن محمد ، فأرسل إليه أبا مسلم الخرساني فهزمه وأسره وأتى به إلى أبي العباس ، فأمر فبنى له بيت ، جعل أساسه قطع الملح ، فحبسه فيه ، فلما كان بعد أيام أرسل الماء حول البيت فذاب الملح ، وسقط البيت عليه ، فمات فيه»[١٥] ، ويذكر نفس الحادثة ، ولكن يجعل حدوثها زمن أبي جعفر عبد الله بن محمد[١٦] ، وقال ابن سعد حين ذكر أولاد علي بن عبد الله « وعبد الله الأصغر السفاح الذي خرج بالشام»[١٧] وهذا مما يربك القارىء ، ويجعله في حيرة من أمره ، لأن صفة « الأصغر » مشتركة بين عبد الله بن علي وبين ابن أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، فضلاً عن أن لقب « السفاح » مشترك هو الآخر بينهما[١٨] ، لهذا يجب على الباحث العلمي أن يدقق في الروايات التاريخية ويمحصها ، ويأخذ الصحيح منها ، لأن الأمانة العلمية تقتضي منه أن يكون كذلك ، لكي لا يقع فيما وقع فيه غيره .

٢ ـ مولده :

اختلفت أقوال المؤرخين ، القدامى والمحدثين ، في سنة ولادة أبي جعفر ، كما اختلفوا في شهر ولادته أيضاً ، ولبيان الحقيقة ، نذكر هذه الأقوال ،

---

(١٥) الامامة والسياسة : تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٢٤ .

(١٦) المصدر السابق ص ١٢٤ ، وانظر كتاب دار المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة طبع دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ ، ص ٣٧٥ .

(١٧) الطبقات الكبرى ، دار صياد ، بيروت ١٩٥٧ ، ٥ / ١٣٢ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ، مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد رقم ١٦٣٦ ، ٣ / ٢٧ ب .

(١٨) يقول اليعقوبي : « ولعلي بن عبد الله بن العباس ٢٢ ولداً ، منهم عبد الله الأصغر وهو السفاح » تاريخ ٣ / ٦٤ ـ ٦٥ ، أنظر : مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء نشرة بطرس غريا زنيويج ، مطبعة دار النشر ، موسكو ١٩٦٧ م ، ص ٤٩٣ و ٥٧٦ .

ونناقشها ، ثم نخلص منها إلى الرأي الصحيح ، وهذه الروايات هي :

١ ـ هناك رواية تقول : بأن مولده كان في سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م ، وهذه الرواية مستخلصة من ذكر سنة وفاته ومقدار عمره آنذاك ، فتذكر أن المنصور توفي سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ، وهو ابن ٦٨ سنة[١٩] .

٢ ـ رواية ثانية تقول : أن مولده كان في سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م ، ومستخلصة على نفس النمط السابق[٢٠]

٣ ـ رواية ثالثة تذكر بأن مولده كان في سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، وهذه الرواية على غرار ما ذكرناه سابقاً[٢١] .

٤ ـ وتفيد رواية رابعة ، بأن مولده كان سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م[٢٢] .

ان الروايات الأربع السابقة ، لم تنص نصاً صريحاً على سنة مولده ، ولكنها تشير إلى سنة وفاته ، وعمره آنذاك ، ومنها استخرجنا الروايات السالفة الذكر .

٥ ـ وتوجه رواية خامسة تنص صراحة على سنة مولده ، فأشارت إلى أن أبا جعفر

---

(١٩) محمد بن حبيب : المحبر ، ص ٣٤ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٢٧ ، الطبري : تاريخ ٨ / ٦١ وللطبري في ذلك أربع روايات مختلفة ، ذكر فيها أن ولادة أبي جعفر كانت سنة ٩٠ هـ أو ٩٣ هـ أو ٩٤ هـ أو ٩٥ هـ .

(٢٠) الطبري : تاريخ ٨ / ٦١ .

(٢١) الطبري : تاريخ ٨ / ٦١ الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٢٣٠ .

(٢٢) الدينوري : الأخبار الطوال ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ ص ٣١٤ .

الطبري : تاريخ ٨ / ٦١ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٩٣١ م ١٠ / ٦٠ .

ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٦ م ، ص ٢٩ .

الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠ م ص ٢٣٠ .

الأزكوي : مخطوط كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، الموسوم بتاريخ عمان ، مخطوط المتحف البريطاني رقم ٨٠٧٦ .

المنصور ولد سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م[٢٣] .

وعلى هذا ، تكون أكثر المصادر التاريخية قد أشارت صراحة أو ضمناً ، إلى أن مولد أبي جعفر كان سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م .

أما بخصوص شهر مولده ، فقد ورد في ذلك روايتان :

الأولى :

تقول في صفر سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م[٢٤] .

والثانية :

تقول في ذي الحجة سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م[٢٥] ، وحددها صاحب العقد الفريد في اليوم السابع منه[٢٦] .

وبعد استعراض الروايات السابقة ، فإنه يترجح لدي الرواية التي تذكر «بأن أبا جعفر المنصور ولد في ذي الحجة سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، يؤيد ذلك ما ورد عن المنصور قوله لابنه المهدي حين أراد الحج سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ، إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة ، وقد هجس في نفسي أن أموت في ذي الحجة »[٢٧] .

---

(٢٣) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٥٨ ، الطبري : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ ، ٨ / ٦١ ، ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣١٧ .
الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية رقم ٢٨٧ تاريخ ، ٥ / ١١٣ .
ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات مطبعة بولاق ١٢٨٣ هـ ، ١ / ٢٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية مطبعة السعادة مصر ٩ / ١١٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٢٩ ٢ / ٣٢ .
(٢٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ـ في رواية ـ ١٠ / ١٢١ .
(٢٥) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٩٤ و٣١٧ .
(٢٦) ابن عبد ربه : ٣ / ٢٩٣ .
(٢٧) الطبري : ٨ / ١٠٥ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣١٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق مطبوع بالأوفسيت عن طبعة ليدن سنة ١٨٦٩ م ، قام بطبعه مكتبة المثنى ، بغداد ، ٣ / ٢٦٧ ، ابن الجوزى : مخطوط المنتظم ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، رقم ٥٢٦ ، تاريخ ، ٨ / ٩٢ .

وبهذا يتبين أن ما ذكره بعض المؤرخين المحدثين غير جدير بالتصديق[٢٨] ، وخاصة قول بعضهم بأن المصادر أجمعت على أن ولادته كانت سنة ٩٥ هـ ، واستثنى منها اليعقوبي[٢٩] .

٣ ـ نشأته :

نشأ أبو جعفر في قرية الحميحة[٣٠] ـ كما سبق ـ من أرض الشام ، ولم يكن لهذه القرية الصغيرة شأن يذكر فيما مضى ، ويبدو أن أمرها ظهر للوجود منذ أن نزلها علي بن عبد الله بن العباس زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، قال اليعقوبي : « . . . . نزل علي بن عبد الله الحميحة فلم يزل بها حتى ولد أولاداً وصار له الأهل والعيال وولد له نيف وعشرون ذكراً ، مات عامتهم في حياته ولم يزل ولده بالحميحة حتى أذهب الله سلطان بني أمية»[٣١] ، فأخذ شأنها يزداد أهمية مع الأيام ، حيث أصبحت مركزاً مهماً من مراكز الدعوة العباسية فيما بعد ، فاتجهت إليها الأنظار لأهميتها من هذه الناحية ، خاصة بعد انتقال الدعوة إلى محمد بن علي

---

(٢٨) ذكر بعض المؤرخين المحدثين بأن مولد المنصور كان سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م : أنظر الخضري : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية ، مطبعة الإستقامة مصر الطبعة التاسعة ١٩٥٩ ص ٥٣ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي طبع مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٤ م ٢ / ٢٦ . شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٤ ، ٣ / ٧٤ ، شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي ، مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٧ م ، ١ / ٩٠ . عبد السلام رستم : أبو جعفر المنصور مطبعة دار المعارف مصر ١٩٦٥ ص ٣٥ .

(٢٩) أنظر : رسالة مخطوطة عن أبي جعفر المنصور مكتبة اصول الدين جامعة الأزهر رقم ١٥٥ للدكتور كمال شلال ، الذي ذكر بأن اليعقوبي قال : ولد المنصور سنة ١٠١ هـ ، فرجعت لليعقوبي فلم أجد للرواية ذكر ، سوى قوله أن المنصور مات سنة ١٥٨ هـ وهو ابن ٦٨ سنة .

تاريخ ٣ / ١٢٧ وطبعة ليدن ، بتحقيق هو تسيما سنة ١٨٨٣ ، ٢ / ٤٦٨ .

(٣٠) الحميمة : بلده من أرض الشراة ـ بتشديد الشين وفتحها ـ من أعمال عمان في أطراف الشام : ياقوت : معجم البلدان ـ مطبعة بيروت ١٩٥٥ ، ٣ / ٣٤٦ .

(٣١) تاريخ ٣ / ٣٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، مطبعة دار الثقافة بيروت ٣ / ٣٢٠ .

العباسي[٣٢] ، فولد أبو جعفر في هذه القرية ، من أم ولد بربرية تدعى «سلامة بنت بشير »[٣٣] ، صنهاجية من نفزة ، فتربى وسط كبار بني هاشم ، واكتسب منذ صغره بعض عادات أهله ، وكانوا أهل دين وورع وتقوى ، فقد قال ابن سعد «لقد أفضت الخلافة إليهم ـ للعباسيين ـ وما في الأرض أحد أكثر قارئاً للقرآن ولا أفضل عابداً وناسكاً منهم بالحميمة[٣٤] ، فنشأ في هذا الوسط الديني ، وتعلم قراءة القرآن والكتابة ، في أول أطوار حياته ، شأنه شأن أقرانه[٣٥] ، وسمع بعضاً من قصص العرب وأيامها ، وحفظ قسماً من أشعارهم وحكمهم وخطبهم ، فنمت ذاكرته ، واتسعت مداركه ، وهو لا يزال صغيراً، وكان صحيح البنية ، نشيط الحركة ، حاد الذكاء سريع الفهم ، ميالاً إلى طلب العلم ، فتعلم وهو لا يزال صبياً يافعاً ، النحو ، والتاريخ وألم بسير السلف من الملوك والأمراء ، وروى الحديث ، وتفقه في الدين ، وحفظ القرآن والكثير من شعر العرب وخطبهم ؛ فنشأ فصيحاً ، بليغ اللسان[٣٦] ، قال ابن كثير «كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه ، فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً»[٣٧] وقد وصفه المؤرخون ، وهو لا يزال شاباً يانعاً بأنه كان «أسمر اللون ، موفر اللمة ، خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقنى الأنف ، أعين ، كأن عينيه لسانان ناطقان يخالطه أبهة الملك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في مواضعه ، والعفو في صورته ، والليث

---

(٣٢) انتقلت الدعوة إليه بوصية من أبي هاشم ـ عبد الله بن محمد ـ أمام الشيعة آنذاك أنظر مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٧٤ .

(٣٣) ابن بطريق التاريخ المجموع طبعة بيروت ١٩٠٩ م ، ٢ / ٤٨ المسعودي : التنبيه والاشراف طبعة بيروت ١٩٦٥ ص ٣٤٥ ، ابن أبي السرور : بلغة الظرفاء ص ٤٦ ، عباس البغدادي : مخطوط نيل المراد في أحوال العراق وبغداد مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد رقم ٩٥ ص ١٢٩ .

(٣٤) الطبقات ٥ / ٣١٤ الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢ .

(٣٥) دليلنا على ذلك أنه كان يكتب بعض كتبه بنفسه أيام خلافته ، منها كتابه لمحمد النفس الزكية .

(٣٦) أنظر : ابن دحية : النبراس ص ٢٩ ، الديار بكري : تاريخ الخميس : مطبعة عثمان عبد الرازق ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٢ هـ ، ٢ / ٣٦٢ .

(٣٧) البداية والنهاية ١٠ / ١٢٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء : تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة المدني ـ القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤ م ص٢٦٨ .

في مشيته»(٣٨) ، إلا أن المقدسي انفرد برواية غريبة فذكر (أن أبا جعفر ، كان رجلاً أسمر نحيفاً ، طويل القامة ، قبيح الوجه دميم الصورة ، ذميم الخلق ، أشح خلق الله وأشده حباً للدينار والدراهم ، سفاكاً للدماء ، ختاراً بالعهود ، غداراً بالمواثيق ، كفوراً بالنعم ، قليل الرحمة ، وكان جال في الأرض وتعرض للناس ، وكتب الحديث ، وحدث في المساجد ، وتصرف في الأعمال الدنيـة والحرف الشائنة ، وقاد القود لأهلها ، وضربه سليمان بن حبيب بالسياط ، في الجملة والتفصيل كان رجلاً دنيئاً خسيساً كريهاً شريراً»(٣٩) ، وتعتبر هذه الرواية شاذة في موضعها ويبدو التحامل فيها واضحاً وربما لميول المقدسي الشيعية أثر كبير في هذا الوصف ، الذي وصل إلى حد التعريض والطعن والتجريح ، من غير سند تاريخي يعضده فضلاً عن مخالفته لما أجمع عليه سائر المؤرخين في وصفه ، وربما كان وصفهم إياه ، مستنداً إلى شاهد عيان ممن رآه ، فقد وصفه شبيب بن شيبة الاهتمي الذي قال : «حججت عام هلك هشام وولي الوليد بن يزيد ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة ، فبينما أنا مريح ناحية من ناحية المسجد ، إذ طلع من بعض أبواب المسجد ، فتى أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة ، خفيف اللحية . . . »(٤٠) .

كان أبو جعفر يلقب في صغره «بمدرك التراب»(٤١) ، وكان يقال له في صغره

---

(٣٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ / ٤٣ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٥٤ ، الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، مطبعة القديس جاورجيوس ، مصر ١٨٨٥ م ص ٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٢/١٠ ، الصفدي الوافي بالوفيات ، باعتناء س . دبدرينغ ، مطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٣ ، ٢٦٧/١ .

(٣٩) البدء والتاريخ ، قام بطبعة مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر سنة ١٩١٩ م ، ٦ / ٩٠ ، ولم يقتصر المقدسي على ذكر المنصور بهذا الوصف ، بل تعداه إلى غيره ، فيقول عن معاوية مثلاً ـ وأخذ معاوية البيعة ليزيد . . . وولاية يزيد ابن معاوية عليهما اللعنة) ويذكر أيضاً ونبش قبر معاوية عليه اللعنة . أنظر ٦ / ٧٢ ، وكان الأولى بالمقدسي أن يترفع عن هذا السب والقذف .

(٤٠) أنظر : ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ص ١٣٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥ / ١٠٦ الخطيب البغدادي ١٠ / ٥٤ ، ويذكر الوصف عن علي بن ميسرة الرازي ، أما شبيب بن شيبة فهو صاحب خالد بن صفوان ، المحدث البارع المشهود له بالبلاغة وحسن البيان .

(٤١) الديار بكري : تاريخ الخميس ٢ / ٣٦٢ ، الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٣ ومدرك : كثير الإدراك ، ورجل مدركه : بالهاء ـ سريع الإدراك ، أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، طبعة بولاق ١٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٦ . الفيروز بادي : القاموس المحيط ، طبعة دار المأمون ، مصر ١٩٣٨ ٣ / ٣٠١ .

أيضاً «عقلاص»[٤٢] لقب بذلك ، تشبيهاً بالمقلاص من الإبل ، وهي الناقة التي تسمن في الصيف ، وتهزل في الشتاء ، وكذلك كان أبو جعفر .

ولقب قبل أن يلي الخلافة « بالطويل » و «بعبد الله الطويل »[٤٣] ، وربما كان لقبه بالطويل ناشئاً من وصف المؤرخين له حين قالوا : «وكان أسمر طويلاً نحيفاً . . . . . » ، وكان يكنى في شبابه « بأبي جعفر » ، وتلقب بعد خلافته بالمنصور و « المنصور بالله »[٤٤] .

* * *

* *

---

(٤٢) ابن الفقيه الهمداني : مخطوط مختصر البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد مكتبة الدراسات العليا ـ جامعة بغداد رقم ١٣٩٣ ، ص ٥ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٥/٨ ، ياسين العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ، مكتبة الدراسات العليا ـ جامعة بغداد رقم ٨٣٣ ، ص ٩ .

(٤٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، مطبعة الشركة العربية ، مصر الطبعة الأولى ١٩٦٣ ، ١ / ٣٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٥ .

الطبعة الأولى ١٩٦٣ ، ١ / ٣٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٥ .

ابن شاكر : فوات الوفيات ١ / ٢٩٦ . الصنعاني : مخطوط نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، معهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية ، رقم ٥٥٤ تاريخ ص ٢٨ .

(٤٤) أنظر : العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦١ ، الذي يقول : وهو أول من لقب بالمنصور .

الفصل الثاني
جهوده في الدعوة العباسية

صادف مولد أبي جعفر بداية الدعوة العباسية ، حيث انتقلت الدعوة لأبيه سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م[١] ، وهو لم يزل في السنتين من عمره . فأخذ والده محمد بن علي العباسي ، منذ ذلك الحين ، بتنظيم أمور الدعوة ، وإرسال الدعاة إلى مختلف الأمصار يدعون بما أوصاهم به ، وكان يقول : « لنا ثلاثة أوقات موت يزيد بن معاوية، ورأس المابة وفتق بإفريقيا ، فعند ذلك يدعو لنا دعاة ، ثم يقبل أنصارنا من الشرق ، حتى ترد خيولهم المغرب ، فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقيا ، وتعصب البربر ، بعث محمد الإمام رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمي أحداً»[٢] ، وتحدث اليعقوبي عن ذلك فقال : « ولما دخلت سنة مائة بعث محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ميسرة أبا رباح إلى العراق ـ الكوفة ـ ومحمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وحيان العطار إلى خراسان ، وعليها يومئذٍ الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز ، فلقوا من لقوا بها

---

(١) انتقلت الدعوة إلى محمد بن علي العباسي بوصية من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي . أنظر ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٠٩ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٣ / ٢٨ ب . الطبري : تاريخ ٧ / ٤٢١ ، الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢ . أما يزيد بن أبي مسلم الثقفي فإنه توفي سنة ١٠٢ هـ ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للحجاج . أنظر ابن الأبار : اعتاب الكتاب . تحقيق الدكتور صالح الأشتر . طبع مجمع اللغة العربية ، دمشق الطبعة الأولى ١٩٦١ . ص ٥٧ .

وانصرفوا وقد غرسوا غرساً »[٣] .

لذا يمكن القول بأن بداية الدور الفعلي للدعوة العباسية بدأ بسنة ١٠٠ هـ / ٧١٩ م وكان عمر المنصور حينذاك خمس سنوات ، وهو عمر لم يكن يؤهله لأن يفقه ما يدور حوله من أمورها ، خاصة وأنه كان في هذه الفترة منكباً على الدرس والتحصيل ، وسارت الدعوة في طريقها المرسوم لها ، فشب معها أبو جعفر .

ولما أنس أبوه منه رشداً ، أفضى إليه ولأخوته وأسرته بأسرارها ـ والولد سر أبيه كما يقال ـ فتشرب مبادئها ، واستوعب أهدافها ومراميها ، واطلع على أسرارها ، وأدرك خطورة الدور السياسي الملقى على عاتق والده خاصة ، والعائلة العباسية عامة ، وهو أحد أفرادها ، فلما شب واشتد ساعده ، وكان قد نال حظاً جيداً من العلم والمعرفة فكمل عقله ، وظهرت شخصيته ، فتفتحت مداركه ، وكان له من توقد ذكائه ، وقوة شخصيته ، ما مكن له من النهوض بأمور الدعوة العباسية ، رغم حداثة سنه ، فأصبح أحد دعاتها البارزين ، وكان محل ثقة أبيه ، فاعتمد عليه في الأمور الهامة فأصبح بمثابة السفير المتجول له ، فشد الرحال ، وأخذ يجوب الأمصار والبلدان ، ويتصل بالدعاة والأعوان ، ويتعرف منهم على أمور الدعوة ، وما آلت إليه ، فعركته الأيام ، وزادته خبرة واطلاعاً ومعرفة بأحوال الناس وأمورهم . فسافر من أجل ذلك إلى الموصل وعمره آنذاك لا يتعدى ثمان عشرة سنة ، فاتصل بواليها الحر بن يوسف بن الحكم[٤] فوصله ، فشكر أبو جعفر له ذلك ، وكانت هذه الرحلة على الأرجح ، رحلة استطلاعية ، القصد منها التعرف على أحوال الدعوة هناك ـ وهذه السفرة تفسر لنا سفره إلى الموصل ثانية كما سيأتي ـ ثم عاد إلى الحميمة ، وكان في ضائقة مالية ، فهداه تفكيره أن يشتغل في بعض

---

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٥٢ . أنظر : الطبري : تاريخ ٦ / ٥٦٢ المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٥٩ .
وقد تولى الجراح خراسان سنة ٩٩ ، وخرج منها أواخر رمضان سنة ١٠٠ هـ .
أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ١ / ٣٢٩ . الطبري : تاريخ ٦ / ٥٥٨ .

(٤) تولى الحر بن يوسف الموصل سنة ١٠٦ هـ واستمر في الولاية حتى سنة ١١٣ هـ . أنظر : الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٧ .

الأعمال ، ليبعد هذه الضائقة أولاً ، ويصرف الأنظار عن نشاطه السياسي ثانياً ، فاضطر - وربما عن قصد - أن يعمل مع بعض ولاة بني أمية ، فشغل وظيفة شرطي براتب شهري مقداره ٦٨ درهماً . قال ابن حزم « ان أبا جعفر المنصور قد استجدى الأمراء قبل خلافته ، وكان في شرط خالد بن عبد الله القسري بثمان وستين درهماً في الشهر»[٥] وكان عمره آنذاك لا يتعدى عشرين عاماً[٦] ، ولا نعلم بالتحديد المدة التي قضاها في عمله هذا ، وسواء طالت المدة أم قصرت ، فإنه من المؤكد قد اتصل بالناس يدعوهم لمناصرة الدعوة العباسية ، فجلب بنشاطه وتحركاته الأنظار إليه ، فارتابت السلطات الأموية من تصرفاته وشكت في أمره ، خاصة وأن الأمويين كانوا قد وضعوا الأرصاد ، وأذكوا العيون على نشاط العباسيين ودعاتهم ، وجعلوهم تحت رقابة مستمرة شديدة ، يؤيده قول الخليفة هشام بن عبد الملك لمحمد بن علي العباسي حين وفد عليه «ما جاء بك ؟ قال : حاجة يا أمير المؤمنين . قال : انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها وتروون فيها الأحاديث»[٧] فخاف أبو جعفر أن ينكشف أمره ، ويعرف سره ، فترك عمله ، ظاناً بنفسه من أن يناله ما يكره من السلطة ، فسافر متنكراً إلى بلاد الجزيرة ، وتسلل بين العيون والأرصاد ، إلى أن وصل إلى الموصل - للمرة الثانية - فاستقر فيها ، واشتغل ببعض الأعمال ، واتصل بأعوان أبيه ، وقد مر بفترة هدوء نسبي بعيدة عن أعين الرقباء ، فدعاه ذلك أن يفكر بالزواج ، فتزوج امرأة كردية ، وأقام معها يسيراً ، ثم لم يلبث أن ترك الموصل خوفاً من القبض عليه ، بعد افتضاح أمره ، يذكر ابن خلكان « أن أبا جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضر شديد أصابه ، حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمد في الحبل ، أو فعل ذلك لأمر خافه على نفسه ، فتنكر وأكرى

---

(٥) نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. شوقي ضيف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م ، ص ٨٨ .

(٦) اسند الخليفة هشام بن عبد الملك ولاية العراق لخالد بن عبد الله القسري سنة ١٠٥ هـ وعزله عنها سنة ١٢٠ هـ . أنظر اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٦٥ . الطبري : تاريخ ٧ / ٢٦ و١٤٧ .

(٧) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٢٨ ب . أنظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٦٥ . الطبري : تاريخ ٨ / ٥٠ .

نفسه في مدادي السفن ، فخطب هذه المرأة ورغبها في نفسه ووعدها ومناها ، وأخبرها أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف وأنها ان تزوجته سعدت ، ولم يزل يمنيها حتى أجابته ، وأقام معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله تعالى ، ثم اشتملت على حمل فقال لها : أيتها المرأة ، هذه رقعة مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك فإن ولدت إبناً فسميه جعفراً وكنيه أبا عبد الله ، وان ولدت بنتاً فسميها فلانه ، وأنا عبد الله بن عبد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فاستري أمري ، فإنا قوم مطلوبون والسلطان إلينا سريع ، وودعها وخرج ، فقضى أنها ولدت ذكراً ، فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها ، وسمته جعفراً . . . »[٨] . وعرف ابنه هذا بابن الكردية[٩] .

وبعد أن غادر أبو جعفر الموصل اتجه إلى الكوفة لكنه لم يمكث فيها طويلاً ، لأن الرقابة الأموية فيها شديدة وقوية ، خاصة وأنه كان قد تركها إلى الموصل لهذا السبب فعزم على المسير إلى البصرة ، فوصلها واستقر فيها ، واتصل بعلمائها ومفكريها ، أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ويونس بن حبيب ، وعمرو بن عبيد المعتزلي ، الذي وطد المنصور معه صداقة قوية ، ـ فأصبح فيما بعد من أصحابه ـ ، وتردد على مجلسه بعد الخلافة[١٠] ، وحضر الكثير من حلقات المحدث أزهر بن سعد السمان[١١] ، وحدث بالمساجد[١٢] ، ولم يلبث طويلاً حتى عاد أدراجه إلى الحميمة منشأ صباه ، ومن المحتمل جداً أنه حين التقى بوالده ، قدم له تقريراً سياسياً شاملاً ، بصفته رئيس الدعوة يومئذٍ ، أعلمه فيه عن سير الدعوة ، وأحوال الدعاة في الأماكن التي زارها ، وربما نقل إليه وضع الأهالي العام وما هم عليه من تذمر

---

(٨) وفيات الأعيان ٢ / ٤١١ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٧ و ٢٢ .
أما الجهشياري فيروي أن هذا الزواج كان بالأهواز . الوزراء الكتاب : تحقيق مصطفى السقا وآخرين مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٣٨ م ص ١٢١ .

(٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣١٢ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٢١ .

(١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ٤٦١

(١١) المرتضى : الأمالي ، القاهرة ١٩٣٢ م . ١ / ١٦٩ .

(١٢) الحصري : زهر الاداب . مطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٦٠/٤ .

وسخط ، وخاصة الموالي منهم ، تجاه الحكم الأموي ، في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة الأموية ، فاستبشر أبوه بذلك خيراً ، واعتمد عليه كثيراً ، حتى أنه انتدبه دون سائر أخوته للسفر إلى القيروان بمهمة خاصة ، فتزوج بسفرته هذه بأم موسى أروى بنت منصور الحميرية ، أما سبب سفرته هذه « أنه تزوج أم موسى الحميرية بالقيروان في دولة بني أمية وكانت قبله عند فتى خليع من ولد عبيد الله بن العباس وكان قد وقع إلى إفريقية ، فولدت له ابنة ومات ، فاتصل موته بقومه ، فنهض أبو جعفر بنفسه لاجتلاب بنته فوجدها قد تزوجت رجلاً خياطاً ، وولدت منه إبناً ، ومات الخياط ، فتزوجها أبو جعفر لجمالها ، وسمي ابن الخياط طيفور ، فلما صارت إليهم الخلافة ، قالوا : طيفور مولى المهدي ، وإنما هو أخوه لأمه»(١٣) .

وأرى أن هذه السفرة ، وإن كان القصد منها ظاهرياً هو هذا ، ولكن مراميها الخفية أبعد من ذلك ، ويمكن تفسيره بهدف سياسي هو نشر الدعوة في المناطق التي سيمر فيها ، لجمع المؤيدين والأنصار لها ، خاصة في بلاد مصر وافريقية .

وقد رحب المنصور نفسه بالفكرة لتيقنه بأن السلطات الأموية تلاحقه وتحاول القبض عليه لأن هذه السفرة ستتيح له العمل والتواري عن أنظار الأمويين ردحاً من الزمن ، يؤيد هذا الرأي ما ذكره ابن الابار « بأن المنصور دخل إفريقيا في أيام بني أمية ـ وهو إذ ذاك سوقة ـ فراراً منهم»(١٤) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الحادثة وظروفها رغم أنها كانت تهم البيت العباسي بأسره لخوفهم من أن تناهلم معرة من ترك عائلة أحد أفراده دون معيل لها بعد وفاته ، لكن اختيار أبي جعفر بالذات لحل هذه المشكلة ، يثير انتباه الباحث إلى ذلك ، والذي يمكن إرجاعه إلى ثلاثة أمور :

أولاً : لنشاطه الملحوظ في الدعوة العباسية ، حتى نال ثقة أهل البيت العباسي

---

(١٣) جمهرة أنساب العرب ص ٢١ . أنظر : الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٢٣١ .

(١٤) الحلة السيراء ١ /٣٣

وبصورة خاصة والده ، الذي اعتمد عليه في كثير من أموره الخاصة والعامة ، وهذه إحداها .

ثانياً : لخبرته الواسعة ومعرفته بأحوال الناس من خلال مخالطته لهم في أماكن متفرقة من الدولة ، بسبب كثرة تجواله ، مما جعله مؤهلاً دون غيره للقيام بهذه المهمة .

ثالثاً : لكون أمه «سلامة بنت بشير» من إفريقيا ومن أصل بربري ، وهذه نقطة مهمة ، لأن سفره إلى هذه البلاد ، سيجعل مهمته ميسورة ، لكون أخواله سيقفون إلى جانبه ويسهلون له أمره .

ومع هذا فإن مهمته لم تكن سهلة ، لأن السلطات الأموية علمت بنواياه فرصدت تحركاته في تلك البلاد ، وحاولت إلقاء القبض عليه ، لكنه تمكن من الإفلات من قبضتها ، يؤيده ما ذكر من أن أهل إفريقيا يذكرون أنه ـ أي المنصور ـ طلب مرة فاستخفى في قصر صهره منصور الحميري عند قصر بشير بطريق سوسة[١٥] . ويبدو أن سفرته هذه كانت أواخر سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م ، حيث صادف مجيئه وقوع الفتنة في تلك البلاد[١٦] . وهذا مما ساعده على الإتصال بالناس يدعوهم للأمر ، لأن الفرصة كانت مواتية جداً للقيام بمثل هذا العمل ، وربما اتصل بعائلة الفهري الساخطة على الحكم الأموي هناك ، وخاصة بعبد الرحمن بن حبيب ، الذي كان موجوداً في القيروان بعد أن أتاها مهزوماً بعد مقتل أبيه ، فاستجاب له ، وهذا يفسر لنا موالاة ابن حبيب للدولة العباسية حين انبثاقها ، فأعلن بيعته لها .

وبعد أن انتهى أبو جعفر من المهمة التي جاء من أجلها ، قرر الرحيل عن القيروان خوفاً من القبض عليه إن طالت إقامته فيها ، فعاد إلى الحميمة ، فوجد

---

(١٥) ابن الابار : الحلة السبراء ٢ / ٣٣٩ .

(١٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، طبعة مجريط ، ليدن ١٨٦٧ م ص ٣٠ وما بعدها .

أهله في ضائقة مالية شديدة ، وكان أبوه قد بلغ من الكبر عتياً ، فضلاً عن الناس كانوا ينفرون منهم خوفاً من اتهامهم من قبل السلطات الأموية ، بالتعاون مع أعدائها ، وقد أجبرت هذه الظروف الصعبة أباه محمد بن علي إلى الإلتجاء إلى الخليفة الأموي نفسه ، كحل وحيد لا بديل له في تلك الفترة لابعاد الفاقة التي حلت به ، فشد الرحال وصحب معه ابنيه أبي جعفر وأبي العباس ، وكان ذلك في سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م[١٧] ، «فلما دخل عليه ، قال له : ما جاء بك ؟ ، قال : حاجة يا أمير المؤمنين . قال : انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها وتروون فيها الأحاديث . . . »[١٨]، وفي رواية، أخرى « ان محمد بن علي دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبد الملك ، متوكئاً على ولديه أبي العباس وأبي جعفر فسلم ثم قال له هشام : ما حاجتك ؟ ولم يأذن له في الجلوس ، فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه ، فقال هشام : ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس ، ثم يأتي أحدكم ويرى أنه أحق بما في أيدينا منا ، والله لا أعطيك شيئاً ، فخرج محمد بن علي ، فقال هشام كالمستهزىء : ان هذا الشيخ ليرى أن الأمر سيكون لولديه هذين أو أحدهما ، فرجع محمد نحوه فقال : أما والله إني أرى ذلك رغم من رغم ، فضحك هشام وقال : أغضبنا الشيخ ، ثم مضى محمد بن علي[١٩] ، وقد تركت هذه الحادثة أثراً سيئاً في نفس أبي جعفر بصورة خاصة ، وبنفس الوقت هيأت هذه السفرة الفرصة له للتعرف على الناس المتعاطفين مع الدعوة العباسية ، فاتصل بهم ، فوجد عندهم استعداداً كافياً للإستجابة لما دعاهم إليه ، وهذا مما شجعه ـ فيما بعد ـ للقيام بسفرة ثانية إلى دمشق لهذا الغرض ـ كما سيأتي ـ .

إن الرحلتين التي قام بها المنصور لكل من إفريقيا ودمشق ، ومما وجد فيهما من

---

(١٧) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٤٥ وما بعدها .

(١٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٢٨ ب .

(١٩) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ٢ / ١١٠ ، أنظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٦٥ ، المقدسي البدء والتاريخ ٦ / ٥٨ ، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، طبعة بيروت ١٩٦٣ ، ٢ / ٦٨١ ، أما الأزدي فيذكر أن الخليفة أعطاه أربعين ألف درهم تاريخ الموصل ٢ / ٤٨ . وأرى أن ما ذكره الأزدي لا ينسجم وموقف الأمويين العدائي من العباسيين .

التجاوب لنصرة القضية العباسية ، جعلته يطلق لنفسه العنان في التجوال إلى مناطق جديدة أخرى ، لبث الدعوة ، وكسب المؤيدين والأنصار لها ، فشد الرحال إلى مكة المكرمة للإلتقاء بالدعاة العباسيين في موسم الحج ، وكانت طبيعة مواسم الحج تفسح مجالاً واسعاً ، بعيداً عن الرقابة الأموية ، للدعاة العباسيين بالإجتماع مع بعضهم ومع الناس لنشر الدعوة بينهم ، ولهذه المواسم أيضاً فائدة مهمة جداً ، فهي حلقة وصل رئيسة بين الدعاة والإمام ، فيقدموا له أو لمن يرسله ، تقريراً سياسياً شفهياً جامعاً لكافة الأمور المتعلقة بالدعوة ، فالتقى بهم أبو جعفر نيابة عن أبيه ، فتعرف منهم على سير أعمالهم وما آل إليه أمرهم ، وتدارس وإياهم المشاكل والصعاب التي يواجهونها في نشر الدعوة ، ووضع الحلول المقترحة لتذليلها ، ومن المحتمل جداً أنه زودهم بتوصياته وإرشاداته للسير بموجبها في المرحلة القادمة في عملهم السياسي ، وقام المنصور من جانبه بالإلتقاء بالمشاهير من الناس . أمثال عمرو بن عبيد المعتزلي ، الذي وطد المنصور معه صداقة قوية فيما بعد ، ومما يؤثر عن عمرو أنه كان يقول حينما يرى أبا جعفر يطوف حول الكعبة « ان يرد الله بأمة محمد خيراً يول أمرها هذا الشاب من بني هاشم »[٢٠] .

وفي أثناء ذلك حدث تغيير مهم في زعامة الدعوة ، بوفاة والده سنة ١٢٤ هـ[٢١] واسناده الأمر إلى إبراهيم الإمام أكبر ولده . فلم يدع المنصور هذه الحادثة الأليمة تستولي على تفكيره أو تفت من عضده ، وتجعله يتقاعس عن الإستمرار في خدمة الدعوة وأهدافها ، لأن مصلحتها تقتضي بالضرورة تجاوز هذه الحادثة بكل ما تحويه من مرارة وحزن ، فاندفع يعمل تحت أمرة أخيه الأكبر ، وكان عمره آنذاك قد قارب الثلاثين عاماً . فعرف الكثير من أسرار الدعوة وأحوال الدعاة ، فأراد في هذه الفترة أن يلتقي بهم ليتعرف على أحوالهم بعد التغيير الذي طرأ على زعامة الدعوة ، وكان موسم الحج أنسب وآمن مكان يمكن أن يلتقي بأكبر

---

(٢٠) الدينوري : عيون الأخبار ١ / ٢٠٩ .

(٢١) أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٣٧٢ . الطبري : تاريخ ٧ / ١٩٩ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٥٣ .

عدد منهم ، فشد الرحال في سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م إلى هناك لهذا الغرض .فجاءت اتصالاته ومشاوراته السياسية معهم كما يرغب ، فاطمأن بذلك على مستقبل الدعوة . وكان من آثار نشاطه في موسم الحج أن استرعى انتباه الناس ، وكان شبيب ابن شيبة منهم ، الذي قال « حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما أنا مريح ناحية المسجد ، اذ طلع علي من بعض أبوابه فتى أسمر ، رقيق السمرة ، موفر اللمة ، خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، عليه أبهة الملوك في زي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في تواضعه . . . . فما ملكت نفسي أن نهضت في أثره سائلاً عن خبره ، فتحرم بالطواف ، فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع ، وأنا أرعاه ببصري ، ثم نهض منصرفاً . . فكبا كبوة دميت منها أصبعه ، فدنوت منه متوجعاً لما ناله . . . ثم شققت حاشية ثوبي ، فعصبت على رجله ، فلم ينكر ذلك ، ثم نهض متوكئاً عليَّ ، وانقدت له حتى أتى بناء بأعلى مكة . . . فدخل واجتذبني ، فدخلت بدخوله . . . ثم استوى في صدر مجلسه ، فحمد الله وصلى على نبيه ، ثم قال : لم يخف عليَّ مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت : شبيب بن شيبة التميمي . فقال : الأهتمي ؟ فقلت : نعم . فرحب وقرب ، ووصف قومي بأبين وصف ، وأفصح لسان . . . »[٢٢] ،ثم دار حديث بين الرجلين عرف شبيب من خلاله أنه عبد الله بن محمد بن علي بن العباس . فسأله عدة أسئلة ، إلى أن قال له : «يزعم أهل العلم بالكتاب أنها ستكون لكم دولة لا شك فيها ، تطلع مطلع الشمس ، وتظهر بظهورها ، نسأل الله خيرها ، ونعوذ به من شرها ، قال ـ له المنصور ـ فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها . فقال ـ شبيب ـ أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها ؟ قال : نعم ، قوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطنعهم ونأبى إلا طلباً لحقنا ، فننصر ويخذلون ، كما نصر أولنا بأولهم ، وخذل لمخالفتنا من خذل منهم . . . وإنما يشذ عنا فيهم الأقل ، فأما أنصار دولتنا ، ونقباء شيعتنا ، وأمراء جيوشنا فهم

---

(٢٢) أنظر الحديث مفصلاً في : ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٣٩ ـ ١٤١ . ابن عبد ربه العقد الفريد ، طبعة القاهرة ١٣٦٤ هـ . ٥ / ١٠٦ .

ومواليهم معنا ، فإذا وضعت الحرب اوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه ، فتذهب المثايرة ، وتخمد الفتنة ، وتطمئن القلوب . . . . . »[٢٣] .

يتضح من هذه المحاورة أن الناس لم تكن غافلة عما يجري في الخفاء من الدعوة لبني العباس ، بل كانت هناك مؤشرات ودلائل ، تؤكد قرب أفول نجم بني أمية ، وبزوغ أمر بني العباس ، بعد أن عمت دعوتهم الأمصار ، واستجاب لها الكثير من سكانها ، يضاف إلى ذلك بدء اضطراب أحوال الدولة الأموية في هذه الفترة ، وهذا مما أعطى فرصة أكبر ومجالاً أوسع للعباسيين في نشر دعوتهم ، فبعد موت الخليفة هشام بن عبد الملك ، ساءت أمور الأمويين ، فكثرت عليهم الفتن والإضطرابات فوجد عبد الله بن معاوية العلوي[٢٤] فرصته في إعلان ثورته سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م بالكوفة[٢٥] فكثر جمعه ، وتوجه إلى خراسان فغلب عليها ، واستعمل عماله عليها[٢٦] ، فقصدته بنو هاشم جميعاً « وقصده أبو جعفر عبد الله ، وعبد الله وعيسى ابنا علي»[٢٧] ، فاستعان بهم في أعماله .

إن اشتراك أبي جعفر في هذه الثورة ، يبين لنا بوضوح ما كان يختلج في صدره من شعور سياسي عارم ضد الدولة الأموية ، وسياستها التعسفية ضد العباسيين ، فأصبح مستعداً للإنضمام إلى كل ثورة هدفها إسقاط الحكم القائم آنذاك . وكان

---

(٢٣) المصدران السابقان .

(٢٤) زيادة في الاطلاع ، أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٣٩٤ ، الطبري ٧ / ٣٠٢ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين . طبعة القاهرة ١٩٤٩ م ص ٦٥ .

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية طبعة القاهرة الثانية ١٩٦٨ م ص ٣٧١ .

(٢٥) أنظر خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٣٩٤ ، الطبري : ٧ / ٣٠٢ ، الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٥ .

(٢٦) كان من جملة عماله أن استعمل أخاه صالحاً على قم ونواحيها ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه الحسن على اصطخر ، وأخاه علياً على كرمان ، أنظر الطبري : تاريخ ٧ / ٣٧٢ . الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .

(٢٧) الطبري : تاريخ ٧ / ٣٧٢ . أنظر ابن الطقطقي : الفخري ص ١٨٠ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٥ .

هدف ثورة ابن معاوية من هذا القبيل ، فوجد المنصور في انضمامه لهذه الثورة متنفساً لما كان يعانيه من عسف الأمويين وملاحقتهم له . ولا يستبعد أن المنصور أراد باشتراكه ومن معه من أعمامه في هذه الثورة تحقيق أهداف سياسة بعيدة المدى لصالح البيت العباسي ، قد يكون أهمها انتزاع قيادة الثورة لنفسه ، وبالتالي يجعلها ثورة عباسية تعصف بالدولة الأموية وتنهي كيانها خاصة وأن إقليم خراسان كان يغلي على فوهة بركان ، وهو على وشك الإنفجار ، بعد أن آتت الدعوة العباسية أكلها هناك ، وباتت تنتظر لحظات اندلاعها ، لكن هدفه هذا باء بالفشل ، حين خذل الناس ابن معاوية وكان أبو جعفر عامله على كورة إيذج - بين خوزستان وأصبهان - فلما رأى ما حل بصاحبه ، علم أن الأمور أصبحت في غير صالحه ، فانحدر إلى البصرة ، وأخذ معه الأموال التي جمعها أثناء ولايته على تلك المنطقة ، فيذكر الجهشياري «أن عبد الله بن معاوية لما غلب في أيام مروان ، على أصبهان وبعض فارس وبعض الأهواز ، وفد إليه الهاشميون أجمعون من بني علي ومن بني العباس وغيرهما ، فاستعان بهم في أعماله ، وقلد أبا جعفر كورة إيذج فأخذ أبو جعفر المال وحمله على يدي عبد الرحمن بن عمر إلى البصرة ، ولم يحمل إلى ابن معاوية شيئاً ، ثم صار أبو جعفر إلى الأهواز قاصداً البصرة ، وكان سليمان بن حبيب بن المهلب عليها من قبل مروان ، قد وضع الأرصاد على كل من يمر من عمال ابن معاوية ، فمر برصده أبو جعفر ، فأخذ وأتى به سليمان بن حبيب ، وكان أبو أيوب المورياني يكتب له ، فقال له لما دخل عليه : هات المال الذي اختنته : فقال : لا مال عندي ، فدعا له بالسياط ، فقال أبو أيوب : أيها الأمير توقف عن ضربه ، فإن الخلافة إن بقيت في بني أمية فلن يسوغ لك ضرب رجل من بني عبد مناف ، وان صار الملك إلى بني هاشم لم تكن لك بلاد الإسلام بلاداً ، فلم يقبل منه ، وضرب أبا جعفر اثنين وأربعين سوطاً ، فلما اتصل ضربه إياه قام إليه أبو أيوب ، فألقى نفسه عليه ، ولم يزل يسأله حتى أمسك عن ضربه ، وأمر بحبسه»(٢٨) حتى إذا دخل السجن ، وجد

---

(٢٨) الوزراء والكتاب ص ٩٨ - ٩٩ . أنظر : الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .
ابن خلدون : تاريخ مطبعة بولاق بدون تاريخ ٣ / ١٢١ . ابن عنبة : عمدة الطالب في أنساب ال أبي طالب =

فيه رجلاً مجوسياً اسمه نوبخت ، وكان عالماً بالنجوم ، فدار بينهما حديث، يروي تفاصيله نوبخت نفسه ، فقال : رأيت أبا جعفر المنصور ، وقد أدخل السجن ، فرأيت، من هيبته وجلالته ، وسيماه ، وحسن وجهه وبنائه ، ما لم أره لأحد قط ، فصرت من موضعي إليه ، فقلت : يا سيدي ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد ، فقال : أجل يا مجوسي ، قلت : فمن أي بلاد أنت ؟ فقال : من أهل المدينة ؟ فقلت : أي مدينة ، فقال : من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وحق الشمس والقمر أنك لمن ولد صاحب المدينة ، قال : لا ، ولكني من عرب المدينة ، قال : فلم أزل أتقرب إليه وأخدمه حتى سألته عن كنيته ، فقال : كنيتي أبو جعفر ، فقلت : أبشر ، فوحق المجوسية لتملكن جميع ما في هذه البلدة ، حتى تملك فارس وخراسان والجبال ، فقال لي وما يدريك يا مجوسي ؟ قلت : هو كما أقول : فاذكر لي هذه البشرى ، فقال : ان قضى شيء فسوف يكون ، قلت : قد قضاه الله في السماء فطب نفساً ، وطلبت دواة فوجدتها ، فكتب لي : بسم الله الرحمن الرحيم ، يانوبخت إذا فتح الله على المسلمين وكفاهم مؤونة الظالمين ، ورد الحق إلى أهله ، لم نغفل ما يجب من حق خدمتك إيانا وكتب أبو جعفر . . . »(٢٩) . وقد تركت هذه الحالة أثراً سيئاً في نفسه ، فكان يقول بعد خلافته « ثلاث كمن في صدري شفا الله منها . . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط ، فلما ولى الخلافة ضرب عنقه »(٣٠) .

= عني بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، النجف : الطبعة الثانية ١٩٦١ ، ص ٣٨ . وذكر كل من ابن حزم وابن الجوزي أن أبا جعفر المنصور تولى بعض الأعمال بالأهواز لسليمان بن حبيب بن المهلب فاحتجن المال لنفسه فضربه سليمان بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال . أنظر : نقط العروس ص ٨٨ . مخطوط المنتظم جـ ٨ حوادث سنة ١٣٧ هـ . والأصح ما ذكرناه لأن العباسيين كانوا موضع شك من قبل الأمويين في هذه الفترة لذلك استبعدوهم عن الأمور المهمة فضلاً عن ملاحقتهم لهم . أما مصير ابن معاوية فإن أبا مسلم ألقي عليه القبض سنة ١٢٩ هـ ثم قتله وخلى عن أخويه سنة ١٣٠ هـ . أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ٣ / ٤١٣ .

(٢٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٥٥ . أنظر الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٣ . ونوبخت هذا هو جد أبا سهل بن علي بن نوبخت . وفد على المنصور بعد خلافته فعرفه ، ثم أسلم نوبخت على يده وأصبح منجماً لأبي جعفر ومولى . أنظر المصدر السابق . العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٧ .

(٣٠) ابن حزم : نقط العروس ص ٨٨ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم جـ ٨ حوادث سنة ١٣٧ هـ .

ولم يلبث أبو جعفر في السجن إلا قليلاً ، حتى علمت المضرية بضربه وحبسه فتحركوا وتجمعوا وصاروا إلى السجن فهاجموه وكسروا بابه ، وأطلقوه ، فخرج أبو جعفر حتى قدم إلى البصرة[٣١] فاتصل بالناس ودعاهم إلى الأمر ، ثم رحل إلى الحميمة ، ولما ازداد اضطراب بني أمية زمن الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ هـ - ١٣٢ هـ) انتهز فرصة عدم وجود الخليفة في العاصمة دمشق[٣٢] . فشد الرحال إلى هناك ، لكي يراقب الحالة السياسية عن كثب ، ويتعرف على الشعور السائد لدى الناس تجاه الخلافة الأموية ، ويتصل بأنصار الدعوة ومؤيديها ، ومن المرجح أن سفرته هذه كانت سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م كما هو واضح من سير الأحداث التاريخية التالية ، حيث تعرض لحادثة هناك ، أجبرته على الإقامة بالشام فترة وجيزة ، غادرها بعد أن تحسنت صحته .

ويروي لنا أبو جعفر تفاصيل الحادثة ، فيقول : إني بدمشق في أيام مروان بن محمد الجعدي . إذ رأيت للناس حركة ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل لي ! عبد الله ابن أمير المؤمنين يركب ، وما ركب قبل ذلك ، وقد أمر الجند بالزينة ، وانجفل الناس للنظر ، فخرجت فيمن خرج ، فازدحم الناس على بعض الطرق زحمة شديدة ، وكانت دابتي صعبة ، فسقطت عنها ، وانكسرت ساقي ، وغشيني الناس ، فمكثت دهراً عليلاً[٣٣] . وبعد أن تماثل للشفاء ، ارتحل إلى الحميمة ، وأقام فيها إلى قبيل موسم الحج سنة ١٣١ هـ / ٧٤٩ م وفيها استعد إبراهيم الإمام للسفر إلى مكة المكرمة ، واصطحب معه أخوته وولده ، وطبعاً كان أبو جعفر على رأس القائمة ، وكان اصطحابه ضرورة ملحة تفرضها الظروف السياسية آنذاك ، لسابقته في الدعوة ، ولمعرفته أحوالها معرفة تامة ، ولخبرته الواسعة في البلدان لكثرة تجواله فيها ، ومعاشرة سكانها ، ومنها مكة المكرمة فقد زارها أكثر من مرة ، لأمور تتعلق

---

(٣١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٩ .

(٣٢) كان الخليفة يومئذٍ مشغول بحرب الخوارج وغيرهم من شق عليه عصا الطاعة . أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٣٩١ وما بعدها . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٧٨ وما بعدها . الطبري ٧ / ٣١٢ وما بعدها .

(٣٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٣ .

بالدعوة ، وفضلاً عن هذا كله ، فإن أخاه اعتمد عليه كثيرا ، فضمه إلى الوفد لحاجته الماسة إليه ، وقصد الجميع الديار المقدسة ، وقد جلب تشكيل البعثة والذي ضم قادة الدعوة العباسية ، أنظار الناس في موسم الحج ، فيذكر الأزدي : «ان إبراهيم بن محمد بن علي الذي يدعى بالإمام حج سنة ١٣١ هـ ، ومعه أخوته وولده فاشتهروا بالحرمين ، ونفر حوله الناس[٣٤] ، فوصل الخبر إلى الخليفة مروان بن محمد ، وبنفس الوقت صادف وقوع كتاب إبراهيم الإمام الموجه إلى أبي مسلم بيده ، الذي يأمره فيه بإظهار الدعوة في خراسان ، فأمر الخليفة بإبراهيم الإمام فزجه بالسجن بحران[٣٥] ثم قتله» وكان ـ إبراهيم الإمام ـ لما أحس بالقتل ، عهد إلى شيعته أن لا يهولنكم قتلي ، وكونوا على ما أنتم عليه من تضافركم ، وتعاونكم ، فإذا تمكنتم من أمركم ، فاستخلفوا عليكم ابن الحارثية ـ يعني أبا العباس ـ ثم قتله مروان[٣٦] ، وكان قبل قتله قد أودع وصيته هذه ، عند سابق الخوارزمي مولاه ، الذي حمل الوصية ، وتوجه بها إلى الحميمة فدفعها إلى أبي العباس ، ونعاه إليه ، فأظهر أبو العباس أهل بيته على حقيقة الأمر ، ودعاهم إلى مؤازرته ، وكان أبو جعفر المنصور أول شخص اطلع على الأمر[٣٧] ، تلاه عيسى بن موسى ابن أخيه ، وعبد الله بن علي عمه ، ثم بقية أفراد البيت العباسي .

وبعد هذه الحادثة ، أصبحت الحميمة مقراً غير مأمون لهم ، فقرروا الرحيل عنها للنجاة بأنفسهم ، فتوجه أبو العباس مسرعاً ، وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته[٣٨] إلى العراق «فلقيتهم إعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم

---

(٣٤) تاريخ الموصل ٢ / ١١٨ أنظر المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٦٥ .

(٣٥) الطبري : تاريخ ٨ / ٤٢٢ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٠ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٦٥ .

(٣٦) ابن هلال العسكري : كتاب الأوائل : تحقيق محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار أمل المغرب الأقصى ص ١٢٠ .

(٣٧) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٦٧ .

(٣٨) وكان أهم ممن معه من غير ما ذكرنا كل من : داود وسليمان وعيسى وصالح وإسماعيل وعبد الصمد بنو علي ، وموسى بن داود ، وجعفر ومحمد ابنا سليمان . أنظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤ ب . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٠ . الطبري ٨ / ٤٢٣ .

إلى الكوفة ، وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم إلى الماء ، فقالت الإعرابية : تالله ما رأيت وجوهاً مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي ، فقال لها أبو جعفر : كيف قلت يا أمة الله ؟ قالت : والله ليلينها هذا ، وأشارت إلى أبي العباس ولتخلفنه أنت ، وليخرجن عليك هذا ، وأشارت إلى عبد الله بن علي ، فلما انتهوا إلى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى ابنه ، وهما منصرفان من العراق إلى الحميمة من أرض الشراة ، فسأله داود عن مسيره ، فأخبره بسببه ، واعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم ، وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود : يا أبا العباس ، تثب بالكوفة ومروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق . وابن هبيرة شيخ العرب في جلة العرب بالعراق ؟ فقال أبو العباس : يا عماه ، من أحب الحياة ذل ، وتمثل بقول الأعشى : -

فـما ميتة ان متهـا غـير عـاجـز بعار ، إذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : أي بني ، صدق ابن عمك ، ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراماً ، فعطفا ركابهما معه ، وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة(٣٩) في صفر سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ، فأنزلهم أبو سلمة الخلال - حفص بن سليمان - دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أود . وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة(٤٠) حتى كشف أنصارهم مكانهم ، فأظهروا أبا العباس وبايعوه في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ .

---

(٣٩) المسعودي: مروج الذهب ٣/٢٦٨ أنظر: البلاذري: مخطوط انساب الأشراف ٣/٣٣أ. الطبري: تاريخ ٧ / ٤٢٨ . مؤلف مجهول : تاريخ سيستان بالفارسية مطبعة كتابخانة زوار ، تهران ص ١٧٥ . مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ مخطوط مصور بالفوتوستات - عني بنشرها وترجمتها - للروسية - بطرس غريا زنيويج دار النشر للأداب الشرقية - موسكو ١٩٦٠ م . ص ١١٣ - ١١٤ .

(٤٠) البلاذري : مخطوطات أنساب الأشراف ٣ / ١٣٤ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٨٥ . الطبري : تاريخ ٧ / ٤٢٣ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة : معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية رقم ٢٧٦ . تاريخ ٤ / ٣ .

وكان سبب قيام أبي سلمة بكتم أمرهم ٤٠ ليلة أنه أراد خلال هذه المدة تحويل الخلافة إلى آل أبي طالب ، كما سيأتي بيانه .

ويتبين من هذا ، وبشكل واضح ، ان أبا جعفر المنصور ، كان من أبرز الدعاة العباسيين وأشهرهم ، ولكن مما يؤسف له أن الأضواء لم تسلط بصورة واضحة ومركزة على دوره المهم فيها ، مثلما سلطت على غيره ممن كان دورهم أقل منه بكثير ، فبقي نشاطه وجهوده متناثرة بين طيات الكتب ، حتى أصبح النسيان إليها أقرب من غيره ، لأنه لم تجر محاولة علمية جادة لجمع شتاتها ، الهدف منها إعطاء الصورة الحقيقية والمشرقة لجهود ـ المنصور ـ وتضحياته الكبيرة في الدعوة العباسية . ولا أعدو الصواب إن قلت : إنه كان بطلها وفارسها المغوار ، وسياسيها المحنك ، وداهيتها المجرب ، فقد عمل طوال الفترة الماضية بسرية وكتمان شديدين ، متنقلاً بين الأمصار يدعو الناس للقضية العباسية ، فقدم تضحيات عظيمة في سبيل قضيته ، وكان لا يألو جهداً في الترحال من مكان لآخر ومن بلد لغيره . من أجل شرح أهداف الدعوة ، وحث الناس على تأييدها ونصرتها ، حتى وان كان ذلك على سبيل صحته وراحته ، فكان هذا مذهبه إلى أن أثمرت الدعوة العباسية ، وتكللت مساعيها بالنجاح ، وآل أمر الخلافة الإسلامية إلى العباسيين ، وبذلك انبثقت في العالم الإسلامي آنذاك دولة جديدة عرفت بالدولة العباسية ، وأول خلفائها الخليفة أبو العباس ، ومع هذا لم ينته دور أبي جعفر المنصور عند هذا الحد ، بل استمر يعمل طيلة مدة خلافة أخيه ، فكان مستشاراً ووزيراً له ، مدة حكمه .

* * *

* *

الفصل الثالث

المنصور في عهد أبي العباس

(١٣٢ هـ - ١٣٦ هـ)

١ - جهوده في البيعة لأبي العباس :

عندما بويع أبو العباس بالخلافة في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م بالكوفة[١] ، صعد المنبر وخطب الناس خطبة سياسية[٢] ، تعتبر أول بيان سياسي يوضح فيها اتجاه وأهداف الثورة العباسية ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وأهم ما جاء فيها ، هو إسناد حق خلافة العباسيين إلى القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته . . . » وأوضح أن الخلفاء الأمويين كانوا مغتصبين لها «ثم وثب بنو حرب ومروان ، فابتزوها وتداولوها بينهم . . .» وبين جور وظلم بني أمية ، ثم أكد للناس أن الدولة الجديدة ، ستنتهج سياسة العدل والحق بين الرعية ، وختم خطبته بإعلانه زيادة أعطيات الناس .

وبعد أن انتهى من خطبته صعد إليه أبو جعفر ، ثم نزل أبو العباس ودخل

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٤ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٨٩ . الطبري : تاريخ ٨ / ٤٢٠ . ابن اعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ . ولد أبو العباس سنة ١٠٥ هـ بالحميمة ، ويقال له المرتضى والقائم ويكنى بأبي العباس ، وأمه ريطة بنت الحارث بن عبد الله بن عمرو . أنظر : الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٨ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٦ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٤٢ .

(٢) أنظر الخطبة في : الطبري : تاريخ ٨ / ٤٢٥ . ابن الأثير : الكامل ، طبعة بيروت ٥ / ٤١٣ . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق حسن تميم بيروت ١٩٦٣ ، ٢ / ٦٨٥ .

السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ .

الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك : مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٤ ص ٥٤ .

القصر ، وأمر أخاه أبا جعفر المنصور بالجلوس في المسجد ، وأسند إليه أمراً سياسياً في غاية الأهمية ، وهو أخذ البيعة على الناس .

إن اسناد أبي العباس هذا الأمر الخطير والمهم لأخيه دون غيره من أفراد البيت العباسي يوضح لنا بلا شك مقدار الثقة والآمال الكبيرة التي يعلقها على أخيه في سياسة الدولة القادمة . وقد قام المنصور بالمهمة الموكلة إليه ، فجلس في المسجد ، وشرع يأخذ البيعة على الناس ، ولم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب حتى جنهم الليل ، فدخل القصر . فكان هذا أول عمل سياسي قام به أبو جعفر زمن اخيه ، تلته أعمال أخرى لا تقل أهمية عنه ، ولولا حنكته ودهاؤه وبعد نظره في السياسة ومجرياتها لتكالبت القوى على الدولة الفتية وخنقتها في مهدها، لذلك لا نعجب إذا وجدنا أن أبا العباس اعتمد على أخيه اعتماداً كبيراً في تسيير دفة الحكم ، فكان يستشيره في أدق الأمور وأخطرها ، ينتدبه لأصعبها مراساً ، وأعقدها حلاً .

٢ ـ دوره في التخلص من أبي سلمة :

لقد شكت السلطة العباسية بولاء أبي سلمة الخلال ، بعد أن ظهرت منه بوادر انحراف سياسي خطير ، حين أنكر إسراع أبي العباس وأبي جعفر ومن معهم إلى الكوفة[٣] حتى أنه لم يأذن لهم بدخول الكوفة أول الأمر وقال لإبراهيم بن سلمة رسول أبي العباس « خاطروا بأنفسهم وعجلوا ، فليقيموا بقصر مقاتل ـ وهو على مرحلتين من الكوفة ـ حتى ننظر في أمرنا[٤] ، ثم سمح لهم بدخول الكوفة» وحبسهم في دار الوليد ببني أود فكان إذا بعث أبو العباس يسأله عن خبرهم عنده يقول : لم يأت ظهوركم بعد[٥]» وخبأهم أربعين ليلة ولم يصرح

---

(٣) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٠ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٥ .
(٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٥ .
(٥) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٣ / ٣٤آ .

لأحد من النقباء بمكانهم فجلب بعمله هذا ارتياب أهل خراسان ، فقالوا له : «يا أبا سلمة ، ما لك خرجنا من قعر خراسان ، ولا إليك دعــونا ، وما أنت لنا بإمام[٦] ، ولكن أبا سلمة استطاع أن يهدىء نفوسهم بعض الشيء وأخذ يعمل في نفس الوقت على تحويل مسار الثورة إلى اتجاه مضاد ، يدل عليه قوله «أظن قد مات الإمام الذي كان يؤتمر له»[٧] ، ويفهم من قوله هذا ، انه عزم على نقض ولائه للعباسيين[٨] ، يؤكد هذا الرأي الأحداث التالية ، فيذكر البلاذري «ان أبا سلمة أراد أن يعدلها عن العباسيين إلى ولد فاطمة»[٩] ، ويعضد هذا الرأي ما قاله اليعقوبي «أن أبا سلمة إنما أخفى أبا العباس وأهل بيته ودبر أن يصير ـ الأمر ـ إلى بني علي . . . »[١٠] .

ويشير المسعودي إلى ذلك أيضاً فيقول «وقد كان أبو سلمة حفص بن سليمان حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام ، أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب»[١١] ، وهذا يفسر لنا إقدام أبي سلمة على كتم امر أبي العباس ومن معه من أهل بيته ، لأنه كان ينتظر جواب الكتب التي أرسلها إلى كل من : جعفر الصادق، عبد الله المحض وعمر الأشرف بن زين العابدين يدعوهم للخلافة[١٢] ، حتى أنه أراد قتل أبي العباس ليصفو له الجو ويفعل ما يريد . فقد

---

(٦) المصدر السابق : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٨٥ . الطبري ٧ / ٤٢٣ و ٤٢٩ . المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٦٦ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٦ .

(٧) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٠ .

(٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٨٩ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٦٨ .

(٩) مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ١٣٤ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٢ . ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٢

(١٠) تاريخ ٣ / ٨٩ . أنظر المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٦٦ .

(١١) مروج الذهب ٣ / ٢٦٨ . أنظر : الطبري : ٧ / ٤٢٩ . مؤلف مجهول (ق ١١ م) : نبذه من كتاب التاريخ ص ١١٤ .

(١٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٦ . المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٦٧ . مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص ١١٤ . ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٢ .

وانظر : ابن حمدون : مخطوط التذكرة ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ١٢٨٢ ، ١٢ / ٧٣ ويذكر الجهشياري أن جعفر الصادق لم يقبل الكتاب وحرقه بحضور رسول أبي سلمة ، أما عبد الله المحض فإنه قبل الكتاب رغم تحذير الصادق له حين أعلمه أن أهل خراسان ليسوا بشيعة وان أبا سلمة مخدوع مقتول.

أرسل أبو العباس إليه : اني على اتيانك الليلة ، فقد عرفت أني طلاب هذا الأمر . فقال ـ أبو سلمة ـ لسالم مولى قحطبة ولأسد بن المرزبان : أن رجلاً يأتيني الليلة فإن قمت وتركته فاقتلوه ، فإنه يحاول فساد ما نحن فيه ، فلما صار أبو العباس إليه غضب أبو سلمة وأراد القيام ، فعلق أبو العباس بثوبه وضاحكه ثم خرج ، فركب ولم يعرض له ، فلما لقى أهل بيته حدثهم حديثه »[١٣] .

وقد تركت هذه الحادثة والحوادث الأخرى ردود فعل عنيفة في نفس أبي العباس وأبي جعفر على السواء ، فظهرت آثارها فيما بعد ، يضاف إلى ذلك استئثار أبي سلمة بالسلطة ، وتعيينه القواد والعمال دون الرجوع إلى الخليفة[١٤] ، فعين أبا الجهم على ديوان الجند وأبا غانم عبد الحميد بن ربعي على الشرط ، وعبد الله ابن بسام على الحرس وعمرويه الزيات على حجابته ، والمغيرة بن الريان على الخراج[١٥] ، وفرق عماله على السهل والجبل ، وصارت الدواوين بحضرته ، والكتب تنفذ منه ، وترد إليه[١٦] ، وهذه الأعمال زادت الطين بلة ، وتأزم الموقف السياسي ضد أبي سلمة ، حين وجه النقباء أصابع الإتهام والخيانة إليه ، لكنهم أنقذوا الموقف في الوقت المناسب ، عندما علموا بطريق الصدفة مكان استتار أبي العباس وأهل بيته «فدخلوا عليه ، وقالوا : أيكم ابن الحارثية وسلموا عليه بالخلافة ، وبايعه أبو الجهم ومن معه ، وبلغ الخبر أبا سلمة فسقط في يده»[١٧] .

وعلى أثر ذلك اتخذ النقباء إجراءات أمن مشددة ضد أبي سلمة فأوصى أبو الجهم أبا حميد ـ محمد بن إبراهيم الحميري ـ قائلاً له : «إن أتاكم أبو سلمة فلا

---

(١٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ١٣٤ .

(١٤) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٤ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥١ .
البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤ . الطبري ٨ / ٤١٨ .

(١٥) مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص ١٠١ .

(١٦) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(١٧) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤آ . أنظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٨٥ ، ٩٠ . الطبري ٧ / ٤٢٤ .

يدخل إلا وحده ، فإن دخل وبايع فسبيله ذلك ، وإلا فاضربوا عنقه»[١٨]، فلما قدم أبو سلمة ، أدخلوه لوحده فبايع لأبي العباس «فقال له أبو حميد : على رغم أنفك يا بن الخلال، فقال له أبو العباس مه، وجعل أبو سلمة يقول: إنما أردت إظهار أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور . . . . وخرج القوم وأبو سلمة معهم والوجوم يتبين فيه ، وصار أبو العباس إلى المسجد فخطب الناس»[١٩] وأراد أبو سلمة بعد ذلك أن يصلح الموقف ، ولكن بعد فوات الأوان ، فارتحل من معسكره في حمام أعين وقدم الكوفة ليقدم اعتذاره مجدداً لأبي العباس ، فقال له : إنما أردت بما فعلت الخير . فأجابه : عذرناك يا أبا سلمة غير معتد ، وحقك لدينا عظيم ، وسالفتك في دولتنا مشكورة ، وزلتك مغفورة، فامض إلى عسكرك لا يدخله خلل[٢٠] ، والإتهام واضح لأبي سلمة من قول أبي العباس « وزلتك مغفورة » ويبدو أن أبا العباس أراد بذلك تهدئة الأعصاب المتوترة آنذاك ، لأن الظروف السياسية الحرجة كانت لا تسمح بإثارة أي خلاف أو مشاكل جديدة حول هذا الموضوع الخطير ، وقد دلت الأحداث فيما بعد أن أبا العباس لم يغفر زلة أبي سلمة أبداً .

أما أبو جعفر فإنه لم يكن بعيداً عن هذه الأحداث ، بل عاصرها وعاشها لأهميتها البالغة على كيانه ومستقبله السياسي كولي للعهد بعد أخيه ، ولكنه كان يترقب ما تؤول إليه الأمور ، وفي أثناء ذلك دعا أبو العباس أفراد البيت العباسي لعقد اجتماع سياسي مهم ، للتداول والنظر في أمر انحراف أبي سلمة واتخاذ القرار النهائي بشأنه ، وانعقد المجلس فعلاً برئاسة الخليفة نفسه ، وكان أبو جعفر من جملة الحضور ، ولنتركه يحدثنا عما دار في هذا الإجتماع ، فقال :

---

(١٨) الطبري : تاريخ ٧ / ٤٣١ . أنظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤ آ .

(١٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤آ . أنظر : مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص ١١٧ .

(٢٠) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٣ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٧ . المقدسي البدء والتاريخ ٦ / ٦٩ . وحمام أعين : موضع بالكوفة . ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٣٣٤ .

« . . . . فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا : ما يدريكم ، لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم ! فلم ينطق منا أحد ، فقال أمير المؤمنين أبو العباس : لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لبعرض بلاء ، إلا أن يدفعه الله عنا . وتفرقنا . فارسل إلى أبو العباس فقال : ما ترى ؟ فقلت : الرأي رأيك ، فقال : ليس منا أحد أخص بأبي مسلم منك ، فأخرج إليه حتى تعلم ما رأيه ، فليس يخفي عليك ، فلو قد لقيته ، فإن كان عن رأيه ، أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا»[٢١] . «وكان أبو الجهم عطية عينا لأبي مسلم ، فكتب إليه بالأخبار ، فقال : ان حفصاً كان غاشا لله ورسوله والأئمة فالعنوه»[٢٢] . فكتب أبو مسلم لأبي العباس كتاباً يشير فيه عليه بقتل أبي سلمة ، وقال : قد أحل الله لك دمه ؛ لأنه نكث وغير وبدل[٢٣] ، وعلى أثر ورود كتاب أبي مسلم هذا ، دارت مناقشات بين الخليفة وأهل بيته ، وكان رأي الخليفة التريث في قتل أبي سلمة ، أما رأي المنصور وعمه داود بن علي فكان الإسراع بتنفيذ الأمر ، وأشارا على أبي العباس بذلك ، لكنه رفض طلبهما ، معللاً رفضه ، بأنه قد يكون ما أشار به أبو مسلم خدعة سياسية ، القصد منها تأليب قلوب الناس عليه ، وكان رأي الخليفة في هذه المسألة صائباً ، حين أعلن للحضور بأنه يرغب أن يكون قتل أبي سلمة على يد أبي مسلم نفسه ، يؤيد هذا ما ورد من قول اليعقوبي « وكره أبو العباس أن يوحش أبا مسلم بقتله أو يوجد سبيلاً إلى الإحتجاج بهعليه»[٢٤] ، وأشار بعض خاصة أبي العباس مثل هذا الرأي عليه حين قال : «انك ان قتلته ارتاب أبو مسلم ، ولم تأمن أن يحدث لذلك حدثاً ، ولا تأمن من أن يكون ذلك غدراً من أبي مسلم»[٢٥] ، وكان من نتيجة الآراء التي أبديت في الإجتماع ، أن نراجع داود بن علي عن موقفه السابق ، وقال لأبي العباس» لا تفعل فتخبث نفس

---

(٢١) الطبري : تاريخ ٧ / ٤٤٨ .

(٢٢) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ .

(٢٣) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٢ / ٣٨٤ .

(٢٤) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٢ .

(٢٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٠ .

أبي مسلم ويحتج بذلك عليك ، ولكن اكتب إليه فليوجه من يقتله»[٢٦] .

وفي رواية أخرى أنه قال «لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج بها أبو مسلم عليك وأهل خراسان الذين معك أصحابه»[٢٧] .

لذا عزم الخليفة على اتخاذ خطوة سياسة بارعة الهدف منها استشارة أبي مسلم في أمر أبي سلمة ليضمن جانبه أولاً ، ويكشف ما يدور في كوامن نفسه ويتعرف على موقفه ثانياً . ولم يجد أبو العباس أفضل من أبي جعفر وهو الخبير بمثل هذه الأمور ، ليوجهه لحل هذه المشكلة ، فاستدعاه ، وشاوره في الأمر ، وأبدى رغبته له بالسفر إلى خراسان .

يقول المنصور «دعاني أبو العباس فذاكرني أمر أبي سلمة ، فقال : ما أدري هل الذي كان منه عن رأي أبي مسلم ، وما لها غيرك ، أخرج إلى أبي مسلم مهنئاً بما وهب الله لنا وبنجح سعيه فيما قام بأمرنا ، وخذ البيعة عليه واعلمه بما كان من أمر أبي سلمة ، واعرف رأيه وعرفه الذي نحن عليه من شكره ، ومعرفة حقه»[٢٨] ، وبذلك أسند أبو العباس لأبي جعفر مهمتين لا مهمة واحدة :

الأولى :

أخذ البيعة على أبي مسلم ومن معه .

الثانية :

لقاءه والتعرف على رأيه في قضية انحراف أبي سلمة الخلال .

---

(٢٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ .

(٢٧) الطبري ٧ / ٤٤٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٣٦ .

(٢٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب و ٤ / ٣ ب . ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

تهيأ أبو جعفر للسفر إلى خراسان فكتب أبو العباس إليه كتاباً ليدفعه لأبي مسلم ، جاء فيه « انه لم يزل من رأي أمير المؤمنين وأهل بيته الإحسان إلى المحسن والتجاوز عن المسيء ما لم يفسد دينا ، وان أمير المؤمنين قد وهب جرم حفص بن سليمان لك ، وترك إساءته لإحسانك ان أحببت ذلك»(٢٩) .

وتحدث المنصور عن تفاصيل رحلته هذه فقال « خرجت ـ إلى خراسان ومعي ثلاثون رجلاً منهم إسحق بن الفضل الهاشمي والحجاج بن ارطأة ـ ونحن على وجل ، فلما انتهيت إلى الري ، إذ صاحب الري قد أتاه كتاب أبي مسلم ، انه بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك ، فإذا قدم فاشخصه ساعة قدومه عليك، فلما قدمت أتاني عامل الري فأخبرني بكتاب أبي مسلم ، وأمرني بالرحيل ، فازددت وجلا، وخرجت من الري وأنا حذر خائف، فسرت، فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم : إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فاشخصه ولا تدعه يقيم ، فإن أرضك أرض خوارج ، فانشرحت لذلك فلما صرت من مرو على فرسخين ، خرج يتلقاني ومعه الناس ، فلما واجهني ترجل فقبل يدي ، فأمرته فركب ، فلما دخلت مرو نزلت في داره فمكث ثلاثاً لا يسألني في أي شيء جئت ، فلما كان في اليوم الرابع سألني ما أقدمك ؟ فأخبرته بالأمر . فقال : افعلها أبو سلمة ؟ أنا أكفيكموه»(٣٠) ، ويشير ابن أعثم الكوفي الى المحاورة التي جرت بين المنصور وأبي مسلم ، فيقول : «لما أخذ أبو جعفر المنصور البيعة على أبي مسلم وأصحابه وهم بالإنصراف ، جمع له أبو مسلم أموالاً وسيرها معه إلى أمير المؤمنين ، فقال له أبو جعفر : انك منا اليوم بالمكان الذي علمت وأنا نشكو إليك أبا سلمة حفص بن سليمان ، فإنه قد شمخ بانفه على أمير المؤمنين حتى أنه ما يعد الخلافة بشيء وانه يعترض علينا اعتراضاً يجل عن الوصف ، ولا والله ما يمنع أمير

---

(٢٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ .

(٣٠) الطبري : ٧ / ٤٤٨ . أنظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ .
ابن الأثير : الكامل طبعة بيروت ٥ / ٤٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٠ / ٥٣ ـ ٥٤ .

المؤمنين من الإساءة والوقوف عليه إلا غضبك لأنك أنت الذي جعلته مشيراً ووزيراً ، فتغير وجه أبي مسلم عند سماعه لهذا الكلام ثم قال : ما أنا أذنت لأمير المؤمنين ذلك فيه ، وقال أبو مسلم : أنا عبد من عبيد أمير المؤمنين وأهل خراسان سامعون وعبيد السمع والطاعة»[٣١] .

فأرسل أبو مسلم إلى مرار بن أنس الضبي ، وقال له : انطلق إلى حفص ابن سليمان بالكوفة فاقتله حيث لقيته[٣٢] ، وانته في ذلك الى رأي الامام - ابراهيم - من شككت في امره فاقتله[٣٣] ، فقدم مرار على أبي العباس في هاشمية الكوفة ، حاملاً رسالة من أبي مسلم يقول فيها«انه لا يتم احسان لحد حتى لا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد قبلت منة أمير المؤمنين ، وآثرت الإنتقام له»[٣٤] ، وكان وصل مرار قبل ثلاثة أيام من قتله لأبي سلمة فأمر الخليفة منادياً ينادي بالكوفة أن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ، ثم دعاه قبل مقتله بيوم ، فخلع عليه[٣٥] ، وكان يسمر عنده ، فخرج ليلته تلك يريد الإنصراف إلى منزله وقد كمن له مرار بن أنس على طريقه ، فلما خرج قتله[٣٦] ، وكان ذلك في رجب سنة ١٣٢[٣٧] وشاع أن الخوارج قتلوه[٣٨] ، وصلى عليه يحي بن محمد بن علي ، فقال سليمان بن المهاجر البجلي :

---

(٣١) مخطوط الفتوح جـ ٢ ، البلعمي : تاريخ طبري (بالفارسية) مطبعة نول كشور الهند ١٢٩١ هـ ص ٧٤٠ .

(٣٢) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ . انظر الطبري : ٧ / ٤٤٨ .
الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤٥ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٠ وقد وهم بيبرس حين ذكر أن عبد الله بن علي هو الذي دعا مرار بن أنس الضبي وقال له : انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة . مخطوط زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ٤ / ١٢ .

(٣٣) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٦٥ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ / ٢٩٨ .

(٣٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ .

(٣٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٠ .

(٣٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٢ .
الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤٥ .

(٣٧) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٠ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٥٦ .

(٣٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤٥ .
الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٠ .

إن الـــوزيـــر وزيـــر آل محمـــد أودى فمن يشناك كان وزيراً[٣٩]

أما الخليفة فإنه لم يكترث للأمر ، ولم يولـه أي اهتمام يذكر ، لأن مطلبه كان هذا وقد تحقق بالكيفية التي كان يريدها ، ويؤيد هذا ، أنه لما علم بمقتل أبي سلمة ، قال «لليدين وللفم »[٤٠] . وفي رواية أخرى أنه قال « لليدين أوهنوا »[٤١] ، وأنشأ يقول :

إلى النار فليذهب ، ومن كان مثله علي أي شيء فاتنا منه نأسف[٤٢]

هذا ما كان من أمر أبي سلمة ، أما ما كان من شأن أبي مسلم ، فإن الخليفة سأل أبا جعفر عنه وعن أحواله وتطلعاته ، فقال له : كيف رأيت أبا مسلم ؟ فقال المنصور : والله يا أمير المؤمنين رأيته جباراً من الجبارين ، ولا الخلافة تصفو إليك عيشها ما دام في الحياة ، فقال له الخليفة : اكتمها ، فسكت[٤٣] .

٣ ـ المنصور وابن هبيرة :

لما رجع أبو جعفر المنصور من خراسان بعد انتهاء مهمته السياسية التي أوفد من أجلها ، كانت هناك قوات أموية متمركزة بواسط ، بقيادة يزيد بن عمر ابن هبيرة ، الذي وصلها منهزماً بعسكره من أهل الشام يوم عاشوراء سنة

---

(٣٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٦آ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٣ .
الطبري ٨ / ٤٥٠ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤٥ .
(٤٠) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٠ ، وهي كلمة تقال للرجل إذا دعا عليه بالسوء ومعناها كبه لوجهه أي خر على يديه وفيه .
(٤١) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٤٥ .
(٤٢) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٨٥ .
(٤٣) الطبري : ٨ / ٤٥٠ . ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣ وسنأتي على ذكر هذه الحادثة في موضعها بالتفصيل عند التكلم عن محاولات قتل أبي مسلم . ولكن ذكرتها هنا بصورة مختصرة لأن مهمة المنصور التي أوفد من أجلها إلى خراسان كانت ذات شقين .

١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ، فتحصن فيها[٤٤] وخندق على قواته تحاشياً لأي هجوم مفاجىء من القوات العباسية ، وكان الحسن بن قحطبة بن شبيب الذي تسلم قيادة الجيش العباسي على أثر مقتل أبيه[٤٥] قد توجه إلى الكوفة للقاء أبي سلمة الخلال ، وتسلم الأوامر منه ، فوجهه أبو سلمة لمحاربة ابن هبيرة بواسط[٤٦] ، وضم إليه قواداً منهم خازم بن خزيمة ، ومقاتل بن حكيم العكي ، والهيثم بن زياد ، وغيرهم[٤٧] ، فسار الحسن بقواته ، حتى أتى مدينة واسط آخر محرم سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ، فضرب الحصار عليها ، أما ابن هبيرة فقد ضم في صفوف جيشه قواداً من العرب مشهورين ، أمثال ، معن بن زائدة الشيباني ، وزياد بن صالح ، ومحمد بن نباته وغيرهم[٤٨] .

وجرت بين الطرفين عدة وقعات حربية حول أسوار واسط ، ابتدأت من أول صفر ولم تكن هذه المناوشات العسكرية بينهما حاسمة ، ولم يكتب النصر لأحدهما ، واستمر الأمر على هذه الحال ، إلى أن أعلنت بيعة أبي العباس في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، فأبى ابن هبيرة إعلان ولائه للدولة الجديدة ، وقد رأى الخليفة أن وجود هذا الجيش على تلك الصورة فيه خطر يهدد ملكه باستمرار ، بعد أن عجزت القوات العباسية عن دحره وكسر شوكته ، وزاد الموقف حرجاً ، أن الحسن بن قحطبة وجه رسالة إلى أبي العباس يعلمه فيها أن أبا مسلم الخراساني وجه إمدادات عسكرية بقيادة مالك بن الهيثم الخزاعي[٤٩] ، فخشي الخليفة أن

---

(٤٤) خليفة بن خياط : تاريخ ٤٢٣/٢ . الأزدي : تاريخ الموصل ١١٩/٢ .

(٤٥) قتل قحطبة بن شبيب الطائي قائد الجيش العباسي ، في المعركة التي جرت في الفلوجة العليا ـ تبعد ٢٤ فرسخاً عن الكوفة ـ بينه وبين يزيد بن عمر بن هبيرة قائد الجيش الأموي ، وعلى أثرها انسحب ابن هبيرة إلى واسط . أنظر : خليفة بن خياط : تاريخ ٤٢٢/٢ . اليعقوبي : تاريخ ٨٤/٣ ـ ٨٥ .

(٤٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤ ب .

(٤٧) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧١ . الطبري ٧ / ٤١٨ .

(٤٨) الطبري : ٧ / ٤٥٣ .

(٤٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٣ ب . الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥١ اليعقوبي . تاريخ ٣ / ٩٣ ، الطبري ٧ / ٤٥٢ . المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٠ .

يحدث بين القائدين ما لا تحمد عقباه ، فدرس الموقف العسكري والسياسي جيداً ، بعد الإجراء الذي أقدم عليه أبو مسلم ، وتفادياً لما قد يطرأ على الوضع من مضاعفات ، وجه أخاه أبا جعفر المنصور ، الذي كان قد رجع لتوه من خراسان ، لينقذ الموقف من التدهور ، ويوحد الصفوف تحت قيادته ، ويتولى بنفسه أمر ابن هبيرة ، وضم إليه جيشاً كبيراً من أهل العراق وولاه حرب ابن هبيرة ، وكتب أبو العباس إلى الحسن بن قحطبة : أن العسكر عسكرك ، والقواد قوادك ، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً ، فأسمع له وأطع وأحسن مؤازرته ، وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك[٥٠] .

وفي رواية البلاذري : أن أبا العباس كتب إلى الحسن « إنما وجهت أخي إلى ما قبلك ليسكن الناس إليه ، ويثق ابن هبيرة بأمانه إن طلب الأمان ، وأنت على أمرك وجيشك ، والتدبير لك »[٥١] .

ومضمون الكتابين يدلان على أن أبا العباس ربما خشي غضب الحسن بإرسال أخيه لتولي أمر الجيش ، فكتب له الكتابين .

ويمكن القول بأن إيفاد الخليفة لأخيه واسناد قيادة القوات له كان خطة سياسية وعسكرية ناجحة لأن الموقف العسكري كان يتطلب بالضرورة وجود قائد صارم من نفس البيت العباسي ، قدير ومحنك في إدارة الحروب ، لتتوحد بوجوده الصفوف ، وتتآزر بقيادته القلوب ، وترتفع بأمرته معنويات الجيش ، فكان خير من ينتدب لهذه المهمة ، أبو جعفر المنصور ، وقد كان .

اتجه المنصور بقواته إلى واسط ، فلما وصل إلى مقر القوات العباسية ، تحول

---

(٥٠) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٥ .
الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥١ .
الطبري : ٧ / ٤٥٧ .
الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٥ .
ابن حمدون : مخطوط التذكرة ١٢ / ٧٤ .
(٥١) مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٤ ب .

الحسن بن قحطبة عن سرادقه وخـلاه بجميع ما فيه له ، فنزله أبو جعفر بحريمه وحشمه[٥٢] ، وكان المنصور حذراً يقظاً في كل أعماله ، فأول ما أقدم عليه أن وضع له حرساً من العرب ، فجعل على حرسه عثمان بن نهيك العكي، وصير على شرطة جهـور بن مرار العجلي[٥٣] ضماناً لما قد يحدث من جانب الجيش الخراساني ، ثم بدأ بعد تسلمه القيادة ، بترتيب جيشه ، وتوزيع القواد عليه ، وأصدر أوامره العسكرية لكافة الوحدات بوجوب الإستعداد والتأهب للحرب ، وأرسل إلى ابن هبيرة كتاباً يقول له فيه « ما لكم تتسترون وراء الخنادق والأسوار مثل النساء » وكان قصده من هذا جر ابن هبيرة إلى ساحة قتال مكشوفة ليقضي عليه ، لكن ابن هبيرة لم ينخدع بهذا ، ورد عليه بكتاب تحد يقول له فيه « إني خارج يوم كذا بنفسي وداعيك إلى المبارزة أمام الناس إن كنت تفعل » فكتب إليه المنصور « إنك متعد طورك ، جار في عنان غيك ، يعد الله ما هو مصدقه ، ويمنيك الشيطان ما هو مكذبه ويقرب ما الله مباعده ، فرويداً يتم الكتاب أجله ، وقد ضربت مثلي ومثلك ، بلغني أن أسداً لقى خنزيراً ، فقال له الخنزير : قاتلني . فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولست بكفء لي ولا نظير ، ومتى قاتلتك فقتلتك قيل لي : قتل خنزيراً ، فلا أعتقد فخراً ولا ذكراً وإن نالني منك شيء كان سبة عليَّ ، فقال الخنزير : إن لم تفعل أعلمت السباع أنك جبنت عن قتالي . فقال الأسد : احتمال عار كذبك عليَّ أيسر من تلطيخ شاربي بدمك[٥٤] وهذه محاورة لطيفة إن صحت فإنها تبين لنا مدى ذكاء المنصور وفطنته وتخلصه من المواقف المحرجة ، وتوضح أيضاً العقلية السياسية التي كان يتمتع بها .

وبعد هذا الحوار اشتبك الطرفان بحروب غير حاسمة ، وأتمكن من

---

(٥٢) ابن قتيبة. المعارف ص ٣٧٢، الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥١ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٢٥ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥١ .

(٥٣) الطبري : ٧ / ٤٥٣ . ابن الأثير : الكامل . طبعة بيروت ٥ / ٤٣٩ .

(٥٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب . الطبري : ٩ / ٧٨ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٥١/٧ .

القول : بأنها كانت مناوشات حربية اختبارية ، يتعرف بها كل فريق منهما على قوة الآخر ، ومواطن قوته وضعفه ، وكلا الفريقين كان ينتظر ما يؤول إليه أمر الخليفة الأموي مروان بن محمد ، فلما انتصر الجيش العباسي بقيادة عبد الله بن علي ، في معركة الزاب ـ ١١ جمادي الآخرة سنة ١٣٢ هـ[٥٥] على الجيش الأموي بقيادة مروان بن محمد ، الذي انهزم من أرض المعركة بمن معه ، تسربت أخبار هذا النصر إلى واسط ، فارتفعت معنويات الجيش العباسي عند سماعها الخبر ، وانهارت معنويات الجيش الأموي المحاصر فيها ، فاستغل أبو جعفر هذه النقطة الحساسة استغلالاً سياسياً بارعاً ، فأخذ يكتب إلى قواد ابن هبيرة ، وأشراف من معه من العرب ، يستميلهم بالأطماع وينبههم على حظوظهم ، ويعرفهم انصرام دولة بني أمية ، فأجابه بعضهم . وكان أول من أجابه وانحرف إليه زياد بن صالح الحارثي ، وكان عامل ابن هبيرة على الكوفة ، وأخص أصحابه عنده ، حتى ولاه حراسة مدينته بالليل ، ودفع إليه مفاتيح أبوابها ، فلما سمع ابن هبيرة بخبر ذلك ، قال : ما يوثق بأحد بعد زياد بن صالح[٥٦] .

وقد أثرت هذه الحادثة في نفس ابن هبيرة تأثيراً سيئاً ، حتى دمعت عيناه من الجزع[٥٧]، يضاف إلى ذلك ، أن ابن هبيرة كان قد كتب إلى محمد النفس الزكية ، يدعوه للأمر ، فأبطأ جوابه[٥٨] . كل هذه الحوادث جعلته يعيد تقويمه للموقف العسكري من جديد ، بعد أن يأس من كل عون أو مدد لقواته المحاصرة ، التي لم يكن لها من القوة الكافية لمناجزة قوة العباسيين العسكرية ، بقيادة أبي جعفر الذي أحكم الحصار على القوات الأموية ، فسئمت وضعها الذي هي فيه ، لأنها لم تتمكن طيلة مدة الحصار من أن تنال من عسكر المنصور شيئاً ،

---

(٥٥) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٧ .

(٥٦) أنظر : الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

(٥٧) المصدر السابق : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥آ .

(٥٨) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٦ . الطبري ٧ / ٤٥٤ . مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ / ٢٠٩ .

ولكي نتبين قيادة المنصور العسكرية ، وشدة تيقظه وضبطه لقواته ، نرجع إلى شهادة ابن هبيرة نفسه ، الذي قال : « ما رأيت رجلاً قط في حرب ولا سمعت به في سلم أنكر ولا أمكر ولا أشد تيقظاً من أبي جعفر ، لقد حصرني تسعة أشهر ومعي فرسان العرب ، فجهدنا بكل الجهد أن ننال من عسكره شيئاً ، فما تهيأ لنا ، وقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ، فخرجت إليه وما في رأسي شعرة سوداء»[٥٩] . وهذه شهادة مهمة من خصم لخصمه ، قالها بصدق من غير اعتبارات أخرى .

وعلى كل حال ، فقد استمرت المناوشات العسكرية ، بين الفريقين حتى شهر شوال سنة ١٣٢ هـ ، كما هو ظاهر من سير الأحداث ، ويظهر أن ابن هبيرة قد مال إلى الصلح ، وفكر فيه فعلاً ، بعد أن درس وضعه ووضع قواته جيداً ، وأن القوات العباسية عاجلاً أو آجلاً ستتمكن من اقتحام المدينة ، وحفاظاً منه على أرواح جنده ، طلب من أبي جعفر أن يكتب له أماناً[٦٠] ، فجرت بين الطرفين مفاوضات ، انتهت بموافقة أبي جعفر بإعطاء الأمان لابن هبيرة ، كما أورده ابن أعثم الكوفي ، ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا كتاب من عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس أبي جعفر (أخو) أمير المؤمنين أبي العباس ، إلى يزيد بن هبيرة ولمن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم ممن نجا إليهم ومن هم بمدينة واسط من المسلمين والمجاهدين وممن معهم من نسائهم وأولادهم ومواليهم وعبيدهم ، إني قد أمنتكم على أنفسكم ، أمان الله الذي لا إله إلا هو الذي يعلم من سرائر العباد ما يعلم من علانيتهم ، أماناً صادقاً لا يصيبه غش ولا يخالطه باطل ، وقد أعطيت يزيد بن هبيرة الفزاري عهداً خالصاً مؤكداً ، وذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة أنبيائه المرسلين وملائكته المقربين ، وهذا

---

(٥٩) الطبري : ٨ / ٧٧ . ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٦ . أنظر البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(٦٠) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٣ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٣ . الطبري ٧ / ٤٥٤ .

الأمان لك يا يزيد بن هبيرة ولأصحابك ولمن نجا إليك من قوادك ووزرائك ، وشيعتك ، فأنت وهم آمنون بأمان الله ، لا تؤخذون بذنب ولا زلة ولا بجريرة ولا بجرم ولا بجناية في سفك دم تعمداً ولا خطأ ، ولا بأمر سلف منكم يا يزيد بن عمر بن هبيرة وقد أذنت لك بالمقام في مدينة واسط ، إن شئت ثم تسر عنها إذا شئت ، أنت ومن معك بدواب وسلاح لا تخاف عدوا في سهل أو بر أو بحر ، ولا ينالك أمر تخافه في ساعة من ليل أو نهار ، ولا أدخل في أماني هذا مما تخاف من مطعم ومشرب أو لباس ، وقد أذنت لك ولأصحابك يا يزيد بالدخول إلى عسكري في أي وقت أحببته إلى وقت رحيلكم من مدينة واسط ، فإن نقض عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو جعفر أخو أمير المؤمنين أبي العباس ما جعل لك ولأصحابك ولشيعتك في أمانكم هذا ، فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وعليه من المجرحات ، الإيمان المغلّظة ، والله شاهد عليه بما أكد على نفسه من هذه الإيمان ، وكفى وكيلاً وشاهداً وكفيلاً والسلام »(٦١) .

هذه صورة الأمان التي وردت عن أبي أعثم ، وهناك صيغة أخرى للأمان ذكرها ابن قتيبة(٦٢) وقد اخترت الصورة الأولى للأسباب التالية : ـ

١ ـ انها تؤدي نفس المعنى العام الوارد في كتاب الإمامة والسياسة .
٢ ـ لأن عباراتها معتدلة ومقبولة لدى الباحث التاريخي أكثر من الثانية المتضمنة عبارات أعتقد أنها موضوعة أو مبالغ فيها على الأقل .
٣ ـ لأنها تتفق وموقف أبي جعفر العسكري المحاصر لقوات ابن هبيرة .
٤ ـ إن روايات صاحب كتاب الإمامة والسياسة في هذه الفترة ، مرتبكة وغامضة أحياناً مما يجعل الشك يتطرق إلى قلب الباحث للأخذ بالأمان الوارد فيه ككل .

وهناك زيادة جاء فيها البلاذري ، لم يتعرض لها ابن قتيبة وابن أعثم ، حيث

---

(٦١) مخطط الفتوح جـ ٢ ، وأنظر : البلعمي : تاريخ طبري (بالفارسية ص . ٧٤ .)
(٦٢) الإمامة والسياسة ٢ / ١٢٦ وما بعدها . وانظر نص الأمان في ملحق رقم (١) .

روى « ان المنصور اشترط عليه انه إن نكث أو غدر فلا أمان له »[٦٣] .

ختم أبو جعفر الأمان ، وأرسله إلى يزيد بن هبيرة ، فعقد هذا مجلساً ضم القواد وأكابر العلماء ، وعرض عليهم الأمان واستمر في مشاوراته إياهم مدة أربعين يوماً[٦٤] ، حتى استقر الرأي أخيراً على قبوله والرضا به ، فأنفذه ابن هبيرة إلى أبي جعفر ، الذي أرسله بدوره إلى الخليفة أبي العباس فختمه معلناً موافقته عليه[٦٥] .

إن موافقة الخليفة على مثل هذه الأمور الخطيرة ضرورية جداً ، لأنها تمس أمن وسلامة الدولة ، وهو المسؤول الأول عنها ، فالكلمة النهائية تكون له . أما ما ذكره « نولدكه » من « أن أبا جعفر وعد ابن هبيرة فوق ذلك بالبقاء في منصبه »[٦٦] فيبدو لي أن هذا القول ضعيف ، لعدم إشارة أي مصدر تاريخي إليه ، وخاصة أن الخليفة نفسه لا يرضى بهذا ، وإن رضيه أبو جعفر ، لأن سياسة الدولة آنذاك كانت تفرض القضاء على كافة الخصوم السياسيين ، خصوصاً الأمويين منهم ، لتأمن على حاضرها ومستقبلها .

وبعد أن ختم أبو العباس الأمان ، أرسله لأخيه المنصور ، الذي بعثه لابن هبيرة فأمر هذا بفتح أبواب واسط ، وذلك لأيام خلون من ذي القعدة سنة ١٣٢ هـ[٦٧] ، وركب هو وبعض خاصته إلى أبي جعفر ، فدخل عليه ، وحادثه وباسطه القول ، ثم أخذ يتردد عليه بعد ذلك ، فدخل عليه يوماً ، فقال له المنصور

---

(٦٣) مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥آ .

(٦٤) الطبري ٧ / ٤٥٤ . عبد ربه : العقد الفريد ١ / ٧٩ . مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ / ٢٠٩ .

(٦٥) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٣ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٣ . الطبري : ٧ / ٤٥٤ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ / ٢٠٩ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٣١٣ بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣ - ١٤ ومن هذا يتضح أن ما ذكره المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي حين قال : « إن أبا العباس لم يجز أمان أبي جعفر «ليس صحيحاً» » صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ، مصر - الطبعة الأولى ١٩٥٣ ص ٦ .

(٦٦) Sketches from Eastern history, London 1892- II 4 — .

(٦٧) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٥ .

حدثنا ، فقال : أيها الأمير ان عهد الله لا ينكث ، وعقده لا يحل ، وان امارتكم بكر ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها لتسرع محبتكم إلى قلوبهم ، ويعذب ذكركم على ألسنتهم(٦٨) ، فلما خرج ، قال أبو جعفر لأصحابه : عجباً لمن يأمرني بقتل مثل هذا(٦٩) ، ويظهر من عبارة أبي جعفر الأخيرة ، بأن هناك يداً خفية تلعب دوراً مهماً ، وتشكل اتجاهاً مضاداً لاتجاهه ، في عدم الوفاء لابن هبيرة ، ونقض الأمان المعطى له ، وكانت تلح في قتله والتخلص منه ، وتحت هذا الضغط المتزايد على المنصور ، أمر بقتل ابن هبيرة في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢ هـ(٧٠) .

ونظراً للظروف والملابسات الغامضة التي رافقت قتل ابن هبيرة ، حيث نسب بعض المؤرخين قتله إلى أبي جعفر ، والبعض الآخر نسبة إلى أبي العباس ، وآخرون لم يصرحوا بذلك .

ولبيان الحقيقة يدعونا ذلك إلى التساؤل عن قتل ابن هبيرة ، هل كان قتل ابن هبيرة من قبل المنصور نفسه دون الرجوع إلى أمر الخليفة ؟ أم أن الخليفة هو الذي أمر بذلك ؟ ، وأرغم أخاه على تنفيذ الأمر الصادر إليه بهذا الشأن ؟ وإذا كان الأمر هكذا ، فهل كان بمقدور أبي جعفر مخالفة أمر أخيه في تلك الظروف السياسية الحرجة ؟

ولكي أحدد مسؤولية قتل ابن هبيرة ، وعلى عاتق من تقع ، أرى من المفيد أن أوضح الصورة التي تم فيها قتله ، لأنها تساعدنا على الإجابة بدقة وصراحة .

من الثابت تاريخاً ، أن ابن هبيرة قد أرسل كتباً إلى محمد النفس الزكية ، يعلمه فيها بأنه يبايعه ويحثه على طلب الخلافة ، وانه معه بجيشه(٧١) وكانت هذه

---

(٦٨) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣٤٥ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٣ . المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، مطبعة مصطفى محمد القاهرة ١٣٥٥ هـ ، ١ / ١٤٤ ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ / ٧٩ .

(٦٩) أنظر المصادر السابقة .

(٧٠) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٥ .

(٧١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٦ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ .

الواقعة قبل إعطاء الأمان له ، ومكاتبته للنفس الزكية كانت سراً ، ودون علم العباسيين ، فلما تأخر الجواب عليه ، واشتدت وطأة الحصار ، طلب الأمان وكان له ما أراد ، فظلت هذه الحادثة في طي الكتمان ، إلى أن بدأت أخبارها تتسرب إلى أسماع الخليفة أبي العباس(٧٢) ، فتيقن منها(٧٣) ، فقال : نقض عهده وأحدث ما أحل به دمه(٧٤) ، والظاهر أن أبا العباس لم يتحقق من زمن وقوع الحادثة ، التي كانت قبل الأمان لا بعده(٧٥) ، وهذا أول خطأ فادح وقع فيه الخليفة ، يضاف إلى ذلك ، أن أبا الجهم بن عطية ، كان عيناً لأبي مسلم الخراساني على أبي العباس ، فكتب إليه بأخباره كلها ، فكتب أبو مسلم إلى الخليفة كتاباً يقول فيه : « ان الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة »(٧٦) ، ويظهر أن أبا العباس كان واقعاً تحت تأثير أبي مسلم ، فكان لا يقطع أمراً دون أخذ رأيه فيه(٧٧) ، لذلك كتب أبو العباس إلى أخيه المنصور ، يأمره بقتل ابن هبيرة(٧٨) ، فرفض المنصور تنفيذه(٧٩) ، وقال : « لا أفعل وله في عنقي بيعة وإيمان فلا أضيعها بقول أبي مسلم »(٨٠) ،

= اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري : ٧ / ٤٥٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٣١٣ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣ ـ ١٤ .

(٧٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٦ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ ـ ب . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . ابن أعثم الكوفي . مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٧٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ . ويضيف البلاذري بأن أبا العباس وجد له كتاباً إلى عبد الله بن حسن أيضاً ٣ / ٣٥ ب .

(٧٤) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ .

(٧٥) أنظر المصادر السابقة .

(٧٦) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري : ٧ / ٤٥٤ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤١ . طبعة بيروت . أنظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ .

(٧٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٢٩ . الطبري ٧ / ٤٥٤ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٣١٣ .

(٧٨) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٤ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري : ٧ / ٤٥٥ . ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٧٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣/٣٥أ . ابن اعثم الكوفي : مخطوط الفتوح ج ٢ . انظر الطبري ٤٥٤/٧ .

(٨٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٣١٣ . أنظر : المصادر السابقة .

وعبارة المنصور هذه تستدعي النظر حقاً ، فهي تدل بوضوح إلى أنه لم يتيقن من مكاتبة ابن هبيرة لمحمد النفس الزكية يدعوه للثورة ، ويعلمه أنه معه بجيشه ، يؤيد هذا أن أبا جعفر قال لابن هبيرة حين كان يتردد عليه بعد الأمان « يا يزيد أنا بني هاشم نتجاوز عن المسيء ونأخذ بالفضل ولست عنك كغيرك ، ان لك وفاء أمير المؤمنين أرغب شيء في الصنيعة إلى مثلك ، فأبشر بما يسرك »[٨١] ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه تأكد لديه أن أبا العباس لم يطلب منه قتل ابن هبيرة إلا عن رأي أبي مسلم ، والعبارة ـ فلا أضيعها بقول أبي مسلم ـ تدل على هذا بوضوح . ولهذا امتعض المنصور وامتنع عن تنفيذ الأمر ، لأنه أحس بأن أبا مسلم ـ وهو منافسه وله فيه رأي ـ يريد أن يبين للناس إقدام أبي جعفر على قتل ابن هبيرة ، هو غدر بالعهود والمواثيق التي أعطاها له ، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى ردود فعل عامة ، تهدد مستقبله السياسي ،لذلك كتب لأخيه يعلمه بحقيقة ما انتهى إليه فكتب إليه الخليفة «ما أقتله بقول أبي مسلم،بل بنكثه وغدره ودسيسه إلى آل أبي طالب ، وقد أبيح لنا دمه »[٨٢] ، فلم يجبه المنصور ، وقال : هذا فساد الملك ، لأن رأيه كان الوفاء لابن هبيرة بما أعطاه[٨٣] لذلك أخذ يراجع أخاه في هذا الأمر وأراد جاهداً أن يثنيه عن عزمه ، فما تيسر له ، لإصرار الخليفة على قتل ابن هبيرة ، وأخيراً حسم أبو العباس الموضوع ، حين أرسل لأخيه أمراً نهائياً شديد اللهجة ، يقول له فيه ، « والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله[٨٤] ، ويؤكد البلاذري ذلك فيقول : « كتب أبو العباس لأبي جعفر : ان هذا الرجل ـ يزيد بن هبيرة ، قد غدر ونكث وهو يريد بناء العظمى ، وما لكتاب عبد الرحمن فيه أقتله ، ولكن لما أبان لي من نكثه وفجوره ، فلا تراجعني في أمره ،

---

(٨١) خليفة بن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٥ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ .

(٨٢) الطبري : ٧ / ٤٥٤ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤٠ (ط بيروت) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٣١٨ .

(٨٣) المصادر السابقة .

(٨٤) الطبري : ٧ / ٤٥٥ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٤١ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٥ .

فقد أحل لنا دمه[٨٥] . وأمام هذا التهديد الصريح من الخليفة لم يجد المنصور بداً ، إلا الإذعان لتنفيذ الأمر ، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة الطائي ، وقال له : ان أمير المؤمنين أمر بقتل هذا فتولى ذلك ، فقال له الحسن : إن قتلته كانت العصبية بين قومي وقومه والعداوة ، واضطرب عليك من بعسكرك من هؤلاء وهؤلاء ، ولكن أنفذ إليه برجل من مضر يقتله[٨٦] ، فوجه خازم بن خزيمة التميمي ، والهيثم بن شعبة ، والأغلب بن سالم ، وإبراهيم بن عقيل مع جماعة[٨٧] ، فدخلوا عليه قصره يوم الاثنين ١٧ ذي القعدة سنة **١٣٢** هـ فقتلوه وابنه داود وكاتبه وبعض مواليه[٨٨] ، «ونادى منادي المنصور آمن خلق الله إلا عمر بن ذر والحكم بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي ، ونودي بأهل الشام ، ألحقوا بشامكم »[٨٩] وبقتل ابن هبيرة تم القضاء على أكبر معقل للأمويين في العراق ، الذي ظل يقلق بال الخليفة مدة تسعة أشهر .

ومما سبق عرضه عن قتل ابن هبيرة ، يتبين لنا على وجه التحديد أن مسؤولية قتل ابن هبيرة تقع على عاتق الخليفة أبي العباس ، وهو وحده يتحمل تبعة ذلك ، وأن يده لم تبرأ من دمه . وعلى هذا يكون أبو جعفر المنفذ للأمر الصادر إليه من أخيه الخليفة ولم يكن بمقدوره الإمتناع عن عدم تنفيذه ، ولو فرضنا أن المنصور امتنع عن قتل ابن هبيرة فهل يعتبر الموضوع منتهياً عند هذا الحد ؟ وهل أن الخليفة سيوافق على هذا الموقف ، ويسلم بالأمر الواقع ؟ الجواب على ذلك : بالنفي : لأن سير الحوادث تؤكد على أن المنصور إن لم يقتل ابن هبيرة ،

---

(٨٥) مخطوط أنساب الأشراف ٣/٣٥ أ .

(٨٦) اليعقوبي : تاريخ ٢ / ٩٤ .

(٨٧) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٥ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٤ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري ٧ / ٤٥٦ .

(٨٨) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٥ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري : ٧ / ٤٥٦ ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ

(٨٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ .

فسيقتله غيره ، عن أمر الخليفة وإصراره ، يؤيد هذا الرأي كتاب الخليفة لأخيه والذي يقول له فيه « والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم يتولى قتله » وسواء امتنع المنصور أم لم يمتنع فإن النتيجة التي انتهى إليها ابن هبيرة واحدة . فدور المنصور اقتصر على التنفيذ فقط ، ومع هذا فإنه راجع الخليفة في أمر ابن هبيرة ، وأراد جاهداً أن يثنيه عن عزمه ، فلم يفلح حتى أنه كما يقول الدينوري : « لما جاءه كتاب الخليفة الذي جاء فيه ، لا حكم لابن هبيرة عندي إلا السيف ، كتمه عن جميع الناس »[٩٠] ، ولكن الخليفة ألح في ذلك بصورة عجيبة وبالكيفية التي ذكرتها ، وهذا مما دعا المنصور لأن يرضخ لتنفيذ الأمر قسراً ، خوفاً من حدوث تصدع في الجبهة العباسية ، قد تؤدي إلى خلافات سياسية خطيرة ، تهدد كيان الدولة الجديدة ، إن هو رفض أمر أخيه ، لذلك استجاب على كره منه ، ومثلما يقال عن ابن هبيرة يقال عن خالد بن سلمة المخزومي ، فقد أمنه أبو جعفر لكن الخليفة لم يأخذ هذا الأمان بنظر الإعتبار ، رغم صدوره من أخيه ، فقال « لو كانت له ألف نفس لأتيت عليه فقتلته »[٩١] ، ومما يذكر فيه هذا الصدد أن بعض أهل خراسان قال لبعض الفزاريين : ما كان أعظم رأس صاحبكم ـ ابن هبيرة ـ فقال : أمانكم له كان أعظم[٩٢] يشير بذلك إلى عدم فائدة الأمان ، وبعد الإنتهاء من أمر ابن هبيرة « استعمل أبو جعفر على واسط الهيثم بن زياد الخزاعي في خمسة آلاف فارس من أهل خراسان ، ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الخليفة أبي العباس وهو بالحيرة »[٩٣] .

ومن هذا يتبين لنا أن المآخذ التي أخذها بعض المؤرخين على المنصور وغدره بابن هبيرة غير جديرة بالقبول .

---

(٩٠) الأخبار الطوال ص ٣٥٤ .

(٩١) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ أ .

(٩٢) المصدر السابق ٣ / ٣٥ ب .

(٩٣) المصدر السابق ٣ / ٣٥ أ . الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٥ .

٤ ـ قضاؤه على ثورات الجزيرة :

لقد ساد بلاد الجزيرة جو من عدم الإستقرار على أثر انهزام القوات الأموية بقيادة مروان بن محمد من معركة الزاب ، فحدثت بعض الثورات في بلاد الشام وغيرها ضد السلطة العباسية[٩٤] ، ويظهر أن سكان هذه المناطق لم يقبلوا الوضع الجديد .

فأعلن أهل الجزيرة من بلاد العراق ثورتهم ضد الخليفة أبي العباس ، فساروا بجموعهم قاصدين حران ، فحاصروا الحامية العباسية المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي بقيادة موسى بن كعب المري[٩٥] . ولم يكن عليهم قائد عسكري يقودهم في حصارهم إلى أن قدم عليهم إسحق بن مسلم العقيلي من أرمينية[٩٦] ، وكان قد شخص عنها حين بلغه هزيمة مروان فنصبوه قائداً عليهم ، فقادهم في حصار موسى بن كعب مدة شهرين[٩٧] ولم تحدث مناوشات بين الفريقين .

ومهما يكن فإن الثورة بحد ذاتها فضلاً عن تهديدها للقوة العباسية في حران ، معناها تهديد لسلامة الدولة الجديدة ، لذا رأى الخليفة أنه من الضروري القضاء عليها وإخماد أنفاسها في مهدها ، قبل أن يستفحل أمرها ، فيصعب حينئذٍ معالجتها والسيطرة عليها .

فلما وفد عليه أبو جعفر بجيشه بعد قضائه على ابن هبيرة ، شاوره في أمر الثورة هذه ، واستقر الرأي على أن يخرج أبو جعفر بنفسه للتصدي لها ولغيرها ، فجهز المنصور نفسه ، واستلم أمر قيادة الجيش ، وسار متوجهاً إلى حران في ذي

---

(٩٤) أغلب هذه الثورات قضى عليها عبد الله بن علي قبل أن يوجه أبو العباس أخاه المنصور للقضاء على الثورات الجديدة . أنظر : الطبري : ٧ / ٤٤٣ وما بعدها . ابن الأثير ٥ / ٤٣٢ وما بعدها . الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام مطبعة مكتبة المقدسي القاهرة ١٣٦٧ هـ ، ٥ / ٢٠٥ .

(٩٥) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٣٩ .

(٩٦) كان اسحق بن مسلم بن ربيعة العقيلي أثيراً عند أبي جعفر جليلاً ـ بعدئذٍ ـ وعظيم القدر أيام مروان . سالم فسالمت العرب . وحارب فحاربت العرب . ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٨ .

(٩٧) الطبري : ٧ / ٤٤٦ .

القعدة سنة ١٣٢ هـ ، لفك الحصار عن القوات العباسية المحاصرة فيها ، فسلك الطريق على الفرات[٩٨] حتى وصل قرقيسيا[٩٩] ، وعليها المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن[١٠٠]، فأعلن أهلها الثورة بوجهه ولم يسمحوا له ولجيشه بدخول المدينة[١٠١]، فخلف عليهم مالك بن الهيثم[١٠٢] وتوجه إلى مدينة الرقة[١٠٣] الثائرة ، وكان بكار بن مسلم العقيلي معتصماً فيها بجيشه ورفض إعلان طاعته ، فخلف عليها المنصور حامية عسكرية لمحاصرتها واتجه بباقي قواته إلى حران ، لأن خطته العسكرية كانت تستدعي الذهاب إليها ، لإنقاذ القوات العباسية المحاصرة فيها ، فلما سمع إسحق بن مسلم بتوجه المنصور إليه ، انسحب بقواته عن حران ، وتوجه إلى الرها[١٠٤] وذلك سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م[١٠٥] .

وصل أبو جعفر إلى مدينة حران ، فخرج إليه موسى بن كعب بقواته وانضوى تحت قيادته فوجهه إلى مدينة الرقة ، لمساندة الحامية العباسية المحاصرة لها ، فسار إليها ففتحها وغلب عليها[١٠٦] ، بعد أن رحل عنها بكار بن مسلم ، الذي توجه إلى الرها . حينما سمع بانسحاب أخيه إليها ، فوجهه إلى دارا[١٠٧] وماردين[١٠٨] ، للقاء بريكة الحروري رئيس ربيعة يومئذٍ ، فصارا حزباً واحداً ، فقصدهم المنصور بجيشه فدارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بقتل بريكة

---

(٩٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٠ .

(٩٩) قرقيسيا : بلد على الخابور قرب رحبة مالك بن طوق . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧ / ٦٠

(١٠٠) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(١٠١) المصدر السابق ، الطبري ٧ / ٤٤٧ .

(١٠٢) تمكن مالك من قتل المنذر وصلبه سنة ١٣٣ هـ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(١٠٣) الرقة : على جانب الفرات من الجانب الشمالي الشرقي وذلك عند مصب نهر البليخ بنهر الفرات : الحميري : مخطوط الروض المعطار في خبر الأقطار . المجمع العلمي العراقي رقم ٧٧٨ ـ ٧٨١ ورقة ١٧٨ ب . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٦ .

(١٠٤) الرهاء : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٣٤٠ .

(١٠٥) الطبرى : ٧ / ٤٤٧ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٣٥ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٠ .

(١٠٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(١٠٧) دارا : بلدة بين نصيبين وماردين . ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٥ .

(١٠٨) ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة . ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٣٤٠ .

وفرار بكار بن مسلم إلى أخيه بالرها[109] .

ويدل سير الحوادث أن اسحق بن مسلم لم يكن جاداً في القتال ، أو المواجهة العسكرية ، وهذا يفسر لنا انسحابه بأكثر جيشه إلى سُمَيْساط[110] ، واستخلاف أخيه بكار في الرها ، فسار أبو جعفر إلى الرها ، واشتبك مع بكار في عدة معارك ، وفي أثناء ذلك وصلت إلى أسماع الخليفة أبي العباس أنباء سير إسحق بن مسلم إلى سميساط في ٦٠ ألفاً من جنده ، فكتب إلى عمه عبد الله بن علي ، وكان بالشام ، يأمره بالمسير إلى إسحق فلبى الأمر فقدم بجيشه حتى نزل ازاء اسحق بسميساط ، وكان الفرات فاصلاً بين الجيشين .

ثم أقبل المنصور من الرها بجيشه ، وضرب الحصار المحكم على اسحق لمدة سبعة أشهر متواصلة[111] ، وكان اسحق ميالاً إلى الصلح ، فكتب إلى المنصور « إن في عنقي بيعة ، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قتل » فكتب إليه المنصور «ان مروان قد قتل » ، فقال : حتى أتيقن ، فلما صح عنده أنه قتل طلب الأمان[112] ، من أبي جعفر الذي كتب إلى أخيه العباس ، يعلمه بالأمر ، فكتب أبو العباس إليه : يأمره بإعطائه الأمان ومن معه ، فتم ذلك ، وخرج إسحق إلى أبي جعفر وكان عنده من آثر أصحابه[113] .

أما الخوارج :

فإنهم أشعلوا نار الثورة في منطقة الجزيرة «بقيادة بكر بن حميد الشيباني ،

---

(١٠٩) الطبري : ٧ / ٤٤٧ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٣٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٥٣ .

(١١٠) سميساط : بلدة من بلاد الشام على الفرات في القرب من قلعة الروم وفي الشمال عن حصن منصور . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٦ .

(١١١) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٤ . الطبري : ٧ / ٤٤٧ .
ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٣٥ .

(١١٢) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٥ . الطبري : ٧ / ٤٤٧ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥١ .

(١١٣) المصادر السابقة .

فوجه المنصور إليهم محقن بن غزوان ، فهزموهم ، فأتى رأس عين[114] ، وبلغ ذلك أبا جعفر فوجه إليهم مقاتل بن حكيم العكي ، واتبعه أبو جعفر من كفر توثى[115] ، إلى بعض قرى دارا ، فالتقوا ، فقتل محمد بن سعيد من أولاد الحكم ابن العاص ، وكان مع الخوارج ، وانهزمت الخوارج ، واعتصم بكر بجبل دارا ، فوجه إليه العكي ، فقتله ، وأمر أبو جعفر بهدم مدائن الجزيرة إلا حران ، وصالح أهل الرها ، ونصيبين ودارا[116] .

أما في أرمينية :

فقد أعلن مسافر القصاب ثورته ، الذي كان قد وافق الضحاك بن قيس الحروري الخارجي على رأيه فولاه أرمينية واذربيجان[117] ، فوجه المنصور إليه جيشاً بقيادة أحد القواد من خراسان ، فاشتبك معه في معركة حاسمة ، انتهت بقتل مسافر وأكثر أصحابه ثم أمر المنصور الجيش بالتوجه إلى البيلقان[118] ، وكان أهلها متحصنين في قلعة الكلاب ، بقيادة قدد بن أصفر البيلقاني ، فحاصرهم الجيش العباسي ، ولم تجر بين الطرفين مناوشات عسكرية ، واستمر الوضع على هذه الحال ، حتى طلبوا الأمان ، فأعطي لهم[119] ، ثم استعمل أبو جعفر على ارمينية يزيد بن أسيد ، ولم يكتف المنصور بذلك بل أنه شخص في جمادي الأولى سنة ١٣٥هـ / ٧٥٢[120] م إليها ، ليعالج أمرها بنفسه ، فدوخها

---

(١١٤) رأس عين : بلدة تقع عند منابع الخابور . ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، قام بطبعة بالأوفست مكتبة المثنى ـ بغداد ـ عن الأصل المطبوع في بريل ـ ليدن ـ سنة ١٨٨٩ م . ص ١٧٥ .

(١١٥) كفرتوثى : بليدة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ : أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٨٤ .

(١١٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(١١٧) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٣٢ .

(١١٨) البيلقان : قضية الران بعد خراب برذعة ، وتبعد ١٤ فرسخاً عن جنوب برذعة . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية . نقله للعربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد مطبعة بغداد ١٩٥٤ م ص ٢١٢ .

(١١٩) البلاذري : فتوح البلدان . طبعة مصر الطبعة الأولى ١٩٠١ م ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(١٢٠) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

وإستأمن إليه جماعة كانوا في قلعة الكلاب ، وقفل منها سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، وعزل يزيد بن أسيد وولى الحسن بن قحطية أمرها »[١٢١] .

ويمكن القول بأن منطقة الجزيرة وما جاورها من البلاد ، قد خلت من الثورات العسكرية التي أشغلت القوات العباسية ردحاً من الزمن ، ويبدو أن أهل هذه المناطق قد لزموا الطاعة ، وقبلوا الخلافة العباسية ، بعد ما رأوا من يقظة المنصور وقدرته وسيطرته التامة على الأمور ، وهذا ما حدى بأخيه لأن يعينه والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان[١٢٢] ليضبط تلك النواحي أولاً ، وليكون قريباً منه إذا جد جديد ثانياً .

٥ ـ كيف آلت الخلافة إلى أبي جعفر :

استمر المنصور والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، فضبط تلك النواحي ضبطاً سياسياً وعسكرياً محكماً حتى سنة ١٣٦ / ٧٥٣ م ، وفي هذه السنة حدثت بعض التطورات السياسية استدعت حضوره إلى مقر الخلافة ، لأن أبا مسلم الخراساني كتب إلى الخليفة أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه ، والمقام عنده إلى وقت الحج ليحج ، فأذن له[١٢٣] فكتب إليه أن أقدم في خمسمائة من الجند ، فكتب إليه أبو مسلم : إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي ، فكتب إليه : أن أقبل في ألف ، فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك ، وطريق مكة لا تحتمل العسكر[١٢٤] . فاصطحب معه ثمانية آلاف من جنده ، وزعهم فيما بين

---

(١٢١) المصدر السابق .

(١٢٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٧ . ومخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب . اليعقوبي تاريخ ٣ / ٩٥ . الطبري ٧ / ٤٤٧ . ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان مطبعة بريل ليدن ١٣٠٢ هـ ص ٢٩٤ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥١ .

الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ٢٠٦ .

(١٢٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٧ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٠ . الطبري : ٧ / ٤٦٩ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ .

(١٢٤) الطبري : ٧ / ٤٦٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ .

نيسابور والري ، وسار في ألف إلى الخليفة ، وهو يومئذٍ بهاشمية الأنبار(١٢٥) فلما علم الخليفة ، بقدوم أبي مسلم عليه ، ساورته بعض الشكوك ، لأنه «لم يحب أن يكون أبو مسلم في العراق وأبو جعفر بأرمينية ، واتقى أن يكون منه غائلة أو شيء من بعض الخلافة»(١٢٦) ، «فكتب إلى أخيه وكان بالجزيرة أن أبا مسلم قد استأذن الحج ، وهو مغلس اني أوليته الموسم ، فأقدم حاجا »(١٢٧) ، فلما ورد عليه الكتاب ، أحس بحرج موقف أخيه ، فبادر فوراً إلى اتخاذ إجراءات إدارية سريعة ومهمة تضمن استمرار الهدوء والأمن في المنطقة ، فعين الحسن بن قحطبة على أرمينية(١٢٨) ، ومقاتل بن حكيم العكي على الجزيرة ومقره حران(١٢٩) ، ثم جهز نفسه للسفر ، فقصد الموصل ، وانحدر منها إلى الأنبار(١٣٠) فوصلها قبل قدوم أبي مسلم إليها .

ويبدو أن الخليفة أراد من اجرائه هذا ، أن يكون أبو جعفر بحضرته ليوليه أمارة الموسم ، ليكون له الذكر ، وليرفع من شأنه بين الناس ، لأن إمارة الموسم كانت شرفاً لمن يتولاها ، وبنفس الوقت يستبعد أبا مسلم من هذا ، للأسباب التي ذكرتها ، وقد نفذ الخليفة خطته بذكاء بالغ ، فحين قدم عليه أبو مسلم ، أمر جميع القواد والأشراف وسائر الناس بتلقيه(١٣١) ، وأنزله معه في قصره ، ولم يأل جهداً في بره وإكرامه دون أن يذكر له شيئاً .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبا جعفر وجد الفرصة مناسبة للتخلص من أبي

---

(١٢٥) اليعقوبي : ٣ / ٩٨ .

الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد . ياقوت معجم البلدان ١ / ٢٤١ .

(١٢٦) ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

١٢٧) العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(١٢٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩٨ ، ابن أعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(١٢٩) خليفة بن خياط : تاريخ / ٢ / ٤٣٩ . الطبري : ٧ / ٤٧٠ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٩

(١٣٠) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ .

(١٣١) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٧ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ .

مسلم فأوعز إلى أخيه بضرورة قتله،وراجعه في ذلك إلى أن أقنعه وحصل على موافقته ، واستعد المنصور لتنفيذ المحاولة بنفسه ، وكادت العملية أن تتم ، لولا أن الخليفة في آخر لحظات تنفيذها أمر أخاه بترك الفكرة ، والإقلاع عن تنفيذها(١٣٢) .

وأخذ أبو مسلم يتردد على مجلس الخليفة إلى أن حان وقت الحج ، فاستأذنه في الحج ، فرأى أبو العباس أن الوقت قد حان لكي يخبره بالأمر ، فقال له : لولا أن أخي أبا جعفر قد عزم على الحج لوليتك الموسم(١٣٣) ، ويبدو أن أبا مسلم فوجىء بهذا ، فقال : أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا(١٣٤) .

فخرج المنصور بموكبه للحج ، وأبو مسلم يتقدمه(١٣٥) ، وذلك سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، فلما انقضى الموسم أقبل الإثنان يريدان العراق ، وحينما أحس الخليفة بثقل المرض عليه أمر الناس بالبيعة لأبي جعفر وولاه العهد بعهده(١٣٦) ، ولابن أخيه عيسى بن موسى من بعد أبي جعفر « وكتب العهد وصيره في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهله ودفعه إلى عيسى بن موسى »(١٣٧) وقال له : إذا أنا مت فخذ البيعة لمن في هذا الكتاب(١٣٨) ، وكان نصه « من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأولياء وجماعة المسلمين ، سلام عليكم ، أما بعد : فقد قلد

---

(١٣٢) الطبري : ٧ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٥٨ .

(١٣٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٧ . الطبري : ٧ / ٤٦٨ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ .

(١٣٤) العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(١٣٥) المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٦ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(١٣٦) توفي الخليفة أبو العباس ودفن بالأنبار في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ . أنظر اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٢ والطبري ٧ / ٤٧٠ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٦٦ . الحموي : مخطوط التاريخ المنصوري : المكتبة القادرية ـ بغداد ـ رقم ١١٥٠٣ ص ٨٩ .

(١٣٧) الطبري : ٧ / ٤٧٠ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ . ابن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ٢ / ٤٨ .

(١٣٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٢ . ابن بطريق : التاريخ المجموع ٢ / ٤٨

أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته أخاه ، فأسمعوا له وأطيعوا ، وقد قلد الخلافة من بعد عبد الله عيسى بن موسى ان كان »[١٣٩] .

فلما توفي أبو العباس في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ودفن بالأنبار[١٤٠] أخذ عيسى بن موسى البيعة بموجب هذا الكتاب وفي نفس يوم وفاة الخليفة ، على من بالأنبار من بني هاشم والقواد[١٤١] .

لقد جرت هذه الأمور الخطيرة ، والمنصور لم يكن يعلم بها ، إلى أن ورد عليه كتاب عيسى بن موسى يعلمه بوفاة أخيه وبالبيعة له ، وأرسل الكتاب مع محمد بن الحصين العبدي[١٤٢] ، الذي لقي المنصور يوم ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ ، أي بعد وفاة الخليفة بخمسة عشر يوماً[١٤٣] .

فلما فض أبو جعفر الكتاب وعرف ما فيه ، دعا الناس فبايعوه ، وبايعه أبو مسلم ومن معه من القواد[١٤٤] ، ثم جد في السير حتى وافى الأنبار فبايعه الناس ولعيسى بن موسى من بعده ، ودخل عليه أهل بيته وجماعة من القواد فهنؤوه ، فحمد الله ـ سبحانه ـ وأثنى عليه ، ثم قال : إني ـ والله ـ ما أنا بأرغب الناس

---

(١٣٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٥٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٦٠ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / حوادث ١٣٦ هـ . أما الزبير بن بكار فيروي الحادثة بأسلوب آخر سنتحدث عنه لعلاقته بثورة عبد الله بن علي . ويذكر في نهاية الحادثة نص كتاب البيعة وهو كالآتي : « . . . هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد فإن حدث بعبد الله حدث الموت فإلى عيسى بن موسى » الأخبار الموفقيات . تحقيق الدكتور سامي مكي مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٢ ص ١٩٦ .

(١٤٠) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٢ . الطبري ٧ / ٤٧ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٦٦ . الحموي : مخطوط التاريخ المنصوري المكتبة القادرية بغداد رقم ١١٥٠٣ ص ٨٩ .

(١٤١) البسوي : المعرفة والتاريخ ، تحقيق الدكتور أكرم العمري ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٧٤ م ، ١ / ١١٦ . الطبري : ٧ / ٤٧١ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦١ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٦١ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ . الحموي : مخطوط التاريخ المنصوري ص ٨٩ .

(١٤٢) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٤ . الطبري : ٧ / ٤٧١ .

(١٤٣) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٤ .

(١٤٤) المصدر السابق . الطبري ٧ / ٤٧١ .

فيها ، ولا أحرصهم عليها ، ولكني أحب أن لا يكون بيني وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ستر ، وان أتقرب إليه بالعمل بطاعته وبث سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ راجياً العدل وأماتة الجور ، والأخذ لفيئكم من حقه ، ووضعه في مواضعه التي جرت بها السنة ، ونزل بها الكتاب ، ومنعه من باطله ليقربني الله بذلك ، ويزيدني الله عليه وآله ـ وربنا المستعان على ما تصفون ، وأعوذ بالله أن أكون ممن خالف قوله فعله ، وعظته علمه »[١٤٥] ، وهذه أول خطبة للمنصور يبين فيها السياسة التي سيسير عليها في حكمه الجديد للدولة ، التي لا تزال مضطربة ، وأركانها لم تتوطد بعد .

لكنه بفضل عبقريته ومقدرته العظيمة ، تمكن من أن يسير بها إلى شاطىء السلام ويرسي قواعد حكمها على أسس قوية ومتينة .

---

(١٤٥) الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ص ٧٥ .

الباب الثاني
السياسة الداخلية

الفصل الأول : سياسته تجاه عناصر الثورة ومؤيديهم
الفصل الثاني : سياسته تجاه الخوارج
الفصل الثالث : سياسته تجاه العلويين
الفصل الرابع : سياسته تجاه الحركات الفارسية
الفصل الخامس : بغداد حاضرة الخلافة
الفصل السادس : ولاية العهد

الفصل الأول
سياسته تجاه عناصر الثورة ومؤيديهم

أولاً : ثورة عبد الله بن علي

١ ـ أسباب الثورة :

قبل الخوض في أحداث الثورة ، يجدر بالباحث أن يلقي الضوء على الأسباب التي دعت عبد الله بن علي لإعلان الثورة المسلحة على ابن أخيه الخليفة الشرعي المنصور ، بعد أن بايعته جميع الأمصار سوى الشام ، هل كان ابن علي مستنداً على عهد من الخليفة أبي العباس حينما ثار ؟ أو أنه ادعى الخلافة لنفسه ، واعتقد أنه أحق بها من غيره ، فأعلن ثورته على هذا الأساس ؟ .

ولا يمكن الإجابة على السؤالين السابقين إلا بمناقشة الروايات التاريخية الواردة بهذا الصدد لتكون الإجابة دقيقة وواضحة ، وبعيدة عن الميل لأحد من الأطراف المتنازعة .

يذكر بعض المؤرخين عن عبد الله أنه قال حين صمم على الثورة «إن أبا العباس حين أراد أن يوجه الجنود إلى مروان بن محمد دَعا بني أبيه ، فأرادهم على المسير إليه فقال : من انتدب منكم فسار ، فهو ولي عهدي ، فلم ينتدب غيري،فعلى هذا خرجت من عنده ، وقتلت من قتلت »[١] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ١٠٤/٣ . البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣٠/٣ ب . الطبري : ٤٧٤/٧ . ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ . الازدي : تاريخ الموصل ١٦٣/٢ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٧ هـ .

وسند هذه الرواية هو كلام عبد الله بن علي نفسه ، والشك يتسرب إليها لافتقارها إلى السند التاريخي الذي يعضدها عن طريق آخر . ولا يستبعد أن يكون عبد الله قد اختلقها لتعزيز موقفه من الناحية الشرعية والقانونية ، ليبين للرأي العام أن ثورته كانت دفاعاً عن الحق ، ومن أجل إرجاعه إلى أهله ، سلك طريق الثورة المسلحة ، لإجبار الأطراف الأخرى على تطبيقه بالقوة ، وهذا التعليل مقبول ، ان كان عهد أبي العباس له بالخلافة صحيحاً كما يدعي هو ، ولكن ادعاءه هذا يعوزه الدليل القوي لإثبات صحته ، وهو غير متوفر في المصادر التي بين أيدينا الآن .

أما البعض الآخر من المؤرخين فإنهم لم يتطرقوا إطلاقاً إلى ذكر الرواية هذه وإنما ذكروا « أن أبا العباس بعث عمه عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد »[٢] ولم يزيدوا على ذلك .

وصريح الرواية ليس فيها دليل يثبت أن أبا العباس وعد عمه بالخلافة حين وجهه لقتال مروان .

أما البسوي فذكر في هذا الصدد رواية غريبة مضمونها « أن عبد الله بن علي كان ولي العهد بعد أبي جعفر »[٣] ، ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه الرواية فإنها ليست في صالح عبد الله في أي حال من الأحوال ، لأنها تبين صراحة أن الخليفة الشرعي هو المنصور بعد أبي العباس ، وأن عبد الله التالي له على أساس أنه ولي للعهد ، وعليه فليس من حق عبد الله أن يعلن الثورة على أبي جعفر .

وشك فريق ثالث في الرواية القائلة « من انتدب منكم » . . « فقد ذكروا » وزعم عبد الله بن علي أن السفاح عهد إليه بالأمر»[٤] ،ويعضد هذا الشك ،

---

(٢) ابن خياط : تاريخ ٢/٤٢٧ و٤٤١ . ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٢ . الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٥٨ . اليعقوبي : تاريخ ٣/٨٦ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/٨ . وانظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٠ ب ، الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٢٥ . المسعودي : مروج الذهب ٣/٢٦٠ و٢٧٠ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة . ٤/٩ .

(٣) المعرفة والتاريخ ١/١١٨ ـ ١١٩ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ٣/٣٠٢ . ابن العديم : زبدة الحلب ١/٥٧ . الحلبي : اعلام النبلاء=

الروايات القائلة « بأن عبد الله ادعى الخلافة لنفسه »[٥] و « دعا إلى نفسه »[٦] و «تسمى بالخلافة »[٧] أي طلبها لنفسه من غير وجه شرعي ، ويشير الخطيب العمري صراحة إلى أن عبد الله سولت له نفسه ، فادعى الخلافة لنفسه[٨] .

والرواية الموثوق بها ـ لما لها من السند التاريخي ـ تذكر أن أبا العباس عقد مجلساً سياسياً ضم أهل بيته لمشاورتهم في أمر مروان بن محمد ، فقال لهم : من يسير إلى مروان منكم ؟ فقال : عبد الله بن علي : أنا ، فقال أبو العباس : سر على بركة الله ، فجهز له جيشاً وسيره إلى مروان[٩] .

والرواية تنص صراحة على أن أبا العباس لم يعد عمه عبد الله بولاية العهد أو بتوليته الخلافة بعده ، إن هو قتل مروان ، وربما اعتقد عبد الله بأن الخلافة ستؤول إليه ، نظير الأعمال الجليلة التي قدمها خدمة للدولة الجديدة ، وان أبا العباس حتماً سيوليه الأمر بعده ، مكافأة له .

وإذا سلمنا جدلاً بصحة ادعاء عبد الله ، بأن الخليفة أبا العباس قد وعده بالخلافة حين وجهه لقتال مروان ، أو أنه وعده بها لأنه عمه ووارثه ، فرغم التناقض الواضح في القولين ـ فهذا يعني : أن أبا العباس قد أسند ولاية العهد لعمه عبد الله ، بعد عزل أخيه منها ، لأن المنصور كان ولياً للعهد قبل أن تؤول الخلافة لأبي

=١/١٣٦ . الذهبي : تاريخ الاسلام ٥/٢٠١ . والعبر ١/١٨٥ . ابن جابر الله : مخطوط مختصر مراة الجنان حوادث سنة ١٣٧ هـ .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٣ ، وانظر : ابن بطريق : التاريخ المجموع ٢/٤٨ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/٨ . ابن الكازروني : مختصر التاريخ مطبعة وزارة الاعلام ، بغداد سنة ١٩٧٠ ، ص ١٠٦ . ابن العبري : مخطوط تاريخ مختصر الدول ـ المعروف بتاريخ النصراني ـ المكتبة القادرية ـ بغداد ـ بدون رقم ص ١١١ . وانظر البسوي : المعرفة والتاريخ ١/١١٨ .

(٧) ابن حزم : نقط العروس ص ٧٥ . مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٣ .

(٨) مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص ٣٠٩ .

(٩) الطبري : ٧/٤٣٢ . ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ . ابن الاثير : الكامل ٥/١٩٩ . ابن دحية : النبراس ص ٢٠ ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/٤٣ .
الديار بكري : تاريخ الخميس ٢/٧٦٠ .

العباس ، بموجب الوصية « . . . وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك ـ الكلام موجه من أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي ـ عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه »[10] ، فيكون المنصور الخليفة التالي لأبي العباس بالنص ، وعلى هذا أخذت البيعة في رجب سنة ١٣٢ هـ لأبي العباس بالخلافة ولأبي جعفر بولاية العهد[11] .

ومن المستبعد أن يقوم أبو العباس بمخالفة نص الوصية والبيعة ، ويعزل أخاه من ولاية العهد ويوليها عمه ، وهو يعلم أن أخاه كان له الفضل الأكبر في الدعوة العباسية ، بينما لم يكن لعمه أي فضل فيها .

أما مسألة ادعاء عبد الله بأنه عمه ووارثه . . . « فهذه بنظري حجة واهية ، لأن الخلافة لا تورث ، لكونها ليست ملكاً شخصياً وإنما هي ملك الأمة ، يفوض أمرها للشخص الذي تختاره ، أو يختاره أهل الحل والعقد منها . حتى لو كانت تورث ـ حسب ادعاء عبد الله ـ فإن الأخ أقرب من العم .

وعلى ضوء ما تقدم ، فإن المنصور قد بويع بالخلافة بعد وفاة أبي العباس ، بيعة خاصة وهو في طريق مكة ، أخذها له عيسى بن موسى على من في الأنبار ، وبيعة عامة عند قدومه إليها ، ومع ان هذا تم وفق وصية أبي العباس ، فهذا لا يقلل من قيمة وصحة البيعة .

ويعزز هذا الرأي ، أن أفراد البيت العباسي ، لم يصدر عنهم ما يفيد سواء بالتصريح أم التلميح ، بأن الخليفة السابق قد عهد لعمه عبد الله بالخلافة من بعده ، بل العكس هو الذي حصل ، فهذا عيسى بن علي ، وهو أخ لعبد الله ، وكان من جملة الحضور عندمناقشة أمر مروان بن محمد[12] يقول « دخلت على أبي

---

(١٠) اليعقوبي : تاريخ ٤٢/٣ ـ ٤٣ . ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٢٩٧/٢ .

(١١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٥١ ، وانظر :فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ، طبعة القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ص ٥١٧ .

(١٢) اليعقوبي : تاريخ ٩٠/٣ .

العباس في مرضه الذي مات فيه ، فقال أي عم : اني رأيت أن أعهد ، فقلت : وفق الله أمير المؤمنين ، فدعا بدواة ، ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله ثم كف عن الكتاب . قال : فقلت : في نفسي : اللهم لا تجعله عبد الله بن علي . قال : ثم أتم الكتاب ، هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد ، فإن حدث بعبد الله حدث الموت فإلى عيسى بن موسى[١٣] ، وفي هذه الرواية دليل على أن عيسى بن علي وغيره من أفراد البيت العباسي ، كانوا يعلمون بأن المنصور ولي للعهد ، وان الخلافة ستؤول إليه بعد وفاة أخيه ، الذي أراد ، وهو في مرض موته ، أن يثبت هذه الحقيقة في عهد صحيح ، مكتوب ومختوم من قبله ، دفعاً للفتنة ، والإختلاف بعده ، فلما كتب بحضور عيسى ابن علي «هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله وكف عن الكتاب . . . . . » خشي عيسى أن يكون الخليفة قد عدل عن رأيه السابق ، لذلك قال في نفسه : اللهم لا تجعله عبد الله بن علي .

ويضيف موقف صالح بن علي ، الذي اتخذه ضد أخيه عبد الله ، تأكيداً قوياً يعضد ما سبق ذكره ، فإنه ما أن علم بثورة أخيه ، وكان مقيماً بمصر حتى جهز جيشاً وتوجه يريد الشام لمحاربة عبد الله ، فاصطدم بالقوات الموالية له بالأردن ، بقيادة الحكم بن ضبعان ، في نفس اليوم الذي انهزم فيه عبد الله[١٤] .

أما أمة الحميد ، زوجة عبد الله فإنها أبطلت حجة زوجها وسفهت أحلامه ، حين قالت له « قتلت أهل الشام ، فأسرفت ، ثم قتلت أهل خراسان وكانوا أنصاركم وأهل دعوتكم ، ثم انتحلت الخلافة ، وقاتلت ابن أخيك وهو الخليفة . فلم تبق غاية ، ولم تدع جهداً ، ثم هربت إلى غير ملجأ ولا حصن ، فهلا مت كريماً ، فوالله لتقاسيين ذلاً طويلاً وهواناً كثيراً فغضب من كلامها وطلقها »[١٥] .

---

(١٣) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٩٦ .

(١٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ ، وانظر : محمد كرد علي : خطط الشام ١٧٨/١ .

(١٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ /١٦٢ .

إن الروايات التي أوردناها من طرق مختلفة ، احداها تقوي الأخرى ، وبها يحصل اليقين وتقوم الحجة ، على أن ادعاء عبد الله بأن الخليفة السابق قد عهد له بالخلافة من بعده لم يكن صحيحاً ، وانه كان مجرد تبرير للثورة ، ليضفي عليها الصبغة الشرعية .

ويمكن إضافة أدلة جديدة أخرى ، تدعم وجهة النظر هذه وتقويها ، من خلال المواقف التي اتخذها بعض أنصار عبد الله حين حذروه من التمادي في غيه ، فقال له الحكم بن ضبعان « إن كان أبو العباس عهد إليك وعقد لك عند وفاته ، فقد كفيت ، وإلا فلست من الأمر على ثقة »[١٦] ، وقال له زفر بن عاصم « فأنا أحذرك الإختلاف . . . وان اختلفتم فهي الفتنة »[١٧] ، وتكذيب الهيثم بن زياد الخزاعي له حين قال « أشهد أن أبا العباس ولى الخلافة أبا جعفر »[١٨] ما هو إلا دليل على عدم صدق عبد الله فيما ادعاه .

وربما قيل أن موقف القادة الذين أيدوه أمثال : عبد الحميد بن ربعي الطائي ، وحميد بن قحطبة ، وبكار بن مسلم العقيلي ، وترا رخدا القائد الخراساني ، إلا يعتبر دليلاً على صدق عبد الله[١٩] .

الجواب على ذلك بالنفي ، بدليل أن هؤلاء انضموا إلى المنصور ، وأصبحوا فيما بعد من قادته المشهورين ، ولعل تأييدهم لعبد الله كان خوفاً من بطشه وجبروته ، فلما تيقن المنصور من حقيقة أمرهم عفا عنهم ، وعهد إليهم قيادة جيوشه ، وفي مقابل هذا ، نجد قواد آخرين أمثال : الحسن بن قحطبة ومالك بن الهيثم ، ومحمد بن صول قد أبوا أن يجيبوه إلى البيعة ، لأن موقفهم العسكري كان أقوى من أن يخافوه على أنفسهم والحادثة التي جرت لمحمد بن صول ، عندما أرسله

---

(١٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٠ ب .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) المصدر السابق ٣/٣٠ ب و ٣١ أ .

(١٩) انظر : احمد شلبي : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية مطبعة السنة المحمدية الطبعة الخامسة ١٩٧٤ ، ٣/٨٣ .

الخليفة ليغتال عمه ، فلما أتى إليه قال له « إني كنت قد سمعت أبا العباس قبل وفاته يقول : ان الخليفة بعدي عبد الله بن علي »[٢٠] ، فماذا كان موقف عبد الله منه ؟ انه كذبه وضرب عنقه ، فلو كان عبد الله صادقاً في دعواه ، لاتخذ من قول ابن صول ـ وان كان المنصور أرسله لاغتياله ـ حجة يسند بها دعواه أمام أنصاره ، ثم ينظر في أمره بعد ذلك ، لا أن يقتله فوراً .

ثم أين كان عبد الله عندما أرسل أبو العباس أخاه إلى أبي مسلم بعد أن صفت له الأمور ، بعهده على خراسان والبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعده ، فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان[٢١] .

فلماذا لا يعترض عبد الله على الخليفة في حينه ، ليضمن حقه على الأقل ، خاصة وأن أمر الخلافة من أهم المناصب السياسية في الدولة ، وهي دائماً مثار نزاع وتخاصم .

وجواباً على ذلك : أقول : أن عبد الله لم يجرؤ أن يعلن ، وأبو العباس لا يزال حياً بأنه وعده بالخلافة بعده ، لأن الخليفة سيكذب دعواه ، فلما توفي وجد الفرصة سانحة أمامه لأن يعلن ذلك ، وينسبه للخليفة الراحل ، وعلى هذا تقول المستشرقة البولونية يوجينا «وكان عبد الله يطمع في الخلافة بعد أبي العباس دون أبي جعفر »[٢٢] .

أما ما قاله المستشرق الألماني نولدكه « بأن عبد الله بن علي تطلعت نفسه للخلافة وربما كان لهذا التطلع أساس لكنه ليس يقيناً » يكفي لهدم هذا الرأي أن نولدكه نفسه غير متيقن من ذلك ، كتيقنه بمبايعة أبي العباس للمنصور ، لذلك فإنه يقرر ثانية فيقول : « وكان من المؤسف حقاً أن الدولة هذه قد قامت لتحل فيها

---

(٢٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٠ ب . الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٦٤ .
(٢١) الطبري : ٧/٤٦٨ . ابن الاثير : الكامل ٥/٤٥٨ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٥٦ .
(٢٢) تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها ص ٢٠٤ .

المنازعات بعد قليل من الخلافة »[٢٣] ، وبذلك تراجع نولدكه عن رأيه السابق كما يظهر ، لأن مبعث أسفه ، أنه لم يجد رواية تاريخية صريحة يبني عليها ادعاء ابن علي وتطلعاته للخلافة .

أما رواية البلاذري عن عبد الله بن صالح الذي قال : « بلغني أن عيسى بن علي قال لأبي العباس : أيا أمير المؤمنين أذكر رجلاً يمد الناس إليه أعناقهم بعدك ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر ، فقال : كنت وعدت عبد الله بن علي أن قام بهذا الأمر أن أوليه الخلافة بعدي فقال له سعيد بن عمرة بن جعده المخزومي ، لا تخرجها من ولد محمد بن علي فقبل قوله »[٢٤] .

فالرواية ضعيفة للأسباب التالية :

- أنها خالية من الاسناد التاريخي .

٢ - ولأنها بصيغة الإبلاغ ، وقد يكون الإبلاغ غير صحيح .

٣ - أن الرواية التي ذكرها الزبير بن بكار عن لسان عيسى بن علي أقوى منها ، لوجود سندها التاريخي كاملاً[٢٥] .

٤ - أن هذه الرواية تعارضها رواية السعودي التي يرويها بصيغة مغايرة[٢٦] ، فضلاً عن أنه لم يتطرق إلى ذكر عيسى بن علي وهو محور الرواية . ونظراً لوجود هذا التعارض بين الروايتين فإنه يسقط الإستدلال بهما .

وبناء على ما تقدم من عرض الروايات ومناقشتها ، أستطيع أن أقرر أن الخليفة أبا العباس ، لم يعط وعداً لعمه عبد الله بالخلافة قط ، وان المنصور كان

---

(٢٣) Sketches from Eastren History , P.116

(٢٤) مخطوط انساب الاشراف ٣٨/٣ ب .

(٢٥) قال ابن بكار ، حدثني مبارك الطبري ، قال : سمعت ابا عبد الله محمد بن سلام الجمحي ، سمعت عيسى بن علي يقول « دخلت على ابي العباس في مرضه الذي مات فيه . . » والرواية بطرق التحديث والسماع الاخبار الموفقيات ص ١٩٥ .

(٢٦) مروج الذهب ٢٧٢/٣ - ٢٧٤ .

ولياً للعهد سواء أكان بالوصية أم بالبيعة ، وبقي كذلك إلى أن آلت الخلافة إليه .

أما عبد الله فإنه لم يكن صادقاً في دعواه ، وإنما أراد أن يبرر إعلانه الثورة فالتمس إليها الأسباب ، فلم يجد أفضل من أن يدعي على الخليفة الراحل ، بأنه وعده بالخلافة ليضفي على ثورته الصفة الشرعية .

ووأستطيع أن أقول : بأن عبد الله لم يكن إلا مغامراً سياسياً ، يتنازعه حب السيطرة والإستعلاء المقرون بالإرهاب والبطش ، أما ثورته فلم يكن لها سبب يبررها ، سوى « حبه وطمعه بالخلافة »[٢٧] فكان همه أن ينالها ، بأي ثمن كان ، ضارباً بكل القيم عرض الحائط في سبيل إشباع رغباته ، فسلك أسلوب الغاية تبرر الواسطة ، معتقداً بأن الخلافة سهلة المنال ، وأنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى منه ، لكن أحلامه هذه باءت بالفشل الذريع ، فدفع حياته بعدئذٍ ثمناً لغروره وسوء تصرفه .

٢ ـ الموقف السياسي :

يعتبر عبد الله بن علي[٢٨] شخصية عسكرية بارزة ، لمع نجمه منذ إرساله لمحاربة مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، وانتصاره عليه في معركة الزاب[٢٩] ، وإن لم يكن له دور سياسي يذكر في الدعوة العباسية ، ولم تذكر لنا

---

(٢٧) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٣ . ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، مطبعة دار الجيل ، بيروت/الطبعة الرابعة ١٩٧٢ ، ٦٣/١ .

(٢٨) هو عبد الله بن علي بن العباس الهاشمي العباسي عم الخليفتين ابي العباس وابي جعفر المنصور ولد أواخر ذي الحجة سنة ١٠٣ هـ وأمه بربرية يقال هنادة ويطلق عليه عبد الله الاصغر ويكنى أبا محمد ، انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٥ .

البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣٠ ب .

(٢٩) معركة الزاب الفاصلة وقعت يوم السبت صبيحة احدى عشر خلت من جمادى الاخرة سنة ١٣٢ هـ . انظر ابن خياط : تاريخ ٤٢٧/٢ .

الطبري ٤٣٥/٧ .

المسعودي : مروج الذهب ٣/ ٢٦٠ .

المصادر التاريخية أي نشاط سياسي له فيها .

ويعتبر انتصاره على الجيش الأموي نقطة انطلاق له على المسرح السياسي والعسكري ابان تلك الفترة فسلطت عليه الأضواء وتوجهت إليه الأنظار ، طيلة فترة حكمه لبلاد الشام .

ولا بد لي قبل الخوض في ذكر تفاصيل ثورته أن أبين الظروف والملابسات التي أحاطت بها من خلال المواقف السياسية والعسكرية التي يمثلها كل من الخليفة أبي جعفر المنصور ، وأبي مسلم الخراساني وقائد الثورة عبد الله بن علي ، نظراً لوجود ارتباط زمني وتاريخي يجمع هؤلاء في الفترة التي نحن بصدد البحث فيها .

فالثورة ـ كما هو واضح ـ من مجريات أحداثها شكلت خطراً هدد الوضع القائم آنذاك لكثرة عددها وعدتها . ولكن اذا نظرنا إليها بعمق نجد أن خطورتها الحقيقية تكمن في نفس قيادتها . فقائدها ومفجرها عبد الله بن علي وهو عم الخليفة وكان كما يقول المقدسي « أجلدهم وأشجعهم »[٣٠] فهي من هذا الوجه تمثل أول بادرة انشقاق في البيت العباسي ، له خطورته الفادحة على الدولة ، التي لم يتم بناؤها بعد والأخطار لا زالت محدقة بها ، وزاد في خطورتها أنها أعلنت في الجبهة السورية التي تمثل أقوى جبهة معارضة للحكم الجديد ، فقد كان جلة مؤيدها من أهل الشام « الذين استغلوا تذمر عبد الله بن علي ، فهي ثورة سورية ، ليس في موقعها الجغرافي وولائها فحسب ، بل كذلك في العناصر التي كونتها »[٣١] ومن الخصائص البارزة لهذه المعارضة انها كانت ترحب بأي انشقاق يحدث في البيت العباسي ، قد يؤدي إلى إرجاع السلطات الرئيسية إليها ، وبالتالي استعادة مكانة سورية السابقة ، وقد نبهه الهيثم بن زياد الخزاعي إلى هذه النقطة . فقال له : نشدتك الله أن تهيج الفتنة بين أهل بيتك بزوال النعمة[٣٢] .

---

(٣٠) البدء والتاريخ ٢٧٧/٦ .

(٣١) فاروق عمر : العباسيون الاوائل : مطبعة دار الارشاد ، بيروت ، الطلعة الاولى ١٩٧٠ ، ٨٧/١ و ١٣٩

(٣٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣٤/٣ ب .

ويمكن أن نلمس موقف أهل الشام من الحكم الجديد ، من خلال الحادثة التي وقعت للخليفة المنصور حين قال لرجل منهم ، أحمد الله يا اعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا . فقال : ان الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل، ولايتكم والطاعون[٣٣] وقد انضوى تحت لواء الثورة أيضاً كافة العناصر الناقمة على الحكم العباسي لأي سبب كان فكان لا بد للخليفة أبي جعفر أن يواجه هذه الثورة بكل ثقله وبكافة الإمكانات المتوفرة لديه ، قبل أن يتوسع خطرها ويستفحل أمرها ، لأنه كان يرى أن القضاء عليها مبكراً ، معناه تثبيت لأركان الدولة ، والتهاون في أمرها تضييع للخلافة .

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة جداً ، أغفلها الكثير من الباحثين في هذه الثورة ، وهي أن عبد الله بن علي قد أعلن ثورته والخليفة المنصور لم يتسلم سلطاته الدستورية الفعلية بعد ، لأنه كان وقت إعلان الثورة في طريق مكة بعيداً عن مقر الخلافة ، ومصدر القوة ، ومن هنا تكمن الخطورة الحقيقية للثورة ، ولكن عبد الله لم يستغل هذا الموقف لصالحه وكان يتوقع بعض من كان مع المنصور ، ان يقوم عبد الله بإرسال قوة من جيشه تلقي القبض عليهم وهم في طريق مكة ، وقد عبر إسحق بن مسلم العقيلي الذي حج مع الخليفة صراحة عما يدور في نفسه ، حين استدعاه المنصور ليستشيره في الأمر ، فقال له : ماذا ترى أن نصنع ، فقال إسحق : يا أمير المؤمنين إن كان ابن علي حازماً فسيوجه خيلاً تلقانا في هذه البراري ، فتحول بيننا وبين دار الخلافة ويأخذنا اسراء ، فأقعد على دوابك فإنما هي ليال حتى يقدم الأنبار ، فقال المنصور : فلا حياة به ، والرأي أغذوا السير على حال[٣٤] .

وكان موقف الخليفة وتصميمه على مواصلة السير إلى الأنبار في غاية الصواب ، وكان لولاء البيت العباسي ، المقرون بالطاعة له ، أثر كبير في منع قيام

---

(٣٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/١٢٣ ، انظر : بيلياييف : العرب والاسلام والخلافة العربية ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ ص ٣٩٦ .

(٣٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٩ ب .

اضطرابات في مقر الخلافة مما سهل ضبط الأمور والسيطرة على الوضع فيها ، ويمكن إرجاع هذا الولاء لسابقة أبي جعفر المشهود لها في الدعوة العباسية من ناحية ، ولشخصيته السياسية وكفاءته العسكرية والإدارية من ناحية ثانية . ولولا العهد لأبي العباس المقرون باعتبارات أخرى لقدم المنصور عليه[٣٥] .

وفي مقابل هذا ، نجد أن شخصية عبد الله بن علي متأرجحة وغير مستقرة على نهج سياسي واحد ، فهو من ناحية حكمه للشام اتخذ إجراءات صارمة ، ونفذ مجازر رهيبة ضد أهلها ، فجعله موقفه العدائي هذا شخصية غير مرغوب فيها من أهل الشام على الأقل ، يؤيده قول ابن سراقة له : إن بلاءك عند أهل الشام غير جميل[٣٦] ، ومع هذا فقد اعتمد عليهم في ثورته .

يضاف إلى ذلك أن أهل البيت العباسي كانوا كارهين لعبد الله تولى الأمر يؤيد هذا الرأي الحادثة التي يرويها عيسى بن علي الذي قال : دخلت على أبي العباس في مرضه الذي مات فيه فقال لي : أي عم ، إني قد رأيت أن أعهد ، فقلت : وفق الله أمير المؤمنين . فدعا بدواة ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله . ثم كف عن الكتاب . فقال : فقلت في نفسي : اللهم لا تجعله عبد الله بن علي[٣٧] .

والموقف السياسي الذي اتخذه عيسى بن علي وبعض أفراد البيت العباسي لدليل آخر على صحة ما ذهبت إليه لامتناعهم في بداية الأمر عن الكتابة إلى عبد الله ابن علي ، يعلمونه بوفاة أبي العباس ، وكتبوا إلى صالح بن علي ، وهو بمصر يعرفونه الحادثة في أبي العباس ، وما كان عهد به لأبي جعفر ومبايعتهم له ، واجتماعهم

---

(٣٥) عهد ابراهيم الامام بالخلافة لاخيه أبي العباس من بعده على أن يليه المنصور علما بأن المنصور اسن من اخيه ، ولكن قدم الاخير لان امه عربية وام ابي جعفر بربرية .

(٣٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣٠ ب . وابن سراقة : هو عثمان بن سراقة الازدي .

(٣٧) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٩٦ .

عليه ، وأمروه أن يبايع ويصير إلى الشام فيأخذ البيعة على أخيه عبد الله[٣٨] .

ومن هذا نستدل على أن أهل البيت العباسي كانوا مقتنعين بأن عبد الله بن علي لا يصلح أن يكون رجل دولة ، ولا أهلاً للخلافة ، وقد تحققت مخاوفهم منه ، بإعلانه الثورة على ابن أخيه .

وكان لموقف المنصور الحكيم في تصميمه على المسير إلى الأنبار لتهدئة الثورة ، لكان من المنتظر نجاحها ، ولتغير مجرى الأحداث السياسية وقد أظهرت خطته في إخماد الثورة ـ فيما بعد ـ على تمتعه بدرجة عالية من الذكاء والدهاء ، فأساس الخطة التي سلكها المنصور في هذا المجال ، كانت تقضي ضرب خصومه السياسيين بعضهم ببعض ، فضرب أبا مسلم بعبد الله بن علي ، وهذا بعيسى بن موسى بعدئذٍ ، ولكنه عمد إلى عمه عبد الله أولاً ، لأنه أصبح عنصراً خطراً عليه[٣٩] ، فأصبح التخلص منه ضرورة سياسية ملحة ومستعجلة .

ويدل سير الأحداث أن أبا جعفر لم يكن غافلاً عن نوايا وتطلعات عمه إلى الخلافة ولكنه كان يحجم عن التصريح بما يدور في نفسه حرصاً منه على بقاء واستمرار وحدة البيت العباسي ، ولكن هذا النهج تغير بورود خبر وفاة أبي العباس ، وبالبيعة له ، وهو لا يزال في طريق مكة[٤٠] ، رغم أن الخبر أشبع طموحه السياسي وأقعده على دست الخلافة لكن إمارات القلق وعدم الإستقرار بدت واضحة عليه حتى أن أبا مسلم انتبه إليها فقال له : ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ ولم يجب المنصور على هذا الإستفسار ولكنه أجاب صراحة بأنه يتخوف شر عمه عبد الله وشغبه عليه ، فرد عليه أبو مسلم قائلاً : لا تخفه ! فأنا أكفيك أمره ،

---

(٣٨) اليعقوبي : تاريخ ١٠٤/٣ . انظر : محمد كرد علي : خطط الشام . المطبعة الحديثة ، دمشق ١٣٤٣ هـ ، ١٧٨/١ .

(٣٩) انظر سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، نقله للعربية رياض رأفت ، القاهرة ١٩٣٨ م ص ١٨٥ .

(٤٠) انظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣٠/٣ ب .

إن شاء الله ! إنما عامة جنده ومن معه من أهل خراسان وهم لا يعصوني[٤١] .

وعبارة أبي مسلم الأخيرة تلفت النظر وسواء أكان قصده منها تهدئة أعصاب الخليفة في ذلك الظرف الحرج ، أم غيره ، فإن المنصور بالتأكيد ومن واقع مسؤوليته الجسيمة كخليفة فسرها ـ بمفهومه الخاص ، وأدرك خطورتها البالغة عليه ، فعمد جاهداً على تجريد أبي مسلم من كافة سلطاته ، وهذا ما دلت عليه الأحداث فيما بعد .

أما موقف أبي مسلم ، فإنه وإن كان قد تعهد للخليفة بأنه سيكفيه أمر عبد الله ظاهراً ، إلا أن موقفه الحقيقي بدا واضحاً بقدومه الأنبار غرة محرم سنة **١٣٧** هـ ، حين استدعاه الخليفة وأخبره بتوجه عبد الله بجيشه يريد العراق، وقال له: ليس لعبد الله غيري وغيرك، كره أبو مسلم ذلك، وقال: يا أمير المؤمنين، ان امر عبد الله بالشام أقل وأذل ، وأمر خراسان يجل خطبه ، ثم انصرف أبو مسلم إلى منزله ، وقال لكاتبه : ما أنا وهذان الرجلان . ثم قال : ما الرأي إلا أن أمضي إلى خراسان وأخلي بين هذين الكبشين فأيهما غلب ، كتب إلينا ، وكتبنا إليه سمعنا وأطعنا ، فرأى أنا قد أنعمنا وعملنا له عملاً . فقال له كاتبه : أعيذك بالله من أن تمكن أهل خراسان من الطعن عليك وأن يروا أنك نقضت أمراً بعد تأكيده[٤٢] ، ومن هذا يتضح لنا أن أبا مسلم أراد التنصل من وعده السابق للخليفة ، وهذا واضح من المحاورة التي جرت بينه وبين كاتبه ونلمس من ذلك أنه أراد أن يتخذ نفس موقف المنصور ، بأن يضربه بعمه ، ويبقى هو ينتظر نتيجة ما ستؤول إليه الأمور ، لكن الخليفة لم يقتنع بما أبداه أبو مسلم ، بأن أمر خراسان يجل خطبه ، وأصر أن يتولى قيادة الجيش المتجه إلى الشام ليقمع الثورة قبل استفحالها ، وأخيراً وتحت إلحاح الخليفة القوي وإصراره ، رضخ أبو مسلم لطلب المنصور ، ووافق على التوجه إلى الشام ، كحل يبتعد فيه عن نفوذ الخليفة .

---

(٤١) الطبري ٤٧٢/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦١/٥ . مؤلف مجهول : العيون ، والحدائق ٢١٥/٢ .
(٤٢) اليعقوبي : تاريخ ١٠٥/٣ .

أما موقف عبد الله قائد الثورة فإنه كان معسكراً بدلوك[٤٣] ، يريد غزو الروم[٤٤] ، إذ أتاه كتاب من عيسى بن موسى ، يعلمه فيه بوفاة أبي العباس ، وتوليته عهده لأخيه أبي جعفر ، وعيسى بن موسى بعده ، وطلب منه أن يبايع لأبي جعفر[٤٥] ، وأرسل الكتاب مع وفد مهمته أخذ البيعة على عبد الله ومن معه من القادة العسكريين والجند ، وكان الوفد مكوناً من أبي غسان يزيد بن زياد ، حاجب أبي العباس ومولاه ، والهيثم بن زياد الخزاعي[٤٦] .

فلما قرأ عبد الله الكتاب ، قال : إن أمير المؤمنين ندب الناس إلى مروان فتثاقلوا عنه فقال : من انتدب له من أهل بيتي فهو الخليفة بعدي ، فانتدبت له « فصدقه أبو غسان ، وسلم عليه بالخلافة . أما الهيثم فإنه لم يقتنع بما أورده عبد الله عن لسان أبي العباس ، وامتنع عن بيعته ، وقال له محذراً « نشدتك الله أن تهيج الفتنة ، وتعرض نفسك وأهل بيتك الهلكة . . . وإني أشهد أن أبا العباس ولى الخلافة أبا جعفر » ، فاستشاط عبد الله غيظاً من كلامه ، وخشي أن يتسرب كلام الهيثم إلى صفوف جيشه ، فيحدث بلبلة قد تؤدي إلى انقسامات خطيرة فيه ، فقرر أن يتخلص منه فأمر به فوراً فضربت عنقه .

وأخذ موقف عبد الله يتبلور بعد هذه الحادثة وأراد أن يتعرف على آراء المقربين له ، قبل أن يخطو الخطوة التالية ، فبدأ بسلسلة من الإستشارات السياسية فاستشار زفر بن عاصم الهلالي ، الذي قال له : إنكم أهل البيت لم تطمعوا في بني أمية حتى اختلفوا . فأنا أحذرك الإختلاف ، فإن اجتمع أمرك وأمر من بالأنبار عزتم ، وان اختلفتم فهي الفتنة[٤٧] ، فلم يلتفت إلى كلامه ، وأرسل إلى الحكم بن ضبعان

---

(٤٣) دلوك : بليدة في نواحي حلب ، بالعواصم ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ٦٨/٤ .

(٤٤) الطبري : ٤٧٣/٧ . الازدي : تاريخ الموصل ١٥٩/٢ . ابن العديم : زبدة الحلب في تارخ حلب ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١ ، ٥٧/١ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٢/٤ .

(٤٥) البسوي : المعرفة والتاريخ ١١٨/١ . وكان أبو جعفر في هذه الاثناء لا يزال في طريق مكة منصرفا من الحج .

(٤٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣/ ٣٠ ب .

(٤٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣٠ ب .

الجذامي وبكار بن مسلم العقيلي وعمر بن سراقة بن عبد الأعلى الأزدي ، فقال لهم : أن أبا العباس وجهني إلى مروان ، على أن لي الأمر بعده ، فأيده بكار ، وقال له : أنا سهمك أما ابن ضبعان فقال له : إن كان عهد إليك وعقد لك عند وفاته فقد كفيت ، والا فلست من الأمر على ثقة . وقال له ابن سراقة : إن بلاءك عند أهل الشام غير جميل ، فلن ينفعك إلا مِثلي ممن لك عنده بلاء حسن وأيادي متظاهرة[٤٨]

ومن هنا نلاحظ أن بعض أهل الشام ومن المقربين له قد حذروه من الفتنة ، وشق عصا الطاعة على الخليفة ، لكنه لم يعبأ بما أبدوه من وجهات نظر ، واستمر في استطلاع رأي الآخرين ، فدعا بأخ له من الرضاع يقال له زيد ، فقال له : ويحك يا زيد إن الخليفة أبا العباس قد مضى لسبيله ، وقد بايع الناس أبا جعفر ، فما الذي عندك ؟ فقال له : إنك لأحق الناس بهذا الأمر لأنك عم ، والعم والد[٤٩] .

ويذكر صاحب مخطوط غرر السير[٥٠] : ان الذي أشار عليه بهذا الرأي هو يزيد بن زياد . ولكني لم أعثر على مقالة يزيد حاجب أبي العباس ومولاه هذه ، ثم ان موقف يزيد بن زياد تقدم ذكره ، ويستبعد أن يكون عبد الله قد استشاره مرتين في نفس الموضوع والوهم قد يكون حاصلاً من التشابه بين الإسمين ، وعليه فالراجح عندي هو قول زيد .

ومع هذا ، فإن عبد الله لم يحتج لتبرير ثورته بأنه عم وانه أحق بها من المنصور ، وإنما احتج بالعهد الذي أعطاه له أبو العباس في حياته ـ حسب قوله ـ فعزم على ادعاء الخلافة[٥١] .

---

(٤٨) المصدر السابق .

(٤٩) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٥٠) مؤلف مجهول (من القرن الرابع الهجري) مخطوط مكتبة بودليان (اكسفورد) رقم ٥٤٢ ورقة ١٦١آ .

(٥١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣٠ ب . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٣ . ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ١/ ٥٧ .

اعلان الثورة :

بعد ان انتهى عبد الله من جميع مشاوراته السياسية ، استقر رأيه النهائي على اعلان الثورة ، فأمر مناديا ، فنادى : الصلاة جامعة . وكان هذا النداء بمثابة النفير العام للجيش ، فاجتمع اليه القواد العسكريين والجند ، فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العباس ، ودعا أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، وخفاف بن منصور المازني المروروذي ونصير بن المختفر المزني ، وحياش بن حبيب الطائي ، في عدة من قواد اهل خراسان ، فقال لهم : ان ابا العباس وجهني الى مروان على ان لي الامر بعده : فقاموا فسلموا عليه بالخلافة[٥٢] ، وأرسل الى وجوه قواده وحشمه وخاصته واهل بيته ، فقال لهم : انكم علمتم ان أبا العباس أمير المؤمنين وجهني الى مروان بن محمد ، فقتلته ، وانتزعته من هذا الامر ، ومن جميع بني أمية ، وقد كان أمير المؤمنين أبو العباس جعل لي هذا الامر من بعده ، لاني عمه ووارثه ، وأنا مستحق لهذا الامر دون غيري ، غير أني أحببت أن آخذ رأيكم فهاتوا ما عندكم من الرأي ، فقاموا اليه فبايعوه[٥٣] ، وبايعه كل من ابي غانم عبد الحميد بن ربعي ، وخفاف المروروذي ، ومخارق بن غفار ، وترارخدا وغيرهم[٥٤] ، وبايعه اكثر اهل الشام[٥٥] ، ودعى له بالخلافة على منابرها[٥٦] .

إن تأييد أهل الشام لعبد الله ، لم يكن صادقاً بأي حال من الأحوال ، ولكن وجود المصلحة فيه ، هي التي فرضته ، ويمكن القول بأن المصلحة كانت مشتركة بين

---

(٥٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٠ ب . الطبري ٧/٤٧٤ . الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٦٣ . المقدسي : البدء والتاريخ ٦/٧٦ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/ حوادث ١٣٧ هـ .

(٥٣) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ . انظر الذهبي : العبر في خبر من غبر . تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة الكويت ١٩٦٠ م ، ١/١٨٥ .

(٥٤) الطبري : ٧/٤٧٤ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٣٦ . ابن الاثير : الكامل ٥/٤٦٤ الحلبي : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، المطبعة العلمية حلب الطبعة الاولى ١٩٢٣ م ، ١/١٣٧ .

(٥٥) اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٤ .

(٥٦) ابن اعثم : مخطوط الفتوج جـ ٢ .

الطرفين بالنسبة لأهل الشام فإن تأييدهم كان لا حباً بعبد الله وإنما حباً بأي انقسام يحدث في البيت العباسي ، وهو بلا شك في صالحهم وربما أدى هذا الإنقسام في النهاية إلى إرجاع مكانة سوريا التي فقدتها .

أما بالنسبة لعبد الله بن علي ، فكان همه الخلافة ، فوجد في أهل الشام ضالته ، فجعل جل اعتماده عليهم ، ليمكنه تحقيق مآربه ، باعتبارهم يشكلون جبهة معارضة قوية ضد النظام الجديد ، وبذلك نسي أو تناسى هدفهم الحقيقي من هذا التأييد ، وبهذا أراد كل طرف منهما أن ينال هدفه بالآخر .

ولما أطمأن عبد الله إلى مبايعة قادة وجند خراسان وأهل الشام والجزيرة وضمن تأييدهم أعلن ثورته وتحرك بجيشه نحو قنسرين فنزلها(٥٧) ، واتخذ عدة إجراءات إدارية وعسكرية مهمة ، فعين زفر بن عاصم الهلالي على قنسرين ، وعثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي على دمشق ، والحكم بن ضبعان على فلسطين(٥٨) ، واتخذ أبا القاسم يوسف بن القاسم كاتباً له(٥٩) .

وبعد أن انتهى عبد الله من إجراءاته «دعا جند خراسان فألحقهم في الثمانين - أي جعل راتب كل واحد منهم ثمانين درهما في الشهر - وجعل لهم الخواص ، وأعطى جنده الأرزاق(٦٠) ، ليستميل قلوبهم بالمال ، ويضمن استمرار ولائهم له ، وهذا أول إجراء مالي يقدم عليه عبد الله .

---

(٥٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٢ وقنسرين : احدى الولايات التي يتكون منها اقليم الشام . انظر يوجينا : تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها ، طبعة بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٦ م ص ١٩٦ .

(٥٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣ / ٣١ أ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٦/١ .

(٥٩) الصولي : كتاب الاوراق عني بنشره ج . هيورثون ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٣٤ م ، ١٤٧/١ - ١٥٠ .

(٦٠) البسوي : المعرفة والتاريخ ١١٩/٢ . مؤلف مجهول : مخطوط غرر السير ورقة ١٦١أ ويذكر البلاذري : أن أبا العباس كان قد حط الارزاق الى ستين فصيرها عبد الله في جنده ثمانين . مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

لقد أراد عبد الله بعد ذلك أن يوسع دائرة ثورته ، بضم أنصار جدد إليها ويضفي عليها صفة العموم ، فكتب أولاً إلى عيسى بن علي وغيره يعلمهم مبايعة من قبله من القواد وأهل الشام له[٦١]، وكتب الى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية وإلى مالك بن الهيثم وهو باذربيجان ، وإلى محمد بن صول وهو يومئذٍ مقيم في خمسة آلاف بشمشاد[٦٢] ، يدعوهم إلى بيعته فأبوا عليه[٦٣] ، فتركهم وشأنهم ، وتوجه بجيشه يريد العراق[٦٤] ، ولكن الطريق إليها لم يكن ميسوراً لوجود بعض القوات العباسية التي تعترض طريقه ، فكان لا بد له من القضاء عليها ، ليضمن سلامة مسيره ، فقصد حران وكان فيها مقاتل بن حكيم العكي ، في أربعة آلاف[٦٥] ، فطلب عبد الله منه أن يعلن بيعته له ، فأبى ، فضرب عبد الله عليه الحصار ، واستمر في حصاره للبلد مدة أربعين يوماً[٦٦] . دون أن يتمكن من فتحه .

لقد فوت عبد الله على نفسه بحصاره حران أربعين يوماً دون نتيجة فرصة نادرة لا تعوض ، لعدم استغلاله عامل الزمن الذي يعتبر من أهم العناصر في تاريخ الحروب ، وبموجبه تحدد اللحظة الحاسمة لشن الحرب .

لكن عبد الله لم يحسب لهذا العامل حساباً، فبحصاره للعكي اربعين يوما، اعطى الفرصة للمنصور لان يجمع قواته ويرتبها ، ويستعد استعدادا تاما لمواجهة الثورة ، ولو سار عبد الله الى الكوفة أو الانبار ، تاركا قوة من جيشه ضاربة الحصار على العكي لقدر للثورة النجاح ، ولضرب ضربته في الوقت المناسب ، قبل استعداد الخليفة .

---

(٦١) اليعقوبي : تاريخ ١٠٤/٣ .

(٦٢) شمشاد او شمشاط : بلدة بالثغور الجزرية بين آمد وبين خرت برت ، وتبعد عن آمد سبعة فراسخ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٦ .

(٦٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(٦٤) البسوي : المعرفة والتاريخ ١١٩/١ . اليعقوبي : ١٠٥/٣ .

(٦٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣أ .

(٦٦) ابن خياط : تاريخ ٢٦٤/٢ . البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الطبري ٤٧٥/٧ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٣١/٤ هـ - الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٧/١ .

٤ ـ اجراءات المنصور تجاه الثورة :

لقد وصلت أنباء الثورة للمنصور ، وهو لا يزال في طريق مكة منصرفا من الحج يريد العراق ،فاسرع في المسير ، فوصل الحيرة [٦٧] في غرة محرم سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ، ومنها توجه الى الكوفة فوجد عيسى بن موسى قد شخص الى الأنبار ، فصلى المنصور بأهلها الجمعة ، وخطبهم واعلمهم أنه راحل عنهم فاستخلف عليها طلحة بن اسحق بن الأشعث[٦٨] وسار حتى قدم الانبار ، فاستقبله عيسى بن موسى ، وسلم اليه مقاليد الامور ، وبيوت الاموال والخزائن ، والدواوين التي احرزها ، وبايعه الناس بالخلافة ،ولعيسى بن موسى بعده وأخذت البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام[٦٩] ، الثائر فيها عبد الله ين علي ، الذي تمكن من السيطرة على حلب وقنسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام[٧٠] .

ولما وصلت أخبار عبد الله مفصلة الى المنصور ، هاله الخبر[٧١] ، واقامه وأقعده[٧٢] وتبين مقدار الخطورة الحقيقية للثورة ، ومن أجل معالجة امرها بحكمة احتفظ بهدوئه واستبعد من حسابه كل عمل عشوائي من شأنه أن يزيد الموقف تأزما ، فبادر الى ارسال عدة كتب الى عمه ، يدل مضمونها على أن المنصور اراد منها صرف عزم عمه عن التمادي في الثورة فكتب اليه « لا تجعل للايام في وفيك نصيبا من حوادثها » ثم كتب اليه « ادفع بالتي هي أحسن السيئة الى قوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ، فأجعل الحظ لك دوني يكن لك كله »[٧٣] ، وما لم يتلق المنصور ردا

---

(٦٧) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة . ياقوت : معجم البلدان ٣٧٦/٣ .

(٦٨) البسوي : المعرفة والتاريخ ١١٩/١ . اليعقوبي : تاريخ ١٠٥/٣ . الطبري : ٤٧٤/٧ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٧ هـ .

(٦٩) اليعقوبي : تاريخ ١٠٥/٣ . الطبري : ٤٧٤/٧ . ابن بطريق : كتاب التاريخ المجموع ٤٨/٢ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨هـ .

(٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ٥٧/١ وانظر ياسين العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص ١٢٥ .

(٧١) المقدسي : البداء والتاريخ ٧٧/٦ .

(٧٢) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٣ .

(٧٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٨٧/٢ . انظر سورة فصلت ، آية ٢٤ ـ ٢٥ .

على كتابيه السابقين ، كتب اليه :

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها ولـلدهــر أيــام لهن عــواقــب(٧٤)

وهذا الكتاب بمثابة انذار بوقوع حرب ، والاحتكام إلى السيف .

لقد لجأ الخليفة بعد هذا الكتاب الحاسم الى اتخاذ تدابير سريعة وحاسمة ، لقمع الثورة في مهدها. وكانت خطته كما تبدو لي تشمل ثلاثة امور عسكرية مهمة هي :

أولا : عدم اقامته في الأنبار فترة طويلة عند سماعه بخبر الثورة فاقتصر اقامته على جمعة واحدة ، خرج بعدها وعسكر بدير الجاثليق على دجلة(٧٥) . ان ابتعاد المنصور بعسكره عن الأهلين والاطفال والشيوخ الموجودين في المدينة ، يعتبر خطوة عسكرية مهمة ، لان هؤلاء كثيرا ما يلهون بالجيش عند وقوع الحرب ، ويعوقونه عن أداء واجباته القتالية بشكل جيد ، فخروج المنصور بجيشه خارج مدينة الانبار وهو بكامل عدته وعدده ، جعله هذا الاجراء مؤهلا ومهيئا تماما لملاقاة خصمه في ساحة القتال ، اختارها بنفسه وعرف مسالكها اكثر من خصمه ، وهذه ميزة تساعده على الاشراف الفعلي والكلي على قواته ، وتعطيه حرية التحرك بأي اتجاه عند الضرورة وتمكنه من ادارة دفة الحرب بصورة صحيحة ، وتسهل له تغيير خططه الحربية حسب مجريات المعركة وما يستجد فيها من أمور تقضي بذلك ، وتيسر وصول أوامره الى وحداته القتالية في جبهات القتال دون اعاقة ، ومن هذا نلمس أن المنصور استغل عامل الزمن استغلالا بارعا لصالحه وفي رأي أن هذا الاجراء هو أولى الخطوات التي تساعد على النصر .

ثانيا : ما قام به أجراءات عسكرية مهمة وسريعة ، نفذها فورا ، تحاشيا لأي هجوم

---

(٧٤) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٢/٣ . الشهابي : كتاب غرر الحسان في تواريخ اهل الزمان ، مصر سنة ١٩٠٠ م ، ١٠١/١ .

(٧٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

مفاجىء قد يشنه عبد الله على مقر الخلافة ، فعين عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي على شرطته ، وعزل جهور بن مرار العجلي عنها ، ووجهه بقوة عسكرية الى قرقيسيا ، ووجه عيسى بن عقيل بقوة مماثلة الى هيت(٧٦) ، للتصدي الى عبد الله أن هو فكر في السير الى العراق ، ووجه عبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي الى بلد(٧٧) وقال له : أن بلغك ان ابن علي انهزم فلا تبرح مكانك ولا تخل بمركزك ، ووجه قائدا الى تكريت(٧٨) ، وكتب الى موسى بن كعب : ان استخلف ابنك عيينه وأقدم ، وقد امرت لك بخمس مائة الف درهم فاقبضها ، وكتب الى الحسن بن قحطبة وهو بارمينية فقدم(٧٩) .

ان التدابير التي اقدم عليها المنصور كانت في غاية الروعة وحسن التدبير فهو بذلك يكون قد اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة لمواجهة اي احتمال قد يقع في المستقبل ، وسد الطريق على عبد الله أن هو اتجه الى العراق بقواته .

ثالثا : حسن اختياره للرجل المناسب في الوقت المناسب ، فقد أمعن النظر فيمن حوله من القادة العسكريين ، ليوليه امر عبد الله ، وبعد دراسته للموقف العسكري من جميع جوانبه ، وقع اختياره على ابي مسلم الخراساني .

وأرى أن المنصور كان موفقا جدا في هذا الاختيار ، لثلاثة اسباب :

أولها : انه اراد ابعاد ابي مسلم عن خراسان ، مركز قوته ، لان الاخير كان ينوي السفر اليها .

---

(٧٦) هيت : بلدة على الفرات فوق الانبار : ياقوت : معجم البلدان ٤٨٦/٨ . وهي الآن قضاء تابع لمحافظة الانبار في العراق .

(٧٧) بلد : مدينة على دجلة فوق الموصل . ياقوت : معجم البلدان ٢٦٥/٢ . وتبعد ستة فراسخ عن الموصل . ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٨٤ .

(٧٨) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل غربي دجلة : ياقوت : معجم البلدان ٣٩٩/٢ واصبحت حسب قرار مجلس قيادة الثورة في العراق الصادر سنة ١٩٧٦ ، مركز محافظة يحمل اسمها .

(٧٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

ثانيها : وجود عددكبير من الخراسانيين في جيش عبد الله ، فارسال ابي مسلم لمحاربته سيحول على الاقل في عدم اخلاص هؤلاء لابن علي، ان لم أقل انحيازهم لجانب الجيش العباسي .

ثالثها : أن ارسال ابي مسلم يعتبر بحد ذاته كسبا للخليفة ، فأيهما قتل صاحبه ، سواء أكان عبد الله أم أبو مسلم ، فهو في صالحه يؤ يد وجهة النظر هذه قول أبي أيوب المورياني وزير المنصور « نحن لأبي مسلم اشد تهمة منا لعبد الله بن علي الا أننا نرجو واحدة »[٨٠] وقد كشفت الحوادث فيها بعد صحة ذلك ، فما ان انتصر أبو مسلم على عبد الله ، حتى دارت الدائرة عليه .

استدعى المنصور ابا مسلم الخراساني ، وشاوره في الامر ، وابدى له رغبته بتولي قيادة الجيش المزمع ارساله لقمع ثورة عبد الله ، ويظهر أن أبا مسلم لم يكن راغبا في زج نفسه بالخصام بين الخليفة وعمه ، فكشف عن رغبته هذه حين قال لأبي جعفر : يا أمير المؤمنين ان أمر عبد الله بالشام أقل واذل وأمر خراسان يجل خطبه[٨١] ، يريد بذلك اعفائه من المهمة لكن المنصور لم يلتفت الى كلامه واصر على موقفه السابق ، عندها لجأ ابو مسلم الى اسلوب المراوغة لعلها تجدي نفعا في اقالته . فقال للخليفة : يا أمير المؤمنين ان لي حاجة فأن رأى أمير المؤمنين أكلمه فيها ، فقال المنصور : قل ما بدا لك . فقال : يدفع الى امير المؤمنين عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم وخالد بن برمك حتى اقتلهم ، ففي قتلهم صلاح امير المؤمنين . فغضب المنصور من ذلك ، وقال : ادفع اليك شرطتي وشرطة أخي وصاحب خراجي وخراج اخي ، فتقتلهم ، فاذا فعلت ذلك ، فما يكون عذري غدا ؟ وماذا يقول الناس ؟ وشعر ابو مسلم بخطئه وبغضب المنصور من قوله ! فجعل يترضاه الى ان رضي عنه[٨٢] . وفي رواية أخرى ، أنه طلب من الخليفة

---

(٨٠) الطبري : ٤٨١/٧ .

(٨١) اليعقوبي : تاريخ ١٠٥/٣ .

(٨٢) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢

حبس عبد الجبار الازدي وصالح بن الهيثم ، بحجة انهما يعيبانه ، فرفض المنصور طلبه ، فقال له أبو مسلم : اراهما آثر عندك مني[٨٣] . ولعل أبا مسلم اراد من ذلك احراج الخليفة لاعفائه من تكليفه له . أو الاستجابة الى طلبه بقتل هؤلاء ، فيخلو له الجو ، بالتخلص من العناصر الملتفة حول المنصور ، ويفعل ما يريد ، والا فما هو المبرر لقتلهم ؟

ومن جراء هذه المناقشات بدأ الوضع يتأزم بين الطرفين ، فرأى ابو مسلم أن موقفه هذا سيعرضه للخطر ، ان هو تمادى فيه ، فاراد حسم الموضوع ، واقترح على الخليفة ثلاثة حلول . فقال : ان شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك . وان شئت اتيت خراسان ، فأمددتك بالجنود . وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن محمد[٨٤] . فوجد المنصور ان الفرصة مناسبة جدا لانهاء المناقشة وحسمها . فقال له « ايها الرجل انما هو أنا أو أنت ، فاما أن تسير الى الشام فتصلح أمرها أو أسير أنا »[٨٥] .

وبذلك وضع ابا مسلم في امرين لا ثالث لهما . فلم يترك له مجالا الا الموافقة على المسير الى الشام لاخماد ثورة عبد الله . ويظهر أن أبا مسلم ، قد اقتنع اخيرا بذلك ، باعتباره الطريقة الوحيدة ليبتعد بها عن الخليفة ونفوذه[٨٦] .

وجهز المنصور بعد موافقة أبي مسلم ، جيشا صرف عليه من ١٢ ـ ١٨ مليون درهم[٨٧] ، وزاد من مرتبات الجيش ، وجعل مرتب كل واحد من افراده ثمانين

---

(٨٣) الطبري : ٧/ ٤٨٠ .

(٨٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣١ أ . ابن الاثير : الكامل ٥/ ٤٦٤ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/ ١٦٢ .

(٨٥) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٥٨ . العيني : مخطوط عيد الجمان ٧/ ١٦٢ انظر اليعقوبي : تاريخ ٣/ ١٠٥ .

(٨٦) انظر : فاروق عمر : طبعة الدعوة العباسية مطبعة دار الارشاد بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٠ م ص ١٣٩ .

(٨٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣١ أ .

درهما بعد أن كانت ستين[88] . أما عدد الجيش فقد ورد فيه ثلاث روايات .

أولها : أنه بلغ اربعة آلاف مقاتل[89] .

ثانيها : انه بلغ ١٢ الفا من ابطال جنود خراسان[90] .

ثالثها : أن تعداده كان ٤٠ ألفا[91] .

والأقرب الى الصواب الرواية الثانية التي ذكرت « ان تعداد الجيش بلغ ١٢ ألفا من ابطال جنود خراسان » لأنها اقرب الى الصحة ، اذ يستبعد أن يوجه الخليفة اربعة آلاف جندي ، وهي قوة قليلة لمواجهة ثورة عمه التي أيدها اغلب اهل الشام .

أما الرواية الثالثة التي ذكرت « أن تعداد الجيش كان ٤٠ ألفا » فتظهر عليها المبالغة لأنها لا تتفق مع ما جاء في الرواية نفسها (من أن جيش عبد الله بلغ ٥٠ ألف مقاتل)[92] ، لان عبد الله اقدم على قتل ١٧ ألف من الخراسانيين الموجودين في صفوف جيشه ومع هذا بقي أكثر فرساناوأكمل عدة »[93] ، فتكون قوات عبد الله التي اشتركت فعلا في المعركة بعد هذه الحادثة ٣٣ ألف مقاتل ، وهي أكثر من القوات العباسية ـ ١٢ الف مقاتل ـ بالعدد والعدة .

٥ ـ مسير أبي مسلم لمحاربة عبد الله :

وبعد أن استعد الجيش تأهب ابو مسلم في المسير وتوجه بقواته يريد الشام ولم

---

(٨٨) ذكر البلاذري : ان أبا العباس كان قد حط الارزاق سنة ١٣٥ هـ الى ستين . مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

(٨٩) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢١٧/٣ .

(٩٠) الدينوري : الاخبار الطوال ٣٥٨ .

(٩١) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٩٢) المصدر السابق .

(٩٣) الطبري : ٤٧٧/٧ . ابن الاثير : الكامل : ٤٦٦/٥ . الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٩/١ .

يتخلف عنه من القواد أحد[٩٤] ، فجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي[٩٥] .

أما عبد الله فانه في هذه الاثناء كان لا يزال محاصرا حران ، فلما سمع بتوجه أبي مسلم اليه ، شدد الحصار على البلد ونصب المجانيق عليه ، فطلب العكي الصلح كحل وسط ، ولقي هذا الاقتراح قبولا عند عبد الله لانه وجد فيه خدمة لمصالحه ، بعد أن عجز عن اقتحام البلد ، ولاحظ أنه ان استمر الموقف على ما هو عليه فسيجد نفسه محاصرا بين القوات العباسية الموجودة داخل المدينة وبين القوات الزاحفة بقيادة أبي مسلم ، لهذا اسرع باعطاء الامان للعكي ، ودخل بقواته حران في صفر سنة ١٣٧ هـ ، سنة ٧٥٤ م[٩٦] بدون قتال . فسهل له هذا الاجراء ترتيب قواته واتخاذ بعض التدابير العسكرية ، فعين منصور بن جعونة بن الحرث على شرطته ، واستعمل أخاه عبد الصمد بن علي على الجزيرة وجعله ولي عهده[٩٧] .

ومن الاخطاء الفادحة التي وقع فيها عبد الله غدره بمقاتل العكي فارسله وابنيه الى عثمان بن عبد الاعلى بن سرافة الازدي وهو على الرقة يومئذ ، وزوده بكتاب يأمر عثمان فيه بقتلهم ، فلما ورد عليه قتله ، وحبس ابنيه ، فلما بلغه هزيمة عبد الله أخرجهما وضرب اعناقهما[٩٨] .

أما الخطأ الجسيم الذي ارتكبه عبد الله فكان في حق أكبر قواده البارزين حميد ابن قحطبة ، الذي « كان الغالب على امر عبد الله »[٩٩] ، فقد ساورته الشكوك فيه ، وأراد التخلص منه ، لكنه خشي أن هو قتله في معسكره ، فربما قتله سيحدث

---

(٩٤) الطبري ٤٧٥/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٥/٥ .

(٩٥) ابن خياط : تاريخ ٤٦٤/٢ . الطبري ٤٧٥/٧ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ .

(٩٦) الازدي : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ .

(٩٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(٩٨) الطبري : ٤٧٥/٧ . الازدي : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(٩٩) اليعقوبي : تاريخ ١٠٥/٣ .

ضجة بين صفوف جيشه خاصة الخراسانيين منهم . فأبدى له رغبته بتوليته قنسرين وعزل زفر بن عاصم عنها وكتب اليه كتابا موجها الى زفر ، وهو يومئذ بحلب ، يقول له فيه « اذا ورد عليك حميد فاقتله ومن معه »(١٠٠) ، فسار حميد حتى اذا كان ببعض الطريق ارتاب في الكتاب ، وقال : ان ذهابي بكتاب ولا اعلم ما فيه لغرر ، ففك الطومار وعرف ما فيه(١٠١) ، فغير اتجاه سيره ، وقصد العراق بمن معه حتى قدم على المنصور فأمره أن يلحق بأبي مسلم ففعل(١٠٢) .

وبذلك خسر عبد الله قائدا قديرا محنكا مطلعا على خططه ونقاط قوته وضعفه ومما لا شك فيه أن التحاق حميد بصفوف القوات العباسية يعتبر كسبا عسكريا لها .

واصل أبو مسلم زحفه بقواته فاتى الموصل وفي اثناء ذلك قدم عليه الحسن بن قحطبة من أرمينية حسب طلب الخليفة ومعه الف مقاتل فانضم الى صفوف جيشه(١٠٣) . فتلقاهم عبد الصمد بن علي بجيشه بالموصل ، وكان واليا على الجزيرة من قبل أخيه فدارت بين الطرفين معركة تعتبر اول لقاء عسكري بين الاطراف المتنازعة فكان أول قتيل فيها أبو غالب كاتب عبد الله بن علي(١٠٤) ، وانتهت المعركة بهزيمة عبد الصمد وانسحابه الى أخيه الذي انسحب هو بدوره من حران الى نصيبين(١٠٥) ، عند سماعه بقدوم أبي مسلم .

---

(١٠٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الطبري ٤٧٥/٧ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ .

(١٠١) الطبري : ٤٧٦/٧ . الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٨/١ . ابن العديم : زبدة الحلب ٥٨/١ .

(١٠٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الازدي : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ .

(١٠٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ الطبري ٤٧٦/٧ .

الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٨/١ .

(١٠٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٣ .

(١٠٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الازدي : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ المسعودي : مروج الذهب ٣٠٢/٣ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٥/٥ .

نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من موصل الى الشام وبينها وبين سنجار تسعة فراسخ . عبد المؤمن : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٩٥٥ م . ٣٧٤/٣ وانظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩٥ ، القزويني : اثار البلاد ص ٤٦٧ .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ابا جعفر المنصور اقدم على محاولة لاغتيال عمه وهو في حران ، حين كتب الى محمد بن صول وعو على ارذبيجان ، يأمره بالتوجه الى عمه لاغتياله أن أمكنه ذلك ، فسار ابن صول حتى قدم على عبد الله ، وقال له : أني كنت قد سمعت ابا العباس قبل وفاته يقول : ان الخليفة بعدي عبد الله بن علي . فقال له عبد الله كذبت . انما دسك أبو جعفر وارسلك الي . وفي هذه الاثناء وصل كتاب من بعض عيون عبد الله في معسكر المنصور جاء فيه : صل بان صول قبل أن يصول بك . فتنبه عبد الله لما يراد به ، فقدم ابن صول وضرب عنقه[106] ، وبذلك منيت المحاولة بالفشل .

وبعد أن وصل عبد الله الى نصيبين ، اتخذها قاعدة عسكرية لقواته ، فبدأ بتحصينها ، فحفر خندقاً من جبلها الى نهرها ، وجعل فيه ما يحتاج اليه من العدة والآلة ، ونصب المجانيق ، وسد الطريق على من يقصده من العراق ، وجعل الخصب والقرى وراءه[107] ، واستعد للحرب .

أما أبو مسلم فانه قصده بقواته ، فاشار عليه هشام بن عمرو التغلبي ، أن يعسكر دون نصيبين لئلا يكون بينه وبين المنصور عدو . فقال ابو مسلم : ليس هذا بشيء[108] ، ونزل بازاء العدو ، وشرع بدراسة المنطقة عسكريا ، فرأى ما فعله عبد الله من تحصينات عسكرية كبيرة ، فضلا عن تمتع المنطقة التي استولى عليها بامتيازات حربية جيدة ، وهذا مما زاد من قوة مركزه . يضاف الى ذلك ، تفوق جيشه في العدد والعدة[109] وبعد أن انتهى ابو مسلم من دراسة الموقف العسكري جيدا ، وجد أنه من المستحيل مهاجمة عبد الله وهو بهذه الدرجة من المناعة والقوة ،

---

(١٠٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الازدري : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ ابن الاثير : الكامل ٤٦٥/٥ .

(١٠٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . المقدسي : البدء والتاريخ ٧٧/٦ الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٩/١ .

(١٠٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

(١٠٩) الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ . انظر : الطبري : ٤٧٧/٧ .

وأنه لا بد له أن يسلك طريق الخدعة والمراوغة ليتمكن من القضاء على جيش عبد الله .

ولا يفوتني ذكر حادثة مهمة وقعت قبل المعركة وكان لها اثر في اضعاف قوة جيش عبد الله ، فقد شك في اخلاص الخراسانيين الذين معه ، وخشي الا يناصحوه وقت المعركة ، فأمر حياش بن حبيب صاحب شرطته بقتلهم ، فقتل منهم سبعة عشر ألفا[110] .

ويهمنا من الحادثة أن المؤرخين لم يذكروا سببا معقولا لهذه الجريمة . لذلك يبقى السؤال يطرح نفسه بالحاح . لماذا أقدم عبد الله على هذه الخطوة ؟ وهل لمجرد شكه بهم وهم عصبة جنده آنذاك أقدم على قتلهم ؟ أم هناك سبب آخر غير هذا ؟

وللجواب على ذلك ، أقول لا بد وأن هناك سببا قويا ، غير الذي ذكره المؤرخون من أن عبد الله خشي الا يناصحه هؤلاء وقت المعركة فقتلهم ، لأن هذا السبب لا يمكن اعتباره كافيا ، يدفع عبد الله لارتكاب هذه الجريمة البشعة ، ضد اناس لم يظهر منهم جرم أو مخالفة بعد ، وأن الشك لا يقوى أن يكون دليلا قاطعا على عدم مناصحتهم له وقت المعركة . فاذا انتقض هذا السبب من هذا الوجه ، تعين غيره اقوى منه ، والذي أراه أن عبد الله وأن كان قد شك في اخلاص الخراسانيين له ، بعد حادثة حميد بن قحطبة فانه لم يقتلهم بهذا ، وانما قتلهم ، حين يتقن فعلا من خيانة بعضهم ، فاجهض على الباقي منهم ، يؤيد هذا الرأي ما ذكره البلاذري الذي قال « . . . قدم ابن علي نصيبين فخندق . . . ونزل ابو مسلم ازاء ابن علي . . . وكاتب أبو مسلم اهل خراسان ، فانحاز اليه بشر منهم ، ووقعت في نفس ابن علي تهمتهم وسوء الظن فيمن بقي معه منهم ، فأمر حياش بن حبيب الطائي ، صاحب شرطته ، فقتل منهم خلقاً . . . »[112] .

---

(١١٠) الطبري : ٧/٤٧٥ - ٤٨١ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٩/٨ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(١١١) مؤلف مجهول : مخطوط غرر السير ورقة ١٦١ ب .

(١١٢) مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

٦ ـ كيف ومتى وقعت المعركة الفاصلة :

وبعد حادثة قتل الخراسانيين ، أصبح جل اعتماد عبد الله على جند أهل الشام . وبذلك وجد أبو مسلم ، الفرصة سانحة امامه ، ليلعب لعبته ويضرب ضربته ، فتظاهر بأنه مرتحل الى الشام وكتب الى عبد الله « اني لم أؤمر بقتالك ولم اوجه له ، ولكن امير المؤمنين ولاني الشام وأنا اريدها »[١١٣] ، وكان قصد ابي مسلم من هذا :

أولا : تذويب الحماس في صفوف جيش عبد الله .

ثانياً :

إيهام جند الشام ، بأنه توجه لبلادهم ، وسيعرض أملاكهم للسلب وعوائلهم للقتل والأسر .

وفعلاً أتت خطة أبي مسلم اكلها في نفوسهم ، فما أن شاع خبر مسيره بمعسكر عبد الله حتى بادره جنوده الشاميون قائلين له : كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمنا ، فيقتل من يقدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا ، ونحن من ملك الدنيا وسعتها في خندق ؟ ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله إن قاتلنا[١١٤] .

ولكن هذا الأسلوب من المراوغة لم ينطل على عبد الله فأشار على جنده بالإقامة في موقعهم الحصين ، وأخبرهم بأن مناورة أبي مسلم هذه ما هي إلا مكيدة حربية القصد منها الإستيلاء على موقعهم ، إذا أخلوه ، فقال « إنه والله ما

---

(١١٣) المصدر السابق . الطبري ؛ ٤٧٦/٧ .
المقدسي : البدء والتاريخ ٧٧/٦ .
بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٣٧/٤ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ الحلبي : اعلام النبلاء ١٣٩/١ .

(١١٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . الطبري : ٤٧٦/٧ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٣٧/٤ هـ .

يريد الشام ، ولا وجه إلا لقتالكم ، ولئن أقمتم ليأتينكم »[115] وأراد جاهداً أن يثني عزم جنده عن الرحيل ، فما تيسر له ، لأنهم أبوا إلا المسير إلى الشام ، فرضخ لرغبتهم على كره منه ، وسار إلى الشام مقتفياً أثر أبي مسلم الذي سار فعلاً بقواته متظاهراً يريد الشام ، وبذلك تخلى عبد الله عن موقعه الممتاز ، وبحركة التفاف سريعة أسرع أبو مسلم بقواته الخفيفة واحتل نصيبين ، وباحتلاله إياها أصبح مركزه الحربي قوياً جداً ، وزاده قوة أنه أقدم على خطوة جرد بها عدوه من الإستفادة من الموارد الطبيعية حواليه ، فأمر بردم عيون الماء ، وألقى فيها الجيف[117] .

أما عبد الله فإنه لما سمع بأخبار احتلال أبي مسلم نصيبين أسقط في يده ، ولام أصحابه ، فقال « ألم أقل لكم »[118] إنها خدعة ، واضطر أن يعسكر في موضع أبي مسلم القديم[119] ، فوجده منزلاً رديئاً[120] ، أجبرته الظروف على نزوله ، لعدم وجود بديل أفضل منه .

وبعد هذه التطورات وما آلت إليه الأمور أصبح الموقف العسكري لكلا الجيشين كالآتي : -

الجيش العباسي رغم قلة عدده وعدته إذا قورن بجيش أهل الشام ، فإنه باحتلاله الموقع الحصين ، الذي تركه عبد الله ، قد قلل من أهمية هذا الفارق .

أما جيش عبد الله فإنه يفوق الجيش العباسي عدة وعدداً ، ولكن ضعفه يكمن في المكان الرديء الذي أجبر على نزوله .

---

(١١٥) الطبري : ٤٧٧/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٦/٥ .

(١١٦) المصدران السابقان . مؤلف مجهول : مخطوط غرر السير ، ١٦١ ب ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٣٧/٤ هـ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ .

(١١٧) الطبري : ٤٧٧/٧ . مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢١٨/٣ .

(١١٨) الطبري : ٤٧٧/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٦/٥ .

(١١٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

(١٢٠) ابن كثير : البداية والنهاية : ٦٢/١٠ .

وإذا أخذنا بنظر الإعتبار موقع كل فريق منهما أمكننا القول أن قوة الجيشين أصبحت متساوية تقريباً . والنصر سيكون للأكثر دهاء منهما .

لذلك أخذ كل من القائدين بترتيب قواته وتنظيمها استعدادا للحرب التي باتت على وشك الوقوع فشرع ابو مسلم بتقسيم قواته الى ثلاثة اقسام ميمنة وميسرة وقلب . فاسند الى الحسن بن قحطبة قيادة الميمنة ، والى خازم بن خزيمة التميمي قيادة الميسرة اما هو فتولى قيادة القلب ، والقيادة العامة للجيش(١٢١) .

أما عبد الله فهو الآخر قسم جيشه على الغرار السابق ، فعهد إلى بكار بن مسلم العقيلي قيادة الميمنة ، وإلى حبيب بن سويد الأسدي قيادة الميسرة ، وجعل أخاه عبد الصمد بن علي على الخيل ، أما قيادة القلب والقادة العامة للجيش فكانت له(١٢٢) .

وعلى أثر هذا الإستعداد دخل الطرفان في مناوشات حربية اعتباراً من بداية صفر سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ، حتى أوائل جمادي الآخرة من نفس السنة(١٢٣) لا كما توهم الطبري - في روايته - وابن الأثير حين ذكرا : أن القتال بين الفريقين استمر خمسة أشهر ، والمعركة الفاصلة وقعت بينهما في ٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٦ هـ(١٢٤) ، لأن في هذا التاريخ كان أبو العباس لا يزال حياً ، وعليه فتكون الثورة والمعركة الفاصلة وقعت بعد هذا التاريخ حتماً لا قبله .

وأستطيع القول بأن المناوشات التي وقعت بين الطرفين لم تكن لها أهمية عسكرية بالغة ، ولم تأت بنتيجة هامة ، سوى أنها كشفت لكل فريق منهما نقاط قوة وضعف الجانب الآخر ، وكان أسلوب المحاورة والمراوغة الغالب على هذه

---

(١٢١) الطبري ٤٧٧/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٦/٥ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٣٧/٤ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ .

(١٢٢) المصادر السابقة .

(١٢٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

(١٢٤) تاريخ ٤٧٨/٧ ، الكامل ٤٦٧ .

المناوشات ، وبات من الصعب أن ينتصر أحد القائدين على الآخر في فترة قصيرة نظراً لتمتع كل منهما بخبرة واسعة في فنون القتال ، لذلك طال الأمد بينهما على هذه الصورة مدة أربعة أشهر(١٢٥) وكل منهما ينتظر اللحظة المناسبة لينقض فيها على خصمه فيحطم قوته ويلحق به الهزيمة .

وكانت أشد المعارك التي وقعت في نهاية تلك المدة ، الهجوم العنيف الذي شنه عبد الصمد بن علي حتى بلغ من قوته وشدته أن أزال جيش أبي مسلم عن بعض مواقعه الحصينة ولكنه لم يتمكن من التمادي فيه ، للمقاومة العنيفة التي واجهها من جانب الجيش العباسي ، فتراجع بقواته ثم عاود هجومه في خيل مجردة ، وتمكن من قتل ثمانية عشر رجلاً من أصحاب أبي مسلم ، ورجع في أصحابه فنظم صفوفهم وعاود شن هجومه وكان في هذه المرة أشد وأقوى من سابقيه ، فالحق الهزيمة بالوحدات المتقدمة من الجيش العباسي ، فأشار هشام بن عمرو التغلبي على أبي مسلم بتغيير موضعه إلى موضع أفضل ليمكن القوات المنهزمة رؤيته ، والتراجع إليه ، فرفض طلبه وأمره أن ينادي : يا أهل خراسان ، ارجعوا فإن العاقبة لمن اتقى(١٢٦) ، وأبو مسلم يثبتهم ويرتجز .

من كـان ينوي أهله فـلا رجع   فر من الموت وفي الموت وقع(١٢٧)

فتراجع الناس . وسكنت نفوسهم .

وكان أبو مسلم قد عمل له عريشاً أشبه بغرفة القيادة العامة ، فكان من خلال عريشه هذا ينظر إلى سير الحرب ويصدر توجيهاته وأوامره العسكرية لقادته

---

(١٢٥) من بداية صفر حتى بداية جمادي الآخرة من سنة ١٣٧ هـ . انظر البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ . اما الذي يجعل بداية الثورة هي بداية المناوشات فتكون المدة حينئذ من ٥ ـ ٦ شهور . انظر الطبري : ٤٧٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٦/٥ .

(١٢٦) الطبري : ٤٧٧/٧ . ابن الأثير : الكامل ٤٦٧/٥ .

(١٢٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ .

الطبري : ٤٧٧/٧ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ .

« فإن رأى خللاً في الميمنة أو الميسرة أرسل إلى قائدها : أن في ناحيتك انتشاراً فاتق إلا تؤتى من قبلك ، فافعل كذا ، قدم خيلك كذا ، أو تأخر كذا إلى موضع كذا ، فإنما رسله تختلف إليهم برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض»[128] واستمر القتال بينهما على هذه الحال ويظهر أن هذه المعارك، كانت مقدمة للمعركة الفاصلة التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى .

وما أن جاء يوم الثلاثاء السابع من جمادي الآخرة سنة ١٣٧ هـ ٧٥٤ م[129] ، وكان يوماً مشهوداً وحاسماً في تاريخ المعارك التي طال أمدها ، فجاء ليعلن نهايتها ويضع حداً فاصلاً لها .

ففيه استعد الفريقان للقتال ، وحشد كل فريق منهما جميع إمكاناته الحربية وفنونه العسكرية وبدأت المعركة بينهما عنيفة ، دارت وقائعها بدير الأعور بنواحي نصيبين[130] وكانت كفة جيش عبد الله هي الراجحة في بداية الحرب ، وكاد أن يلحق الهزيمة بجيش أبي مسلم[131] ، الذي تدارك الموقف بسرعة ، ونفذ خطة عسكرية بارعة ، فأصدر أمره إلى الحسن بن قحطبة قائده الميمنة ، أن أعر ميمنتك وضم أكثرها إلى الميسرة وقائدها خازم بن خزيمة - وليكن في الميمنة حماة أصحابك وأشداؤهم[132] ، فنفذ الحسن الأمر فوراً .

---

(١٢٨) الطبري : ٤٧٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/ حوادث ١٣٧ هـ .
ابن الاثير : الكامل ٤٦٧/٥ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤/حوادث ١٣٧ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(١٢٩) الطبري ٤٨٧/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٧/٥ . الحلبي : اعلام النبلاء ١٤٠/١ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ . انظر ابن خياط : تاريخ ٤٦٤/٢ . الازدي : تاريخ الموصل ١٦٤/٢ .
ابن جار الله : مخطوط مختصرة مرآة الجنان ، المكتبة القادرية بغداد رقم ٦٦٦ تاريخ حوادث سنة ١٣٧ هـ .

(١٣٠) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٢/٣ . الشهابي : الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان مطبعة دار السلام بمصر ١٩٠٠ ، ١٠١/١ ، وذكرت مصادر اخرى أن المعركة دارت بنصيبين او بباب الغادر من نصيبين ، وجميع هذه الاماكن متقاربة لان المعركة وان كانت قد بدأت بنصيبين لكنها شملت بقعة اكبر من الارض بعد اشتدادها . انظر البسوي : المعرفة والتاريخ ١١٩/١ . الطبري ٤٧٨/٧ .

(١٣١) الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ .

(١٣٢) الطبري ٤٧٨/٧ . ابن الاثير : الكامل : ٤٦٧/٥ .
الحلبي : اعلام النبلاء ١٤٠/١ .

ولما رأى أصحاب ابن علي أن أبا مسلم قد حشد قواتٍ عسكرية ضخمة في ميسرته ، توقعوا أن الهجوم المرتقب سيكون من هذه الناحية ، وتلافياً لما قد يحدث من مفاجآت حربية غير متوقعة إزاء الإجراء العسكري الجديد الذي أقدم عليه أبو مسلم ، اتخذ أصحاب عبد الله إجراء مضاداً له . فأعروا ميسرتهم وهي بقيادة حبيب بن سويد الأسدي ، وانضموا إلى ميمنتهم ، وكانت بقيادة بكار بن مسلم العقيلي[١٣٣] ، وفي هذه الخطوة كان الخطأ الفادح .

وهذا التصرف الذي أقدم عليه أصحاب ابن علي ، هو كل ما يطلبه أبو مسلم ، ففيه سنحت له الفرصة الذهبية التي خطط لها ، فشرع على الفور بتنفيذها ، فأصدر أمره إلى الحسن بأن يأمر أهل القلب مع من بقي في الميمنة بالهجوم على ميسرة أهل الشام القليلة العدد والعدة ، وصاح أبو مسلم بالجنود الخراسانيين ، أنا أبو مسلم الذي تعرفوني وحمل فحملوا معه[١٣٤] ، وانقضوا على ميسرة أهل الشام فكانت هذه مفاجئة لهم ، لم يتوقعوها أو يستعدوا لها ، فأربك هذا الهجوم صفوفهم ، وشتت جمعهم ، فغلبوا على أمرهم ، وقاد أبو مسلم بقوات القلب والميمنة هجوماً عاماً على قوات عبد الله ، فاكتسحها وشتت جمعها ، وألحق بها الهزيمة النكراء[١٣٥] .

أما عبد الله بن علي فإنه لما رأى ما حل بجيشه علم أنه لا طاقة له بأبي مسلم ، وفكر عبد الله بالهرب والإنسحاب من أرض المعركة ، فاستشار ابن سراقة ، وقال له : « يا ابن سراقة ما ترى ؟ فقال له : أرى أن تقاتل فأما أن تموت أو تظفر ، وأن الفرار عار على مثلك ، وقد عبته بالأمس على مروان الست القائل : قبح الله مروان فر من الموت وها أنت تفر من الموت ، فلم يلتفت عبد الله إلى قوله ، فقال له ابن سراقة : وأنا معك »[١٣٦] .

---

(١٣٣) المصادر السابقة .

(١٣٤) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٢/٧ .

(١٣٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ أ ، مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ص ٤٩٣ .

(١٣٦) الطبري : ٤٧٨/٧ . ابن الاثير : الكامل ٤٦٧/٥ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٦/٥ .

ولا يفوتني أن أذكر أحداث معركة ثانية جرت وقائعها على جبهة أخرى وبالتحديد يوم انهزام عبد الله ـ ٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٧ هـ ـ بين القوات الموالية له بالأردن بقيادة الحكم بن ضبعان الجذامي ، وبين القوات العباسية بقيادة صالح ابن علي ، الذي زحف من مصر بقواته يريد الشام « منكراً فعل أخيه عبد الله بن علي »[١٣٧] ، فلما كان باللجون بين فلسطين والأردن تصدى له ابن ضبعان «ومعه خلق كثير من أهل الشام في طاعة عبد الله بن علي »[١٣٨] فدارت بين الطرفين معركة حامية ، قتل فيها من أهل الشام ناس كثير ، وانتهت بهزيمتهم وأفلت ابن ضبعان حتى أخذه بعد يزيد ابن روح اللخمي بأرض بعلبك ، فضرب عنقه[١٣٩] .

لقد أعلن عبد الله هزيمته سراً لابن سراقة ،وقرر الفرار «ليلاً دون علم عسكره »[١٤٠] تاركاً جنده للأقدار ، فاتخذ طريقه مهزوماً ، ومعه عبد الصمد بن علي[١٤١] ، فسار إلى ناحية حران ثم إلى الرقة وعبر جسر الرقة ثم أحرقه[١٤٢] ، وكان أبو مسلم قد كتب إلى المنصور يعلمه بخبر هروب عبد الله وأخيه عبد الصمد ، فكتب إليه ، يأمره بطلبهما والقبض عليهما[١٤٣] ، فتوجه أبو مسلم إلى الرقة يريد عبد الله ، فسمع هذا بالخبر فتركها على عجل وخلف فيها أمواله وخزائنه ، فلما وصل أبو مسلم الرقة ، قبض أموال عبد الله وخزائنه [١٤٤] ،

وواصل عبد الله سيره وأخوه عبد الصمد معه ، فلحقا برصافة هشام ، ولم

---

(١٣٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١أ .

(١٣٨) المصدر السابق . وانظر : محمد كرد علي : خطط الشام ١٧٨/١ .

(١٣٩) ذكر البلاذري : ان ابن روح كان عاملا لصالح بن علي على بعلبك ، فلما قتل ابن ضبعان وأرسل راسه الى صالح . نقل الى ولاية دمشق . مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ .

(١٤٠) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(١٤١) المصدر السابق .

(١٤٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ .

(١٤٣) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(١٤٤) المصدر السابق . ابن العديم : زبدة الحلب ٥٨/١ .

يمكث عبد الله إلا ليلة واحدة[145] ، فتركها ، واتجه إلى البصرة عن طريق مكة[146] ، لأن هذه الطريق آمن له ولمن معه من أهله ومواليه ، لانعدام الرقابة فيها تقريباً ، فلما وصل البصرة استخفى عند أخيه سليمان ، الذي كان والياً عليها من قبل أبي جعفر[147] ، أما عبد الصمد فإنه قصد الكوفة واستجار بعيسى ابن موسى ولي العهد ، فأجاره ، ثم أخذ الأمان له من المنصور فأمنه[148] .

وبعد أن علم أبو مسلم ، بانهزام عبد الله من الرصافة ، توقف عن مطاردته ، وأمر أن لا يعترضه أحد[149] وارتحل من الرقة ، فأتى حران ، واتخذها قاعدة لقواته ، ووزع عليهم العطاء[150] ، وأطلق الأسرى الذين استسلموا له أثناء وبعد المعركةووهب كل أسير أربعة دراهم[151] ، وأمن الناس ، ولم يقتل إلا أبا غسان لشهادته بما تشهد به لابن علي ، وكتب إلى المنصور بالفتح[152] ، وأعلمه أن أهل الجزيرة والشام بمواضع من الثغور ، مشحنة للعدو ، وانها لا تسد إلا بهم ، وسأله الصفح عنهم ، وأشار عليه باستصلاح وجوههم واصطناعهم[153] .

---

(١٤٥) البسوي : المعرفة والتاريخ ١/١١٩ . البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ . الطبري : ٧/٤٧٩ ورصافة هشام تقع بالبرية قبال الرقة في الجانب الغربي . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٠ . القزويني : اثار البلاد ص ١٩٨ .

(١٤٦) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، وانظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١أ والعيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٦٢ .

(١٤٧) اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٦ ، الطبري : ٧/٤٧٩ . ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(١٤٨) الطبري ٧/٤٧٨ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٣٧ هـ . ابن الاثير : الكامل ٥/٤٦٧ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/١٣٦ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٦٢ . وللبلاذري في ذلك عدة روايات اصحها ما كان موافقا لما اثبتناه . مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ .

(١٤٩) اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٦ .

(١٥٠) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(١٥١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ .

(١٥٢) الطبري : ٧/٤٧٨ . مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢١٩ . ابن الاثير : الكامل : ٥/٤٦٧ .

(١٥٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ .

وانتهت بذلك أماني عبد الله بن علي ، بفشله في تحقيق أهدافه وأطماعه للحصول على الخلافة عن طريق الثورة المسلحة التي باءت بالهزيمة النكراء ، فأفل نجمه بفراره من ساحتها ، وانتهى دوره السياسي ، وان كانت لنهايته بقية ، ستأتي فيما بعـد .

ولا بد من التنبيه ـ وأنا لا زلت بصدد الثورة وأحداثها ـ إلى بعض الروايات الضعيفة التي أوردها بعض المؤرخين القدامى والمحدثين ، ومن هذه الروايات :

١ ـ رواية الدينوري ، حين قال « . . . حتى إذا وافى أبو مسلم الشام انحاز إليه من كان بها من الجنود جميعهم وبقي عبد الله بن علي وحده ، فعفا أبو مسلم عنه ، ولم يؤاخذه بما كان منه »[١٥٤] ، وهذا خلاف ما أجمعت عليه الروايات التاريخية .

٢ ـ رواية ابن قتيبة التي ذكر فيها « أن السفاح لما ولى الشام ، واستصفى أموال بني أمية لنفسه ، أعجبته نفسه ، وحسد ابن أخيه على الخلافة ، فأظهر الطعن على أبي العباس . . . وخلع طاعته . . . فلما بلغت أخباره إلى أبي العباس ، كتب إلى أبي مسلم يستغيثه . . . فقدم عليه . . . ثم خرج إلى السفاح . . . فلقيه على الفرات فهزمه واستباح عسكره ، وأخذه أسيراً ، فقدِّم به على أبي العباس ، فلما قدم إليه وأدخل عليه ، قال : يا عمي أحسنا وواسينا ، فحدث وبغيت ، وقد رأيت تعطفاً عليك ، وصلة لرحمك ، أن أحبسك حبساً رقيقاً ، حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبنى له بيتاً جعل أساسه قطع الملح . . . »[١٥٥] .

وقد ذكر ابن قتيبة نفس الحادثة لكنه ينسب وقوعها زمن خلافة المنصور[١٥٦] .

---

(١٥٤) الاخبار الطوال ص ٣٥٨ .

(١٥٥) الامامة والسياسة ٢/ ١٢٤ .

(١٥٦) المصدر السابق ٢/ ١٣٤ .

وتعليقي على الروايتين يكفي أن أقول : أن ابن قتيبة ناقض نفسه بنفسه .

٣ ـ رواية المقدسي : الذي قال « ... ثم أسر عبد الله بن علي وحمل إلى أبي جعفر فخلده الحبس إلى أن مات ، وأقام أبو مسلم بنصيبين »[١٥٧] .

٤ ـ أما المحدثون : فقد ذكر محمد كرد علي رواية الدينوري السابقة ، ثم يذكر رواية المقدسي ، فيقول : « بل أسره أبو مسلم وحمله إلى أبي جعفر فحبسه ومات » ورأيه أن هذه الرواية هي الأصح[١٥٨] ، ونسي كرد علي أن الأساس الذي اعتمد عليه في ترجيح رأيه هو نفسه غير صحيح ، فوقع في نفس الوهم الذي وقع فيه المقدسي .

٧ ـ أسباب فشل الثورة :

إن الأسباب التي أدت إلى فشل ثورة عبد الله ، يمكن إجمالها فيما يأتي :

أولاً : عدم استغلاله لعامل الزمن ، الذي يعتبر من العناصر المهمة في كسب الحرب فبحصاره مقاتل العكي في حران مدة أربعين يوماً ، فوت على نفسه فرصة نادرة لا تعوض وكان الأولى به أن يترك قوة من جيشه ضاربة الحصار على حران ، ويتجه بباقي قواته إلى مقر الخلافة فيستولي عليها ، ويضرب ضربته في الوقت المناسب ، خاصة وأن المنصور كان في هذه الأثناء لا يزال في طريق مكة ، وقد توقع من كان مع الخليفة أن يقدم عبد الله على هذه الخطوة ، يؤيده قول إسحق بن مسلم العقيلي للمنصور حين استشاره في أمر عمه ، وهو لا يزال في طريق الحج « يا أمير المؤمنين : إن كان ابن علي حازماً ، فسيوجه خيلاً تلقانا في هذه البراري فتحول بيننا وبين دار الخلافة ويأخذنا اسراء ، فأقعد على دوابك ،

---

(١٥٧) البدء والتاريخ ٧٨/٦ .
(١٥٨) خطط الشام ١٧٩/١ .

فإنما هي ليال حتى يقدم الأنبار»[١٥٩] ، فتلكؤ عبد الله بتنفيذ هذا الإجراء ، أعطى الفرصة للمنصور أن يدبر أمره ، ويجمع قوته ويرمي بكل ثقله لمواجهة الثورة وقمعها .

ثانياً : عدم وفائه بالعهود التي أعطاها ، فقد غدر بمقاتل العكي بعد إعطائه الأمان ، فأثرت هذه الحادثة والحوادث الأخرى كقتله يزيد بن زياد ومحمد بن صول ، في نفسية بعض جنده ، إن لم أقل أكثرهم ، لكنهم اتبعوه خشية ورهبة ، يضاف إلى ذلك أن أهل الشام لم يكونوا مقتنعين بقيادة عبد الله ، ولكنهم وجدوا فيه ضالتهم ، لتحقيق مصالحهم ، وهو الآخر وجد فيهم هذا الغاية ، فكان كل طرف من هذه الأطراف يسعى إلى تحقيق مصلحته الخاصة ، ومثل هذا التركيب المتناقض لأي جيش كان ، لا بد وأن يخسر المعركة التي يخوضها .

ثالثاً : شكه بقائده الكبير حميد بن قحطبة ، الذي كان كما يقول اليعقوبي « الغالب على أمر عبد الله »[١٦٠] فدبر مؤامرة لاغتياله ، لكنه خشي أن يقتله في معسكره ، خوفاً من شغب الجند الخراسانيين المؤيدين لحميد عليه ، فسرحه بكتاب إلى زفر بن عاصم وهو يومئذٍ بحلب ، ليقتله فعلم حميد بالمؤامرة فهرب والتحق بصفوف الجيش المتجه لقمع الثورة بقيادة أبي مسلم ، وبذلك خسر عبد الله قائداً فذاً مطلعاً على نقاط قوته وضعفه ، وانه لا بد وأن أفشى أسرار عبد الله الحربية إلى الخليفة أو إلى أبي مسلم ، ودلهما على عوراته والثغرات التي يؤتى منها . فسهلت هذه المعلومات مهمة الجيش المتجه لإخماد الثورة .

رابعاً : إقدامه قبيل المعركة على قتل من بقي معه من الجند الخراسانيين البالغ عددهم نحو سبعة عشر ألفاً ، لخوفه من عدم مناصحتهم له وقت المعركة بعد انضمام بعض أقرانهم لجيش أبي مسلم ، وبذلك أضعف قوته العسكرية وأصبح بعد هذه الحادثة جل اعتماده على أهل الشام ، وكان الأولى به أن يدرك

---

(١٥٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٩ ب .

(١٦٠) تاريخ ٣/١٠٥ .

أنه من الخطأ الإعتماد على هذه الكتلة المعروفة بميولها الأموية في تحقيق مطامح سياسية عباسية .

خامساً : تخليه عن موقعه الحصين بنصيبين حين استطاع أبو مسلم أن يخدع الجنود الشاميين بأنه متجه إلى الشام وأنه سيعرض أملاكهم وذراريهم للسبي عندها أجبر هؤلاء عبد الله بالإتجاه إلى الشام لحمايتها من الخطر ، واستجاب عبد الله لطلبهم على كره منه ، وسار بجيشه من غير أن يتخذ أية إجراءات دفاعية عسكرية اضطرارية في حالة فقدانه لتحصيناته ، فسهل بهذا لأبي مسلم القيام بحركة التفاف سريعة واستولى على الموقع ، وبذلك اكتسب امتيازاً حربياً جيداً .

سادساً : عدم إلمامه الدقيق بالخطط والخدع الحربية ، وبراعة خصمه فيها ، الذي اتقن منذ بداية الحرب أسلوب المراوغة والمحاورة والخداع ، فقد استطاع أبو مسلم ، أن يخدع عبد الله وجيشه حين أمر بضم أكثر وحدات الميمنة القتالية إلى الميسرة على أن يبقى قائدها الحسن بن قحطبة بين نخبة مختارة من الجيش فيها لحمايتها فظن أهل الشام أن الإجراء الذي أقدم عليه أبو مسلم ، ما هو إلا مقدمة لشن هجوم قوي من جهة الميسرة التي حشد فيها قواتٍ ضخمة وتفادياً لهذا الهجوم اتخذوا إجراء مضاداً ، فأعروا ميسرتهم وانضموا إلى ميمنتهم ، ولم يحسبوا حساباً للطوارىء والمفاجآت الحربية فباغتهم أبو مسلم بهجوم حربي واسع النطاق بقوات القلب ومن بقي في ميمنة جيشه ، على ميسرة أهل الشام الخالية من القوات الدفاعية فحطموها واختل نظام جيش عبد الله على أثر هذا الهجوم الذي لم يتوقعوه ولم يستعدوا له فكانت الهزيمة .

٨ ـ نتائج الثورة :

لقد أسفرت ثورة عبد الله بن علي عن نتائج ، أهمها :

١ ـ كشفت الثورة بصورة واضحة عن حدوث انشقاق في البيت العباسي ، لم يكن معروفا سابقا ، يمثل احد طرفيه الخليفة المنصور ومن معه من اهل البيت العباسي ومؤيديهم . والطرف الاخر يمثله عبد الله بن علي واخوه عبد الصمد

ومؤيدوهم من اهل الشام وكانت الخلافة مدار هذا الانشقاق والانقسام .

٢ ـ اظهرت الثورة انها كانت ثورة اهل الشام المعروفين بميولهم الاموية على العباسيين، فاسترعت هذه الناحية انتباه الخليفة فعمل جاهدا للحصول على تأييدهم ، فعفا عنهم واصطنع وجوههم ، وكان من جملة من عفا عنهم بكار ابن مسلم العقيلي قائد ميمنة عبد الله ابان الثورة وعفا عن اخيه عبد العزيز ، وعن زفر بن عاصم الهلالي ، واصبح هؤلاء فيما بعد من ابرز قادة جيشه(١٦١) يؤيد هذا ان اهل الشام ارسلوا اليه وفدا من اشرافهم ، على اثر فشل ثورة عبد الله بن علي وكان فيهم الحارث بن عبد الرحمن الغفاري الذي قال للخليفة عند دخوله عليه : اصلح الله امير المؤمنين ، انا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة ، وانا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا ، واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، ومما سلف منا معتذرون فان تعاقبنا فبما اجرمنا وان تعف عنا فبفضلك علينا فاصفح عنا اذ ملكت ، وامنن اذ قدرت واحسن اذ ظفرت فطالما احسنت ! قال ابو جعفر : قد فعلت (١٦٢) وعفا عنهم .

وقد قوبلت هذه الحادثة وغيرها من الحوادث بارتياح الرأي العام في حينه(١٦٣) وهذا يدعونا الى القول بان المنصور انتهج سياسة الود والمرونة تجاه العناصر المؤيدة لثورة عمه من اجل الحصول على تأييدهم له ، لأنه ادرك ما لسورية من اهمية سياسية وعسكرية بالغة في صراعه المنتظر مع الروم البيزنطيين .

٣ ـ كانت الثورة سببا في ظهور الخلاف جليا وواضحا بين الخليفة من جهة وابي مسلم من جهة ثانية ، ولم يعد هذا الخلاف خفيا كما كان سابقا بل برز الى

---

(١٦١) ابن خياط ٤٥٦/٢ وما بعدها . الطبري ٢٩/٨ وما بعدها ، الازدي : تاريخ الموصل ٢٢٥/٢ .

(١٦٢) الطبري ٨٤/٨ .

(١٦٣) انظر الجاحظ : البيان والتبيان ، القاهرة الطبعة الاولى ١٩٤٩ ، ١٠/٢ البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣أ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٧/٢ ، الحصري : زهر الاداب وثمر الالباب ، دار الجيل الطبعة الرابعة ١٩٧٢ ، ٨٣٨/٣ .

الوجود بشكل واضح منذ بداية الثورة يؤيده موقف ابي مسلم المتأرجح وتلكؤه في التوجه لمحاربة ابن علي حين طلب المنصور منه ذلك .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل ان الحسن بن قحطبة قد لاحظ هذه الناحية فكتب الى ابي ايوب المورياني كتابا مع مسلم بن المغيرة يقول له فيه « اني قد ارتبت بابي مسلم منذ قدمت عليه ، انه يأتيه الكتاب من امير المؤمنين فيقرؤه ثم يلوي شدقيه ، ويرمي الكتاب الى ابي نصر فيقرؤه ويضحكان استهزاء »[١٦٤] وقد أيد أبو أيوب المورياني وزير المنصور وجهة النظر هذه حين قال : « أنا لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي ، إلا أنا نرجو واحدة » .

ومما لا شك فيه ان اخفاق الثورة كان في صالح الخليفة هذا من جهة ، ومن جهة ثانية انه اسهم مساهمة فعالة في اعطاء الفرصة للمنصور للانفراد بأبي مسلم الخراساني بعيدا عن قاعدته خراسان ، ومكنه من تحقيق هدفه في التخلص منه .

٤ ـ كان للغنائم التي استولى عليها ابو مسلم في اعقاب فشل الثورة ، اثر في تعجيل نهايته المحتومة ، لان الوفد الذي ارسله الخليفة لحصي الاموال[١٦٥] اعتبره ابو مسلم ماساً بكرامته ونزاهته ، فثارت ثائرته ، وشتم المنصور ، وقرر السفر الى خراسان ، فنقل الوفد الى الخليفة عند رجوعه ما سمعه وشاهده فحال المنصور بينه وبين مواصلة طريقه وقضى عليه .

٥ ـ كانت الثورة سببا في زيادة عطاء الجند ، فقد قام كل من المنصور وعبد الله بن علي برفع مرتبات الجند من ستين درهما في الشهر الى ثمانين[١٦٦] وذلك من

---

(١٦٤) الطبري ٧/٤٨١ .

(١٦٥) انظر : اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٦ .

(١٦٦) البسوي : المعرفة والتاريخ ٢/١١٩ ، البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ أ ، مؤلف مجهول مخطوط غرر السير ورقة ١٦١ أ .

اجل الحصول على استمرار تأييد القادة والجند لهما .

٩ ـ نهاية عبد الله

على اثر الهزيمة التي مني بها جيش عبد الله ـ يوم الثلاثاء ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧ هـ ـ قرر الهرب والتواري عن الاعين فاتجه باهله ومواليه الى البصرة عن طريق مكة ، ونزل عند اخيه سليمان بن علي وكان واليا عليها من قبل المنصور ولكن الخليفة لم يكتف بهزيمة عبد الله وتواريه عن الانظار لانه رأى في وجوده طليقا خطرا يهدد كيانه باستمرار لذلك كان همه تقصي اخباره ومعرفة مكان استتاره ، فوصلته بعد حين اخبار تفيد بأن عبد الله مستتر في البصرة عند اخيه سليمان . فقرر المنصور تأجيل النظر في امره لحين الانتهاء من امر ابي مسلم .

اما سليمان فانه كان واثقا من ان الخليفة سوف يعلم بأمر عبد الله ، وانه سوف لا يتركه بهذه الصورة من غير عقاب فقرر القيام بتحرك سياسي ربما يستطيع بواسطته الحصول على اعفاء لأخيه من أبي جعفر ، فبدأ تحركه هذا سنة ١٣٨ هـ/ ٧٧٥ م وكان هدفه يعتمد على نقطتين :

الاولى : اقناع عبد الله بالمبايعة لابي جعفر لكي يستغل هذه البيعة في تخفيف حدة غضب المنصور على عمه . وبالتالي اقناعه بالصفح عنه .

والثانية : الحصول على اعفاء من المنصور لاخيه عبد الله ، على ان يكون العفو مقرونا بأمان صادر من الخليفة نفسه وبتوقيعه زيادة في الاطمئنان .

وفعلا تمكن سليمان من اقناع اخيه عبد الله بالمبايعة لابي جعفر سنة ١٣٨ هـ وهو مقيم بالبصرة[١٦٧] وبذلك تكللت خطوة سليمان الاولى بالنجاح ، ولم يبق امامه الا تحقيق الثانية وهي الاهم .

---

(١٦٧) الطبري ٤٩٧/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٦/٥ .

فشد الرحال من البصرة سنة ١٣٨ هـ ، قاصدا المنصور ، فلما دخل عليه كلمه في امر عبد الله فقال يا امير المؤمنين ان عفوك لا يضيق عنه ، وهو ابن ابيك وفيه يستصلح [١٦٨] وطلب له الامان ، فوافق الخليفة على اعطاء الامان بشرط ان يرى عبد الله ، وأراد سليمان ان يغير سير المحادثات الى ناحية اخرى لعلها تجعل المنصور يخفف من حدة موقفه ، فطلب منه السماح لعبد الله باداء فريضة الحج فأجابه الى طلبه ولكنه علق هذه الاجابة على شرط ان يحج عبد الله ظاهرا[١٦٩] .

وبذلك انتهت المحادثات بالفشل ، لاصرار المنصور على شروطه السابقة من جهة ، ولان عبد الله لم يكن عنده الاستعداد لتسليم نفسه للخليفة لخوفه منه ، من جهة ثانية لذلك ترك فكرة الحج لتعليقها على شرط الظهور علانية ، وفيه تتحقق علة الخوف السابقة في نفس عبد الله .

اما الخليفة فانه لم يول المباحثات اهتماماً كبيراً سواء نجحت ام اخفقت بقدر اهتمامه بالقبض على عبد الله حيا ، مهما كانت الاسباب والنتائج ، وهذا واضح من الشروط السابقة واصراره على عدم التنازل عنها ، والحوادث التالية ، تؤيد هذا الاتجاه ، لان الخليفة ادرك بثاقب نظره ان علة خطر عمه متوفرة في وجوده طليقا وربما تدفعه حماقته الى اشعال نار ثورة جديدة اذا توفرت له الامكانات ، وتلافيا لوقوع هذا الاحتمال صمم على تقليم اظافره والتخلص منه نهائيا ، لان الجرم الذي ارتكبه عبد الله بحقه لا يغتفر ، يؤيد هذا قول المنصور نفسه « الملوك تحتمل كل شيء من اصحابها الا ثلاثا ، افشاء السر ، والتعرض للحرمة ، والقدح في الملك»[١٧٠] وهدف عبد الله كان قلب نظام الحكم .

ولكي يصل المنصور الى تحقيق هدفه في الظفر بعمه ، بدأ بمرحلة جديدة من

---

(١٦٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣٠ ب .

(١٦٩) المصدر السابق .

(١٧٠) الجاحظ : المحاسن والاضداد ، مطبعة الفتوح مصر الطبعة الاولى ١٣٣٢ هـ ص ١٥ ، الطبري ٨/ ٨٨ .

التدبير فأمر سليمان بن مخالد بأن يقوم بابلاغ سليمان بن علي باشخاص عبد الله معه ، فرفض سليمان اجابة هذا الطلب وقال : قد جعلت لعبد الله عهد الله ان اتوثق له[١٧١] وبذلك فشلت المحاولة السلمية الثانية .

ولهذا لم يبقَ امام الخليفة الا استعمال القوة ضد اولاد علي لاجبارهم على تسليم اخيهم « فولى سليمان بن مجالد بريد البصرة واخبارها ووجه روح بن حاتم المهلبي الى البصرة في اربعة الاف من اهل البأس والنجدة والطاعة واظهر انه قد ولاه عمان ونواحيها[١٧٢] وارسل ابا الاسد القائد في جيش وأمره أن يقيم على آخر البطيحة ، وسبب ارسال المنصور له كما يذكره الطبري « ان المنصور اراد استخراج مزارع عن البطيحة ، فضج اهل البصرة وقالوا : انما نستعذب الماء من البطيحة واتوا عبد الله بن علي فقالوا انزل يا امير المؤمنين نبايعك فكفهم سليمان بن علي وفرقهم[١٧٣]. ومن هذانلمس ظهور عنصر جديد مستعد لمبايعة عبد الله واغرائه في الثورة ضد الخليفة من جديد ، وهذا يفسر لنا فيما بعد التجاء ابراهيم بن عبد الله العلوي الى البصرة واعلان ثورته فيها ضد المنصور .

لقد وجد الخليفة ان احتمال اعلان عبد الله الثورة مجددا لا يزال قائما ، وقد برهن موقف اهل البصرة على هذه الحقيقة وبذلك حصلت للمنصور القناعة الكافية بأن الوقت قد حان لان يعمل المستحيل للقبض على عمه ، مهما كان الثمن .

وبعد ان اطمأن المنصور على قوة موقعه العسكري في البصرة ، وان قواته التي وجهها اليها ، اصبحت قادرة على قمع اي تمرد يقوم فيها شرع في اتخاذ الخطوة التالية فأصدر امرا اداريا في سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٦ م ، بعزل عمه سليمان ابن علي عن ولاية البصرة[١٧٤] ، لكي لا يستمر في استغلال منصبه السياسي

---

(١٧١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣١ ب .
(١٧٢) المصدر السابق .
(١٧٣) المصدر السابق ٣/ ٣٠ ب .
(١٧٤) الطبري ٧/ ٥٠٠ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٩ هـ ابن الاثير : الكامل ٥/ ٤٩٦ .

لصالح عبد الله ، كما كانت لحادثة انكاره لامر اخيه عند استتاره عنده في اول الامر ، اثر في هذا العزل(١٧٥) لذلك اسند الخليفة ولايتها الى سفيان بن معاوية ووجهه في جيش كثيف فدخلها وتسلمها من سليمان(١٧٦) ، يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان من نفس السنة(١٧٧) ، وبذلك تم ابعاد سليمان عن الولاية ، من غير اثارة اية قلاقل .

وكان لهذا الاجراء الجديد ، اثره في نفس عبد الله واصحابه فبعد ان كانوا يعيشون طلقاء تحت حماية اخيه ، اصبحوا يخشون على انفسهم ، فتواروا عن الانظار(١٧٨) ، وبلغ ذلك ابا جعفر فبعث الى سليمان وعيسى ابني علي وكتب اليهما في اشخاص عبد الله ، وعزم عليهما ان يفعلا ذلك ولا يؤخراه(١٧٩) ، فخاف سليمان على أخيه ، لان صيغة الكتاب الشديدة جعلته يشك في نوايا المنصور العدوانية ضد اخيه عبد الله ، لذلك اراد تدارك الامر ، فكتب الى الخليفة يستأذنه في القدوم عليه منفردا ، فأذن له ودارت بين الطرفين مباحثات كان نتيجتها ان وافق المنصور على اعطاء الامان لعبد الله(١٨٠) ، فرجع سليمان الى البصرة حاملا موافقة الخليفة على اعطاء الامان .

وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن علي فأمره ان يعمل نسخة للامان لعبد الله يحتاط فيه ما وسعه الاحتياط(١٨١) ، فكتب له امانا تعدى فيه ما يكتب الخلفاء من الامانات(١٨٢) ، فوكدها واحترس من كل تأويل يجوز ان يقع عليه فيها

---

(١٧٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب . اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ .
(١٧٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب .
(١٧٧) الطبري ٥٠٠/٧ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٩ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٤٩٦/٥ .
(١٧٨) المصادر السابقة .
(١٧٩) المطبري ٥٠١/٧ . مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٢٦/٣ .
(١٨٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٧/٢ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٣ .
(١٨١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٣ .
(١٨٢) البلاذرى : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، وانظر : ابن اعثم مخطوط الفتوح جـ ٢ .

وترددت بين ابي جعفر وبينهم في النسخة كتب الى ان ستقرت الى ما ارادوا من الاحتياط[١٨٣] .

ان لهذا الامان اهمية بالغة من الناحية السياسية لانه اول كتاب من نوعه يفتتح به المنصور عهده وجرت فيه مباحثات طويلة ومضنية ، ونظرا لاهميته ، فقد اشار بعض المؤرخين اليه ونقلوا فقرات منه[١٨٤] ، وهذا يؤكد لنا اهميته ووجوده كحقيقة ثابتة ، ويقطع بصحة هذا الرأي ، انه وصلنا كاملا ، كما ذكره الازدي عن طريق ابي الحسن المدائني[١٨٥] . وبذلك تقوم الحجة على طه حسين ، الذي انكر وجود الامان حين قال « ان الامان الذي كتبه ابن المقفع اسطورة من الاساطير لانه لم يصلنا شيء منه سوى ما ذكرته بعض المصادر من وجوب توقيع المنصور في اسفل ذلك الامان وان انا نلت عبد الله بن علي . . . »[١٨٦] وهذه حجة واهية ، لا تنهض على نفي او على عدم وجود الامان وربما قيل ان طه حسين لم يطلع على نسخة الامان كاملة في تاريخ الموصل المطبوع سنة ١٩٦٧ م ـ لكني استبعد هذا ، لان الفقرات التي نقلها المؤرخون لا بد وان يكون لها سند او انه اطلع عليها وعز عليه ان يتراجع عن رايه السابق .

ومهما يكن من أمر فان الامان يعتبر وثيقة سياسية بالغة الاهمية ، وحقيقة تاريخية وليست اسطورة اعيت المنصور ، والاطراف الاخرى ، حتى تم الوصول اليها ، وبه حقق الخليفة هدفه في القبض على عمه ، الذي لم يجد بدا الا تسليم نفسه مطمئنا الى ان الامان سيغفر له زلته عند ابن اخيه ، او على الاقل سيحول دون اتخاذ عقاب صارم تجاهه ، خاصة وان الذي يطلع على الامان ، يقرر دون

---

(١٨٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٣ ، وانظر : الطبري ٥٠١/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٩ هـ .

(١٨٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب . اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ ، الطبري : ٥٠١/٧ ، ابن اعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٩ هـ .

(١٨٥) تاريخ الموصل : ١٦٧/٢ ـ ١٧٠ ، وانظر نسخة الامان كاملة في ملحق رقم (٢) .

(١٨٦) من حديث الشعر والنثر : طبعة مصر ١٩٤٨ ، م ص ٤٦ ـ ٤٧ .

تردد انه وثيقة عفو كاملة ، الزم المنصور نفسه فيه بالايمان المغلظة « بانه قد امن عبد الله واخلص له في ذلك النية» واذن له في القدوم عليه آمنا مطمئنا محفوظا مستورا مكنوفا من آفته وغشه وامره ونهيه بريئاً مما يعتد به احد من خلق الله على احد بذنب او جرم او زلة او غيره ، او سقطة جليلة او حقيرة فيما مضى ولا يتهمه ولا بعلاقة فيما مضى وأمن له المثالك كلها من البصرة وما بعدها الى مدينة السلام الهاشمية وغيرها وما قبلها الى حيث تجري كتبه . . » وختم امانه بانه اذا غدر بامانه « فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو بريء من محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وبريء من الله ورسله وملائكته وكتبه . . والمسلمون عامة من الاجماع مما في اعناقهم من بيعته في حل وسعة ، ومما اتخذ عليهم فيها من الايمان براء . . . »[187] .

والامان كما هو واضح شديد اللهجة، عنيف العبارات ، ومع ان المنصور امضاه من اجل القبض على عمه ، كحل وحيد ، الا ان الذي شق عليه طلب ابن المقفع منه ان يوقع بخطه في اسفل الامان وان انا نلت عبد الله بن علي او احد ممن اقدمه معه بصغيرة من المكروه او كبيرة، او اوصلت الى احد منهم ضررا سرا او علانية ، على الوجوه والأسباب كلها تصريحا او كناية او بحيلة من الحيل فانا نفي من محمد بن علي بن عبد الله ومولود لغير رشده ، وقد حل لجميع امة محمد خلعي وحربي والبراءة مني ، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي ، واعانة من ناوأني من جميع الخلق ، ولا موالاة بيني وبين احد من المسلمين ، وهو متبرئ من الحول والقوة ، ومدع ، ان كان ، انه كافر بجميع الاديان ، ولقي ربه على غير دين ولا شريعة ، محرّم الماكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس على الوجوه والاسباب كلها ، وكتبت بخطي ، ولا نية لي سواه ، ولا يقبل الله مني الا اياه والوفاء به[188] .

---

(١٨٧) انظر نص الامان فيملحق رقم (٢) .

(١٨٨) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٤ انظر البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ .

وذكر بعض المؤرخين « ان المنصور قد وقع في الامان هذا الامان نافذ ان رأيت عبد الله(١٨٩) » وقال معقبا على ذلك « لاني لا آمن ان اعطيه اياه قبل رؤ يتي له ، فيسير في البلاد ، ويسعى علي بالفساد(١٩٠) ، وبهذا يكون المنصور قد اشترط لصحة الامان ونفاذه ، رؤ يته لعمه عبد الله ، وبعكسه يكون في حل منه .

وبعد ان فرغ المنصور من موضوع الامان ، كتب الى واليه الجديد على البصرة سفيان بن معاوية ، يعلمه بالامر ، وطلب منه التضييق على عميه ، ليخرجا عبد الله بن علي(١٩١) ، فنذ سفيان هذا الامر ، واجبر سليمان وعيسى بالخروج باخيهم عبد الله ، ومن معه من خواصه ومواليه ، فخرجا به(١٩٢) ولم يشأ سفيان ان يتركهم وحدهم زيادة في الحيطة والحذر لضمان وصولهم الى الخليفة بامان فوكل بهم القائد عقبة بن عازب في الف مقاتل ، وسار أبو الاسد معهم ايضا فلما صاروا الى واسط تسلم عاملها عبد الله بن علي ، وسلمه الى أبي الاسد الذي اوصله الى الكوفة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٦ م(١٩٣) .

وبهذا يكون المنصور قد حقق هدفه الاول بوصول عمه اليه سالما ، وبدأ فورا بتنفيذ هدفه الثاني وهو الاهم والقائم على اساس طمس اخبار عبد الله ، وبالتالي التخلص منه نهائيا ، لهذا اذن لسليمان وعيسى بالدخول عليه ، فاعلماه بحضور عبد الله ، وسالاه الاذن له فأجابهما إلى ذلك ، وشغلهما بالحديث لانه كان قد هيأ لعبد الله مكانا في قصره ، فامر به ان يصرف اليه ، بعد دخول سليمان وعيسى ففعل به ذلك ، وتولى امره ابو الازهر المهلب بن ابي عيسى ، فوضع عليه حراسة مشددة(١٩٤) في انتظار اوامر الخليفة بشأنه ، ومما يؤ يد ان المنصور قد

---

(١٨٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، الجهيشاري : الوزراء والكتاب ص ١٠٤ .

(١٩٠) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٤ .

(١٩١) الطبري ٥٠١/٧ .

(١٩٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، ابن الاثير : الكامل ٤٩٦/٥ .

(١٩٣) الطبري ٥٠١/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط التنظيم ٨/حوادث ١٣٩ ، ابن الاثير الكامل ٤٩٦/٥ .

(١٩٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب . وأورده البلاذري باسم « أبو الازهر المهلب بن العبيثر » والتصحيح من المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ وبيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٤٦/٤ .

اضمر شرا بعمه ، انه طلب من سليمان وعيسى ان يسارعا بعبد الله اليه ، فلما خرجا افتقداه من المجلس الذي كان فيه ، فعلما انه قد حبس ، وأرادا الرجوع الى ابي جعفر فحيل بينهما وبين الوصول اليه .

ويدل لذلك ، ان الخليفة أمر بالقاء القبض على اصحاب عبد الله الذين حضروا معه وكان فيهم خفاف بن منصور ، الذي ساورته الشكوك في نوايا المنصور العدوانية فاشار على اصحابه بقتله ان هم دخلوا عليه ، فقال لهم « ان انتم اطعتموني شددنا شدة واحدة على ابي جعفر ، فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتي على نفسه ، ونشد على هذه الابواب مصلتين سيوفنا ، ولا يعرض لنا عارض الا افتنا نفسه ، حتى نخرج وننجو بانفسنا فعصوه »[١٩٥] وبذلك فشل هذا الاقتراح .

اما الحادثة التي ارتكبها الخليفة في حق هؤلاء بعد القاء القبض عليهم فهي تؤكد لنا اصراره الشديد على التخلص من عمه ، فعمد الى انصاره كخطوة اولى تسبق الخطوة التالية فأمر بقتل بعضهم بحضرته ، وارسل الباقين الى ابي داود خالد بن ابراهيم الذهلي بخراسان فقتلهم بها[١٩٦] .

ان الدلائل السابقة واللاحقة تؤكد حقيقة واحدة هي ان المنصور لم يكن في نيته ان يتجاوز عن اساءة عمه ، او ان يصدر عفوا عنه ، رغم الجهود الكبيرة التي بذلها بنو علي في هذا المجال وهذا يتضح من كلام المنصور لهم ، حين كلموه بشأن اطلاق سراح اخيهم : فقال لهم « اقسمت عليكم لما لم تحكموا لي فيه فانه اراد ان يفسد علينا وعليكم امرنا»[١٩٧] وفي رواية اخرى انه قال لهم « ان اهل خراسان يتسرعون اليه لما كان منه اليهم ولا آمن ان يفتكوا به فقد بلغني انهم مجمعون على

---

(١٩٥) الطبري ٧/٥٠١ ـ ٥٠٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٣٩ هـ ! ، ابن الاثير : الكامل ٥/٤٩٧ .

(١٩٦) المصادر السابقة .

(١٩٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣١ ب .

ذلك فجعلته عندي الى ان ادعو به»[١٩٨]وهذه علة واهية ، ظاهرها الحق وباطنها عكسه ، ونهاية عبد الله تكذبها ، فضلا عن الحوادث الاخرى التي تضيف تأكيدا جديداً على ما سبق ذكره ، فحين ظهر محمد وابراهيم ابنا عبد الله ، ارسل المنصور الى عمه وهو يومئذ محبوس عنده يستشيره في امريهما فأجابه ان المحبوس محبوس الرأي ، فأخرجني حتى يخرج رأي فرفض المنصور طلبه وأرسل اليه يقول : لو جاءني حتى يضرب بابي ما اخرجتك[١٩٩] . والعبارة الأخيرة تؤكد لنا ان خطر عبد الله عند الخليفة اعظم من خطر النفس الزكية واخيه .

وهناك حادثة اخرى تعضد ما سبق ذكره وهي قول المنصور ، حين بلغه ان عبد الله يكثر من التمثيل وهو في السجن بقول العرجي :

اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال تعليقا على هذا : هو اضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت انفسنا عندنا آثر من نفسه[٢٠٠] .

أما سليمان بن علي ، فانه تأكد له بأنه لا أمل من اطلاق سراح اخيه « فيئس منه ومضى الى البصرة»[٢٠١] . فتوفي فيها ليلة السبت لتسع بقين من جمادي الاخرة سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩ م[٢٠٢] . وبموته فسح مجالا اكبر لابي جعفر لان يمضي في خطته .

ويبدو أن الخليفة ، جد في انهاء امر عبد الله ورغب ان تكون نهايته من غير اثارة ضجة سياسية او عائلية كبيرة ، ولم يقف حائلا دون تحقيق رغبته هذه

---

(١٩٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب .

(١٩٩) الطبري ٥٦٤/٧ ، ابن الاثير ٣٥٢/٥ (الطبعة الازهرية) .

(٢٠٠) الاصفهاني : الاغاني ، تصحيح الشنقيطي مطبعة التقدم ، مصر ، ١٥٩/١ .

(٢٠١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب .

(٢٠٢) المصدر السابق ، الطبري ٥١٤/٧ ابن الاثير : الكامل ٥١٠/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٧٨/١٠ .

السنوات التسع التي امضاها عبد الله في السجن ، فدبر له سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م مؤامرة للتخلص منه ، ولكن كعادته ، اراد ان يتخلص من عيسى بن موسى معه[٢٠٣] ليصفو له الجو ويعهد بولاية العهد لابنه المهدي .

ولكي يصل المنصور الى هدفه ، حرض ولي عهده عيسى بن موسى ، بقتل عبد الله سرا ، بحجة انه اراد انتزاع الخلافة لنفسه ، وتنحية عيسى عنها ، واسنادها الى اخيه عبد الصمد بن علي ، فيكون في قتله من هذه الوجهة مصلحة مشتركة للطرفين[٢٠٤] ، واقتنع عيسى بوجهة النظر هذه ، واعلن موافقته عليها واراد المنصور ان يبعد الشبهة عنه فعزم على التوجه الى الحجاز ، لاداء فريضة الحج ، وهو مطمئن بأن عيسى بن موسى سيقوم بقتل عبد الله ، فاذا اقدم على قتله ، فسيقتله به ، تطبيقا لقوله تعالى « يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر . . الاية[٢٠٥] » ، خاصة وان اخوة عبد الله واقاربه ، سيطالبون بشدة ايقاع هذا القصاص بحق عيسى . انتقاما لمقتل اخيهم يؤيد هذه الفكرة « ان المنصور قال لعيسى بن موسى ـ بعدئذ ـ اتقتل عمك لاقتلنك به[٢٠٦] » .

وفعلا توجه المنصور بركبه الى مكة سنة ١٤٧ هـ ، واستدعى قبيل رحيله عيسى بن موسى ، ودفع اليه عبد الله سرا ، وقال له : يا عيسى ان هذا اراد ان يزيل النعمة عني وعنك ، وأنت ولي عهدي بعد المهدي ، والخلافة صائرة اليك ، فخذه اليك فاضرب عنقه ، واياك ان تخور او تضعف ، فتنقض علي أمري الذي دبرت ، ثم مضى لوجهه ، وكتب اليه في طريقه ثلاث مرات يسأله ، ما فعل في الامر الذي اوعز اليه فيه ؟ فكتب اليه : قد انفذت ما أمرت به ، فلم يشك ابو

---

(٢٠٣) انظر : المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ .

(٢٠٤) انظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، الطبري ٨/٨ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٠ .

(٢٠٥) سورة البقرة ، آية ١٧٨ .

(٢٠٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب .

جعفر في انه قد فعل ما امره به ، وانه قد قتل عبد الله بن علي[٢٠٧] .

اما عيسى بن موسى ، فانه كان عازما على قتل عبد الله سرا ، حينما دفعه اليه المنصور ، لكن كاتبه يونس بن فروة الانباري ، نصحه وحذره بالا يفعل ذلك فقال له : اراد ان يقتلك ويقتله ، امرك بقتله سرا ثم يدعيه عليك علانية ثم يقيدك به ، ولكن استره حيث لا يطلع عليه أحد ، فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ، ولا تدفعه اليه سرا ابدا ، فانه وان كان اسره اليك فان امره سيظهر[٢٠٨] . فاقتنع عيسى بوجه نظر كاتبه ، وتوقف عن قتل عبد الله .

وقد اثبتت الحوادث صحة توقعات ابن ابي فروة فلما ان قدم المنصور من حجه ، واستقر به المقام ، وهو متأكد ان عيسى ، قد قتل عبد الله ، بدأ بتنفيذ باقي خطته ، فدس الى عمومته من يحركهم على مسألته هبة عبد الله بن علي لهم ، ففعلوا ، فاجابهم الى طلبهم فورا ، وارسل الى عيسى بن موسى يستدعيه بالحضور ، فاتاه فقال له : يا عيسى قد علمت اني دفعت اليك عمي وعمك عبد الله بن علي قبل خروجي الى الحج وامرتك ان يكون في منزلك قال : قد فعلت ذلك يا امير المؤمنين قال: فقد كلمني عمومتك فيه ، فرأيت الصفح عنه وتخلية سبيله ، فأتنا به . فقال : يا أمير المؤمنين ، الم تأمرني بقتله فقتلته قال : ما امرتك بقتله ، انما أمرتك بحبسه في منزلك ، قال : قد امرتني بقتله ، قال له المنصور كذبت ، ما امرتك بقتله ، ثم قال لعمومته : ان هذا قد اقر لكم بقتل اخيكم ، وادعى اني امرته بذلك ، وقد كذب ، قالوا : فادفعه الينا نقتله به ، قال : شأنكم به ، فأخرجوه الى الرحبة ، واجتمع الناس وشهر الامر فقام احدهم فشهر سيفه وتقدم الى عيسى ليضربه ، فقال له عيسى افاعل انت ؟ قال : اي والله قال : لا تعجلوا ، ردوني الى امير المؤمنين فردوه اليه ، فقال انما اردت بقتله

---

(٢٠٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، الطبري ٨/٨ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٠ .

(٢٠٨) المصادر السابقة .

ان تقتلني ، هذا عمك جي سوي ، أن امرتني بدفعه اليك دفعته ، قال : أئتنا به ، فاتاه به ، فقال له عيسى : دبرت علي امرا فخشيته ، فكان كما خشيت ، شأنك وعمك ، قال يدخل حتى أرى رأيي ، ثم انصرفوا(٢٠٩) ، وقد حضر هذه الواقعة ، عيسى واسماعيل وعبد الصمد ابناء علي ، فتأكد لديهم ان امر اخيهم ميؤوس منه تماما ، وان المنصور لو كان جاداً بالعفو عنه ، لعفا عنه في هذه اللحظة ، التي كشفت لهم بأن مسألة تحريكهم بمطالبة الخليفة بالعفو عن عبد الله ، ما كان الا مؤامرة لقتل عيسى بن موسى ، وانها لم يكتب لها النجاح ، بعد افتضاح امرها ، وان المنصور لا بد وان يمضي حكمه في اخيهم بطريقة او اخرى ، عاجلا كان ام اجلا وهذا واضح من قول المنصور لعيسى بن موسى بعد فشل مؤامرته « بل اردت ان تعرف ما عندنا فاذا احتملناك فعلت ذلك »(٢١٠) .

وإن كانت المحاولة الأولى قد باءت بالفشل ، فإن المحاولة الجديدة التي دبرها المنصور ، بكل دقة واتقان ، أتت أكلها وحققت هدفه في عمه ، فبعد أن دفعه إلى أبي الأزهر المهلب بن أبي عيسى في أعقاب فشل المحاولة الأولى ليحبسه عنده(٢١١) ، أمره بعد ذلك أن يتولى قتله « فدخل عليه وكانت معه جارية تخدمه في السجن فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مده على الفراش ، ثم أخذ الجارية ليخنقها ، فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحداً قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ، ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة وعدوله فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن في مقبرة أبي سويد بباب الشام

---

(٢٠٩) المصادر السابقة ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم حوادث سنة ١٤٧ هـ ، واخبار الاذكياء ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، مصر سنة ١٩٧٠ م ، ص ١١٦ ، الابشيهي : المستطرف في كل من مستظرف المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٢١ هـ ، ١١٧/٢ ، انظر : المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ .

(٢١٠) اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ .

(٢١١) المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكر ١٤٦/٤ هـ .

من بغداد في الجانب الغربي »(٢١٢) ، وبذلك انتهت حياة عبد الله ، بكل هدوء .

ومما يجدر ذكره ، أن بعض المؤرخين أوردوا حادثة لنهاية عبد الله مفادها أن المنصور بني له بيتاً أساسه الملح ، وأجرى في أساسه الماء ، فسقط عليه فمات(٢١٣) ، وأرى أن هذه الرواية ضعيفة ولا يعول عليها لسببين :

أولهما : أنه من المستبعد ، استعمال الملح أو قطع الملح في بناء أساس البيوت .

ثانيهما : وحتى لو كان البناء به ممكناً من الناحية الهندسية ، فإن بناءه بهذه الكيفية ، سينكشف أمره للناس ، عن طريق البنائين على الأقل ، وعندها ستتجه أصابع الإتهام إلى المنصور . معلنة أنه القاتل الحقيقي لعمه ، وهذا ما لا يود أن يعرف عنه ، والحوادث السابقة دلت على صحة هذا الرأي .

وعلى ضوء ما قدمته من معلومات عن نهاية عبد الله أستطيع أن أقرر : بأن المنصور مسؤول مسؤولية تامة عن قتل عمه عبد الله ، وان يده لا تبرأ من دمه مطلقاً وهو المسؤول الأول والأخير فيها ، ولولا تصميمه وعزمه الدائم والمستمر على قتل عمه ، يستحيل أن يقدم أحد غيره على تنفيذ هذه الجريمة دون علم الخليفة وبأمره خاصة وأن المقتول ليس شخصية عادية ، بل انه عم الخليفة ، وله مجهود بارز في القضاء على الدولة الأموية ، ذلك لأن المنصور أراد قتل عمه ، وانه أراد بنفس الوقت أن يقوم عيسى بن موسى بقتله ، لكي يتخلص منهما في آن واحد . ولكن فشل محاولته هذه ، جعلته يعيد المحاولة مرة أخرى ، وبصورة جديدة « فأمر أبا الأزهر بقتله »(٢١٤) ، فنفذ هذا الأمر عن أمر الخليفة . وحتى مسألة البيت

---

(٢١٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، المسعودي مروج الذهب ٣١٦/٣ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٤٦/٤ هـ .

(٢١٣) الطبري : ٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٢٧٦/٥ الطبعة الازهرية ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٤/١٠ .

(٢١٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٤٦/٤ هـ .

وسقوطه فيها دليل آخر على أن المنصور كان قد دبر ذلك بنفسه(٢١٥) ويضيف قول عبد الله بن عياش المنتوف ، دليلاً جديداً يعضد ما سبق ذكره ، حين قال للمنصور في إحدى المناسبات « . . . وسقط البيت على عبد الله . . »(٢١٦) يريد أن الخليفة قتله ، لكنه لم يفصح بهذا ، وإنما عرض به وبهذا تقوم الحجة ، على أن مسؤولية قتل عبد الله تقع على عاتق الخليفة . وهو وحده يتحمل تبعتها .

وقد يقول قائل دفاعاً عن المنصور مستنداً إلى ما ذكرته بعض الروايات ، من أن الخليفة قد علق صحة ونفاذ أمانه على رؤ ية عمه »(٢١٧) ، لكن هذا الدفاع مردود لأن الحوادث أيدت أن المنصور قد رأى عمه بعد الأمان ، فذكر ابن عياش « أن أبا جعفر انصرف إلى الحيرة ومعه عمه عبد الله بن علي من غير وثاق وعليه الأحراس(٢١٨) ، وفي رواية أخرى أن عيسى بن موسى قال للمنصور بعد أن كاد ينفذ فيه القصاص « هذا عمك حي سوى ، أن أمرتني بدفعه إليك دفعته . فقال له : أئتنا به فأتاه به . .(٢١٩) ، وفي رواية ثالثة « أن عيسى بن موسى حين أحضر عبد الله معه قال للمنصور : قد سلمته صحيحاً سوياً . . فأمر أبو جعفر فبنى له بيتاً في الدار وقال : يكون نصب عيني(٢٢٠) . ونستدل من هذه الروايات إلى أن الرؤ يا ثابتة ومتحققة ، هذا إذا كانت مشترطة بصحة الأمان ونفاذه ، وعليه فالدفاع ينتقص من هذه الوجهة .

---

(٢١٥) اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ ، الطبري ٩/٨ ، ابن الاثير ٢٧٦/٥ ، الطبعة الازهرية .

(٢١٦) الطبري ٩/٨ ، المسعودي : مروج الذهب ٣١٦/٣ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ .

(٢١٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٤ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ .

(٢١٨) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٣٧/٢ .

(٢١٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ ب ، الطبري ٨/٨ ، الجهشياري الوزراء والكتاب ص ١٣٠ ، وانظر ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ واخبار الاذكياء ص ١١٦ ، الابشيهي : المستطرف ١١٧/٢ .

(٢٢٠) اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ ، انظر ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٤/١٠ .

وسواء اشترط المنصور شروطاً لصحة أمانه أم لم يشترط ، فالأمان في كلا الحالتين صحيح ونافذ ، ومخالفته صريحة وواضحة ، والغدر بعبد الله واقع وثابت ، وعليه فتبعية المخالفة تقع على عاتق الخليفة ، ويتحمل وحده مسؤولية جميع الآثار الشرعية والقانونية المترتبة على نقضه للأمان .

١٠ ـ قتل ابن المقفع وعلاقته بثورة عبد الله :

يظهر أن قصة عبد الله بن علي لم تنته بعد ، فلها صلة بمؤامرة أخرى متصلة بها راح ضحيتها كاتب بليغ ، هو عبد الله بن المقفع[٢٢١] .

وقد اختلف في سبب قتله . فمن قائل انه كان بسبب زندقته ، وان المنصور لما أراد قتله لم يتذرع إلا بهذه الحجة فقتله علانية[٢٢٢] .

وهذا الرأي ليس بقوى لسببين :

أولهما : انه يخالف ما ذكرته سائر الروايات من أن قتل ابن المقفع لم يكن بسبب زندقته ، وإنما كان بسبب كتابته للأمان . وقد يكون هذا الرأي مستنداً إلى ما ذكره البغدادي الذي قال « ان عبد الله بن المقفع كاتب بليغ لكنه زنديق ، روي عن المهدي أنه قال : ما وجدت كتاب زندقة قط إلا أصله ابن المقفع[٢٢٣] ، إلا أن هذا القول ليس فيه دليل على أن قتله كان بسبب الزندقة . والبغدادي نفسه

---

(٢٢١) ابن المقفع : هو روزبه وكنيته ابو عمرو في المجوسية ، وعبد الله وكنيته ابو محمد في الاسلام ، والده داذويه وهو المقفع ، تفقعت يداه لان الحجاج ضربه لاحتجاجه بعض المال حتى تقفعت يداه فغلب الاسم عليه ، وعرف به ابنه فيما بعد الذي ولد في مدينة جور احدى مدن جنوبي فارس ، تولى الكتابة ليزيد بن عمر بن هبيرة والي العراقيين في عهد الدولة الاموية ولما جاءت الدولة العباسية اصبح كاتبا لعيسى بن علي عم الخليفة المنصور واسلم على يده انظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤٢/٣ ب . ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان : (بالفارسية) تصحيح عباس اقبال طبع ايران سنة ١٩٤٢ م ، ص ١١ ، الذهبي : مخطوط سير إعلام النبلاء ٦٤/٥ البغدادي : خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، صورته بالاوفست مكتبة المثنى ، بغداد ٤٦٠/٣ .

(٢٢٢) عبد اللطيف حمزة : ابن المقفع القاهرة ، الطبعة الثانية ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٢٢٣) خزانة الادب ٤٦٠/٣ وانظر ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

يعود ويقرر صراحة أن قتل ابن المقفع كان بسبب الأمان ، فقال « «وجهل ابن المقفع اداه إلى ان يكتب أمانا عن المنصور لعبد الله بن علي ، قال فيه : ومتى غدر أمير المؤمنين . . فاشتد على المنصور جداً ، وخاصة أمر البيعة وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة بقتله ، فقتله ، وبذلك لا يمكن جعل الزندقة سبباً مبرراً لقتله .

ثانيهما : ان قتل ابن المقفع كان سراً وليس علانية ، ولم أعثر على رواية واحدة في المصادر التي اطلعت عليها ، تشير صراحة أو ضمناً بأن قتله جرى بصورة علانية وإنما أجمعت الروايات على أنه تم سراً .

وبذلك يسقط هذا الرأي ، لعدم وجود ما يعضده .

ويرى آخرون وهم جمهور المؤرخين ، أن قتله كان بسبب كتابته لأمان عبد الله بن علي عم الخليفة المنصور[٢٢٤] ، حيث أثار اقدام ابن المقفع على هذا العمل غضب الخليفة وحنقه عليه ، لتشدده في صيغته غاية التشدد والتحرز من كل تأويل قد يقع فيه ، فثقلت هذه الصيغة على المنصور لا سيما ما يتعلق بأمر البيعة ، والأدهى من ذلك أنـه طلب من الخليفة أن يوقع أسفل الأمان بخطه ، ان هو نكث أمانه بأية طريقة كانت ، فالناس في حل من بيعته ، وحل لهم خلعه وحربه والبراءة منه[٢٢٥] فشق عليه هذا الطلب ، وبلغ من شدة غضبه أن قال عقب توقيعه الأمان « أما يكفينا احد ابن المقفع »[٢٢٦] فكانت هذه العبارة بمثابة حكم الإعدام على ابن المقفع فكتب مرزوق بن روقاء مولى الخليفة إلى سفيان المهلبي بذلك ، فعمل هذا على قتله[٢٢٧] ، وفي رواية أخرى « ان المنصور كتب إلى

---

(٢٢٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/١ أ ، اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ ، ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/٤-١٤ هـ .

(٢٢٥) انظر المصادر السابقة ، ابن النديم : الفهرست ص ١٧٨ ، الذهبي مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ ، البغدادي : خزانة الادب ٤٦٠/٣ .

(٢٢٦) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٢٧) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٥ ، البغدادي : خزانة الادب ٤٦٠/٣ .

سفيان ان اكفني ابن المقفع(٢٢٨) ، وفي رواية ثالثة أنه كتب إليه يقول « لا يفلتنك ابن المقفع حتى تقتله»(٢٢٩) .

ومن هذا يتضح أن الخليفة قرر قتله لهذا السبب ، وأمر عامله سفيان بتنفيذ الأمر ، فأخذ هذا يتربص به فسنحت له الفرصة ذات يوم ، حين أرسل عيسى بن علي كاتبه ابن المقفع إلى سفيان في حاجة ، فقبض عليه وسجنه ثم سجر له تنوراً ، فقطعه ورمى به عضواً عضواً ثم أحرقه(٢٣٠) .

وذهب فريق ثالث إلى أن سبب ميتة ابن المقفع هي رسالة الصحابة التي وجهها إلى الخليفة ، وتعرضه فيها إلى نقائص حكمه ، بتناوله الأوضاع الداخلية في الدولة بالجرح والتعديل مظهراً للناس خطل سياسة المنصور في معالجته للأوضاع السائدة في دولته ، فاعتبر أبو جعفر هذه الرسالة بمثابة دعوة قد تكون سبباً في إثارة الجماهير عليه يضاف إلى ذلك ان ابن المقفع قد سمح لنفسه بتوجيه النصح والإرشاد إلى الخليفة ، وهذا ما لا يقبله فارتاب في حقيقة أمره ، ورأى أن في وجوده خطراً على الدولة ، فعزم على التخلص منه(٢٣١) .

والذي أرجحه من الآراء أن سبب قتل ابن المقفع يرجع لأمرين :

أولهما : كتابته للأمان الذي أثار حفيظة الخليفة عليه ، فقرر التخلص منه ، وأوعز إلى سفيان بن معاوية ألد أعداء ابن المقفع بقتله ، فقتله ، وقد لقيت هذه المؤامرة قبولاً وارتياحاً من لدن الخليفة ، يدل عليها دفاعه عن سفيان وقت

---

(٢٢٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ١/٤ أ .

(٢٢٩) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ القمى : الكنى والالقاب مطبعة الحيدرية ، النجف ، العراق سنة ١٩٥٦ م ٤١٧/١ .

(٢٣٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ١/٤ أ ، الجهيشاري : الوزراء والكتاب ص ١٠٦ وانظر : ابن النديم : الفهرست ص ١٧٨ ، وابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

(٢٣١) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ص ٤٦ ـ ٤٧ ، حنا الفاخوري : ابن المقفع نوابغ الفكر العربي عدد ٢٠ ، دار المعارف ، مصر ص ٢١ ـ ٢٥ ، علي حسني الخربوطلي : رسالة الصحابة : المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٧٢ .

محاكمته ، فحين علم عيسى بن علي بمقتل كاتبه ، أسرع بتقديم شكوى للمنصور يتهم فيها سفيان بقتله ، فتظاهر الخليفة بالغضب ، وأمر بحمل سفيان موثوقاً من البصرة لمحاكمته فلما دخل عليه ، شهد عيسى وآخرون عليه بأنه قتل ابن المقفع ، فقال لهم المنصور مدافعاً عن سفيان « أرأيتكم ان أخرجت ابن المقفع إليكم ماذا تقولون ؟ فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن المطالبة بدمه[٢٣٢] وعلم أن قتله كان بأمر من الخليفة نفسه » .

وثانيهما : رسالة الصحابة التي كتبها ابن المقفع للمنصور تناول فيها بالنقد والتجريح سياسة الدولة الداخلية ، فكشف بوضوح خطل هذه السياسة ، فبين عيوب نظام الجند ونقائصه ، وأشار إلى فوضى القضاء ، وإلى فساد من يحيط بالخليفة من المقربين والأصحاب ، وأوضح مساوىء نظام الخراج ، والذي يطلع على نص الرسالة[٢٣٣] يدرك أهمية خطورتها لأنها رسالة غير عادية فهي تعتبر بمثابة تقرير سياسي مهم يلقي الضوء على نظام الحكم القائم آنذاك ، ومن البديهي أن إقدام ابن المقفع على هذا العمل وبهذا الشكل من الصراحة المتناهية ، أثار غضب المنصور عليه ، الذي اعتبرها دعوة للثورة ضده وقرر التخلص منه .

وبذلك تظافر السببان معاً وأديا في النهاية إلى مصرعه سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م[٢٣٤] .

---

(٢٣٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ١/٤ أ ، وانظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٥٠/١ .

(٢٣٣) نظرا لاهمية رسالة الصحابة من الناحية التاريخية لصلتها بسياسة المنصور ، رأيت من المفيد ان اثبت نصها كاملا في ملحق رقم (٣) .

(٢٣٤) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/حوادث ١٤٤ هـ وانظر : الذهبي مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ .

وذكر ابن خياط (تاريخ ٤٤٣/٢) ان قتل ابن المقفع كان سنة ١٣٧ هـ ، وهذه الرواية ضعيفة لان الثابت تاريخيا ابن المقفع قد كتب سنة ١٣٩ هـ امان عبد الله بن علي .

ثانياً : مقتل أبي مسلم الخراساني :

١ ـ علاقة المنصور بأبي مسلم في عهد أبي العباس :

لقد ظهر أبو مسلم الخراساني[٢٣٥] على المسرح السياسي كقائد عسكري محنك ، منذ سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م[٢٣٦] م حين أمره إبراهيم الإمام بإظهار الدعوة وإعلان الثورة في خراسان ، فتمكن بما أوتيه من ذكاء ومقدرة عسكرية من السيطرة على الوضع هناك فاستطاع أن يوحد الصفوف تحت قيادته ، بوقت قصير ، رغم تطاحن القوى وتصارعها سياسياً وقبلياً ، وبذلك قلب موازين القوى في المنطقة بتحويله الموقف لصالح الثورة العباسية ، ومن ذلك الحين بدأ نجمه يرتفع حتى غدا رجل الدولة الأول في خراسان دون منازع ، ولهذا يؤثر على المأمون قوله « أجل ملوك الأرض ثلاثة ، وهم الذين قاموا بثقل الدول ، الإسكندر وأردشير ، وأبو مسلم الخراساني[٢٣٧] .

وتدل مجريات الأحداث على أن أبا مسلم كان رجلاً عسكرياً ماهراً ، لكنه لم يكن رجل سياسة قط ، وشتان ما بين الأمرين ، فكانت تعوزه الخبرة السياسية في مجالها المعروف ، فغلبت عليه الصفة العسكرية دون غيرها . رافقها شدة

---

(٢٣٥) تضاربت الروايات في اصله واسمه ، والذي نميل الى الاخذ به ، انه كان عبدا من علوج اصبهان ، ولم يكن عربيا وكان اسمه ابراهيم بن عثمان بن يسار من ولد بزرجمهر . وامه وشيكه ، ولد باصبهان سنة ١٠٠ هـ ، ونشأ بالكوفة وكان يكنى ابا اسحق ، اتصل بابراهيم الامام فأعجب به ، فلما وجهه الى خراسان طلب منه تغيير اسمه ، فتسمى بعبد الرحمن وتكنى بابي مسلم .

انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٤٢٠ . البلاذري مخطوط انساب الاشراف ٣٩/٣ أ ، الطبري ١٩٨/٧ المقدسي : البدء والتاريخ ٩٢/٦ . مؤلف مجهول : مخطوط اخبار العباس وولده مكتبة الاوقاف بغداد ، رقم ١٠٢٠٤ ، ورقة ١١٧ ب و ١٢٦ ب ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٤٥/٣ ، والذهبي مخطوط سير اعلام النبلاء ٣٥/٥ .

(٢٣٦) الطبري ٣٥٥/٧ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٣٥/٥ .

(٢٣٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٤٧/٣ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٣٢٢/٥ ومخطوط سير اعلام النبلاء ٣٥/٥ .

متناهية في معاملة الآخرين ، وتسرع في إصدار القرارات[٢٣٨] ، « فكان قليل الرحمة قاسي القلب ، سوطه سيفه ، قتل من الأصناف كلها . .[٢٣٩] » . وتخلص من كل العناصر التي كانت تنازعه السيادة[٢٤٠] ، فدانت له البلاد رهبة ورغبة ومن هنا بدأ الغرور يأخذ طريقه إلى نفس أبي مسلم ، فابتلى به بعد أن أصبح من غير منازع ، ليس في خراسان فحسب ، وإنما تعدى سلطانه ونفوذه إلى المناطق المجاورة .

ومن هنا بدأت المشاكل تظهر إلى الوجود بينه وبين السلطة المركزية ، التي كانت تريد أن تفرض أوامرها على جميع ولاتها ، وكان هو يرفض أن يكون أحد وصياً على تصرفاته . فتجاهل تماماً وجود شيوخ ونقباء الدعوة معه في خراسان ، والأغرب من ذلك أنه رفض الإذعان لأمر الخليفة أبي العباس ، حين وجه عمه عيسى بن علي سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م والياً على فارس ، وكان عليها محمد بن الأشعث فأراد محمد قتله ، فقيل له : ان هذا لا يسوغ لك ، فقال : بلى أمرني أبو مسلم أن لا يقدم أحد علي يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه ، ثم خلى سبيله[٢٤١] ، فرجع عيسى إلى الخليفة فأخبره ذلك ، فكظم وأمر عمه بالمقام عنده ، فأقام[٢٤٢] ، وكان لهذه الحادثة بصفة خاصة أثر سيء في نفس الخليفة وأبي جعفر على السواء .

ويبدو أن أبا العباس رغم أن وطأة أبي مسلم قد ثقلت عليه ، لكثرة خلافه إياه ورده لأمره[٢٤٣] ، إلا أنه كان أعجز من أن يتخذ ضده أي إجراء صارم . أما

---

(٢٣٨) انظر) ابن كثير البداية والنهاية ١٠/٦٧ .

(٢٣٩) المقدسي : البدء والتاريخ ٦/٩٣ وانظر : اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٥ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٧ هـ ، ابن دحية : النبراس ، ص ٢٦ نيكلسن : تاريخ الادب العباسي : ترجمة وتحقيق صفاء خلوصي مطبعة اسعد بغداد ١٩٦٧ م ، ص ٢٠ .

(٢٤٠) انظر فلوتن : السيادة العربية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم مطبعة السعادة مصر الطبعة الاولى ١٩٣٤ م ص ١٢٩ .

(٢٤١) ابن الاثير : الكامل ٥/٤٤٣ .

(٢٤٢) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٥٧ .

(٢٤٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٣ .

المنصور فكان على العكس من ذلك تماماً . لأنه كان يرغب أن تكون سلطة الدولة ظاهرة في جميع المناطق التي تسيطر عليها ، ويجب على الجميع بما فيهم الولاة احترام وتنفيذ القرارات الصادرة عنها ، وكل من يشذ عن هذه القاعدة ، يجب اتخاذ القرار المناسب بحقه . بغض النظر عما قدمه من خدمات .

ومن الطبيعي أن سياسة اللين هذه تجاه أبي مسلم زادت من غروره ، حتى بلغ هذا الغرور حداً ، دفعه إلى تعيين أبي الجهم بن عطية جاسوساً له في البلاط العباسي ، لينقل أخبار البلاط إليه أولاً بأول . وكان الخليفة يعلم هذه الحقيقة لكنه تجاهلها خوفاً من أن يغضب بتصرفاته أبا مسلم ، الذي كان يرى في غضبه خطراً على كيان الدولة الجديدة(٢٤٤) .

أما المنصور فقد كان على النقيض من ذلك ، ولم يوافق الخليفة في نظرته هذه ، فضلاً عن أنه لم يكن مرتاحاً لوجود أبي الجهم في البلاط بهذا الشكل ، واعتبر وجوده إهانة للبلاط بأسره ، وكان من حصيلة اختلاف وجهات النظر هذه بين الخليفة وأبي جعفر من جهة ، وبين أبي جعفر وأبي مسلم من جهة أخرى ، أن برزت المنافسة بين المنصور وأبي مسلم ، من أجل الزعامة والتصدر للأمور . فكانت جميع تصرفات أبي مسلم لولي العهد ، منصبة على هذه الناحية ، ناسياً أو متناسياً ما للمنصور من مكانة سياسية مرموقة عند الخليفة ، وربما أثرت هذه المكانة على مستقبله السياسي ، ولكن يبدو أن أبا مسلم كان يسعى لإزاحة المنصور عن طريقه لذا لم يعبأ لوجوده أو لمكانته ، يؤيد ذلك ، ما قاله وهو في طريقه إلى العراق « إني لأرجو أن يموت أبو العباس ، فأكون أقوى مما بعده ، ثم أغلب على الأمر ، ويكون لي شأن من الشأن ، فلا تبقى بلداً إلا وطيته برجلي هاتين »(٢٤٥) وهذا يسر لنا وضعه قواتٍ في الري بلغ قوامها ثمانيةِ آلاف

---

(٢٤٤) أنظر الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٦ .

(٢٤٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ١٣٩ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

مقاتل[٢٤٦] لتكون على أهبة الإستعداد عند استدعائها ، وأقبل في ألف مقاتل .

ولهذا سعى كل من الرجلين في أبعاد منافسه عن طريقه بأية صورة كانت .

وقد ظهرت هذه المنافسة بصورة واضحة سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، حين أرسل الخليفة أخاه المنصور بصحبة الحجاج بن أرطأة الفقيه واسحق بن الفضل الهاشمي وغيرهم إلى خراسان ، لاستشارة أبي مسلم وأخذ رأيه في انحراف أبي سلمة الخلال «فلم يحتفل به . . »[٢٤٧] ، فأضمر المنصور له هذا الموقف .

ومما زاد الأمور سوءاً إقدام أبي مسلم على قتل سليمان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء العباسيين حين وشى به ، انه قال « حفرنا نهراً فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء يعني أبا مسلم فبلغ أبا مسلم قوله فاستوحش منه ، وشهد عليه بقوله : اللهم سود وجه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود[٢٤٨] وجرت هذه الحادثة أثناء وجود المنصور هناك ، فتجاهل أبو مسلم وجوده ، ولم يستشيره في هذا الأمر الخطير . ونفذ الأمر في سليمان دون الرجوع إلى رأيه فيه ، واكتفى بأن كتب إلى الخليفة يعلمه بقتله لسليمان فلم يجبه على كتابه[٢٤٩] ويظهر أن قتل سليمان وهو بمركز شيخ النقباء كان سببه التنازع على السلطة التي أراد أبو مسلم أن ينفرد بها من غير منافس[٢٥٠] .

---

٢٤٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ آ ، الطبري ٧ / ٤٦٩ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ .

(٢٤٧) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩١ وانظر البلاذري مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب و ٣٩ آ الدينوري الأخبار الطوال ص ٣٥٦ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٦ هـ .

(٢٤٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٧آ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٣٠ . أما فان فلوتن ، فإنه قال بأن هذه المعلومات الشائعة المفصلة . . لم ترد في كتب الكثيرين من مؤرخي العرب ويستطرد فيقول : وقد انفرد المقريزي بذكر بعض شذرات منها . السيادة العربية ص ١٤٧ . المقريزي : المقفى الكبير ، مخطوط المكتبة الأهلية بباريس ، ورقة ٨٠ ب ، وما ذكره فلوتن ليس بقوي لأن البلاذري ذكر هذه الحوادث بصورة مفصلة وربما يكون المقريزي قد أخذها عن البلاذري أو العيني لكنه لم يذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته هذه فظن فلوتن أن المقريزي انفرد بها .

(٢٤٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ١٣٧ آ .

(٢٥٠) أنظر : مؤلف مجهول . (من القرن ١١ م) : تاريخ الخلفاء ص ٥٣٠ .

وقد أثارت هذه الحادثة وسابقتها في نفس المنصور حقداً شديداً على أبي مسلم ، وتبدو المرارة التي تركتها تصرفات أبي مسلم واضحة في نفس أبي جعفر من خلال قوله لأخيه عند رجوعه من خراسان « لست بخليفة ، ولا أمرك بشيء ، إن لم تقتل أبا مسلم ، فقال أبو العباس : وكيف ذلك ؟ قال : لا والله ما يعبأ بنا ، ولا يصنع إلا ما يريد ، فقال له أبو العباس : أسكت واكتمها(٢٥١) وفي رواية أخرى أنه قال لأبي العباس « لست بخليفة ، ما دام أبو مسلم حياً ، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ، ومثله لا يؤمن غدره ونكثه ، فقال أبو العباس : وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبة واتباع أمره وإيثار طاعته ، فقال له : فذاك والله أحرى أن لا تأمنه ، فاحتل له ، فقال أبو العباس : يا أخي أضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك في ذلك أحداً »(٢٥٢) .

إن الحادثتين السابقتين تحدد لنا نقطة البداية في تحديد علاقة أبي جعفر بأبي مسلم ، ونستدل منها على أن المنافسة بين الرجلين قد وصلت أوج عظمتها ، لذلك طلب المنصور من أخيه قتله ، لكن طلبه لم يلق استجابة كافية من لدن الخليفة ، وبذلك فشلت **أول محاولات المنصور** لاغتيال أبي مسلم .

وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة ، فإن المنصور استمر في سياسته تجاه أبي مسلم لأنه لم يشأ أن يتركه يستمر في غطرسته وجبروته ، وأخذ يلح على أخيه بضرورة التخلص منه . وتحت وطأة هذا الإلحاح اقتنع الخليفة أخيراً بوجهة نظر أخيه ودبر لأبي مسلم مؤامرة لاغتياله سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ، حين دس سباع بن النعمان الأزدي ، وأمره باغتيال أبي مسلم في أول فرصة تمكنه من ذلك ، وبنفس

---

(٢٥١) الطبري : ٧ / ٤٤٨ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٦ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / حوادث ١٣٢ هـ .

العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٦ .

وانظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

(٢٥٢) الدينوري : الأخبار الطوال ٣٥٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٩٨ .

الوقت حرض زياد بن صالح على إعلان الثورة ضد أبي مسلم فيما وراء نهر بلخ ، وأرسل له عهده بيد سباع الأزدي ، فلما اتجه أبو مسلم للقضاء على تمرد زياد ، أخبره هذا بتفاصيل المؤامرة ، فقبض أبو مسلم على سباع الأزدي وقتله[٢٥٣] ، ولما علم الخليفة بفشل المحاولة ، أرسل إلى أبي مسلم مهنئاً بانتصاره على المتمردين ونجاحه في تثبيت النفوذ العباسي في تلك المناطق[٢٥٤] . وبذلك باءت **المحاولة الثانية** بالفشل .

أما **المحاولة الثالثة** فقد جرت أحداثها في الأنبار سنة **١٣٦ هـ / ٧٥٣ م** ، حين « كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذن في الحج ، فكتب إليه : ان الجهاد أفضل من الحج ، فكتب إليه : أنه لا بد لي من الحج فإني حججت وأنا تابع بغير مالي ، وعلى غير طهري ، وفي نفسي من ذلك شيء . فكتب إليه : يأمره في ألف ، ويقول له : إنما تسير في سلطان أهلك ، وطريق مكة طريق لا تحتمل العسكر ، فأما المال فلا تستكثر منه وعول علينا به ، فأقبل في الرجال ومعه الأموال حتى نزل الري ، فخلف فيها ثمانية آلاف فارس وخلف الأموال ، وأتى الأنبار في ألف[٢٥٥] واستخلف على خراسان خالد بن إبراهيم الذهلي[٢٥٦] . أما الجهشياري فذكر أن « أبا الجهم بن عطية كان ينوب عن أبي مسلم بحضرة أبي العباس ويخلفه ، فلما ثقلت وطأة أبي مسلم على أبي العباس ، وكثر خلافه إياه ورده لأمره ، قال لأبي الجهم ، أكتب إليه ، وأشر عليه بالإستئذان في القدوم علينا فكتب إليه أبو الجهم بذلك . . . فكتب مستأذناً ، فمنعه أبو العباس وقال له : خراسان لا تحتمل مفارقتك لها ، وخروجك عنها ، وتركه شهراً ، ثم قال لأبي

---

(٢٥٣) الطبري ٧ / أحداث ١٣٥ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ٢١١ ومخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ١٣٥ هـ .

(٢٥٤) أنظر : فاروق عمر : العباسيون الأوائل ١ / ٨٣

(٢٥٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ ، وانظر : الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٧ ، الطبري : ٧ / ٤٦٩ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ .

(٢٥٦) الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ١٣٦ هـ .

الجهم أعد له الكتاب بمثل ذلك . . . وفي الثالثة أذن له »[٢٥٧] .

وبنفس الوقت كان الخليفة قد كتب لأخيه المنصور وهو يومئذٍ بالجزيرة يقول له « ان أبا مسلم قد استأذن في الحج وهو مغلس ، فأقدم حاجاً »[٢٥٨] لأن الخليفة نفسه ساورته بعض الشكوك في أبي مسلم ، فلم يحب أن يكون هو في العراق وأبو جعفر هناك ، واتقى أن يكون منه غائلة أو شيء من بعض الخلافة[٢٥٩] ، لذلك استدعى أخاه على عجل ليكون بجانبه ، فأسرع المنصور وقدم الأنبار فوصلها قبل وصول أبي مسلم إليها .

وقد وجد المنصور أن الفرصة مناسبة جداً لاغتيال أبي مسلم في الأنبار ، بعيداً عن مركز قوته خراسان ، وزاد من تدهور الموقف وتصعيد روح الحقد والكراهية في نفس المنصور ، أن أبا مسلم لما دخل على أبي العباس وسلم عليه ، تجاهل وجود أبي جعفر بحضرته ، ولم يسلم عليه ، فنبهه الخليفة قائلاً : هذا أبو جعفر أخي ، فأجاب أبو مسلم أن مجلس أمير المؤمنين لا تقضى فيه الحقوق[٢٦٠] .

وكان لهذه الحادثة ردود فعل عنيفة في نفس المنصور ظهرت بوادرها واضحة على سلوكه وتصرفه ، فأشار على أخيه بإلحاح بضرورة التخلص من أبي مسلم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أطعني واقتل أبا مسلم ، فوالله أن في رأسه لغدرة[٢٦١] ، فأجابه الخليفة : «يا أخي ، قد عرفت بلاءه ، وما كان منه ، فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدولتنا ، والله لو بعثت سنوراً لقام مقامه ،

---

(٢٥٧) الوزراء والكتاب ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢٥٨) العيني مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(٢٥٩) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

٢٦٠) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ١٧ . البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٧ أ اليعقوبي : تاريخ ٣ / ٩١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ / ١٧ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٣٦ .

(٢٦١) الطبري : ٧ / ٤٦٨ .

الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٥٩ .

وبلغ ما بلغ في هذه الدولة ، فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ فقال : إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلت فتغفلته فضربته من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس ، فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال :يؤول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا . قال : عزمت عليك إلا كففت عن هذا ، قال : أخاف والله ان لم تتغده اليوم يتعشاك غداً قال : فدونكه أنت أعلم . . . »(٢٦٢) .

وبذلك تم إعداد الخطة والإتفاق عليها ، على أن يقوم المنصور بتنفيذها لوحده فخرج من عند الخليفة وأعد العدة لتنفيذ الاتفاق ، فوصله أمر من الخليفة يقول له فيه لا تفعل ذلك الأمر(٢٦٣) .

ويبدو لي أن رأي الخليفة كان أصوب من رأي المنصور في هذه المسألة ، فقد ساوره إحساس بإرجاء قتل أبي مسلم لظرف أكثر ملاءمة من الظرف الذي هو فيه ، ومع أنه اتفق بعد تردد مع أبي جعفر بأن يقوم الأخير بتنفيذ اغتيال أبي مسلم بحضرته ، إلا أنه حين أحس بتسرعه بالموافقة ، ورأى ببعد نظره أن التسرع في هذا الموضوع بالذات في ذلك الظرف الحرج ، قد يترتب عليه من القلاقل ما يعرض أمن الدولة وسلامتها للخطر ـ وقد أيدت الحوادث صحة ذلك فيما بعد ـ لذا نجده يأمر أخاه بعدم تنفيذ ما اتفقا عليه في آخر لحظة ، وبذلك فشل المشروع .

ومع كل ما تقدم ، فقد استمر ابو مسلم يتردد على مجلس الخليفة ، فلما قرب موسم الحج استأذنه في أن يكون أميرا للموسم فقال له أبو العباس : لولا أن أخي على الحج عامه هذا لوليتك الموسم ، فانك رجل منا اهل البيت . فامتعض ابو

---

(٢٦٢) الطبري : ٧ / ٤٦٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٥ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٨ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٦ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧ .

(٢٦٣) الطبري : ٧ / ٤٦٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٥٩ . وانظر بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٦ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٥٧

مسلم من ذلك ، وقال أما وجد ابو جعفر سنة يحج فيها الا هذه السنة التي حججت فيها ، واضطغنها أبو جعفر عليه[٢٦٤] ، وعبارة أبي مسلم الاخيرة تبين بوضوح مدى المنافسة بين الاثنين .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أراد الخليفة أن يحد من سلطانه المتزايد ، فاسند امارة الموسم لاخيه دونه ، لانها كانت شرفا لمن يتولاها وهذا الاجراء في ذلك الوقت بالذات يعتبر اقرارا من الخليفة بأن المنصور الرجل الاول بعده، وأن منزلته تفوق منزلة أبي مسلم وغيره ، لذلك أراد أن يبرز هذه المعاني للقواد وكبار رجال الدولة فعينه أميرا للموسم .

وعلى هذه الصورة من التنافس والتناحر ، والبغض والكراهية ، اتجه الركب الى مكة تحت أمرة المنصور « فكان ابو مسلم يتقدم أمام أبي جعفر باديا وراجعا خوفا على نفسه »[٢٦٥] ، ومن الاعمال التي أثارت الحقد في قلب المنصور واشعلت فيه نار الانتقام ، اقدام أبي مسلم على تسهيل الطرق ، وحفر الآبار ، واكساء الاعراب في كل منزل ، فكان الصيت والذكر له ، دون الخليفة[٢٦٦] ، وأمر مناديا في الطريق ، بريت الذمة من رجل أوقد نارا في معسكر الامير ، فلم يزل يغديهم ويعشيهم حتى بلغ مكة ، وأوقف في المسعى خمسمائة وصيف يسقون من سعى من الحاج بين الصفا والمروة الأشربة[٢٦٧] ، وكان اذا كتب للمنصور يبدأ بنفسه ، ثم يكتب اليه : لا يهولك ما في صدر الكتاب ، فأني لك كما تحب ، ولكني أحب أن يعلم اهل خراسان أن لي منزلة عند أمير المؤمنين[٢٦٨] ، فاعتبر

---

(٢٦٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ . الطبري : ٧ / ٤٧٠ و ٤٧٩ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٢٦٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ .

(٢٦٦) الطبري : ٧ / ٤٨٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٦٨ .

(٢٦٧) ابن جابر الله : مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث ١٣٦ هـ .

(٢٦٨) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢ / ١٣٢ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ زيادة في الاطلاع أنظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٢٦ ، الطبري : ٧ / ٤٨٠ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٩٤ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٦٨ .

المنصور هذه الاعمال استطالة منه عليه .

وبعد انتهاء الموسم ، رجع الجميع قاصدين العراق ، وأثناء الطريق وصل الخبر بوفاة أبي العباس ، فعلم أبو مسلم بالخبر أولا لتقدمه في المسير ، فكتب الى أبي جعفر : عافاك الله وامتع اجرك ، اتاني خبر وفاة امير المؤمنين رحمه الله فبلغ مني أعظم مبلغ ، وزادني وجعا وألما ، فاعظم الله أجرك ، وجبر مصيبتك ، ورحم الله أمير المؤمنين ، وغفر له ، وجزاه باحسن من عمله(٢٦٩)، فلما قرأ المنصور استشاط غيظا ، لأن أبا مسلم بدأ الكتاب بنفسه أولا ، ولم يهنئه بالخلافة ثانيا .

وبلغ من شدة غضب المنصور أن قال : أنا بريء من العباس ان لم أقتل ابن وشيكة(٢٧٠) ـ ووشيكة ام أبي مسلم ـ وعزم على تنفيذ محاولته الرابعة لاغتيال أبي مسلم ، فاستدعى عطية بن عبد الرحمن التغلبي ، وكتب لابي مسلم كتابا رداً على كتابه السابق جاء فيه : من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الرحمن ، وصل كتابك فرأيتك غير موفق فيه المرشد ولا مسدد للصواب ، ولكني ذكرت ما تقدم من طاعتك ، فعطفي عليك ، وقد وليتك مقدمتي ، فسر على اسم الله وبركته حتى توافي الانبار ، ومن أنكرت من أمره شيئا من عمالنا فأصرفه والاستبدال به اليك(٢٧١) . وطلب من عطية أن ينطلق بالكتاب ، وأوصاه باغتيال أبي مسلم فقال له : لمثلها كنت أحسب أن العبد كتب الى بما ترى ، وقد أجبته فانطلق بالكتاب اليه ، فاذا أخذ في قراءته فاضرب عنقه ، فان قتلت فشهادة ، والله خليفتك على من تخلف وهم عندي عدل ولدي ، وان سلمت فلك من المكافأة ما تظنا العرب به عقبك ، فقال له اسحاق بن مسلم : يا أمير المؤمنين انه لا يؤمن أن ينبو سيفه فيقتل باطلا ويكر العلج علينا . وقال له يزيد بن اسيد اذكر قول القطامي .

---

(٢٦٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ .

(٢٧٠) المصدر السابق ، وانظر : الحلبي : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١ / ١٤٣ .

(٢٧١) المصدر السابق .

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ثم أشار عليه قائلاً : اني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده ، وهم له أطوع ، وله أهيب وليس معك أحد ، وقال له أبو ايوب كاتبه : أخر الامر حتى تقدم الى شيعتك وأهل بيتك . فاقتنع المنصور بوجهة نظرهم ، وأجل الموضوع الى وقت آخر أكثر ملاءمة وانفذ الكتاب مع غير عطية(٢٧٢) .

ثم أن أبا مسلم لما علم باستخلاف المنصور ، كتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم اصلحك الله يا أمير المؤمنين صلاحا ناميا باقيا ، بلغني هذا الامر الذي افظعني وأتاني به كتاب عيسى بن موسى مع محمد بن الحصين الا أنه سرى عني الغم ولوعة المصيبة ما صار اليك من الامر ، فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولاك ، وأن يبارك لك فيما قلدته ، اعلم أنه ليس لك يا أمير المؤمنين أشد تعظيما لحقك وحرصا على سيرتك مني ، والله اسأل لك السلامة في الدين والدنيا (٢٧٣) .

وبعد يومين أرسل له بالبيعة ، وكان قصد أبي مسلم من ذلك ارهاب أبي جعفر بتأخيرها(٢٧٤) .

وفي الانبار ، يظهر أبو مسلم علانية ولاول مرة ، نواياه الخطرة تجاه المنصور ، وذلك بتحريض عيسى بن موسى على اعلان الثورة ، ضد أبي جعفر ، وتنصيبه خليفة للمسلمين بدلا منه ، واعلمه باستعداده التام للتعاون معه من أجل ذلك ، لكن عيسى رفض العرض رفضا قاطعا ، وحذر أبا مسلم من مغبة عمله وقال له : الامر لعمي ولو قدمني ابو العباس لقدمته على نفسي(٢٧٥) . وبذلك

---

(٢٧٢) المصدر السابق .

(٢٧٣) المصدر السابق ، وانظر : الطبري ٧ / ٤٧٢ .

(٢٧٤) المصدران السابقان .

(٢٧٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ أ . ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٦٩ .

فشلت محاولة أبي مسلم ، ووصل الخبر الى المنصور فزاد من حقده عليه . الا أن ثورة عبد الله بن علي التي استفحل امرها آنذاك جعلت المنصور يرجىء النظر في ابي مسلم لحين الانتهاء منها .

٢ - نهاية أبي مسلم :

وجد المنصور ان ثورة عبد الله رغم خطرها فانها ستحقق له هدفاً في تخلصه من عبد الله أو من أبي مسلم ، لذا أختار الاخير ليضربه بعمه ، فتمكن من الانتصار على عبد الله ، وبانتصاره بدأت تحدد نهايته . فبعد أن كتب أبو مسلم الى الخليفة يعلمه بانتصاره على عبد الله ، أرسل الخليفة اليه يقطين بن موسى لحصي الأموال[٢٧٦] ، فثار أبو مسلم ، وقال : ما لأبي جعفر ولهذا انما له الخمس ، ثم قال : يا يقطين أمين على الدماء ، خائن في الأموال ، قبح الله أبا جعفر ، وشتمه ونال امه ، فقال افعلها ابن سلامة الفاعلة لا يكنى ، وشتم يقطين[٢٧٧] . فلما رأى يقطين ثورة أبي مسلم وغضبه أراد أن يهدىء نفسه ، فقال له : ان أمير المؤمنين ما وجهني اليك الا مهنئا بالفتح[٢٧٨] ، وقد عجلت أيها الأمير ، انما أمرني أن احصي ما وجد في عسكر عبد الله ثم اسلمه اليك لتعمل فيه برأيك ، وتصنع به ما أردت[٢٧٩] ، فلم يقتنع أبو مسلم بكلامه ، وتوعد أبا جعفر وقال ليقطين : سيعلم ابن سلامة عن قريب كيف يكون الامر بيني وبينه[٢٨٠] .

---

(٢٧٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٦ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٨ . البلاذري مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ .

الطبري ٧ / ٤٨٢ . ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٧٧) البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١١٩ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٦ .

الطبري : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ .

(٢٧٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٦ .

المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٢ .

(٢٧٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٢٦ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ .

٢٨٠) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

وعندما رجع يقطين ، أخبر الخليفة بما شاهده وما سمعه ، فتغير وجه المنصور ، وخشي أن يمضي أبو مسلم الى خراسان قلعته الحصينة . وبذلك يصعب معالجة امره فقرر أن يحول بينه وبينها ، ولتحقيق هذا الهدف كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى كتب اليه : اني قد وليتك الشام ومصر ، فهما افضل من خراسان ، فوجه الى مصر من أحببت ، وأقم بالشام فتكون بقرب امير المؤمنين ، فان احب لقاءك اتيته من قريب[٢٨١] .

ويظهر أن هدف الخليفة من هذا الاجراء تحقيق ثلاثة أمور :

١ ـ ابعاد أبي مسلم عن مركز قوته خراسان .

٢ ـ لكي يكون قريبا من مركز الخلافة وبذلك يسهل مراقبته ورصد تحركاته عن كثب .

٣ ـ اضعاف مركزه السياسي ، ونفوذه العسكري نظرا لكراهية أهل الشام للخراسانيين بصورة عامة ، ولجيش ابي مسلم خاصة بعد ان اذاقهم مرارة الهزيمة .

وذهب الخليفة الى ابعد من ذلك ، حين كتب اليه كتابا ، يخبره فيه ، بانه قد تجاوز عنه وترك له جميع الاموال ليتصرف بها كما يشاء ، وأمره أن يستخلف على الشام من يريد ويقدم عليه[٢٨٢] ، وأرسل الكتاب مع يقطين بن موسى ايضا ، الذي قام بتسليم الكتاب لابي مسلم ، فور وصوله اليه ، فلما قرأه ، غضب غضبا شديدا ، لتجرؤ الخليفة على عزله ، لأنه كان يعتقد بأنه اصبح حاكما غير قابل للعزل او الاستبدال ، وانه من الضروري للخليفة أن يستشيره في هذا الامور ، وان لا يصدر اي امر بهذا الشأن دون الرجوع اليه وأخذ رأيه فيه ، لذلك أحس

---

(٢٨١) الطبري : ٧ / ٤٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٦٩ ، الحلبي : اعلام النبلاء ١ / ١٤١ وانظر البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٧ هـ .

(٢٨٢) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

بأن المنصور قد اهانه وجرح كرامته بعمله هذا ، وهو ما لا يمكن السكوت عنه ، يؤيد هذا قوله معقبا على الكتاب : أهو يوليني الشام ومصر ، وخراسان لي ، ايخدعني ابن سلامة ، وقد اضاء الصبح لذي عينين ، ثم رمى الكتاب من يده(٢٨٣) .

وكان الحسن بن قحطبة يومئذ مع ابي مسلم بالشام ، وكان يكتب بالاخبار سرا الى المنصور ، فكتب اليه يخبره بكلام ابي مسلم ، وكتب اليه في آخر الكتاب : اني اخبرك يا أمير المؤمنين ، ان الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد الله بن علي ، قد انتقل في رأس ابي مسلم ، والسلام(٢٨٤) .

وبعد هذه التطورات الخطيرة ، اصبح التفاهم أو الصلح بينهما مستحيلا ، فقرر كل واحد منهما أن يسلك الطريق الذي يحمي به نفسه من الآخر ، فأبو مسلم قرر السفر الى خراسان ، للاحتماء بها ، وبانصاره المتواجدين فيها ، ولانه سيكون أقوى من أن يناله اذى من الخليفة ، أما الخليفة فانه صمم على اتباع اية طريقة ، للظفر بابي مسلم قبل وصوله خراسان .

ومن أجل أن يصل كل منهما الى هدفه ، شرعا بتنفيذ خططهما ، فأسرع أبو مسلم وشد رحاله متجها الى خراسان ، فوصل كفر توثا(٢٨٥) ، وأقام بها ثلاثة أيام ، ورحل عنها ـ وتخلف الحسن بن قحطبة لمرض اصابه ـ فوصل نصيبين ، وأقام بها أياما ، حتى استراح اصحابه ، ثم سار فدخل الموصل ، وتفرق عنه جماعة ، فصاروا الى المنصور بحجة أنهم يريدون الحج ، وخرج من الموصل يريد

---

(٢٨٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ـ الطبري ٧ / ٤٨٢ ، ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٧٤) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٨٥) كفر توثا : بليدة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٨٤ .

خراسان ، ومعه دليل ، يدله على الطريق حتى اخرجه من شهرزور[286] وأخذ طريق حلوان[287] .

أما الخليفة ، فانه ، لما علم بتحركات ابي مسلم ، وخط سيره واتجاهه ، استعد للمواجهة الحقيقية ، التي ستحدد مستقبل الدولة ووضعها السياسي فعمل كل ما في وسعه للحيلولة دون وصول أبي مسلم الى خراسان ، فبادر فور دخول ابي مسلم أرض العراق الى الرحيل عن الانبار الى المدائن وعسكر برومية المدائن[288] التي بناها كسرى[289] ، فقيل له : ان ابا مسلم اخذ طريق حلوان ، فقال : رب امر الله دون حلوان[290] ، يريد بذلك أن تمكنه الفرصة منه قبل مواصلة سفره الى خراسان .

وبعد أن استقر المنصور بالمدائن ، شرع بتنفيذ خطته ، فبدأ أولا بانتهاج سياسة اللين ، فكتب اليه : اني اردت مذاكرتك في اشياء لم يحتملها الكتاب ، فأقبل فان مقامك قلبي[291] .

ولما وصل الكتاب لابي مسلم وهو في طريقه الى حلوان ، قرأه ، ولم يلتفت

---

(٢٨٦) شهر زور : كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان ، ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٣١٢ .

(٢٨٧) حلوان : في آخر السواد مما يلي الجبال . المصدر السابق ٢ / ٣٢٢ . وانظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري : ٧ / ٤٨٣ ، ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .
ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٦٧ .

(٢٨٨) المدائن : وتسمى طيسفون وهي بلدة تقع جنوب بغداد الحالية وتبعدة عنها حوالي ٤٠ كم تقريباً . وآثارها لا زالت موجودة حتى وقتنا هذا ، وتعتبر من المناطق السياحية وفيها قبر الصحابي سلمان الفارسي (رض) .
ورومية المدائن : معدودة من مدائن كسرى .

(٢٨٩) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٢ وانظر : البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١١٩ الطبري ٧ / ٤٨٣ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ .

(٢٩٠) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري ٧ / ٧ / ٤٧٤ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٢٩١) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، وانظر : الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٩ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٢ .

اليه وكتب الى المنصور : اما بعد فانه لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدو الا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان : ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ، ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد ، حيث تقارنها السلامة ، فأن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك ، فان أبيت الا أن تعطي نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ، ضنا بنفسي[٢٩٢] . والرسالة كما هو واضح شديدة اللهجة ، والتهديد فيها سافر .

وبعد أن تسلم المنصور رسالة ابي مسلم ، وعرف مضمونها ظل رابط الجأش مسيطرا على اعصابه ، حذرا من اتخاذ أي اجراء من شأنه اثارة غضب أبي مسلم ونفوره منه ، لذلك اجابه بكتاب قال له فيه : قد فهمت كتابك ، وليست صفتك صفة اولئك الوزراء الغششة ملوكهم ، الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ، فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم ، وانت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من اعباء هذا الامر على ما انت به ، وليس مع الشريطة التي اوجبت منك سمع ولا طاعة ، وحمل اليك امير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان اصغيت اليها ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزعاته وبينك ، فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك اوكد عنده ، وأقرب من طبه[٢٩٣] من الباب الذي فتحه عليك[٢٩٤] .

ومن اللافت للنظر حقا ، تلك الرسالة الغريبة في الفاظها والفريدة في نوعها ، والتي أشارت المصادر التاريخية ، الى أن أبا مسلم وجهها للمنصور حين استوحش منه ، ونصها :

---

(٢٩٢) الطبري : ٧ / ٤٨٣ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١١ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤٠ / ١٢٧ هـ .

(٢٩٣) الطب هنا : السحر .

(٢٩٤) الطبري : ٧ / ٤٨٣ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٨ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٧ هـ .
العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٣ .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الرحمن بن مسلم الى عبد الله بن محمد : أما بعد فاني اتخذت أخاك اماما ـ يقصد ابراهيم الامام ـ وكان في قرابته برسول الله ﷺ ، ومحله من العلم على ما كان ، ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعا في قليل من الدنيا قد نعاه الله لاهله ، ومثلت له ضلالته على صورة العذاب ، فأمرني أن أجرد السيف وآخذ بالظنة ، ولا أقبل معذرة ، وان اسقم البرىء ، وابرئ السقيم ، وآثر اهل الدين في دينهم وأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العشوة بالافك والعدوان ، ثم ان الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكره لي الجور ، فان يعف فقديما عرف ذلك منه وان يعاقب فبذنوبي وما الله بظلام للعبيد[٢٩٥] .

وقد أورد بعض المؤرخين جوابا للمنصور يشك في صحته لعدم وجوده في المصادر القديمة ، أهم ما جاء فيه « اما بعد ايها المجرم العاصي ، فان أخي رحمه الله كان امام الهدى يدعو الى الله على بصيرة ويقين من أمره ، فأوضح السبيل وقد تفرقت بالناس السبل ، وأقامك فيها على منهاج الذي عليه آثار النبوة وما في الكتاب ، فلو بأخي . . . اقتديت وبرأيه اهتديت ، والى امره انتهيت لما كنت عن الحق صايراً، لكنك لم تكن لنا في طاعة قط يوما واحدا . . لا يسنح لك امران الا كنت لاشدهما تاركا ولاغواهما مواتيا ، تقتل على الغضب ، وتبطش بطش الجبابرة . . . »[٢٩٦]

أما الرسالة الأولى التي ارسلها ابو مسلم للخليفة ، وجاء فيها « أما بعد فاني اتخذت اخاك إماما . . » فهي تعتبر تحديا سافرا للمنصور ، ولو صحت فانها تعكس لنا النفسية القلقة التي كان عليها أبو مسلم وقت كتابتها .

---

(٢٩٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري ٧ / ٤٨٣ ، ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٨ وانظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢٩٦) مخطوط الفتوح جـ ٢ ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية (في رواية) ١٠ / ٦٩ الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٤٠ .

ومهما يكن من أمر ، فان المنصور استمر في سياسيته اللين والترغيب تجاه أبي مسلم لاصطياده ، فأمر عمومته ، ومن حضر من بني هاشم ان يكتبوا اليه ، فيعظموا عليه حق الطاعة ويحذروه شر عواقب الغدر والتبديل والنكث ويسألوه الرجوع ، ويشيروا عليه به ، فكتبوا اليه(٢٩٧) .

وأرسل المنصور الكتاب مع أبي حميد ، محمد بن ابراهيم الحميري ، وأوصاه قائلا : كلم أبا مسلم بالين ما تكلم به أحدا ، ومنه واعلمه اني رافعه وصانع به ما لم يصنعه أحد ، ان هو صلح وراجع ما أحب ، فان ابى أن يرجع فقل له : يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس وأنا بريء من محمد ، ان مضيت مشاقا ولم تأتني ، ان وكلت أمرك الى أحد سواي ، وان لم آل طلبك وقتا لك بنفسي ، ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها ، حتى اقتلك أو اموت قبل ذلك ، ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ، ولا تطمع منه في خير(٢٩٨) .

واستعان أبو جعفر ايضاً باصدقاء ابي مسلم ، امثال عيسى بن موسى وجرير بن زيد البجلي ، أحد دهاة زمانه ، للتأثير عليه ، وفت عزمه ، لثنيه عن مواصلة سيره الى خراسان ، واقناعه بضرورة مقابلة الخليفة ، ثم السفر بعد ذلك بعلمه ورضاه لكن أبا مسلم لم يقتنع بوجهه نظرهم هذه . وظل متمسكا برأيه السابق .

وعلى اثر وصول ابي حميد والوفد المرافق له ، تغير الموقف لصالح الخليفة ، فحين دخل عليه ، وهو لا يزال بحلوان ، دفع اليه كتاب المنصور ، وقال له : « ان الناس يبلغونك عن امير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيه فيك ،

---

(٢٩٧) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري ٧ / ٤٨٤ ، ابن الأثير الكامل ٥ / ٤٧١ .

(٢٩٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري ٧ / ٤٨٤ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

حسدا وبغيا ، يريدون ازالة النعمة وتغييرها ، فلا تفسد ما كان منك ، وانك لم تزل امين آل محمد ، يعرفك بذلك الناس ، وما ذخر الله لك من الاجر عنده ، في ذلك اعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط اجرك ، ولا يستهوينك الشيطان . فقال له أبو مسلم : متى كنت تكلمني بهذا الكلام ! قال : انك دعوتنا الى هذا والى طاعة اهل بيت النبي ﷺ وأمرتنا بقتال من خالف ذلك ، فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، والف بين قلوبنا بمحبتهم ، واعز بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلا الا بما قذف الله في قلوبنا ، حتى اتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا ان تفسد أمرنا ، وتفرق كلمتنا ، وقد قلت لنا : من خالفكم فاقتلوه ، وان خالفتكم فاقتلوني : فالتفت ابو مسلم الى ابي نصر مالك بن الهيثم الخزاعي ، فقال له : يا مالك ، اما تسمع ما يقول لي هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك . فقال مالك : لا تسمع كلامه ، ولا يهولنك هذا منه ، فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ، ولما بعد هذا أشد منه ، فامض لامرك ولا ترجع ، فوالله لئن اتيته ليقتلنك ، ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبدا ، فقال أبو مسلم : قوموا ، فنهضوا وأرسل الى نيزك ، وقال له : يا نيزك ، اني والله ما رأيت طويلا اعقل منك ، فما ترى فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيه، وأرى ان تأتي الري فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والري لك ، وهم جندك وما يخالفك أحد ، فان استقام لك استقمت له ، وان أبى كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيت رأيك . فدعا أبا حميد ، فقال : أرجع الى صاحبك فليس من رأيي ان آتيه . قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، قال : ما اريد ان القاه فلما آيسه من الرجوع ، قال له ما امره به أبو جعفر فوجم طويلا ، ثم قال : قم فكسره ذلك القول ورعبه »[٢٩٩] .

وقد تمكن جرير البجلي ، وكان أوحد زمانه في المكر والخداع والدهاء ، أن

---

(٢٩٩) الطبري ٧ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٧١ ـ ٤٧٣ .

يخدعه بكلامه وسحره[٣٠٠] حين قال له : ايها الامير ، ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ، ثم تنصرف هلى هـذه الحالة ؟ ما آمن ان يعيبك من هنالك ومن ههنا ، وان يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم ، فيخالفك من تأمن مخالفته اياك ، وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ، ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال . وساعده عيسى بن موسى حتى انه **ضمن له الوفاء من المنصور** [٣٠١] ، وقد اثرت كلمات هؤلاء في نفسه وتردد بين الاستجابة وعدمها .

وهنا حدثت مفاجأة لم يكن يتوقعها ابو مسلم ، وكان لها اثر كبير في تغيير موقفه ، فابدى رغبته بتحفظ بمقابلة الخليفة ، ذلك أن المنصور تمكن بخطة ذكية وناجحة ان يفرق بين أبي مسلم وصديقه ونائبه على خراسان ابي داود خالد بن ابراهيم الذهلي ، حين اغراه بولاية خراسان ، ان هو تمكن من اقناع ابي مسلم على مقابلته ، فكتب هذا له : انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ﷺ ، فلا تخالفن أمامك ، ولا ترجعن الا بأذنه[٣٠٢] ، فوافاه الكتاب وهو على تلك الحال من التردد ، فزاده رعبا وهما ، فخار عزمه ، وضعف اصراره ، فاستدعى ابا اسحق المروزي ، وكان ممن يثق بهم ، فشاوره في الامر ، وقال له « . . . وهذه سيوف ابي جعفر من خلفنا وقد انكرت من كنت اثق به من أمر امرائي . فقال ابو اسحق : ايها الامير هذا رجل يضطغن عليك امورا متقدمة ، فلو كنت اذ ذاك هداك رأيك ووليت رجلا من آل علي بن أبي طالب كان أقرب ، ولو أنك قبلت توليته اياك . . . . الشام والصائفة مدت بك الايام وكنت في فسحة من امرك ، فوجهت الى المدينة فاختلست علويا فنصبته اماما فاستملت به أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره لكنت على طريق تدبير ، أتطمع أن تحاسب أبا

---

(٣٠٠) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٢ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٩ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٣٠١) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٢ . وانظر البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٥٩ .

(٣٠٢) الطبري ٧ / ٤٨٦ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩ .

جعفر وأنت بحلوان وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه . . . لكن بقي لك أن تكتب الى قوادك . . . قال هذا رأي ان وافقنا عليه قوادنا ، قال : فما دعاك الى خلع ابي جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك . . . أرى ان توجه بي اليه حتى أسأله لك الامان ، فأما صفح واما قتل على عز قبل أن ترى المذلة من عسكرك ، اما قتلوك واما اسلموك »[٣٠٣] .

وقد أثرت هذه المحاورة والتي قبلها في نفس ابي مسلم ، واقتنع أخيراً بأن الطريق الصواب هو مقابلة الخليفة ، كحل لا بديل له في تلك الظروف الحرجة ، فأما أن يصفح عنه بعد تقديم اعتذاره له،وإلا قتله ، ويبدو أن فكرة اغتيال ابي جعفر قد اختمرت في ذهن ابي مسلم ، يؤيدها قوله « لئن امكنني قتله لاقتلنه ثم لأبايعن من أحببت »[٣٠٤] ، ولكنه اراد قبل ان يورط نفسه ويعرض حياته للخطر ، أن يرسل أبا اسحق وهو أحد اعوانه المخلصين ، الى مقر الخليفة ليتعرف على الوضع هناك ، ويطلع على شعور المنصور والقواد تجاهه ، وعلى ضوء ما سيخبره به ، سيقرر الخطوة التالية ، وفعلا قام بارسال ابي اسحق لهذه المهمة »[٣٠٥] .

أما الخليفة فانه لما علم بارسال ابي اسحق اليه ، أمر افراد البيت الهاشمي بتلقيه واكرامه ، كمظهر لكسبه الى صفه ، ثم استقبله بالحفاوة والتعظيم ، وتمكن من استمالته الى جانبه ، ووعده بولاية خراسان ، فقال له : اصرفه عن وجهه ، ولك ولاية خراسان[٣٠٦] ، فرجع ابو اسحق الى ابي مسلم ، وقال له : ما انكرت شيئاً رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لانفسهم ، واشار عليه ان يرجع الى الخليفة ، فيعتذر اليه مما كان منه .

---

(٣٠٣) الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٠ .
(٣٠٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ .
(٣٠٥) الطبري : ٧ / ٤٨٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .
(٣٠٦) المصدران السابقان : الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٣٩ .

وبذلك نجح المنصور نجاحا باهرا في كسب واستمالة اصحاب ابي مسلم المقربين الى صفه ، فاقنع هؤلاء أبا مسلم اما بطريق التهديد أو الترغيب بضرورة مقابلة الخليفة ، فاستجاب أبو مسلم أخيراً وقرر السفر الى المدائن لمقابلة المنصور ، رغم تحذير مستشاره نيزك بعدم الذهاب . فلما أعياه ذلك قال له : اما اذا اعتزمت على هذا فخار الله لك ، واحفظ واحدة ، اذا دخلت على المنصور فأقتله ثم بايع لمن شئت ، فان الناس لا يخالفونك(٣٠٧) . وكتب ابو مسلم الى الخليفة يخبره بانه منصرف اليه . واستدعى ابا نصر مالك بن الهيثم ، فاستخلفه على عسكره وأمواله ، وأمره بالمكوث في حلوان ، وقال له : أقم حتى يأتيك كتابي ، فان أتاك مختوما بنصف خاتم فأنا كتبته ، وان أتاك بالخاتم كله فلم أختمه ، وصحب معه نحو ثلاثة آلاف فارس باسلحتهم وتوجه الى المدائن(٣٠٨) ، زيادة في الحيطة والحذر .

ولما وصل كتاب ابي مسلم الى المنصور ، استعد هو الآخر للمواجهة الشاقة والمحرجة ، فرتب أموره ، وأخذ يستطلع آراء المقربين له ، ليتعرف على آرائهم في قتل ابي مسلم ، فدعا ابا اسحق بن مسلم العقيلي ، وشاوره في قتل أبي مسلم ، فاشار عليه بأن يفعل ذلك(٣٠٩) ، واستشار يزيد بن أبي اسيد ، الذي أكد له ضرورة التخلص منه حفاظا على سلامة الدولة(٣١٠) ، وشاور مسلم بن قتيبة في الموضوع فقال له : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال مسلم : لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا » فقال المنصور : حسبك يا ابا امية ، لقد اودعتها اذنا واعية(٣١١) ، وبذلك يكون المنصور قد استكمل مشاوراته في هذا الامر الخطير ، والكل سواء ممن كان معه في طريق مكة أو من الذين استشارهم في المدائن ، قد ايدوا قتل أبي

---

(٣٠٧) الطبري : ٧ / ٤٨٦ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٣٠٨) الطبري : ٧ / ٤٨٩ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٧٣ .

(٣٠٩) أنظر الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٣١٠) أنظر : الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ص ١٣٩ .

(٣١١) أنظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٢٦ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠١ . ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ / ٨٠ .

مسلم ، بعد أن أصبح عبئا ثقيلا على الدولة ، يخاف منه عليها ، وخاصة موقفه الأخير من الخليفة .

هذا وقد اتخذ المنصور اجراءات أمن مشددة ، حين علم أن أبا مسلم اصطحب معه ثلاثة آلاف مقاتل ، وخشي أن تكون هناك مؤامرة مبيتة منه ، ولما كانت المصلحة تقتضي أن يكون أبو مسلم آمنا مطمئنا في قدومه عليه ، ليكون ادعى وأضمن لما يراد به ، لذلك وافق على الاقتراح الذي تقدم به وزيره ابو ايوب المورياني ، لتحقيق هذا الغرض ، فأخبره بأنه اتفق مع سلمة بن سعيد بن جابر ، ووعده بولاية كسكر ، وأطمعه في احسان كثير ، على أن يأتي أبا مسلم ، ويعرفه أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يوليه ما وراء بابه ، ويستريح ، ويريح نفسه ، وأن يسأل ابا مسلم أن يوليه تلك البلد ، ان الخليفة قابل سلمة قبل سفره لهذه المهمة ، فقال له : أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم . فقال المنصور له : قد اذنت لك ، فأقرئه السلام ، واعلمه بشوقنا اليه ، فخرج سلمة فلقيه ، فقال : امير المؤمنين احسن الناس فيك رأيا ، فطابت نفسه ، واعتقد ان ذلك هو الحق ، فقصر في التحزر والتأهب واسترسل[٣١٢] .

وقد رأى المنصور استكمالا لنجاح خطته ، ان يأمر الناس بالترحيب به ، فكان لا يمر بمكان الا استقبلوه بالبـر ، والاحـسان والاكرام[٣١٣] ، فلما دنا من المدائن بعث لاستقباله ولي عهده عيسى بن موسى ، زيادة في الحفاوة به ، ولادخال الطمأنينة في قلبه ، خاصة وأن عيسى كان شديد التعظيم لابي مسلم ، وهذا كان يقدره ويحبه[٣١٤] ، لذلك قال له عيسى حين قابله « لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه فانه لا يجد منك خلفا »[٣١٥] ، وذهب لاكثر

---

(٣١٢) الطبري : ٧ / ٤٨٧ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٣ وكسكر : كورة واسعة قصبتها واسط .

(٣١٣) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٣١٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ ، الطبري : ٧ / ٤٨٩ .

(٣١٥) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

من هذا ، حين ضمن له الوفاء من الخليفة[316] وهو لا يعلم بالخطة التي بيتها المنصور - فاقبل معه ودخل المدائن ، فتلقاه الناس والقواد ومن حضر من بني هاشم بالحفاوة والتكريم[317] ، واشار ابو ايوب على الخليفة بأن لا يتعجل في قتله يوم وصوله ، معللا ذلك بقوله : انشدك الله ، انه يدخل معه الناس ، وقد علموا ما صنع ، فان دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء ، ولكن اذا دخل عليك فاذن له ان ينصرف ، فاذا غدا عليك رأيت رأيك[318] ، وكان هذا الرأي سديدا ، فاستجاب له المنصور ، واستقبل ابا مسلم بالحفاوة والتعظيم حين دخل عليه في مجلسه ، فبادره ابو مسلم وقبل يده ، وقام قائما بين يديه[319] ، فقال له الخليفة : كدت أن تمضي قبل أن أفضي عليك بما أريد ، قال : لقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك[320] ، فأمره بالانصراف واراحة نفسه من عناء ومشقة السفر ، فخرج وخرج الناس .

وبعد أن خرج أبو مسلم ومن معه ، اخذ المنصور يعد العدة لتنفيذ خطته فاستدعى في صباح اليوم التالي ، عثمان بن نهيك رئيس الحرس ، وأربعة من أصحابه ممن يعتمد عليهم ، فيهم شبيب بن واج المروروذي ، وابن بنته علي بن احمد بن بسطام ، وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وسألهم عن مدى استعدادهم لقتل ابي مسلم ، اذا طلب منهم ذلك ، فقالوا : نقتله[321] ، فاطمأن المنصور على

---

(٣١٦) المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٧٩ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٣

(٣١٧) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٧٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٥ ، الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٠ .

(٣١٨) الطبري : ٧ / ٤٨٧ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .

(٣١٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ أ .
ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٧٤ .
ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٥ .
مؤلف مجهول : تاريخ سيستان (بالفارسية) ص ١٣٧ .

(٣٢٠) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٣ .

(٣٢١) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . اليعقوبي ٣ / ١٠٧ .
الطبري : ٧ / ٤٨٨ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٣ .

سلامة موقفهم ، وبدأ يشرح خطته لهم ، فقال : اذا عاتبته فعلا صوتي فلا تخرجوا ، وكان قد أعد لهم مكانا وراء ستر خلف ابي مسلم ، فاذا انا صفقت فاخرجوا اليه واقتلوه[٣٢٢] .

وزيادة في الحيطة والحذر امر المنصور حاجبه أن يأخذ سيف ابي مسلم اذا دخل عليه ليأمن شره[٣٢٣] ، كما أرسل ابا ايوب المورياني في صباح اليوم التالي ، ليطوف في المعسكر ، ويتقصى الاخبار ، ليضمن عدم تسرب اسرار الخطة[٣٢٤] .

وبهذا يكون المنصور قد استكمل جميع الجوانب المتعلقة بالخطة ، ولم يبق الا الشروع بتنفيذها ، وفعلا بدأ أول خطواتها ، حين ارسل الربيع حاجبه لاستدعاء ابي مسلم من منزل عيسى بن موسى[٣٢٥] ، وقد احس ابو مسلم ان وراء هذا الاستدعاء امرا ، فافضى بمخاوفه الى عيسى قائلا له : اركب معي الى امير المؤمنين ، فقد احسست بالشر ، ولما كان عيسى يجهل بنية المنصور ، فانه قال له : انت في ذمتي فتقدم ، فأني لاحقك ، فلا تعجل بالدخول حتى ادخل معك[٣٢٦] ، فأقبل أبو مسلم واستأذن بالدخول على الخليفة ، فاخبروه بأنه يتوضأ ، وطلبوا منه أن يجلس برهة حتى ينتهي المنصور من وضوئه ، وابطأ عليه عيسى بن موسى ، وجاء الأذن من المنصور بالسماح له بالدخول ، فلما قام ليدخل أدخله سلام الحاجب في دهليز لوحده دون جماعته[٣٢٧] ، ثم طلب منه أن

---

(٣٢٢) المصادر السابقة . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٩ .

(٣٢٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٦٠ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ .

(٣٢٤) الطبري : ٧ / ٤٨٨ .

(٣٢٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . الطبري : ٧ / ٤٨٩ : ٧ / ٤٨٩ . الذهبي مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٠ .

(٣٢٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . الطبري : ٧ / ٤٨٩ .
المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٣ وانظر اجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩١٤ م ، ص ٨٣ . البيهقي : المحاسن والمساوىء ، مطبعة السعادة مصر ١٩٠٦ م . ص ٤٩٨ .

(٣٢٧) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . وانظر اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ .

ينزع سيفه ، فاستغرب أبو مسلم لهذا الاجراء غير المعهود سابقا ، وقال : ما كان يصنع بي هذا : فأجابه سلام : وما عليك فلم يزل به حتى نزع سيفه من وسطه ، فقال ابو مسلم : الآن عرف الدامي موضع سهمه(٣٢٨) .

وبعد أن تمت هذه الاجراءات ، سمح له الخليفة بالدخول عليه ، فلما دخل سلم ، واشار عليه المنصور بالجلوس ، فجلس ، وشكا له سوء التصرف الذي قوبل به ، فقال : فعل بي ما لم يفعل بأحد ، أخذ سيفي مني ، فأجابه المنصور وهو يعلم ان هذا تم بايعاز منه قائلا ، ومن فعل بك هذا قبحه الله(٣٢٩) ! هذا وكان القوم المكلفون باغتياله من ورائه مختبئين ، ومنتظرين الاشارة المتفق عليها مع الخليفة ، لكي يسارعوا الى ابي مسلم فيقتلوه .

وفي هذه الجلسة ، بدأت محاكمة ابي مسلم ، والتي تبدو عليها انها محاكمة صورية لأن الخليفة فيها هو الحاكم وبنفس الوقت هو الخصم في القضية ، ولانها جرت دون شهود اثبات أو نفي ، ولان الحكم بقتل ابي مسلم كان مقررا قبل المحاكمة .

ومن الجدير بالذكر ان التهم التي وجهت لابي مسلم وادت الى مقتله كثيرة ، وقد اختلفت الروايات التاريخية في ذكر تفاصيلها(٣٣٠) ، وقد يكون بعضها موضوعا ، أو مبالغا فيه ، وربما ان قسما منها لم يثر اصلا في المقابلة الاخيرة .

واذا امعنا النظر في تلك النصوص التي ذكرها المؤرخون ، نجد ان بعضا منها لا يمكن قبوله ، او التصديق به ، ومن هذه النصوص ، قول المنصور لابي

---

(٣٢٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ . الطبري ٧ / ٤٩١ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٦٤ « والمثل يقال لمن أمكن عدوه من نفسه » .

(٣٢٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب .
اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ .
الطبري : ٧ / ٤٩١ .

(٣٣٠) أنظر نص التهم التي وجهها المنصور لأبي مسلم أثناء محاكمته في ملحق رقم (٤) .

مسلم : « أنسيت تهجمك علي بالكلام مرة بعد اخرى ، انسيت نظرك الي شزرا[٣٣١] » وتزعم انك ابن بنت سليمان بن علي »[٣٣٢] « ثم جعلت تفول ايصلي هذا الغلام بالمداس ، والقيت نعلي من رجلي ورفعت نفسك عن مناولتي اياه حتى ناولينها معاذ بن سلم »[٣٣٣] او ان المنصور ضربه بعمود الخيمة[٣٣٤] وتبدو ظاهرة الوضع في هذا النصوص واضحة اذ لا يمكننا ان نتصور باي حال من الاحوال ان الخليفة اضاع وقته وعاتبه على مثل هذه الامور التافهة .

ويلاحظ ان اغلب التهم التي اوردها الاخباريون بهذا الصدد ، كانت لها جذور تاريخية سابقة ، مرجعها الحوادث والمناسبات التي سببت التنافر والتناحر بين الاثنين منذ سنة **١٣٢** هـ وحتى سنة **١٣٧** هـ ، فلعل كل اخباري رجع الى تلك الحوادث فجمعها وتخيل انها كانت موضوع المناقشة الاخيرة ، منها قول المنصور له :

« اخبرني بهزأتك بنا حين قدمنا عليك واستخفافك بنا . . . ثم كتابك الي تبدأ بنفسك . . . ثم أنت صاحبي بمكة تنادي من اكل طعـام الأمير فله درهم ، وثم كسوتك الاعراب . . »[٣٣٥] « وتسليمك على امير المؤمنين وانا جالس في مجلسه ولا تراني اهلا للسلام ، ومقالتك لابن أخي عيسى بن موسى ان شئت خلعنا ابا جعفر وبايعناك اتذكر شتمك لي بالشام بين يدي يقطين بن موسى . . . »[٣٣٦] .

ولم يقتصر الحال على هذه ، فقد اضاف بعض المؤرخين روايات اخرى ، لم

---

(٣٣١) ابن أعثم : مخطوط عقد الفتوح جـ ٢ .
(٣٣٢) المصدر السابق .
(٣٣٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب .
(٣٣٤) الطبري : ٨ / ٤٩١ .
ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .
(٣٣٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب ، أنظر اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ ، الطبري : ٧ / ٤٩١ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ .
الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب ٢ / ٨٨ . العيني / مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .
(٣٣٦) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

يكن لها اساس تاريخي فيما مضى ، فضلا ان بعضها لم تثبت صحته بعد ، منها قول الخليفة له : « وخطبتك إليَّ امينة بنت علي ، وقولك انك من سليط بن عبد الله ، وكتابك الى ابي العباس تنهاه عن الموات ، اردت ان تعلمناالدين !»(٣٣٧) .

وهذا التباين في الاقوال ، يقودنا الى ان الاخباريين كان يحلو لهم في مثل هذه الحالات ان يطلقوا العنان لانفسهم ، ويتخيلوا بان الحوار الذي جرى بين الخليفة وابي مسلم قد جمع كل النصوص التي اوردها ، فحرروا لها اسئلة واجوبة . حسب مقتضى الحال ، مستندين في بعضها الى حوادث سابقة جرت بينهما . في حين ان تصميم الخليفة على قتل ابي مسلم وطبيعة المقابلة واعداده للجماعة المكلفين باغتياله ، لا تحتاج الى هذا الاستجواب الطويل ، في الوقت الذي يريد فيه ان ينهي الموضوع باسرع ما يمكن ، خوفا من ان تتطورالامورفي غير صالحه .

ومع هذا فاننا لا ننكر بأن المنصور قد عاتب ابا مسلم في هذه المقابلة ، على امور جوهرية ، ذات قيمة ودلالة سياسية مؤثرة على سير الدولة منذ بدايتها الى حين مقتله ، مستعرضا له اياها بسرعة ، وبايجاز لينهي المحاكمة من غير تطويل .

وارى ان الاسباب التي أوصلت أبا مسلم الى النهاية المحتومة ، كانت اسبابا سياسية وقوية ، فاقدام ابي مسلم على قتل سليمان بن كثير رئيس النقباء في خراسان اثناء وجود ابي جعفر ، اثار حفيظته عليه ، خاصة وان قتل مثل هذه الشخصية ذات المكانة المرموقة في الدعوة العباسية ، دون الرجوع الى الخليفة ، او الى ولي عهده الموجود آنذاك في خراسان ، اعتبرهّ المنصور تحديا للدولة بأسرها . واهانة لهيبة الخلافة وله كولي للعهد ، وتجاهله في مجالس الخليفة العامة وعدم السلام عليه كما هو معهود لولاة العهد ، وتحريضه لعيسى بن موسى على خلعه ، واستعداده لمساعدته لتحقيق هذا الهدف وتنصيبه خليفة بدلا منه وتصرفه بالغنائم

(٣٣٧) المصادر السابقة وانظر المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ٨١ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

دون الرجوع اليه ، وشتمه اياه بالشام امام القواد ، وعدم اطاعته لاوامره حين ولاء الشام ومصر ، ورفضه القدوم عليه حين طلب منه ذلك ، كلها اسباب سياسية قوية ، ومعقولة جدا ، لان يثيرها المنصور في المحاكمة ، يؤيد هذا الرأي ، قوله لابي مسلم اثناء المناقشة « . . . انك لمستعظم غير العظيم »[٣٣٨] و « لقد ارتقيت يا ابن اللخناء مرتقى صعبا »[٣٣٩] «ولا ابقاني الله ابدا ان ابقيتك ! واي عدو لي اعدى منك[٣٤٠] » و « تعصيني وأنت مخالف علي قتلني الله ان لم اقتلك[٣٤١] » .

وبعد أن استعرض المنصور له هذه الامور على وجه السرعة ، صفق بيده ، وهي الاشارة المتفق عليها مع زمرة التنفيذ ، فخرج عليه هؤلاء ، فقتلوه ، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٤ م[٣٤٢] ، ثم امر به المنصور ، فرمى بدجلة[٣٤٣] .

أما عيسى بن موسى وغيره من القادة والجند فانهم لم يعلموا بمقتل ابي مسلم ، وقت تنفيذ الحكم فيه ، لانه جرى بسرعة وكتمام شديدين ، فلما دخل عيسى على المنصور ، وكان يظن ان ابا مسلم لا زال موجودا عنده ، فلما لم يره ، سأله عنه ، فاشار اليه الخليفة وهو مقتول ، فانكر عيسى على المنصور فعله ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأي الامام ابراهيم فيه[٣٤٤]

---

(٣٣٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ .

(٣٣٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . الطبري : ٧ / ٤٩١ .
وانظر : ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ .

(٣٤٠) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٤ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .

(٣٤١) الطبري ٧ / ٤٩٢ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٤ .

(٣٤٢) الطبري : ٧ / ٤٩١ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٥ . الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١٠ / ٢١٠ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .
العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .

(٣٤٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .
العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .

(٣٤٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . الطبري : ٧ / ٤٩٢ .

فاجابه الخليفة : « اسكت يا ابن الشاة ، فوالله ما كان في الارض عدو اعدى لك منه . . . والله ما تم سلطانك الا اليوم»(٣٤٥) وفي وراية اخرى انه قال له« خلع الله قلبك ، وهل كان لكم ملك او سلطان او أمر او نهي مع أبي مسلم»(٣٤٦) .

وابدى اسماعيل بن علي ارتياحه وسروره حين دخل على الخليفة وعلم بمقتل ابي مسلم(٣٤٧) ، واستدعى المنصور جعفر بن حنظلة وسأله عن رأيه في أبي مسلم وهو لا يعلم بمقتله ، فقال له : يا أمير المؤمنين : ان كنت اخذت شعرة من رأسه فاقتل ثم اقتل ، فلما اخبره بانه قد قتله ، قال : يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم لخلافتك(٣٤٨) .

ثم ان المنصور وقف على ابي مسلم حين قتله ، فقال : رحمك الله أبا مسلم ، بايعتنا فبايعناك ، وعاهدتنا وعاهدناك ، ووفيت لنا فوفينا لك ، وأنا بايعناك على ان لا يخرج علينا احد في هذه الايام الا قتلناه ، فخرجت علينا فقتلناك ، وحكمنا عليك حكمك على نفسك لنا(٣٤٩) .

وهذه الخطبة والوقائع التي سبقتها ، تضيف دليلا جديدا ، يؤكد ان طبيعة الصراع بين المنصور وابي مسلم يعود لاسباب سياسية ، مدارها النزاع حول السلطة والنفوذ . ومن الطبيعي ان خليفة مثل المنصور في قوته وحزمه ، من الصعب عليه ان يتحمل واليا قويا ذا نفوذ متزايد مثل ابي مسلم ، فقرر ان يضع حدا لهذا النفوذ، لانه وجد ان سياسة الود واللين التي سار عليها الخليفة السابق

---

(٣٤٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . ويذكر ابن الجوزي : وقوله له « يا ابن الشاة » لأن أم عيسى توفيت وهو صغير فارضع لبن شاة ، مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٣٤٦) الطبري : ٧ / ٤٩٢ .

(٣٤٧) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب . الطبري : ٧ / ٤٩٢ .

(٣٤٨) الطبري ٧ / ٤٩٢ . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٤ . ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٧٧ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٤ .

(٣٤٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٧١ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ٤٠ . وانظر : الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ٣٦٩ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٦ .

تجاه ابي مسلم بالذات قد انتهى دورها ، ولم تعد صالحة لعصره ، فعزم على انتهاج سياسة الشدة تجاه كل من تسول له نفسه الخروج على طاعته فكان قضاؤه على أبي مسلم من أول نتائج هذه السياسية .

وبعد أن حقق المنصور هدفه بنجاح ، رأى انه من الحكمة تدارك موضع الجند الخراسانيين الموجودين في بابه ، قبل أن تتسرب اليهم اخبار قتل قائدهم ، فيعلنوا الثورة المسلحة ضده ، فامر ان تهيأ لهم الاموال المناسبة ، والعطايا السخية ، و الجوائز السنية ، لاستمالتهم ، ولكن هؤلاء ما ان علموا بالخبر حتى سلوا السيوف(٣٥٠) عندها رميت لهم الاموال مع رأس أبي مسلم، فتشاغلوا بجمع الاموال عنه(٣٥١) ، وسلموا بالامر الواقع ، بعد ان وجدوا احاطة قوات الخليفة بهم من كل جانب(٣٥٢) ، وأرسل المنصور الى عدة من قواد ابي مسلم بجوائز سنية، واعطى جميع جنده حتى رضوا ، فرجع هؤلاء بعدئذ وهم يقولون : بعنا مولانا بالدراهم - واستعان ابو جعفر بأبي اسحق صاحب حرس ابي مسلم ، بتفريق الجند الخراسانيين ، وهدده بضرب عنقه ان هو لم يفعل ذلك ، فاستطاع ان يفرق حشدهم ، ثم امر المنصور بوضع العطاء في الناس فجعلوا يأخذون ويبايعون ويلعنون ابا مسلم(٣٥٣) .

ولما أطمأن الخليفة على سلامة الموقف وامنه ، خرج وخطب في الناس فقال : ايها الناس لا تُنفِّروا اطيار النعم بترك الشكر ، فتحل بكم النقم ، ولا تسروا غش الائمة ، فان احدا لا يسر منكم شيئا الا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، وطوالع نظره ، وانا لن نجهل حقوقكم ما عرفتم حقنا ، ولا ننسى الاحسان اليكم ما ذكرتم فضلنا، ومن نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه،

---

(٣٥٠) الأخبار الطوال ص ٣٦١ . وانظر الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ٣٦٩ .

(٣٥١) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٤٢ . اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٧ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٦ . . المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٥ . الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٤ .

(٣٥٢) أنظر الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ٣٦٩ . المسعودي : مروج الذهب : ٣ / ٣٠٥ .

(٣٥٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب .

حتى يستقيم رجالكم ، وترتدع عمالكم ، وان هذا الغمر ابا مسلم بايع على انه من نكث بيعتنا واظهر غشنا فقد اباحنا دمه ، فنكث وغدر وفجر ، فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ، وان ابا مسلم أحسن مبتديا واساء منتهيا ، واخذ من الناس بنا لنفسه اكثر مما اعطانا ، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره ، وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه لعذرنا في قتله، وعنفنا في امهاله ، وما زال ينقض بيعته ، ويخفر ذمته حتى احل لنا عقوبته واباحنا دمه ، فحكمنا فيه حكمه في غيره ممن شق العصا ، ولم يمنعنا الحق له من امضاء الحق فيه ، وما أحسن ما قال النابغة الذبياني للنعمان « بن المنذر » :

فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك والله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهي الظلوم ولا تقعد على ضمد[٣٥٤]

والخطبة هذه ، شديدة اللهجة ، ففيها توعد المنصور وهدد كل من تزين له نفسه الخروج عن طاعته ، فانه سيلاقي نفس المصير الذي آل اليه أبو مسلم، وبين بوضوح ان قتل ابي مسلم لم يكن الا بسبب فساد نيته ، واساءته لهيبة الخلافة ، وعصيانه وخروجه على طاعته ، وهكذا يؤكد ما ذهبنا اليه، بان طبيعة الصراع بين الاثنين كان سياسيا ، مداره النزاع على السلطة والنفوذ ، حتى بات يشكل خطرا على مستقبل الدولة وكيانها ، فوضع المنصور حدا له ، بقتله لابي مسلم .

وبذلك تخلص الخليفة من اكبر شخصية كان لوجودها وتزايد نفوذها وعظمة غطرستها وجبروتها ، خطر مباشر ومستمر على خلافته ، فجاء تخطيطه وتنفيذه للعملية في غاية الروعة والذكاء ، وفي وقتها المناسب، لذلك لا نستغرب من قول

---

(٣٥٤).ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . ابن الأثير : الكامل٥ / ٤٧٩ ابن الساعي : أخبار الخلفاء ص ١٣ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٧١ العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٥ . وانظر الطبري : ٨ / ٩٤ .

المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٥ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٢١٠ .

بعض المؤرخين حين قالوا : « بالقضاء على ابي مسلم استقام الامر للمنصور»[٣٥٥] و « استدفت الخلافة له»[٣٥٦]، وقال ميور في هذا الصدد ايضا : « ان ابا مسلم بلا شك يستأهل المصير الذي آله اليه[٣٥٧] » ويذكر نولدكه « وكان التخلص من هذه الشخصية . . مما تفرضه الضرورات السياسية . . ولن نجد ما ندافع به عن اسفنا على ابي مسلم . . . وقد اثبت المنصور انه بالقضاء على امكر الماكرين كان على جانب كبير من الفطنة والذكاء »[٣٥٨] وقال سيديو « ان المنصور محافظة على ملكه ، كان يهلك كل رجل يكون موضع شبهة . . بغض النظر عما قدم للدولة من خدمات ، كمبيد الدولة الأموية عبد الله بن علي وكأبي مسلم الخراساني »[٣٥٩] .

هذا ولم يكن المنصور سفاكا للدماء او متعطشا لها ، كما تصوره بعض الروايات الا بالقدر الذي يحفظ ملكه من الضياع ، فكان لا يتوانى عن قتل كل من حامت حوله الشبهات ، واثبتت الادلة والقرائن سوء نيته فقد اقدم على اغتيال ابي الجهم بن عطية الباهلي ، بأن دس له السم في شربه ، بعد ان ثبت لديه انه كان يتجسس عليه لصالح ابي مسلم[٣٦٠] ، أما فيما عدا ذلك فهو متسامح فيه ، ولعل في ذكر الحوادث التي أعقبت مقتل أبي مسلم تأييدا لهذا الاتجاه ، فقد هم المنصور بقتل أبي اسحق صاحب حرس ابي مسلم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، جنده ، جندك أمرتهم بطاعته فاطاعوه ، فأرسل المنصور اليه واستجوبه ، فلما صحت عنده حسن نيته عفا عنه وضمه اليه ، وأخلص له[٣٦١] .

---

(٣٥٥) ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٣٥٦) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٦٢ .

(357) The caliphate, its rise decline and fall, edinburgh, 1925, P. 546.

(358) Sketches from eastern history, P. P. II7- II8.

(٣٥٩) تاريخ العرب العام ص ٢٠٩ .

(٣٦٠) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ ب . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٦ . وانظر : الطبري : ٧ / ٤٨٢ . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٢ .

(٣٦١) الطبري : ٧ / ٤٩٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٤ . ابن الجوزي مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

والحادثة الاخرى ، ان المنصور حين قتل ابا مسلم كتب الى ابي نصر مالك ابن الهيثم كتابا عن لسان ابي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده من الاموال ويأتي اليه ، وختم الكتاب بخاتم ابي مسلم كله ، فلما وصل الكتاب الى ابي نصر ، علم ان ابا مسلم لم يكتبه لان الاتفاق بينهما كان ان يختمه بنصف خاتمه اذا كان قد كتبه هو . لذلك قال عندما رأى الخاتم كله : افعلتموها ! وانحدر الى همذان وهو يريد خراسان ، فقبض عليه زهير التركي ، عن امر المنصور وارسله مقيدا اليه ، فلما دخل عليه قال له : اشرت على ابي مسلم بالمضي الى خراسان ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، كانت له عندي اياد ، وصنائع فاستشارني فنصحت له ، وانت يا امير المؤمنين ان اصطنعتني نصحت لك وشكرت ، فعفا عنه ، وحين تأكد من اخلاصه يوم الراوندية استعمله واليا على الموصل سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م[٣٦٢] .

ويمكن اضافة حادثة ثالثة ، ربما تعضّد ما سبق ذكره ، فقد كان يتقلد بيت المال لابي جعفر فرج بن فضالة التنوخي ـ وقد كان عمل لعبد الملك ـ فسمعه رشيد الخادم يخطىء أبا جعفر في قتل أبي مسلم ، ومعالجته إياه ، فنقل كلامه اليه فتغيظ عليه ودعابه ، فسأله عن ذلك ، فأقر به ، فقال له : كيف لم تخطىء صاحبك في قتله عمرو ابن سعيد معاجلا له ، فقال : لانه قتل عمرا في قصره بعد ان أحاطت به جدرانه ، واغلقت دونه أبوابه وحوله اثني عشر الفا من عبيده ومواليه ، وقتلت انت ابا مسلم وانت في خرق من الارض ، وكل ما حولك له ومن واليه[٣٦٣] .

أما النتائج التي ترتبت على مقتل ابي مسلم ، هو قيام بعض اتباعه بثورات ضد الحكم العباسي ، انتقاما لمقتله والطلب بثأره .

---

(٣٦٢) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب ، ٤٢ أ . الطبري ٧ / ٤٩٢ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٧٧ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

(٣٦٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٢ .

وقبل الانتهاء من الكلام عن أبي مسلم ، تجدر الاشارة الى امان الخليفة لابي مسلم الذي اشار اليه محمد النفس الزكية في رسالته التي وجهها للمنصور سنة ١٤٥ هـ مستهزئا بالامان الذي عرضه عليه ، فقال : « اي الامانات تعطيني ، أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبد الله بن علي ، ام امان ابي مسلم[٣٦٤] » وقد ناقشنا موضوع أمان ابن هبيرة ، وأمان عبد الله[٣٦٥] ، ولم يبق امامنا الا مناقشة امان ابي مسلم ، وهذا يدفعنا الى هذا التساؤل :

هل أعطى المنصور فعلا امانا صحيحا لأبي مسلم ؟ ام ان محمدا النفس الزكية قد ذكر ذلك لمجرد الدعاية والترويج لثورته .

وللاجابة على ذلك ، نقول ان موضوع اعطاء المنصور الامان لابي مسلم ، لم تثبت صحته بعد ، لأن اغلب المصادر التاريخية الموثوقة التي بين ايدينا ، لم تتطرق الى ذكر هذه المسألة ، وأول من أشار اليها الجاحظ فقال : ان عيسى بن موسى بينما هو يساير ابا مسلم عند منصرفه الى ابي جعفر في اليوم الذي قتله فيه ، انشد شعرا فهم منه أبو مسلم ، انه سيغدر به ، فقال لعيسى : هذا مع الأمان الذي اعطيت ؟ قال عيسى : اعتق ما املك ان كان هذا الشيء من امرك ! وما هو الا خاطر ابداه لساني قال : فبئس الخاطر والله اذن[٣٦٦] » .

والرواية ليس فيها دليل على ان الخليفة قد اعطى امانا لابي مسلم ، وأرى ان عيسى بن موسى هو الذي امن أبا مسلم حين وفد عليه في حلوان من قبل المنصور لاقناعه بالتوجه اليه ، وهو لا يعلم بنوايا الخليفة ضده ، يؤيد صحة هذا الرأي اقوال عيسى في وبعد مقابلته لابي مسلم ، فقد قال له : لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه فانه لا يجد منك خلفا»[٣٦٧]و « انت في ذمتي ،

---

(٣٦٤) المبرد : الكامل ٢ / ٣٢١ . الطبري : ٥٦٧ . الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٨٢ .

(٣٦٥) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول والفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث .

(٣٦٦) التاج : في أخلاق الملوك ، الطبعة الأميرية ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩١٤ م ص ٨٢ ـ ٨٣ أنظر البيهقي : المحاسن والمساوىء ص ٤٩٨ .

(٣٦٧) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ .

فتقدم فاني لاحقك[٣٦٨] » . والرواية نفسها تؤكد هذا الاتجاه وهو واضح من قول عيسى لابي مسلم ! «اعتق ما املك ان كان هذا الشيء من امرك . . . » .

ان الدلائل التي اتينا على ذكرها ، تجعلنا نرجح ان عيسى بن موسى قد أمن أبا مسلم ، دون ان يعلم بنوايا المنصور العدوانية ضده ، ويؤكد صحة ذلك موقف عيسى نفسه حين دخل على الخليفة ، ووجد ابا مسلم مقتولا وملفوفا ، فلطم وقال للمنصور : احنثتني في ايماني واهلكتني ،فقال له : علي كل شيء تخرجه ضعفيه ويحك اسكت ، فما تم سلطانك ولا امرك الا اليوم[٣٦٩] .

اما المقدسي فانه ذكر ان الذي كتب الامان لابي مسلم ، عيسى بن موسى وجرير البجلي[٣٧٠]، وقد يكون اقدامهم على هذا العمل مستندا الى قولة المنصور لهما ، حين وجههما لابي مسلم ، بانه سوف لن يمسه بسوء ان هو صلح ورجع اليه ، فشجع قول الخليفة هذا على ان يكتبا له امانا ، خاصة وأنه لم يذكر او ينوه لهما ، بما عزم عليه ، خوفا من أن تنكشف خطته ، ويفسد تدبيره في الظفر بابي مسلم .

اما ابن اعثم فقال : « لما نزل ابو مسلم حلوان اذ كتاب المنصور قد ورد عليه من هناك يأمره بالانصراف الى ما قبله ، ويحلف له بالمحرمات من الايمان انه لا يبدأه بمكروه وانه يكون له أكثر مما كان ويجعله وزيره وصاحب امره ، فلما قرأ ابو مسلم كتاب المنصور التفت الى كاتب يقال له شبيب ، فقال يا شبيب لئن رجعنا الى العراق بعد ان شارفنا على جبال خراسان ، فانا كما قال الاول : اتتك بخفين رجلاه ، ثم رحل من حلوان حتى صار الى الري . . ثم الى مرو ، ثم

---

٣٦٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٤١ ب .
المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٣ .
الذهبي : مخطوط سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٠ .
(٣٦٩) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١١٧ .
(٣٧٠) البدء والتاريخ ٦ / ٧٩ .

كتب : أني اتخذت اخاك اماما . فكتب اليه المنصور : اما بعد ايها المجرم العاصي فانِ اخي رحمه الله . . فلما ورد الكتاب الى ابي مسلم وقرأه ضاق ذرعا به ثم انه ذل وخضع وخشي ان تأتيه الجيوش من العراق ولا يقوم لها ، فكتب الى المنصور يستعطفه ويسأله ان يعطيه الامان ثم بعث بكتابه مع أبي اسحق ، فاجابه المنصور الى ذلك ، فخرج من خراسان ومعه خلق عظيم حتى صار الى العراق »[٣٧١].

ورواية ابن اعثم هذه مرتبكة ولا يعول عليها ، فمضمونها يدل على ان المنصور قد اعطى امانين لابي مسلم ، أولهما رفضه وهو في حلوان ، فكيف بعد وصوله الى مرو قاعدة ملكه الحصينة ، ويكتب منها الى المنصور كتاباً عنيفا يهاجم فيه ابراهيم الامام هجوما لاذعا يصفه فيه بالضلالة ، ويبادره ـ على حد قول بن اعثم ـ الخليفة بكتاب اعنف منه، ثم يلين بعد ذلك ـ ابو مسلم ـ ويرسل يستعطف الخليفة ويسأله الامان ، بعد هاتين الرسالتين التي لا يرجى منهما صلاحا او امانا فضلا عن ان المصادر التاريخية اجمعت على ان ابا مسلم لم يصل الى مرو اطلاقا . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان ميول ابن أعثم الشيعية تجعلنا على حذر في قبول رواياته ، خاصة عن صدر الدولة العباسية .

هذا وان القرائن والادلة سواء من الرسائل المتبادلة بين الاثنين ام من سلوك المنصور وفعله ، فخروجه بقواته الى المدائن متخذا اياها معسكرا له ، وتوجه عيسى بن موسى برسالة ودية ومعه جرير البجلي ، اوحد زمانه في المكر والدهاء الى ابي مسلم لاقناعه بالعدول عن رأيه ، وارساله لابي حميد في اثرهما ، حاملا رسالة تهديد عنيفة طلب منه ان يبلغه اياها ، اذا عجز عن رده بألين الكلام ، فبلغه الرسالة وجاء فيها عن لسان المنصور « لست للعباس وانا بريء من محمد ان مضيت مشاقاً ولم تأتني ان وكلت امرك الى احد سواي وان لم آل طلبك وقتالك بنفسي ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى اقتلك أو أموت

---

(٣٧١) مخطوط الفتوح جـ ٢ .

قبل ذلك » ، فأرعبه هذا القول ، يضاف الى ذلك تحريضه لخالد الذهلي صديق ابي مسلم ونائبه على خراسان ، واغرائه بالولاية ، فقام هذا بارسال تهديد لابي مسلم ، يقول له فيه : انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله . . . فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه ، فثبط هذا القول من عزيمته ، وكان خاتمة المطاف ان تمكن المنصور من استمالة ابي اسحق الذي اوفده ابو مسلم لتقصي الحقائق فاطمعه الخليفة بولاية خراسان ، فنقل هذا الاخبار لابي مسلم على غير حقيقتها واقنعه بمقابلة ابي جعفر . كل هذا ادلة قوية لا تشجع على القول بأن المنصور كان في نيته ان يعطي امانا لابي مسلم بأي حال من الاحوال ثم ان من السمات البارزة في سياسة المنصور، انه اذا اراد التخلص من احد خصومه ، السياسيين ووجد أن هناك حائل من أمان أو عهد يقف دون تحقيق هذه الرغبة فانه يسلك طريقة ذكية وبارعة يتخلص فيها من توجيه الاتهام اليه مباشرة وقتله لابي مسلم في مجلسه وبأمره ، واعلانه نبأ ذلك بنفسه على الناس ، يخالف هذه السياسة اصلا .

ولهذا استطيع القول استنادا الى ما سبق ذكره ، انه لاصحة لما نسب للمنصور من انه قد اعطى امانا لابي مسلم ثم غدر به .

ثالثا : حركة جهور بن مرار العجلي :

بعد أن تمكن جهور [٣٧٢] (أوجمهور) العجلي من اخماد ثورة سنباذ سنة ١٣٧ هـ /٧٥٤ م بخراسان واستولى على الاموال التي كان سنباذ قد استحوذ عليها بعد مقتل ابي مسلم[٣٧٣] ، وكان المفروض ان يوجهها الى المنصور ، باعتبارها غنائم لكنه لم يفعل ذلك ، واساء التصرف بها ، فاستبد بها واحتجنها

---

(٣٧٢) البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١١٩ ، البلادري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / / ٤ آ وفتوح البلدان ص ٣٣٩ ويسميه آخرون جمهور أنظر ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ .

(٣٧٣) أنظر الطبري ٧ / ٤٩٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٧ هـ ، وسيأتي الكلام عن ثورة سنباذ .

لنفسه ، فأثار عمله هذا غضب الخليفة عليه فكتب اليه يخونه(٣٧٤) .

ومن هنا بدأ الوضع يتأزم بين الطرفين ، فأحس جهور بأن الخليفة قد ساورته الشكوك فيه ، اما المنصور فاعتبر عمل جهور هذا ، تجاوزا وتطاولا منه على سلطته ، لذلك قرر عزله عن الري ، وعين مكانه مجاشع بن يزيد الضبي ، وكان يشغل منصب رئيس شرطة عيسى بن موسى بالكوفة، لكن جهور رفض تسليم الولاية له حين وفد عليه ؛ فكلمه مجاشع وتطور الامر بينهما ، فأمر جهور به فضربت عنقه ، وارسل برأسه الى المنصور (٣٧٥) ، واعلن الثورة سنة ١٣٨ هـ /٧٥٥ م(٣٧٦) ، كرد فعل على تصرف الخليفة تجاهه ، وبذلك تكون الغنائم هي السبب الرئيسي للثورة .

ولما وصلت انباء الثورة الى الخليفة ، التي انضوى تحت لوائها نخب من فرسان العجم امثال زياد ودلاستاخنج(٣٧٧) ، صمم على خنق انفاس الثورة في مهدها قبل ان يتوسع مداها ، فاصدر امره الى القائد الخرساني هزارمرد بان يتوجه فورا الى الري لقمع الثورة وضم اليه كتيبة من الجيش (٣٧٨) ، ثم ان المنصور جهز جيشا ضخما اسند قيادته الى القائد محمد بن الاشعث الخزاعي ، وضم اليه قوادا منهم شبيب بن واج ، وارسله في اثر هزارمرد(٣٧٩) .

اما جهور فانه لما علم بتوجيه المنصور الجيوش له ، انسحب من الري الى اصبهان فأحتلها واتخذها قاعدة عسكرية لقواته واستعد لملاقاة جيش ابن

---

(٣٧٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٤ أ ، وانظر الطبري ٧ / ٤٩٧ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ .

(٣٧٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٤ آ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٧ .

(٣٧٦) الطبري : ٧ / ٤٩٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٨ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ .

(٣٧٧) الطبري ٧ / ٤٩٧ .

(٣٧٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٣آ .

(٣٧٩) المصدر السابق ، الطبري ٧ / ٤٩٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٧ .

الاشعث ، الذي وصل الى الري فاستولى عليها ، وجعلها مقرا لقواته ، وتأهب للقتال فأرسل قوة من جيشه الى اصبهان لمحاربة جهور [٣٨٠] ، فأشار بعض اصحاب جهور عليه ان يستغل هذه الفرصة ويسير بقوة من خيرة جيشه الى ابن الاشعث فيباغته في مقر قيادته بالري ، بعد ان ضعفت قواته المتواجدة من جراء ارساله لقسم منها الى اصبهان ، فاقتنع جهور بهذا الرأي وسار بقواته الى الري .

وحين وصلت اخبار هذا التحرك العسكري ، الى ابن الاشعث احتاط للامر واستعد لملاقاة جهور وزاد من قوته ، التعزيزات العسكرية التي وصلته من خراسان[٣٨١] ، فقرر على اثر وصول هذه التعزيزات بالتوجه بكافة قواته لملاقاة جهور ، فالتقى معه بقصر الفيروزان بين الري واصبهان [٣٨٢] ، ودارت بين الطرفين معركة ضارية ، قتل فيها من الطرفين خلق كثير ، وانتهت بهزيمة جهور واخيه وبعض اصحابه ، واسر قسم من قواده امثال زياد ودلاستاخنج[٣٨٣] .

اما جهور فانه لما هرب ، اراد اللحاق بملبد الخارجي ، فلم يبعد حتى بلغه خبر مقتله ، فمضى يريد اذربيجان وعليها يزيد بن حاتم ، ليأخذ له ولاخيه امانا ، فلما كانوا ببعض الطريق ، وثب بعض من كان معه فقتلوه وأخاه ، وحملوا رؤوسهما الى يزيد ، فقال لهم : ويحكم وثق بكم وأمنكم فغدرتم به وقتلتموه فأمر بهم فقتلوا ، وبعث برؤوسهم ورأس جهور الى المنصور فنصب بالحيرة[٣٨٤] .

وبذلك انتهت الثورة بالفشل دون أن تحقق اهدافا سياسية معينة ، وكانت

---

(٣٨٠) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ ، وانظر : البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٤ آ ، الطبري ٧ / ٤٩٧ .

(٣٨١) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ .

(٣٨٢) المصدر السابق .

(٣٨٣) الطبري ٧ / ٤٩٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٨ هـ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ١٣٨ هـ .

(٣٨٤) البلاذري مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٤ آ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٦٧ ، وانظر الطبري ٧ / ٤٩٧ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٤٨٤ .

الغنائم من الأسباب الرئيسية للثورة ، الا ان الملاحظ في الثورة هو اشتراك العنصر الفارسي الذي يطلق عليهم الطبري : بالعجم من صنائع ابي مسلم[٣٨٥] ، وهؤلاء كما يبدو قد اشتركوا بالثورة لا ايمانا بها ، وانما وجدوا فيها متنفسا لاعلان استيائهم على مقتل ابي مسلم ، ولكن المنصور لم يترك لهم ولا للثورة الفرصة في تثبيت اقدامها ، فعاجلها ، وقضى عليها في مهدها .

رابعا ـ حركة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي :

اختار المنصور لولاية خراسان صاحب شرطته عبد الجبار الأزدي[٣٨٦] ، خلفالأبيداود خالد الذهلي ، الذي مات سنة **١٣٩** هـ /**٧٥٦** م اثناء ثورة الجند عليه بكشماهن من مدينة مرو .

ومما يسترعي الانتباه ان تعيين عبد الجبار الازدي ، جاء بعد ثورة الجند ، التي لم تذكر لنا المصادر التاريخية عن اسبابها ودواعيها ، وقد يكون السبب الذي ذكره البلاذري سببا معقولا لازالة هذا الغموض ، فقال : « استخلف ابو مسلم على خرسان ابا داود خالد بن ابراهيم الذهلي ، حين اراد الحج ، فلما توفي ابو العباس ، بايع ابو داود للمنصور ، فكان متخوفاً من ابي مسلم اذ فعل ذلك بغير امره ، فلما قتل ابو مسلم ، اتاه البريد بخبر قتله فانكره ، وذكر المنصور ذكرا قبيحا ونسبه الى الغدر ، فكتب اليه المنصور بأمره بغزو ما وراء النهر ، ثم كتب اليه في القدوم عليه ، وارسل كتابه بيد رسول مفرد ، فلما اتاه بالكتاب قال : ما توجهي اليه الا سألني عن امور ابي مسلم وامواله ثم قتلني . . وقال : ابا جعفر غُرَّغيري ، فرجع الرسول واخبر الخليفة بما عاين ، فكتب المنصور الى ابي عصام ابن عبد الرحمن بن سليم صاحب شرطة ابي داود : ان قتلت ابا داود فأنت امير

---

(٣٨٥) تاريخ ٧ / ٤٩٧ .

(٣٨٦) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، الطبري ٧ / ٥٠٣ ويعتبر عبد الجبار من أحد الدعاة العباسيين السبعين أنظر مؤلف مجهول : مخطوط أخبار العباس وولده ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ب .

خراسان فخرج ابو عصام الى كشماهن وقد دس الى اهلها من هيجهم ليخرج ابو دواد فيفتك به ، وسمع ابو داود الضجة ، فصعد لينظر فمشى على جناح في داره فسقط على وتد ، فقالت له امراته : من ذا قال : انا ابو داود قد نزل بي ما يريد ابو جعفر ، واحتمل فمات وذلك سنة **١٣٩** هـ ، وكتب ابو عصام بموته الى المنصور ، واجتمع الناس الى ابي عصام فبايعوه ثم لم يلبث الا قليلا حتى قدم عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي خراسان واليا عليها . .[٣٨٧] .

وهذه الرواية تفسر لنا بوضوح الغرض من وراء ثورة الجند على واليهم وانها لم تكن محض صدفة او بدون سبب ، وانما كانت تهدف الى ابعاد ابي داود عن الولاية ، بعد ان استنفذ المنصور غرضه منه . ولما تم له ذلك ، اراد ان يعين واليا قويا يعيد الامور الى نصابها ، فاختار لذلك صاحب شرطته عبد الجبار الازدي ليكون خلفاً للوالي السابق كما واختار عمر بن عبد الرحمن ليكون على شرطته بعد رحيل اخيه الى خراسان [٣٨٨] .

استدعى المنصور عبد الجبار وأعلمه باختياره واليا على خراسان ، وشرح له السياسة التي يجب ان يسير عليها ، فقال له : « قد وليتك خراسان ، فأطع الله في معصيتي ولا تطعني في معصية الله ، وكن خشنا على المسيء »[٣٨٩] . وعلى اثر هذه المقابلة توجه عبد الجبار الى خراسان ، واستلم ولايتها من ابي عصام ، واعاد الامور الى حالتها الطبيعية « وسار سيرة حسنة في اهلها ، ونظر في الخراج ، وقوى الدعوة »[٣٩٠] .

ويبدو ان الوشاية التي قام بها المسيب بن زهير الضبي الذي اصبح رئيسا لشرطة المنصور بعد عزل عمر بن عبد الرحمن الازدي عنها ، كانت السبب

---

(٣٨٧) مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .
(٣٨٨) المصدر السابق ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٠ .
(٣٨٩) المصدر السابق .
(٣٩٠) المصدر السابق .

الرئيسي في دفع عبد الجبار للثورة ، فتشير بعض الروايات الى ان المسيب افسد حال عبد الجبار عند الخليفة واوحشه منه واغراه به ، فكتب اليه : ان المنصور قال ذات يوم من ولى خراسان فأصلح ثغورها ، واحسن السيرة في أهلها ورزق جنودها ، وكان في بيت ماله بعد ذلك عشرة الاف الف فهو الكامل فكتب الى المنصور : يعلمه ان عنده بعد سد الثغور واعطاء المقاتلة عشرة الاف الف ، فكتب اليه المنصور في حملها ولم تكن عنده وإنما كذبه ، والح المنصور فيها ، فكتب عبد الجبار يسأله الاذن له في اشخاص عياله اليه ، فلم يأذن له في ذلك ، فخلع ، وقال : ان ابا جعفر دعاني الى عبادته ، وأسرف في القول[٣٩١] .

وبعد هذه الحادثة . بات الصلح بين الطرفين صعبا . فتمادى عبد الجبار في ثورته كرد فعل على تصرف الخليفة ضده ، فعمد الى قوم من عمال ابي داود وغيرهم ممن كان مخلصا للعباسيين فقتلهم [٣٩٢] » ، فكتب رجل من عيون المنصور ونصحائه له يقول : انه قد نغل الاديم[٣٩٣] ، وقد زاد عمل عبد الجبار هذا من تصعيد الموقف العدائي بينه وبين الخليفة الذي اراد ان يحمي العناصر الموالية للعباسيين من بطش عبد الجبار بهم .

اما ما ذكرته بعض الروايات « ان عبد الجبار عمد الى اخذ اناس من القواد اتهمهم بالدعاء الى ولد علي بن ابي طالب . . فقتلهم[٣٩٤] ، فهي روايات ضعيفة لا يعول عليها ، لان المنصور في ذلك الوقت كان من مصحلته مطاردة العلويين والتضييق عليهم وقد بدأ هو فعلا بانتهاج هذه السياسة تجاههم ، فاذا كان عبد

---

(٣٩١) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٣٩٢) المصدر السابق ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٠ .

(٣٩٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٥ نغل : نغلا الجلد فسد في الدباغ ، والجرح فسد ، والأديم : الجلد المدبوغ . يريد ذلك أن عبد الجبار قد فسد ولا يرجى من ورائه صلاحاً . أنظر : لويس معلوف : المنجد في اللغة ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ص ٨٢٢،٦ .

(٣٩٤) الطبري : ٧ / ٥٠٣ ، العيني مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧٠ والذهبي يذكر بأنه اتهمهم بالدعاء لولد فاطمة تاريخ ٥ / ٢٢١ .

الجبار قد سار على هدى هذه السياسة فلماذا يثور الخليفة ويقول لابي ايوب ان عبد الجبار أفنى شيعتنا(٣٩٥) ، ويكتب اليه : يحلف له ليقتلنه(٣٩٦) ، وارى ان الباعث على غضب الخليفة يعود الى قتل العناصر المعروفة بولائها للعباسيين ، لذلك هدد عبد الجبار بالقتل لاقدامه على هذه الجريمة ، وأيد البلاذري هذا الرأي ، فقال « فعمد عبد الجبار الى قوم من عمال ابي داود وغيرهم ممن كان مخلصا للعباسيين فقتلهم(٣٩٧) ، ويقوي هذا الرأي ما ذكره اليعقوبي « ان عبد الجبار قصد شيعة بني هاشم فقتل منهم مقتلة عظيمة وجعل يتتبعهم ويمثل بهم. . . »(٣٩٨) ، ومع عموم لفظ بني هاشم ، الا انه لا يمكن تفسيره في ذلك الوقت الا بشيعة العباسيين لانصراف اللفظ اليهم دون غيرهم بعد نجاح الثورة العباسية واستقرار الخلافة في ايديهم . وعليه فالضحايا كانوا من شيعة العباسيين ومؤيديهم ، دون غيرهم ، يعضد هذا الاتجاه ان عبد الجبار حضّ على طاعة ال ابي طالب ووجه الى ابراهيم ابن عبدالله بن حسن ، وهو مستخف يسأله ان يشخص اليه فلم يفعل ، فنصب رجلا قال انه ابراهيم بن عبدالله وكان اسم الرجل يزيد . وكتب لما خلع الى محمد ابن عبدالله بن حسن ، يسأله ان يتوجه اليه او يوجه بعض ولده ـ فأراد الشخوص اليه بنفسه في اربعين من اهل بيته ، فلما بلغته هزيمته رجع الى المدينة(٣٩٩) ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان عبد الجبار أراد بانعطافه السياسي بالولاء لال حسن من العلويين المعروفين بموقفهم غير الودي من المنصور . ان يضفي على ثورته صفة شرعية بالدعوة لهم ، ويجمع باسمهم اكبر عدد من المؤيدين والانصار لها . لذلك ادعى بان ابا جعفر دعاه الى عبادته وشتمه (٤٠٠) ، ليحصل على تعاطف الناس مع ثورته وتأييدها .

---

(٣٩٥) الطبري : ٧ / ٥٠٨ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤١ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٥ العيني مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧٠ .

(٣٩٦) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٠ .

(٣٩٧) مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٣٩٨) تاريخ : ٣ / ١١٠ .

(٣٩٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ١/٤ ب وانظر : الطبري ٥٠٩/٧ .

(٤٠٠) المصدر السابق .

واراد المنصور ان يواجه هذا التطور الخطير في الثورة ، التي اعلنها عبد الجبار سنة ١٤١ هـ /٧٥٨ م[٤٠١] ، بان ينتهج كعادته سياسة المراوغة والدهاء . لعلها تغنيه عن استعمال القوة ، فأستشار ابا ايوب المورياني ، فأشار عليه ان اكتب اليه « بانك تريد غزو الروم فليوجه اليك الجنود من خراسان ، وعليهم فرسانهم ووجوههم ، فاذا خرجوا منها ، فابعث اليهم من شئت ، فليس به امتناع فكتب بذلك اليه[٤٠٢] ، فلما وصله الكتاب فطن عبد الجبار للحيلة فكتب الى الخليفة : ان الترك قد جاشت ، وخراسان محتاجة الى رجالها[٤٠٣] ، فرأى الخليفة ان الفرصة مناسبة جدا لان يوجه حملة عسكرية له بحجة اعادة الهدوء الى خراسان ، فكتب انيه « اني لخراسان اعنى مني بغيرها ، فان احببت ان يوجه اليك امير المؤمنين رجالا ممن قبله فعل[٤٠٤] ، ولم يقتنع عبد الجبار بهذه الفكرة ، ووجد ان القصد منها القضاء عليه ، فكتب الى المنصور يعلمه برفض اقتراحه « ان خراسان لم تكن قط اسوأ حالا منها في هذا العام ! وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر »[٤٠٥] .

وبعد ورود هذا الكتاب توقف الخليفة عن اجابته ، لتيقنه ان المراسلات اصبحت لا تجدي نفعا ، ولم يبق امامه الا اتخاذ اجراء قوي لقمع الثورة وكان من شقين : الاول : أداري ، والثاني عسكري .

فاما الاجراء الإداري ، فإنه اصدر امره بعزل عبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي عن البصرة ، خوفا من ان يقوم هذا بمساندة اخيه ، ولتنفيذ هذا الامر ، ارسل ابا الخصيب مولاه الى البصرة ومعه امر بالقبض على عبد العزيز ،

---

(٤٠١) المصدر السابق ، الطبري ٧ / ٥٠٣ وما بعدها ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤١ هـ ، ابن الأثير الكامل ٥ / ٥٠٥ .

(٤٠٢) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، الطبري ٧ / ٥٠٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤١ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٥ العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧١ .

(٤٠٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، الطبري ٧ / ٥٠٩ .

(٤٠٤) ، (٤٠٥) المصدران السابقان وانظر ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٥ .

واسناد الولاية الى سوار بن عبدالله العنبري ، ونفذ ابو الخصيب الامر ، فقبض على عبد العزيز وقدم به مكبلا الى الخليفة(٤٠٦) .

امـا الاجـراء العسكري ، فانه جهز جيشا قويا ، واسند قيادته الى ابنه المهدي ، وضم اليه القائد الكبير خازم بن خزيمة(٤٠٧) ، وأمره بنزول الري على ان يوجه خازما لحرب عبد الجبار .

توجه المهدي بجيشه حتى نزل الري ، ووجه خازما لمحاربته ، واثناء توجه خازم للقضاء على الثورة ، اشعل الحسن بن حمران ثورته ضد الجيش العباسي مما اضطر ابن خزيمة لان يوجه قوة من جيشه للقضاء عليه ، فتمكنت هذه القوة من قتل الحسن وارسال رأسه الى خازم(٤٠٨) ، وفي مقابل هذا قاد الاشعث بن جابر ابن الاشعث الطائي ثورته ضد عبد الجبار ، فاستولى على بخارى وقتل عامل عبد الجبار واصطفى اموال من قتل معه ، وقاد حرب بن زياد الطالقاني بعد هروبه من سجن عبد الجبار في بلخ ، (٤٠٩) ، ثورته ضـده ، وتوجـه بجموعـه الى الطالقان(٤١٠) ، فقبض على المدعى يزيد الذي ادعى عبد الجبار انه ابراهيم بن عبدالله ، فقتله(٤١١) ، كما انضم اهل مرو الروذ ، الى حرب بن زياد حين علموا بمسير ابن خزيمة لحرب عبد الجبار ، فتمكن ابن زياد بمن انضم اليه بالحاق الهزيمة بعبد الجبار حين التقى به في مرو قبل وصول خازم بقواته (٤١٢) .

---

(٤٠٦) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٦١ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٤٠٧) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، الطبري ٧ / ٥٠٩ ، اتبن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧١ .

(٤٠٨) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٤٠٩) المصدر السابق .

(٤١٠) الطالقان : كورة ذات قرى بقهستان بين قزوين وجيلان في جبال الديلم ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٩٣ .

(٤١١) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٤١٢) المصدر السابق ، وانظر : الطبري ٧ / ٥٠٩ ، ابن الجوزي : مخطوط التنظيم ٨ / ١٤١ هـ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٦ .

اما عبد الجبار فانه انهزم بعد المعركة « مع بعض أصحابه فتفرق اكثرهم عنه ولم يبق معه الا خمسة نفر ، فالتجأ على مقطنه ، وتوارى فيها بمن معه ، وكانت القوات الموالية للعباسيين تتبع اثره ، فعلموا به، فتقدم اليه عبد الغفار بن صالح الطالقاني ، وامره بالقاء سلاحه فالقاه واتاه الجنيد بن خالد فاسره ، وهم الناس بقتله ، فمنعهم حرب بن زياد ، وانفذه الى خازم وهو بسرخس[٤١٣] ، فحمله مع ولده وبعض اصحابه منهم فضلة بن نعيم الى المهدي وهو يومئذ بنيسابور[٤١٤] ، فأمر فقطعت ايديهم وارجلهم وقتلهم ، وحمل عبد الجبار الى المنصور ، ورجع المهدي الى الري وجعلها مقرا له .

فلما وصل عبد الجبار الى الخليفة وادخل عليه قال له : استبقني يا امير المؤمنين ، ولا تذهبن زلتي لحسن بلائي وحرمتي وما كان مني في هذه الدولة والدعوة ، فاجابه المنصور : يا ابن اللخناء قتلت نظراء قحطبة وطبخت اوليائنا طبخا[٤١٥] ، فقال له : يا امير المؤمنين قتلة كريمة . قال وراءك تركتها يا ابن اللخناء[٤١٦] ، فأمر المنصور المسيب بن زهير الضبي ، بقطع يدي عبد الجبار وضرب عنقه ، ففعل[٤١٧] ، وبذلك انتهت الثورة بالفشل . اما اسباب فشلها فيمكن ارجاعها الى :

١ - إتباعه سياسة مالية شديدة ضد الدهاقين و« الحاحه على استخراج ما على عمال ابن داود من بقايا الاموال » وهذا مما ولد ردود فعل عنيفة عند هؤلاء ، جعلهم يحجمون عن تأييده وقت اعلانه الثورة .

---

(٤١٣) سرخس : مدينة بخراسان بين نيسابور ومرو ، ياقوت معجم البلدان ٦ / ٧٠ .

(٤١٤) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، الطبري ٧ / ٥٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ٥ / ٥٠٦ .

(٤١٥) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب .

(٤١٦) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١١٢ ، البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٠ .

(٤١٧) الطبري ٧ / ٥٠٩ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤١ هـ .

٢ ـ اسرافه في قتل الموالين للعباسيين مما دعا الباقين الوقوف ضده .
٣ ـ عدم استجابة العلويين له خاصة ابراهيم بن عبد الله ، اما دعوته لمحمد النفس الزكية فجاءت متأخرة .
٤ ـ قيام ثورات مضادة لثورته ، قام بها اصحاب النفوذ في خراسان وانضم اليها الاهالي احتجاجا على سوء معاملة عبد الجبار لهم ، وكان لهذه الثورات اثر كبير في القضاء على ثورته .
٥ ـ الاجراءات التي اتخذها المنصور بعزل عبد العزيز الازدي عن ولاية البصرة وارساله لجيش كبير بقيادة ابنه المهدي للقضاء على الثورة شجعت سكان المناطق لمقاومة عبد الجبار والحاق الهزيمة به .

وقد اسفرت الثورة عن نتيجة لها اهميتها فيما بعد ، لأن الجيش الذي ارسله الخليفة للقضاء على الثورة بقيادة ابنه المهدي لم يتكبد خسائر تذكر في العدة والعدد ، لعدم اشتراكه في حرب فعلية ، فبقي محتفظا بقوته العسكرية كاملة ، فاستغله المنصور بعدئذ في محاربة الأصبهبذ امير طبرستان .

خامسا ـ تمرد عيينة بن موسى بن كعب في السند :

لقد استلم عيينة وهو احد الدعاة العباسيين ولاية[٤١٨] السند ، بعد رحيل ابيه الى العراق سنة ١٤١ هـ/٧٥٨ م الذي توفي هناك[٤١٩] . واستمر عيينة في الولاية ، حتى سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م وفيها اعلن تمرده على المنصور[٤٢٠] .

اما سبب هذا التمرد فغير واضح ، ويظهر من الروايات التاريخية ان الوشاية التي قام بها المسيب بن زهير الضبي كانت السبب في دفع عيينة الى اعلان عصيانه ،

---

(٤١٨) مؤلف مجهول : مخطوط اخبار العباس وولده ، ورقة ١٠٤ ب وما بعدها

(٤١٩) كان موسى بن كعب التميمي المروزي احد نقباء بني العباس الاثنى عشر ، انظر : محمد بن حبيب : المحبر ص ٤٦٥ ، الطبري ٥١١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٣٨٠/٥ ، الذهبي : العبر ١٩٢/١ .

(٤٢٠) محمد بن حبيب : اسماء المغتالين ص ١٨٤ ، اليعقوبي ١١٢/٣ ، الطبري ٥١٢/٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٧/٧ .

ذلك لان المسيب كان خليفة موسى بن كعب على الشرط ، فلما مات موسى ، اقام مكانه ، وخاف ان يكتب المنصور الى عيينة في القدوم عليه ليوليه مكان ابيه ، فكتب اليه يحذره من القدوم ويحرضه على الخلاف فخلع الطاعة[٤٢١] .

وفي تصوري ان هذا السبب غير مقنع او بالاحرى لم يكن السبب الرئيسي ، لان عيينة لايمكن ان يكون بمثل هذه السذاجة وهو احد الدعاة العباسيين ، حتى يصدق كلام المسيب ويعلن تمرده ، طالما انه لم يرتكب عملا يخالف سياسة الدولة وعليه فلا بد من وجود سبب قوي ، تظافر مع سابقه ودفع عيينة الى العصيان .

واری ان هذا السبب يعود الى اقدام عيينة على قتل قوم من ربيعة واليمن ، حين اعلنوا الثورة عليه[٤٢٢] ، في اعقاب سفر والده، وربما يكون مرد الثورة ، راجعا الى عدم اقتناع هؤلاء بعيينة كحاكم جديد للبلاد . ومن الطبيعي ان عمله هذا اغضب الخليفة ، او انه شعر بفداحة جريمته ، حين ورد عليه كتاب المسيب الذي استغل هذه الناحية ، استغلالاً جيدا لصالحه ، فوقع في ظن عيينة بعد وصول تحذير المسيب اليه بعدم القدوم ان الخليفة سوف لن يتركه دون عقاب فاعلن تمرده سنة **١٤٢** هـ .

اما المنصور فانه لما سمع بانباء هذا التمرد وهو يومئذ بالبصرة جهز حملة عسكرية واسند قيادتها الى عمر بن حفص بن ابي صفرة العتكي ، وامره بالقضاء على هذا التمرد على ان يتولى ولاية السند والهند[٤٢٣] ، فتوجه عمر بجيشه يريد السند ، فلما وصلها ، رفض عيينة تسليم البلاد له ، ومنعه من دخولها فعسكر عمر بالديبل[٤٢٤] ، وجرت بين الطرفين عدة مناوشات حربية ، وكانت كفة

---

(٤٢١) الطبري ٥١٢/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٢/٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٣/٧ .

(٤٢٢) انظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٢ .

(٤٢٣) الطبري ٥١٢/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٢/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٩/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٣/٧ .

(٤٢٤) اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٣ .

جيش عمر هي الراجحة ، الذي تمكن من حصاره في المنصورة احد عشر شهرا[٤٢٥] ، وكان لانفضاض اكثر اصحاب عيينة عنه ، وطلبهم الامان من ابن حفص اثر بالغ في ان يطلب عيينة نفسه الصلح مع عمر ، فاجابه الى ذلك[٤٢٦] ، وارسله مع قوة عسكرية الى الخليفة الا انه تمكن من الهرب وتوجه يريد خراسان فتصدى له بعض اليمانية في الطريق وقتلوه ثأرا لاخوانهم الذين قتلهم عيينة ، وذهبوا برأسه الى المنصور[٤٢٧] ، وبذلك انتهى هذا التمرد ، واستقر ابن حفص واليا على السند والهند واعاد الهدوء والامن الى ربوعها .

(٤٢٥) ابن خياط : تاريخ ٤٦٣/٢ ، والمنصورة : مدينة مشهورة بارض السند بناها المنصور، القزويني: آثار البلاد ص ١٢٤ .

(٤٢٦) اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٣ .

(٤٢٧) المصدر السابق .

الفصل الثاني

سياسته تجاه الخوارج

أولا : خوارج الجزيرة[1] :

١ - ثورة ملبد بن حرملة الشيباني :

أعلن ملبد ثورته بأرض الجزيرة سنة ١٣٧ هـ /٧٥٤ م[2] ، ضد الحكم العباسي ويبدو السبب الذي دفعه الى الثورة غريبا الى حد ما ، فقد جاء في بعض الروايات ان المنصور بعث الى الجزيرة أبا الازهر المهلب المهري وصالح بن صبيح وغيرهما الى الكور بالجزيرة ليقمع أهل الفتنة والفساد من الاعراب والشراة وغيرهم وتسكين الناس ، فنزل رجل من قواد اهل خراسان على ملبد بن حرملة بالجزيرة ، وذلك سنة ١٣٧ هـ فرأى ابنته ويقال ابنة اخيه ، فقال له : يا ملبد مر هذه الجارية ان تغسل رأسي . فقال ملبد : بل تغسل هذه الامة رأسك . فقال : انتم تأتون خراسان فلا ترضون ان يغسل رؤسكم الا نسائنا . فأمر ملبد تلك الجارية ان تغسل رأسه ، وكان ذا شعرة ، فأوما اليها ، ان ارفعي شعرته عن قفاه ففعلت . وخرج اليه ملبد بسيف قاطع فأندر به رأسه ثم حكم ونهب عدة من الجند فقتلهم هو وابن عم له وسمع الخوارج بخبره فأتاه عشرون منهم فبايعوه . . . .[3] .

---

(١) ارض الجزيرة ، وتشمل على ديار ربيعة ومضر ، وتسمى ديار بكر ، وهي ما بين دجلة والفرات . ابن الوردي : مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد . رقم ١٨١ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ٤٤٤/٢ ، البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤ / ٤آ الطبري ٤٩٥/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٦/٢ . عثمان بن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج لاخبار الخوارج ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، رقم ٥٣١ تاريخ ، حوادث سنة ١٣٧ هـ .

(٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ .

وأرى لن هذا السبب لم يكن السبب الجوهري في اعلان الثورة ، ويمكن جعله الشرارة التي أوقدت نارها ، بعد ان قام ملبد بقتل القائد الخراساني ، ونهب وقتل عدد من الجند الموالين للسلطة ، لم يبق امامه الا الثورة ، وهذا التفسير وان كان مقبولا الا انه لا يقلل من اهمية السبب الرئيسي للثورة ، الذي يبدو واضحا من خلال مواقف الخوارج العدائية تجاه الحكم العباسي ، فالعباسيون من وجهة نظرهم ، كبني امية ، كلهم لا يصلح للخلافة ، ويجب مناهضتهم ورفع علم الثورة ضدهم ، وعلى أساس هذه النظرة . نجد ان نار الثورة ، كامنة في نفوسهم باستمرار يحركها ويدفعها الى الظهور ابسط الاسباب ، والملاحظ على ثوراتهم بصورة عامة ، هو ما ان تعلن احدى هذه الثورات ، حتى يسارع خوارج المناطق المجاورة للانضمام اليها ، فيزيدوا من حجمها وخطرها .

وهذا ما حصل في ثورة ملبد ، فما ان اعلن ثورته سنة ١٣٧ هـ/٧٥٤ م ، بأرض الجزيرة ، حتى سارع الخوارج المتواجدون في المنطقة ، واعلنوا مبايعتهم له ، وانضموا الى ثورته[٤] ، كما جذبت الثورة الى صفوفها كثيرا من الانصار والاتباع ، سواء من المنطقة ، ام من المناطق المجاورة ، الذين لم يكن يدينوا بالولاء لمذهب سياسي معين ، ام من الذين نقموا على الحكم العباسي ، لسبب او لآخر ، فوجدوا في هذه الثورة متنفسا لاعلان استيائهم ، فزاد هذا من خطر الثورة على الوضع القائم انذاك .

فهي اول ثورة الحقت هزائم متعددة بالقوات العباسية ، فقد قام ملبد بشن هجوم على حامية عسكرية عباسية كانت بقيادة بكار المروزي ، فقتله ، واستولى على سلاحها[٥] ، وتمكن من الحاق الهزيمة بروابط الموصل حين سارت اليه بألف فارس[٦] ، وقد اعطاه هذا النصر المبكر والسريع اندفاعا قويا لان يتجه الى

---

(٤) المصدر السابق ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٦/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٧٣/٣ .

(٥) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٤/ ٤آ .

(٦) الطبري ٤٩٥/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ ـ العيني مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ . عثمان بن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج لاخبار الخوارج معهد المخطوطات العربية رقم ٥٣١ تاريخ حوادث ١٣٧ هـ

الموصل ، ويلحق الهزيمة بروابطها ، التي فشلت تماما من وقف زحفه نحو المدينة ، فدخلها ، وطرد عاملها عبد الحميد بن ربعي[٧] ، ثم اتجه جنوبا ، فلقيه المهلب ابو الازهر قرب تكريت ، فدارت بين الطرفين معركة ، انتهت باندحار ابي الازهر ومن معه[٨] .

ونتيجة للانتصارات المتولية لملبد رأى الخليفة انه من الضروري التصدي لهذه الثورة ، ووقف مدها المتزايد ، فجهز حملة عسكرية واسند قيادتها الى يزيد بن حاتم المهلبي ، وارسله على وجه السرعة ، للقضاء على الثورة الا ان ملبد تمكن من الحاق الهزيمة به بعد قتال شديد[٩] ، فجهز الخليفة له حملة ثانية مكونة من الفي مقاتل من خيرة الجند ، وعهد بأمرها الى مولاه المهلهل بن صفوان ، الذي عجز من الصمود بوجه هجوم ملبد ، الذي شتت قواته واستباح عسكره[١٠] ، وعلى اثرها ، ارسل له المنصور قوة جديدة بقيادة القائد الخراساني نزار ، فقتله ملبد وهزم قواته في المعركة التي جرت بينهما[١١]،فسير له الخليفة زياد بن مشكان في خمسة آلاف جندي ، فلقي ملبد بباجرمى[١٢] ، ودارت بين الفريقين معركة ، اسفرت عن هزيمة ابن مشكان وقتل تسعين من اصحابه ، فلما وصلت انباء هزيمته الى الخليفة كتب اليه يوبخه : العجب كل العجب ، لامريء ، كاف ما لم يقض عليه ، اذ يفر مما هو مصيبة ، واني رأيتك هبت قتال عدوك ، وانت في اضعاف رجاله ، وظننت ان فرارك يؤخر يومك ويزيد من عمرك ، أفما علمت ان للعباد آجالا لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون ، فيا سبحان الله ، ما اعجزك واضعف

---

(٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ وانظر : الطبري ٤٩٧/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل١٦٦/٢ .

(٨) المصدر السابق ٤/٤ آ .

(٩) الطبري ٢٩٥/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٦/٢ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ . العيني مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ .

(١٠) الطبري ٤٩٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٢/٥ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ ، ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج حوادث ١٣٧ هـ

(١١) المصادر السابقة .

(١٢) باجرمى : قرية قرب الرقة من أرض الجزيرة . ياقوت : معجم البلدان ٢٤/٢ .

رأيك ورؤيتك ، اطمعت في البقاء بعد نفاذ عمرك ؟ أم خوفت القتل قبل فناء مدتك حتى آثرت العار ، واخترت الفرار ورضيت بالسنين في ضعف الفتن[١٣] .

وبعد هذا الكتاب ، وجه المنصور قوة جديدة بقيادة صالح بن صبيح ، مكونة من اربعة آلاف جندي ، وجعل على مقدمته ابراز خداه في الفين ، فالتقى ملبد بطلائع الجيش العباسي بقيادة ابراز خداه بين نصيبين ورأس العين[١٤] ، فدارت بين الطرفين معركة ، قتل فيها قائد القوة العباسية ، وانهزم باقيها ، وتوجه ملبد بعد ذلك الى صالح بن صبيح المعسكر بجيشه بنصيبين ، فهجم عليه، والحق الهزيمة به ، واستولى على ما في المعسكر من سلاح وغنائم[١٥] .

ولما وجد حميد بن قحطبة عامل الجزيرة يومئذ ، ما حل بقوات صالح ، قرر التصدي بنفسه لملبد ، فسار بقواته لملاقاته ، فتمكن ملبد من دحره من أول لقاء عسكري بينهما ، واضطر حميد ان يتحصن منه ، خوفا على قواته ، ثم جرت بين الجانبين مفاوضات . انتهت بان يدفع حميد مائة الف درهم لملبد ، مقابل ان يرفع الحصار عنه ، فقبلها ملبد ، ورحل بقواته[١٦] .

ونتيجة لهذه الانتصارات لقوات الملبد ، اصبحت ثورته تشكل خطرا على كيان الدولة وامنها ، حيث لم تستطع الخلافة العباسية ، رغم تصديها له بحملاتها الحربية من القضاء عليه ، او حصره في منطقة معينة ، ولم تفلح القوات العباسية بالحاق هزيمة واحدة به حتى نهاية سنة ١٣٧ هـ ، وربما يكون سبب هذا ، فساد الاحوال في خراسان . لقيام ثورة سنباذ الذي ثار مطالبا بدم أبي مسلم ، فكان لتداخل الثورتين في الزمن ، ان نالت ثورة سنباذ اهتمام المنصور بالدرجة الأولى ،

---

(١٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ أ . وانظر : العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ .
(١٤) رأس العين : مدينة تقع قرب منابع الخابور ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٥ .
(١٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ .
(١٦) الطبري : ٤٩٦/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ ، ابن عبد العزيز : منهج المعارج لاخبار الخوارج حوادث ١٣٧ هـ .

فركز جهده لقمعها ، فلما تم له ذلك عاد لمعالجة ثورة ملبد التي وصلت ذروتها في مطلع سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥ م .

وقد قرر الخليفة اتخاذ اجراءات شديدة للقضاء على هذه الثورة ، فتشير بعض الروايات الى ان المنصور « ولى يزيد بن حاتم اذربيجان فعرض له ملبد في طريقه فقاتله ، فقتل من اصحاب يزيد ثمان مائة ، وسار يزيد حتى اتى اردبيل[١٧] ، واتى ملبد اذربيجان ، فبعث اليه المنصور روح بن حاتم في ثلاثة آلاف ، والشمر بن عبد الخزاعي في الفين ، وسمال بن الشجاج الازدي في خمس مائة ، ووجه مهلهل بن صفوان وعبد العزيز بن عبد الرحمن في عشرة آلاف فلقيهم ملبد ، فقتل منهم الفا ، ومات ناس كثير عطشا ، وانهزموا ، واصاب اصحاب ملبد متاعا كثيرا . . . »[١٨] ويبدو ان الرواية فيها مبالغة ، فيما يتعلق بعدد المقاتلين المرسلين لقمع الثورة ، حيث بلغ مجموعهم ١٥,٥٠٠ الف مقاتل ، وهو عدد كبير نسبيا ، ومع هذا فان الرواية تعكس لنا مدى اهتمام المنصور بالثورة ، والخطورة التي وصلت اليها .

ومهما يكن من أمر فقد جهز الخليفة حملة عسكرية قوية بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل ، واسند امرها الى القائد الكبير خازم بن خزيمة ، الذي توجه بقواته الى الموصل ، فنزلها ، ثم لم يلبث ان تحرك منها ، وعسكر بقواته بضواحيها[١٩] .

اما ملبد ، فانه لم سمع بتحرك القوات العباسية ، وكان يومئذ ببلد[٢٠] ، عبر دجلة بقواته يريد الموصل ، ليشن هجوما مفاجئا كعادته على القوات العباسية . لكن خازم فطن الى هذه الناحية التي كانت السبب في انهزام اغلب القواد الذين سبقوه فقرر أن يأخذ زمام المبادرة بالهجوم ، لذلك رفض امر الوالي

---

(١٧) اردبيل : من أشهر مدن اذربيجان ، ياقوت : معجم البلدان ١٨٢/١ .

(١٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ وقد انفرد البلاذري بذكر هذه التفصيلات .

(١٩) الطبري ٤٩٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٨/٨ هـ ، ابن الاثير الكامل ٤٨٥/٥ .

(٢٠) بلد : مدينة على دجلة فوق الموصل ، ياقوت : معجم البلدان ٢٦٥/٢ .

اسماعيل بن علي ، بالرجوع الى الموصل والعبور من جسرها ، وعقد جسرا من موضع معكسره ، وعبر دجلة الى ملبد ، وبذلك غير ميزان التصادم العسكري لصالحه ، وبدلت خطته هذه وضع جيشه ، من الدفاع الموضعي الى الهجوم العام على قوات الخوارج ، التي تراجعت لأول مرة عن خطة هجومها المفاجىء الى حالة دفاع مؤقت من نفسها ، لحين ايجاد فرصتها في الانقضاض على القوات العباسية .

وبعد هذا الهجوم الناجح لخازم ، رأى انه من الافضل له اعادة ترتيب جيشه بصورة منظمة ومحكمة لتلافي اية ثغرة في صفوفه ، قد يجد الخصم فرصته فيها ، فجعل على مقدمته وطلائعه فضله بن نعيم بن خازم النهشلي[٢١] ، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامري[٢٢] ، وعلى ميسرته أبو حماد الابرص ، واستلم خازم قيادة القلب ، بالاضافة الى القيادة العامة[٢٣] .

واشتبك الفريقان خلال اليومين الاولين بسلسلة من المناوشات الحربية ، لم ترجح فيها كفة اي فريق منهما على الآخر ، ولكن اليوم الثالث ، جاء حاسما ، ففيه وقعت المعركة الفاصلة ، ومع ان الخوارج كسبت الجولة الأولى من المعركة ، لكنها لم تلبث ان انهارت مقاومتها العسكرية ، امام صمود القوات العباسية ، ففي بداية القتال ، تظاهر ملبد بالهرب، فشجع هذا ان يترك خازم تحصيناته ويلحق به ، فكر عليه ملبد بقواته بهجوم عنيف ، دحر فيه ميمنته وميسرته ، وانتهى الى القلب ، وكاد يلحق الهزيمة بالجيش العباسي ، لولا ان تدارك خازم الموقف ، فأمر اصحابه بالنزول الى الأرض ، وفعل ملبد فعله ، وتقابل الطرفان وجها لوجه ، فوجد خازم ان الفرصة مناسبة لأن يأمر فضله بن نعيم ان يرجع باصحابه الى خيلهم فيركبوها . ثم يرموا بالنشاب اصحاب ملبد ، في الوقت الذي تراجع هو

---

(٢١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ا ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٥/٥ .

(٢٢) الطبري ٤٩٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٥/٥ .

(٢٣) المصادر السابقة .

واصحابه من الميمنة الى الميسرة ، ليعطي مجالا اوسع لاصحاب فضلة باصابة عدوهم باحكام . وقد نجحت هذه الخطة نجاحا باهرا ، فوقع القتل بالخوارج ، وقتل ملبد اثناء المعركة ، وبلغ عدد من قتل منهم ١٢٥٠ رجلا(٢٤) .

وبذلك فشلت ثورة ملبد ، رغم تخطيطه الجيد لها ، ورغم الانتصارات الاولية التي حققتها على الجيش العباسي ، الا ان اصرار المنصور والامكانات الواسعة ، التي يتمتع بها الحكم انذاك ، والامدادات الحربية المتواصلة ، حالت دون توسع الثورة وانتشارها الى المناطق المجاورة ، فضيقت عليها الخناق اخيرا ، وتمكنت من القضاء عليها .

ومع هذا فان هذه الثورة ، تعتبر أول ثورة خارجية يواجهها المنصور في صدر حكمه ، ورغم انه تمكن من اخمادها بعد جهد ، الا انها لم تكن الاولى والأخيرة ، فقد فتحت الابواب ، ومهدت الطريق ، لاعلان ثورات خارجية جديدة على الحكم العباسي .

***

٢ ـ ثورة عطية بن بعثر التغلبي :

أعلن عطية ثورته بالموصل في ١٠٠ من الخوارج ، وكان معهم ابن الوليد ابن طريف الشاري . ولم تشر المصادر التاريخية الى سنة ثورته ، ويرجح ان تكون بعد ثورة الملبد ، هكذا تدل سير الاحداث ، الا انه يمكن ان نستنتج من المعلومات التي لدينا بان عطية انحدر جنوبا الى النهروان ، ثم اتجه الى السوس(٢٥) . ليعترض مالا قد اجتمع فيها ، فعلم اهل الاهواز بتحركاته

---

(٢٤) ابن خياط : تاريخ ٤٤٤/٢ ، البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ الطبري ٤٩٩/١١ ، الأزدي : تاريخ الموصل ١٦٧/٢ ، ابن الجوزي : مخطوط التنظيم ١٣٨/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٨/٧ ، ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج لأخبار الخوارج حوادث ١٣٧ هـ ـ ١٣٨ هـ .

(٢٥) السوس : كورة بالاهواز ، مؤلف مجهول : مخطوط رسالة في اسماء البلدان مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ٣٩٩ ، ص ٢

ونواياه ، فبعث محمد بن الحصين ، ابن اخيه ثابت بن كثير بن الحصين ، بالمال فحمله ، وتمكن ثابت من الافلات به من قبضة الخوارج ، الذين واصلوا سيرهم ، حتى دخلوا السوس ، ولم يتعرضوا لاهلها ، حتى وقع خلاف بين رجل من اهلها وبين رجل من الخوارج ، فاستعرض عطية اهل السوس ، فعلم منارة (مولى أمير المؤمنين) بالأمر، وكان بناحية الاهواز ، فجهز حملة عسكرية وقصد الخوارج ، فدارت بين الطرفين معركة ، انتهت بهزيمة منارة بعد ان قتل اكثر من مائتين من اصحابه ، وعلى اثرها توجه عطية الى الموصل ، فوصلت أخبار مسيره الى المنصور ، فوجه اليه ابا حميد المروروذي الذي اعد له كمينا في الطريق ، وتمكن من قتله ، وجميع من كان معه[٢٦] .

٣ ـ ثورة حسان بن مجالد الهمداني الخارجي بالموصل :[٢٧]

أخذ حسان رأي الخوارج عن خاله حفص بن اشيم ، وكان من علماء الخوارج وفقهائها[٢٨] ، وفي رواية اخرى ، ان مبدأ الخوارج اتاه عن طريق جده يحيى بن مالك الخزاعي ، وعلى هذا الاساس فقد اجتمع عليه رأي الجد والخال[٢٩] ، وتضيف رواية ثالثة بان امه كانت من الخوارج ايضا[٣٠] .

وعلى اية حال ، فان حسان كون فرقته الخارجية ، سواء أتاه مبدأ الخوارج

---

(٢٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب وانظر : فاروق عمر : العباسيون الاوائل ١/٢٥٤ .

(٢٧) لم يتطرق البلاذري لهذه الثورة ، وانما ذكر ثورة قام بها حسان بن غسان الهمداني بارض الجزيرة ، وقد يرد الى الذهن لأول وهلة ، ان الثورتين واحدة ، وانما الاختلاف في اسمى قائديها ، وهذا احتمال وارد الا انه لا يوجد دليل قاطع على صحته ، بل على العكس ، ان احداث هذه الثورة تختلف عن الاخرى تماما ، رغم التشابه الوارد بين اسمى صاحبيها ، وهذا مما يرجع ان الثورتين مختلفين ، فتشير الاحداث ان حسان بن غسان ، اعلن ثورته في ارض الجزيرة فلقي قوما يريدون مكة فقتلهم ، فلما علم المنصور باخباره وجه اليه جميل بن عبيد الله الضبي في ٧ آلاف مقاتل فقتله . مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

(٢٨) الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٥ ، ابن الاثير : الكامل (الطبعة الازهرية)

(٢٩) الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، انظر ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج لاخبار الخوارج حوادث ١٤٨ هـ .

(٣٠) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٦٨/٣ .

عن هذا الطريق ، او ذاك ، فانه لا يغير من اتجاه الثورة ، التي اعلنها سنة ١٤٨ هـ ٧٦٥م بقرية بافخارى[٣١] ، من قرى المنائح التابعة للموصل ، فتولت روابط الموصل العسكرية بقيادة الصقر بن نجدة ، مسؤولية التصدي لها ، فالتقت به خارج مدينة الموصل ، لكنها لم تتمكن من الثبات بوجه الثورة ، التي اكتسحتها بهجوم عنيف والحقت الهزيمة بها ، واجبرتها على التراجع الى جسر الموصل ، ودخلت قوات الخوارج بقيادة حسان ، سوق الجسر ، فأحرقته ونهبته . فلما وصلت اخبار، الى المنصور ، تعجب وقال : خارجي من همدان ؟ قالوا : انه ابن اخت حفص بن أشيم ، قال : فمن هناك ؟ وانما انكر المنصور ذلك ، لان عامة همدان شيعة لعلي[٣٢] ، وانها غير معروفة بميولها الخارجية .

لم يدم مكوث حسان في الموصل طويلا ، بعد العمل التخريبي الذي قام به ، فاتجه الى ناحية الرقة ، ثم انحدر في البجر ، ودخل بلد السند ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ، تعليلا عن قيامه بالسفر الى السند. وارى ان سفرته هذه كان القصد منها نقل مقر ثورته الى هناك ليكون بعيدا عن المجابهة العسكرية القوية لقربه من مقر الخلافة أولا ، ولاعتقاده بانه سيجد المساعدة والتأييد من اهل البلاد نظرا لتسرب المذهب الخارجي اليهم ، عن طريق العلاقات التجارية التي تربطهم بخوارج عمان ثانيا[٣٣] .

وقد خيب أهل السند أمله ، لانه لم يجد العون والمساعدة التي كان يتوقعها فتوجه بانظاره الى خوارج عمان الاباضية ، لعله يجد عندهم التأييد . فكاتبهم ودعاهم الى مذهبه ويستأذنهم في المصير اليهم . فلم يجيبوه[٣٤] ، وبذلك تلاشى آخر أمل له في الحصول على من يشد أزره ، ولم يجد امامه الا الرجوع ثانية الى الموصل .

---

(٣١) بافخارى : قرية من اعمال نينوى في شرق الموصل ؛ ياقوت : معجم البلدان ٤٣/٢ .

(٣٢) الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٦/٢ ، ابن الاثير : الكامل (الطبعة الازهرية ٢٧٧/٥) .

(٣٣) انظر : ابن الاثير : الكامل ـ الطبعة الازهرية ـ ٢٧٧/٥ .

(٣٤) الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٤/٢ ، ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج لاخبار الخوارج حوادث ١٤٨ هـ .

وعلم الصقر بن نجدة ، والحسن بن صالح الهمداني ، وبلال القيسي[٣٥] ، بتوجه حسان الى الموصل ، فقرروا الوقوف بوجهه ، واشتبكوا معه بمعركة شديدة ، انتهت بهزيمة الصقر وقتل احد قواده المشهورين المدعو صالح بن مودود ، واسر الحسن الهمداني وبلال القيسي . فأبقى حسان على حياة الحسن الهمداني وقتل القيسي [٣٦] .

وقد أدى عمل حسان هذا ، الى حدوث انشقاق في صفوف اصحابه ، لأن العقيدة الخارجية ترفض القبلية ، لذلك انكر عليه جماعة من اتباعه قتله للقيسي واستبقائه للهمداني ، فاضطربوا عليه وانصرفوا عنه ، فقال لهم : على هذا وقعت البيعة ؟ فقالوا له : اطلقت الهمداني وقتلت القيسي[٣٧] ، واتهموه بالعصبية ، ففارقوه[٣٨] ، وبذلك اضمحلت حركته ، بعد ان تخلى عنه اكثر اتباعه .

وكان من النتائج التي ترتبت على هذه الثورات وغيرها في الموصل وضواحيها ، ان ساد جو من عدم الاستقرار في المنطقة ، وهذا مما دعى الى اشعال روح الانتقام في نفس المنصور من أهل الموصل ، معتقدا بأنهم قد نكثوا عهدهم الذي قطعوه على انفسهم له « لانهم عاهدوه على انهم ان خرجوا فقد حلت دماؤهم وأموالهم »[٣٩] . لذلك قرر ارسال جيش لتأديب اهل الموصل ، ولكي لا يلام على فعله هذا ، أراد ان يستفتي الفقهاء في هذه المسألة ، قبل تنفيذ خطته ، فاستدعى ابا حنيفة وابن ابي ليلى ، وابن شبرمة ، وقال لهم : ان أهل الموصل شرطوا لي انهم لا يخرجون علي ، فان فعلوا حلت دماؤهم واموالهم وقد خرجوا ، فتكلم ابن ابي ليلى

---

(٣٥) ابن الاثير : الكامل ط الازهرية ٢٧٧/٥ ، ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج حوادث ١٤٨ هـ ، سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ، المطبعة السلفية ، مصر ١٩٢٣ م ، ص ٧١ ، وانظر : الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٤/٢ .

(٣٦) المصادر السابقة : ٤٩٤/١٢ . .

(٣٧) الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٤/٢ .

(٣٨) ابن خلدون : العبر ١٦٨/٣ ، ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج حوادث ١٤٨ هـ .

(٣٩) ابن عبد العزيز : مخطوط منهج المعارج حوادث ١٤٨ هـ .

وابن شبرمة ، فتلطفا له بالعفو ، وقالا : رعيتك ، فان عفوت فأهل ذلك انت ، وان عاقبت فبما يستحقون . اما ابو حنيفة ، فانه لما سأله الخليفة عن رأيه ، لم يسلك هذا المسلك بل أعلن رأيه بصراحة من غير وجل او مجاملة ، ونهى الخليفة عن هذا العمل ، فقال له :

يا امير المؤمنين ، شرطوا لك ما لا يملكون واباحوا لك ما لا تجوز اباحته ، أرايت لو ان رجلا اشترطت عليه شيئا ، فان لم يفعله فدمه حلال . أكان يحل دمه ؟ ولو ان امرأة اباحت فرجها بغير عقد نكاح ، أكان يجوز اباحتها أياه ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث خصال كفر بعد ايمان ، وزنى بعد احصان ، وقتل بغير حق ، قال المنصور : يا شيخ القول ما قلته[٤٠] . واحجم عن تنفيذ خطته .

هذا وقد قامت ثورات اخرى في المنطقة ، كانت قصيرة العمر ولم يكن لها من نتيجة تذكر ولعدم اهميتها ، رأيت عدم التعرض لها[٤١] .

واستقر رأي الخليفة اخيرا ، بعد ان وجد ان الاضطرابات قد سادت الموصل ونواحيها ان يولى امرها لمن له القدرة على ضبط امورها ، فاختار لذلك خالد بن برمك ، واسند اليه الولاية ، فتمكن من اعادة الهدوء والامن الى ربوع المنطقة[٤٢] .

ثانيا : خوارج عمان وضواحيها :

لقد انتشر المذهب الخارجي في مناطق الخليج العربي بصورة عامة ، وتمركز بصورة خاصة في عمان وحضرموت . فذكرت بعض الروايات « ان ابا عبيدة مسلم

---

(٤٠) الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٧ ابن الاثير : الكامل (الطبعة الأزهرية) ٥/٢٧٧ .

(٤١) وقد انفرد البلاذري بذكر هذه الثورات . منها ثورة الضحضح الشيباني بسنجار ، فقضي عليه داود بن اسماعيل الزيدي . وثورة عيسى مولى بن شيبان الذي قضي عليها زياد بن مشكان . مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

(٤٢) الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ابن الاثير : الكامل (الطبعة الازهرية) ٥/٢٧٧ .

ابن أبي كريمة التميمي المتوفي سنة ١٣٥ هـ بالبصرة . كان حامل لواء العلم للمذهب الاباضي للمغرب وحضرموت وعمان[٤٣] ،وقد حمل هذا المذهب الى عمان ، الربيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي صاحب السند ، الذي رحل من البصرة وسكن عصفان من عمان واخذه عنه رهط منهم ابو المنذر بشير بن المنذر من بني نافع من عقر نزوى[٤٤] ، وانتشر المذهب في حضرموت على يد وايل بن ايوب والامام عبد الله بن يحيى بن عمر الحارثي الكندي[٤٥] .

وبذلك اصبحت منطقة عمان وحضرموت والمناطق المجاورة لهما ، تدين لهذا المذهب ، وترتب على هذا ، ان اتخذ الخوارج مواقف عدائية تجاه الدولة الاموية ثم الدولة العباسية بعدها . وحاولت الدولتان بسط نفوذهما وسيطرتهما على هذه المنطقة بالذات ، لتأمين سلامة الطريق البحري لتجارتيهما ، ولم تتمكن الدولة الاموية من بسط نفوذها بصورة تامة عليها ، رغم تعدد حملاتها الحربية لاخضاعها[٤٦] .

ولما آل الامر الى العباسيين ، انتهجوا نفس سياية الامويين في اخضاع المنطقة لنفوذهم بالقوة ، فعين المنصور ـ وكان يومئذ واليا على العراق من قبل ابي العباس ـ على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائي ، فقدم اليها ، وبقي فيها فترة ثم عزله ، وعين ابنه محمد الهنائي خلفا له . الذي لم يتمكن من ضبط الامور كوالده ، ففي عهده تمكن الاباضية بزعامة الجلندي بن مسعود من السيطرة على البلاد ، وصارت الولاية لهم بعد مبايعتهم له بالامامة سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩ م .

ومن الطبيعي ان هذه التطورات ، لم ترق للخليفة ابي العباس ، فجهز حملة عسكرية سنة ١٣٤ هـ/٧٥١ م ، بقيادة خازم بن خزيمة التميمي ، لاعادة السيطرة

---

(٤٣) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان (الموسوم بكشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ، المتحف البريطاني رقم ٨٠٧٦ باب ٣٢ ، سالم بن حمد العماني الاباضي : العقود الفضية في أصول الاباضية ، مطبعة دار اليقظة في سوريا ولبنان ، ص ١٢١ وانظر : المسعودي : مروج الذهب ٢٥٨/٣ .

(٤٤) المصدران السابقان .

(٤٥) سالم بن حمد : العقود الفضية في اصول الاباضية ص ١٤٧ .

(٤٦) انظر : ابن خياط : تاريخ ٢٧٧/١ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان ، فصل ٣٣ .

على البلاد ، وكان ظاهر الحملة القضاء على ثورة الخوارج الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز الخارجي ، الذي تمركز وابتاعه بجزيرة ابن كاوان ، الواقعة بين عمان والبحرين ، وقد اعد سليمان بن علي والي البصرة السفن اللازمة لنقل الحملة بحرا الى المنطقة ، فوجه خازم قوة مكونة من ٥٠٠ مقاتل بقيادة فضلة بن نعيم النهشلي لمقاتلة شيبان ، الذي لم يتمكن من الصمود امام القوة العباسية ، ففر الى عمان ، فتصدى له الامام الإباضي فقتله وابتاعه سنة ١٣٤ هـ/٧٥١ م[٤٧] .

وحين توجه خازم الى عمان ، كشف عن هدف الحملة الرئيسي ، للامام الجلندي ، فقال له : انا كنا نطلب شيبان واصحابه وقد كفانا الله قتالهم على ايديكم ، ولكني اريد ان اخرج من عندك الى الخليفة واخبره انك له سامع مطيع ، فشاور الجلندي اتباعه ، وكان فيهم هلال بن عطية الخراساني ويحيى بن نجح ، فرفضوا علان طاعتهم للخليفة ، وكانت الحرب هي الفيصل بين الطرفين ، والتي انتهت بقتل الجلندي واكثر اتباعه[٤٨] ، وبقي في منزلة الامام بعده شبيب بن عطية الإباضي العماني[٤٩] .

وبذلك خضعت عمان اسميا للدولة العباسية ، لكنها استمرت بولائها للمذهب الإباضي ، وساد فيها جو من عدم الاستقرار لاشتعال نار العصبية القبلية فيها ، ونتيجة لتصارع هذه القوى فيما بينها ، ان وقع الكثير من القتلى بين الاطراف المتنازعة ، وكان اشدها تلك التي قاد هجومها غسان الهنائي من بني محارب ، وكان الخليفة المنصور يؤيد غسان ويدعمه في كفاحه ، فتمكن هذا من دخول العاصمة نزوى ونهبها ، وهزم بني نافع واتباعهم ، بعد معركة دموية جرت احداثها في شعبان سنة ١٤٥هـ/٧٦٢[٥٠] .

---

(٤٧) انظر : المصادر السابقة .

(٤٨) ابن خياط : تاريخ ٢/٤٠١ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٥/٢١٥ سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان فصل ٣٣ . محمد السالمي وعسهاف : تاريخ عمان ، المطبعة العمومية ، دمشق ١٩٦٣م ، ص١٠٢ .

(٤٩) سالم بن حمد الاباضي : العقود الفضية في اصول الاباضية ص ٢٥٣ .

(٥٠) زيادة في الاطلاع ، انظر : سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان فصل ٣٣ .

اما في ضواحي البصرة ، فقد اعلن طي بن المسيب بن فضالة العهدي الخارجي ثورته في ٢٣ رجلا وثلاث نسوة وبنتين له وجارية سوداء وعبد اسود[٥١] ، ومع ان المصادر لم تذكر لنا سنة اعلانها ، الا اننا نرجح ان تكون بين سنة ١٣٩ هـ ـ ١٤٤ هـ لانها اعلنت زمن ولاية سفيان بن معاوية على البصرة[٥٢] ، ولا اعدو الصواب اذا قلت انها اعلنت اواخر سنة ١٤٢ هـ ، لان من جملة من حاربه عيسى ابن عمرو بن ابي الجمل ، الذي كان موجودا في هذا التاريخ بالبصرة[٥٣] .

هذا ولم تشكل الثورة خطرا كبيرا على الوضع ، لقلة اتباعها اولا ، ولعدم افساح المجال لها للانتشار وكسب المؤيدين والانصار ثانيا ، حيث اتخذت وقت انبثاقها الجلحاء التي تبعد فرسخين من البصرة مقرا لها[٥٤] ، فبادرهم سفيان بن معاوية وأرسل اليهم اسماعيل بن مسلم ، ليوعظهم ، ويحذرهم من مغبة عملهم . ويطلب منهم الرجوع عن امرهم ، وما كان عمل سفيان هذا ، الا مراوغة لكسب الوقت ، لانه كان قد اعد لهم قوة عسكرية بقيادة عيسى بن أبي الجمل ، الذي خرج عليهم بفرسانه وكان معه ناس من الزط وعليهم العاقب الأزدي . ففاجأهم اثناء انشغالهم بالمفاوضات مع اسماعيل بن مسلم ، وتمكن من قتلهم جميعا ، وبعث برؤ وسهم الى سفيان ، وهذا بدوره قام بارسالها الى المنصور بسفينة ، الا أنها غرقت بنهر دجلة[٥٥] .

وكانت هذه الثورة التي منيت بالفشل ، آخر ثورات الخوارج في المنطقة حتى نهاية خلافة المنصور .

* * *

---

(٥١) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٤/٤ ، وقد انفرد البلاذري بذكر اخبار الثورة مفصلة .

(٥٢) تولى سفيان ولاية البصرة من سنة ١٣٩ هـ ـ ١٤٤ م ، انظر : الطبري ٧/ أحداث تلك السنوات

(٥٣) انظر : ابن خياط : تاريخ ٤٦١/٢ .

(٥٤) انظر الطبري ٤٩٨/٧ .

(٥٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ ، وانظر : الطبري ٤٩٨/٧ .

ثالثا : خوارج اليمن :

لم يكن اليمن بلدا خاليا من المشاكل والاضطرابات ، شأنه في ذلك شأن الاقاليم الاخرى من الدولة ، وكـان لوجود بقايا من الخوارج فيه ، أثر كبير في هذه الاضطرابات ، ومن المحتمل جدا ان يكون تجديد الحلف بين القبائل اليمانية والربيعية(٥٦) ، من تأثير الخوارج الذين ينتمون الى هاتين القبيلتين ، فأرادوا توحيد صفوفهم : تحت ستار تجديد حلف قبلي ، ليحصلوا من ورائه على تأييد اوسع من لو اعلنوا الثورة باسم الخوارج ،يؤ يد هذا الاتجاه ، ان الخوارج تعقبوا معن بن زائدة ، الى سجستان فقتلوه ، انتقاما لما فعله بهم في اليمن .

ومهما يكن من امر ، فان الخليفة ارتاب من تجديد هذا الحلف ، ورأى فيه خطرا يهدد امن الدولة(٥٧) ، وقد تحققت مخاوفه فعلا ، حين وصلته أخبار ثورة الاهالي وطردهم الوالي العباسي عبد الله بن الربيع الحارثي من البلاد سنة ١٤٢ هـ/ ٧٥٩ م(٥٨)، لذلك صمم الخليفة على اخماد هذه الثورة ، عن طريق كسر هذا الحلف(٥٩) ، باستعمال نار العصبية القبلية . فاختار لهذه المهمة ، معن بـن زائدة الشيباني الربعي وعينه واليا على اليمن سنة ١٤٢ هـ(٦٠) .

أما ما ذكرته بعض الروايات بان المنصور عين معن الشيباني على اليمن سنة ١٤١ هـ(٦١) ، فغير جدير بالقبول ، لان اختيار معن جاء بعد وقوفه المشرف بجانب الخليفة ضد الراوندية ، الذي اعلنوا ثورتهم سنة ١٤١ هـ ، ويحددها العيني ، بانها

---

(٥٦) الازدي : تاريخ الموصل ١٧٥/٢ . الاصفهاني : الاغاني ٤١/٩ .

(٥٧) انظر : الازدي : تاريخ الموصل ١٧٥/٢ .

(٥٨) ابن خياط : تاريخ ٤٦١/٢ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٣ ، الدينوري الاخبارالطوال ص ٣٦٣ ، الازدي تاريخ الموصل ١٧٤/٢ .

(٥٩) الازدي : تاريخ الموصل ١٧٥/٢ .

(٦٠) ابن خياط : تاريخ ٤٦١/٢ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٣ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٧٤/٢ .

(٦١) الطبري ٥٠٨/٧ ، ابن الجوزي ، مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ ، ابن الاثير الكامل ٥٠٤/٥ .

وقعت آخر هذه السنة ، بدليل انه يذكر موت عثمان بن نهيك ، الذي مات بعد ايام من اصابته في احداث سنة ١٤٢هـ[٦٢] .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، ان الاحداث تنبىء بان المنصور اختاره بعد ان جددت ربيعة واليمن الحلف بينهما سنة ١٤٢ هـ ، لا قبلها ، لان الغرض من تعيين معن كان لكسر هذا الحلف . ولهذا استدعاه ، فقال له : اني قد املتك لامر فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين . قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن . قال : ابلغ من ذلك ما يحب امير المؤمنين ، فولاه اليمن[٦٣] .

وتشير بعض الروايات الى انه سار مع الخليفة الى البصرة أوائل سنة ١٤٢ هـ ، فلما سمع الخليفة بانباء ثورة أهل اليمن ، وجهه مسرعا لضبط البلاد[٦٤] ، وأوصاه باتباع سياسة الشدة ضد اهلها .

ان استعمال معن الشيباني الربعي واليا جديدا على اليمن ، حقق للخليفة هدفين ، اولهما : القضاء على ما تبقى من الخوارج فيه ، وثانيهما : كسر شوكة القبائل الربيعية واليمانية ، باشعال نار العصبية القبلية ، لفسخ الحلف بينهما .

وقد نجح معن في مهمته نجاحا منقطع النظير ، فما ان وصل البلاد حتى ، « بسط السيف في اهلها فأسرف[٦٥] » « وقتل من بها قتلا فاحشا واقام بها تسع سنين »[٦٦] ، فاستقام له الحال ، واعاد الهدوء والأمن الى ربوع اليمن .

اما المنصور ، فكان من سياسته ان لا يترك الفرصة لوال من تثبيت اقدامه في الولاية ، خشية ان تحدثه نفسه بالثورة عليه ، وعلى ضوء هذه السياسة ، وبعد ان

---

(٦٢) مخطوط عقد الجمان ١٧٢/٧ .
(٦٣) الازدي : تاريخ الموصل ١٧٤/٢ ، وانظر الاصفهاني : الاغاني ٤١/٩ .
(٦٤) اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٧ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٣ .
(٦٥) الاصفهاني : الاغاني ٤١/٩ ، انظر المسعودي : مروج الذهب ٢٤٦/٣
(٦٦) اليعقوبي : تاريخ ١١٢/٣ .

استنفذ الغرض من ارساله لمعن الى اليمن ، اظهر غضبه عليه ، بحجة اعطائه الأموال ، للشاعر مروان بن أبي حفص ، فاستدعاه[٦٧] ، ثم أظهر رضاه عنه ، وولاه سجستان سنة ١٥١ هـ/٧٦٨ م ، فتعقبه بعض خوارج اليمن ، فقتلوه غيلة هناك[٦٨] .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان الخليفة قد استعمل نفس سلاح العصبية القبلية في اليمامة والبحرين حين ثار اهلها وقتلوا الوالي العباسي ابا الساج ، فاستدعى المنصور عقبة بن سلم الهنائي الازدي اليماني ، وقال له : قد علمت ما فعل بكم معن ، فان وليتك اليمامة والبحرين تشتفي من ربيعة ؟ قال : كفيتك يا أمير المؤمنين ، فولاه البلاد سنة ١٥١ هـ/٧٦٨م[٦٩] ، فتقدم اليها وقتل بها من ربيعة مجازاة لما فعل معن باليمن ، وقال : لو كان معن على فرس جواد وانا على حمار اعرج لسبقته الى النار»[٧٠] فقتل سليمان بن حكيم العبدي[٧١] ، وسبى اهل البحرين من العرب والموالي[٧٢] ، وارسل ببعض الاسرى - كما تشير بعض الروايات - الى المنصور ، فقتل بعضهم ، ووهب بقيتهم للمهدي فعفا عنهم[٧٣] .

اما عقبة ، فان مصيره ، لم يكن بأحسن من مصير معن ، فقتل هو الآخر

---

(٦٧) زيادة في الاطلاع انظر : المسعودي : مروج الذهب ٢٩٩/٣ ، الاصفهاني الاغاني ٤٤/٩ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٤/٨ .

(٦٨) ابن خياط : تاريخ ٤٥٤/٢ ، اليعقوبي : تاريخ ١٢٣/٣ ، الطبري ٤٠/٨ ، مؤلف مجهول : تاريخ سيستان ص ١٤٢ .

(٦٩) الطبري ٢٣٩/٨ الازدي : تاريخ الموصل ١٧٥/٢ و٢١٤ ، ابن الجوزي : مخطوط ، المنتظم ١٥١/٨ هـ .

(٧٠) اليعقوبي : تاريخ ١٢٣/٣ ، وانظر : الازدي : تاريخ الموصل ١٧٥/٢ ، ٢١٤ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٤٦/٣ .

(٧١) الطبري : ٢٣٩/٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥١/٨ هـ ، خليفة بن حمد : تاريخ البحرين ، المطبعة المحمدية مصر ١٣٤٢ هـ ص ٩١ .

(٧٢) اليعقوبي : تاريخ ١٢٣/٣ وانظر : المسعودي : مروج الذهب ٢٤٦/٣

(٧٣) الطبري ٣٩/٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥١/٨ هـ ، ابن الاثير الكامل (ط الازهرية) ٢٨٦/٥ .

غيلة ببغداد ايام المهدي(٧٤) .

رابعا : خوارج سجستان(٧٥) وخراسان :

لقد ساعد التكوين الاجتماعي سكان هذه البلاد على قبول المذهب الخارجي وغيره حيث كانت مرتعا خصبا لكافة الاعتقادات، والملاحظ على سكانها ، خاصة الموالي منهم ، انضمامهم الى اية ثورة تعلن ضد الحكم القائم انذاك ، فذكر البلاذري « ان اول من دعى اهل سجستان الى رأي الخوارج ، رجل من بني تميم اسمه عاصم او ابن عاصم »(٧٦) .

وقد شهدت هذه الاقاليم ، العديد من ثورات الخوارج ، ففي فارس اعلن مهلهل الحروري ثورته ، زمن الوالي اسماعيل بن علي، الذي سار اليه بقواته ، فقتله بعد معركة قصيرة ، والحق الهزيمة بقواته ، بعد ان اسر اربعمائة مقاتل منهم ، واحتفظ بهم اسرى ، بعد أن رفض قتلهم حين أشار عليه عبد الصمد بن علي بذلك(٧٧) .

وفي سجستان اعلن هناوي السري ثورته سنة ١٤١ هـ/٧٥٨م ، زمن واليها زهير بن محمد الازدي ، والتحق بصفوف الثورة كثير من الخوارج في المنطقة ، ولم تستمر الثورة طويلا ، حيث تم اخمادها في نفس السنة(٧٨) .

وقد ساد المنطقة جو من عدم الاستقرار ، نظرا لاستمرار الاضطرابات فيها خاصة في سجستان البعيد عن مركز الخلافة ، الذي وجد الخوارج فيه ضالتهم

---

(٧٤) اليعقوبي : تاريخ ١٣٤/٣ ، ١٣٥ .

(٧٥) سجستان : ويطلق عليها سيستان وهي البلاد السهلية حول بحيرة رزة وفي شرقها ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٢ ، ٣٩٢ .

(٧٦) فتوح البلدان: تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي مصر ص ٤٩٥ . وانظر الشهرستاني : الملل والنحل ، مطبعة مخيمر القاهرة ، الطبعة الثانية ١١٢/١ .

(٧٧) اليعقوبي : تاريخ ١٢٢/٣ .

(٧٨) مؤلف مجهول : تاريخ سيستان ص ١٤٢ .

لممارسة نشاطهم السياسي ضد السلطة العباسية ، وهذا مما دعى الخليفة لان يعين واليا قويا ، يكبح جماح الثوار ، ويعيد الاوضاع الى حالتها الطبيعية ، فاختار لهذه المهمة معن بن زائدة الشيباني ، وعينه واليا على سجستان في شعبان سنة ١٥١ هـ/٧٦٨ م[٧٩] ، فتمكن من ضبط البلاد ، واستعان في ذلك بعمال وزعهم على كورها ، وطلب منهم استعمال سياسة الشدة والقسوة ، ضد كل تحرك مشبوه[٨٠] .

وبعد ان اطمأن معن على قوة مركزه ، بدأ بمحاربة الخوارج في تلك المناطق منتهجاً ضدهم سياسة البطش والارهاب ، فتذكر بعض الروايات « انه قتل منهم خلقا عظيماً وافناهم »[٨١] ، ولما لم يتمكن الخوارج من الوقوف بوجهه ، قرروا اغتياله للتخلص منه ، فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله بناء بمدينة بست[٨٢] ، فقتلوه سنة ١٥١ هـ[٨٣] ، فتجرد يزيد بن مزيد ابن اخيه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، انتقاما لقتل عمه ، فقرر الخوارج اغتياله هو الآخر ، طلبا لثأرهم منه ، فتبعه قوم منهم الى بغداد ، بعد رحيله إليها ، وسنحت الفرصة لهم على جسر بغداد ، فهجموا عليه واصابوه اصابات متعددة ، الا انه قاتلهم بمن كان معه من اصحابه ، فقتل أكثرهم ، وبذلك نجا من موت محقق ، حتى ان بعض الروايات ذكرت « انه لا يعلم ان الخوارج دخلت قط بغداد ظاهرا ، فقتلت احدا الا ذلك اليوم »[٨٤] .

---

(٧٩) المصدر السابق ، انظر : البلاذري : فتوح البلدان ٤٩٣/٣ ، الطبري ٤٠/٨ .

(٨٠) انظر : البلاذري فتوح البلدان ٤٩٣/٣ - ٤٩٤ .

(٨١) اليعقوبي : تاريخ ١٢٣/٣ .

(٨٢) بست : مدينة سجستان العظمى ، اليعقوبي : البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٧ م ص ٤٤ .

(٨٣) ابن خياط : تاريخ ٤٥٤/٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ٤٩٤/٣ ، مؤلف مجهول : تاريخ سيستان ، ص ١٤٧ .

(٨٤) اليعقوبي : تاريخ ١٢٣/٣ .

خامسا : خوارج افريقية والمغرب الأقصى :

حينما قامت الدولة العباسية ، كان الوالي على افريقة ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، الذي اعلن طاعته للدولة الجديدة ، واستمر كذلك الى ان توفي ابو العباس سنة ١٣٦ هـ ، ولما بويع المنصور بالخلافة أقر عبد الرحمن على ولاية افريقية ، وارسل اليه خلعة سوداء ـ شعار العباسيين ـ فلبسها ، وكان هذا اول سواد دخل البلاد . واعلن طاعته وولاءه للخليفة الجديد ، وارسل له هدية ، وكتب اليه يقول « ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبي منها والمال ، فلا تطلب مني مالا »[٨٥] . فغضب الخليفة لهذه اللهجة الحادة ، وارسل اليه يتهدده ويتوعده ، فخلع المنصور بافريقية وسبه ومزق خلعته ، وصعد المنبر فقال : « اني ظننت ان هذا الخائن يدعو الى الحق ويقوم به ، حتى تبين لي خلاف ما بايعته عليه من اقامة الحق واني الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا ، وقذفه من رجله ، ثم دعا بخلع السواد وامر بتحريقها »[٨٦] .

ووجد اخوه الياس الفرصة سانحة امامه ليحقق مطامعه السياسية ، فعمد الى عبد الرحمن فقتله في القيروان سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٤ م واعلن طاعته لابي جعفر وايده في ذلك وجوه البلد[٨٧] .

أما حبيب بن عبد الرحمن ، فانه لم يسكت على قتل ابيه ، فتمكن من قتل عمه الياس انتقاما لابيه منه ، ودخل القيروان سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م ، ولكن الحال لم تدم لحبيب ، حيث تمكن الصفرية بقيادة عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي من قتله في

---

(٨٥) ابن الاثير : الكامل ٣١٤/٥ ، وانظر : عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : مطبعة الدار القومية ، مصر ١٩٦٦ م ، ٣٣١/٢ .

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، طبعة ليدن سنة ١٨٤٨م . ٥٥/١ .

(٨٧) المصدر السابق ، وانظر : ابن الاثير : الكامل ٣١٤/٥ ، القيروان : مدينة بافريقية وهي في وسط المغرب ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٧ .

محرم سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م ودخل عبد الملك القيروان وعاث فيها فسادا[٨٨] .

في هذا الجو المشحون بالاضطرابات والتناقضات ، كان المذهب الخارجي قد تغلغل في سكان البلاد من البربر وغيرهم ، وباعتناقهم لهذا المذهب ، اصبحوا اشد عداء للخلافة العباسية ، ورفضوا اعلان الطاعة لها . يقول ميور « ان افريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين في معظم زمن المنصور ، وان البربر والعرب الساكنين فيها مالوا الى مبادىء الخوارج ، وخلعوا طاعة العباسيين ، الذين اخذوا يرسلون الجيوش اليهم باستمرار لاخضاعهم ، ولكن بدون جدوى»[٨٩] .

ويمكن القول ، بان المذهب الخارجي انتشر بافريقة في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، « فأول من ادخل المذهب الاباضي مسلمة بن سعيد حين قدم به من البصرة الى قيروان افريقية ، وكان معه عكرمة بن عباس يدعو الى المذهب الصفري »[٩٠] ، فاعتنقه البربر ، واصبح القسم الجنوبي من المغرب الاقصى يدين بالمذهب الصفري ، اما القسم الشمالي من المغرب ، الاقصى والمغرب الاوسط ، فاعتنق المذهب الاباضي .

هذا وقد قام الاباضيون بارسال وفد من الذين برزوا في هذا المذهب منهم الى البصرة ، لأخذ اصوله على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وكان من كبار علماء الاباضية[٩١] ، وكان الوفد مكونا من عبد الرحمن بن رستم الفارسي ، وأبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المغافري اليمني ، وعاصم السدراني ، واسماعيل ابن داران الغدامسي ، وابي داود القبلي النفزاوي[٩٢] ، ودام مكوثهم بالبصرة خمس

---

(٨٨) زيادة في الاطلاع انظر : ابن الاثير : الكامل ٥/٣١٣ وما بعدها ، ابن عذاري : البيان المغرب ١/٥٦ وما بعدها . شهاب الدين النويري مخطوط نهاية الارب ، دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ قسم الادب جـ ٢٢ ص ١٨ وما بعدها .

(٨٩) The Caliphate, Its Rise Decline and Fall, p. 461

(٩٠) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان ، باب ٣٢ .

(٩١) المصدر السابق . ابو الربيع سليمان البارونى : مختصر تاريخ الاباضية ، تونس سنة ١٩٣٨ م ص ٣٥ ، سالم بن حمد الاباضي : العقود الفضية في اصول الاباضية ص ١٤٧ .

(٩٢) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ وانظر : عبد العزيز سالم المغرب الكبير ٢/٣٠٢ .

سنوات ، يتفقهون على يد ابي عبيدة ، فلما هموا بمغادرتها ، وقد آنس هذا منهم رشدا ، اختار عبد الاعلى بن السمح ، لرئاسة الدولة الاباضية التي ينوي البربر اقامتها في المغرب ، وامرهم بطاعته وشد ازره ، وان رفض هذا الامر فليقتلوه[٩٣] .

وبعد رجوع هذه البعثة ، عرف افرادها هناك بحملة العلم ، وتنفيذا لوصية ابن ابي كريمة ، اجتمعت الاباضية في مكان يقع غرب مدينة طرابلس ، وعقدوا الامامة لعبد الاعلى بن السمح ليكون رئيسا لدولتهم ، فبايعوه على ان يحكم فيهم بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وامثه الصالحين من عباده ، وذلك في محرم سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م ، واعلن قيام الدولة الاباضية[٩٤] .

الدولة الاباضية الأولى « ١٤٠ هـ - ١٤٤ هـ » ٧٥٧ م - ٧٦١ م »

بعد ان اعلن ابو الخطاب عبد الاعلى ، قيام الدولة الاباضية في محرم سنة ١٤٠ هـ ، وبايعه شيوخ البربر من نفوسه وهوارة وحريشة وغيرهم ، سار بقواته الى طرابلس ، واستولى عليها ، وجعلها مقرا لرئاسة الدولة الجديدة ، وطرد العامل العباسي منها ، ورفع اصحابه شعار « لا حكم الا لله ولا طاعة الا طاعة أبي الخطاب »[٩٥] .

وبذلك اعلنوا أستقلالهم عن الخلافة العباسية تماما ، فصارت طرابلس كلها من خليج سرت الى قابس ومن البحر الى الصحراء الكبرى ، منضوية تحت جناح هذه الدولة ، ثم انضم اليها اغلب المغرب الاوسط[٩٦] .

وخلال هذه الفترة ، بدأ الصراع بين الاباضية والصفرية المتطرفين ، المستولين على القيروان ، بقيادة عبد الملك بن أبي الجعد ، الذي سام اهل البلد

---

(٩٣) المصدران السابقان . باب ٣٢ و٢/٥٣٥ .

(٩٤) المصدران السابقان .

(٩٥) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان ، باب ٣٢ .

(٩٦) دبوز : تاريخ المغرب الكبير : مطبعة دار احياء الكتب المصرية ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ م ، ٣/٣ ، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ٢/٣٣٩ .

العذاب ، واسرف في ارتكاب الجرائم ، وهتك الحرمات ، فاستجار اهل القيروان بأبي الخطاب ، الذي هب لانقاذهم من الظلم والتعسف الذي هم فيه ، واقامة العدل الذي هو الاساس في بيعته ، فأيده اصحابه ورفعوا الشعار المعروف « لا حكم الا لله » فسار بجيشه البالغ ستة الآف مقاتل متوجها الى القيروان ، وسارع بالانضمام اليه الكثير من الاباضية حين علموا بمسيره ، ولما وردت الاخبار لعبد الملك حشد قواته ، واستعد للحرب ، التي وقعت بينهما في صفر سنة ١٤١ هـ/٧٥٨م(٩٧) وانتهت بهزيمة ورفجومة وقتل زعيمها عبد الملك ، واكثر اتباعه ، ودخول عبد الاعلى القيروان بقواته(٩٨) .

أما الخليفة المنصور ، فلم يكن غافلا عن هذه الاحداث ، ولكن انصرافه الى تصفية العناصر المعارضة لحكمه والاشد خطورة عليه ، ارجأ موضوع افريقية الى الوقت المناسب ، فلما صفا له الجو ، توجه بانظاره اليها ، وقرر اخضاعها لسلطانه ، وزاد من عزمه وصول وفد من اهلها برئاسة نافع بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن انعم قاضي افريقية ، يطلبون منه انقاذهم من ظلم الخوارج(٩٩) ، فجهز جيشا واسند قيادته الى محمد بن الاشعث الخزاعي ، وسيره واليا على مصر ، وطلب منه مهاجمة ابي الخطاب والقضاء على دولته ، واستنقاذ افريقية من الخوارج ، فوصل ابن الاشعث مصر في خامس ذي الحجة سنة ١٤١ هـ/٧٥٨م . وعلم أبو الخطاب بنوايا القوات العباسية العدوانية ، فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم ، وسار بقواته الى طرابلس واتخذها مقرا له ، واستعد لملاقاة قوات ابن الاشعث(١٠٠) .

وبعد ان استقر ابن الاشعث بمصر ، ارسل جيشا بقيادة العوام بن عبد العزيز

---

(٩٧) ابن الاثير : الكامل ٣١٧/٥ .

(٩٨) المصدر السابق ، ابن خلدون : العبر ١٩١/٣ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ ، ابو الربيع سليمان البازوني الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية ، المطبعة البارونية ، القاهرة : ١٣٢٤ هـ ، ص ٨٤ .

(٩٩) ابن الاثير : الكامل ٣١٥/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩١/٣ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٥/٣ .

(١٠٠) ابن خلدون : العبر ١٩١/٣ ـ ١٩٢ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ ابو الربيع سليمان الباروني ، الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، المطبعة البارونية القاهرة ١٣٢٤ هـ ص ٨٤ .

البجلي ، لمحاربة الاباضية ، فسار هذا بجيشه يريد الخوارج ، فخرج اليه أبو الخطاب من طرابلس وعسكر بورداسة الواقعة شرقي طرابلس ، ووجه لمحاربته مالك بن سحران الهواري في طائفة من جنده ، فالتقى هذا بقوات العوام في سرت بالقرب من الحدود الشرقية لاملاك أبي الخطاب ، وتمكن من الحاق الهزيمة بالقوات العباسية ، التي تراجعت الى مصر[١٠١] ، وعلى أثر فشل هذه الحملة ، جهز ابن الاشعث ، حملة جديدة مكونة من ستة آلاف مقاتل[١٠٢] ، واسند امرها الى أبي الاحوص عمر بن الاحوص العجلي، ووجهه لمحاربة ابي الخطاب[١٠٣] الذي التقى به في مغمداس غرب سرت القريبة من طرابلس ، ودارت بين الجانبين معركة ضارية ، سقط فيها كثير من القتلى ، وانتهت بهزيمة أبي الاحوص الى مصر[١٠٤] .

وحين توالت انباء هذه الهزائم الى المنصور ، زاد اهتمامه في معالجة الثورة هناك ، ورأى من الافضل ان يوجه ابن الاشعث الى افريقية ويوليه امرها ، ليكون قريبا من الاحداث « لعله يتمكن من اعادة الهدوء الى المنطقة ، لذلك عزله عن مصر وولاه افريقية وعين على مصر حميد بن قحطبة[١٠٥] ، فسار ابن الاشعث من مصر سنة ١٤٣ هـ/ ٧٦٠ م ، بقوات ضخمة بلغت ٥٠ الف مقاتل[١٠٦] ، وبلغ من اهتمام المنصور بهذه الحملة ، ان وجه معه قوادا اقوياء منهم الاغلب بن سالم التميمي ،والمخارق بن غفار الطائي ، والمحارب بن هلال ، وغيرهم حتى بلغ

---

(١٠١) الشماخي : كتاب السير : المطبعة البارونية ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ص ١٢٤ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٨/٣ . وانظر : ابن خياط : تاريخ ٤٤٦/٢ .

(١٠٢) ابن خياط : تاريخ ٤٤٧/٢ .

(١٠٣) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١٠٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار المغرب ٦٠/١ .

(١٠٤) ابن خياط : تاريخ ٤٤٧/٢ ، الكندي : كتاب الولاة ص ١٠٩ ، ابن الاثير : الكامل ٣١٧/٥ ، ابن عذارى : المغرب في اخبار المغرب ٦٠/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٢/٣ .

(١٠٥) اليعقوبي : تاريخ ١٢٤/٧ ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط اولى ١٩٢٩ م ٣٤٩/١ .

(١٠٦) ابن الاثير : الكامل ٣١٧/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب *‏/٦٠ ، ابن الابار : الحلة السيراء ١ك٦٣ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢

عددهم ٢٨ قائدا[١٠٧] ، وزيادة في نجاح الخطة وتأمين سلامة الجيش انه جعل لابن الاشعث ثلاثة قواد يخلفونه في القيادة العليا للجيش « فان حدث به حدث كان أميرهم الاغلب بن سالم ، فان حدث به حادث فالمخارق ، وان وقع به سوء فالمحارب بن هلال »[١٠٨] .

أما ابو الخطاب فانه لما سمع بتوجه ابن الاشعث بهذا الجيش الضخم ، استعد للحرب ، وجمع جموعه ، فبلغت ٩٠ ألف مقاتل . فتحرك بهم من طرابلس وعسكر بسرت[١٠٩] ، فأرسل ابن الاشعث جواسيسه ليتعرفوا على قوة عدوه ، ويوافونه باخباره ، واقدم ابو الخطاب على نفس الخطة ، فصارت العيون الى الفريقين ، تختلف بكل ما يحدث فيهما . فقدمت عيون ابن الاشعث من معسكر ابي الخطاب، فسألهم عن اخباره ، فقالوا : نجمل أم نفسر . فقال : بل اجملوا ، فقالوا : رأينا رهبانا بالليل أشد بالنهار ، يتمنون لقاءك كما يتمنى المريض لقاء الطبيب ، لو زنا صاحبهم لرجموه ، ولو سرق لقطعوه . خيلهم من نتاجهم ، ليس لهم بيت مال يرزقون منه ، وانما معاشنهم من كسب ايديهم[١١٠] ، فهالته هذه الاخبار ، ورأى انه من الصعب عليه الدخول بمواجهة عسكرية حقيقية مع أبي الخطاب ، وانه من الافضل له اللجوء الى سياسة المراوغة الحربية ، لعلها تحقق له النصر بأقل الخسائر .

وفي هذه الاثناء ، وقعت حادثة كانت في صالح الجيش العباسي ، وقلبت موازين القوى لصالحه ، ذلك ان قبيلتي زناتة وهوارة ، وهما أكبر قوتين بجيش أبي الخطاب ، تنازعتا بسبب قتيل من زناتة ، فاتهمت هذه القبيلة أبا الخطاب بالميل لهواره ، وانكروا عليه فعله هذا ، ففارقه جمع كثير منهم[١١١] .

---

(١٠٧) ابن عذارى : البيان المغرب ٦٠/١ .

(١٠٨) النويري : مخطوط نهاية الارب في فنون الادب ١٤٣/٢٢ هـ .

(١٠٩) انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ٦٠/١ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ١٠/٣ .

(١١٠) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان . باب ٣٢ .

(١١١) ابن الاثير : الكامل ٣١٧/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٠/١ .

وقد استغل ابن الاشعث هذا الانشقاق في صفوف جيش عدوه ، ووجد ان الفرصة مواتية ليطبق السياسة التي رسمها ، فقام على الفور بحركة تمويه بارعة على خصمه ، متظاهرا بالانسحاب الى الشرق بقواته ، ليجعل عدوه يعتقد بان انسحابه كان لامر هام من الخليفة ، استدعى حضوره على وجه السرعة ، وبدأ بالانسحاب ببطيء مدة ثلاثة ايام ، حتى رجعت جميع جواسيس أبي الخطاب واخبروه بانسحاب الجيش العباسي بصورة اكيدة ، وطلبوا منه السماح لهم بالرجوع الى منازلهم ، ومباشرة اعمالهم ، فاذن لهم عن غير رضى منه[112] ، فكتبت جواسيس ابن الاشعث ، التي لا زالت بمعسكر ابي الخطاب ، تعلمه بان الوقت مناسب جدا لشن هجومه الكاسح على العدو ، بعد ان اصبح بقوة قليلة . وانتهز ابن الاشعث الفرصة ، فرجع مسرعا بقواته باتجاه طرابلس ، فاستولى على سرت وطهرها من الاباضية ، وعلم أبو الخطاب بهذا الهجوم المفاجيء ، فجمع ما تمكن جمعه من قواته المتواجدين في طرابلس ، فبلغ مقدارهم ١٢ الف مقاتل[113] ، وكتب الى النواحي يطلب الامدادات العسكرية وسار بقواته دون ان ينتظر وصول الامدادات اليه ، محاولا التصدي للقوات العباسية ، التي تفوقه عدة وعددا ، فالتقى الجيشان شرقي مدينة طرابلس في صفر سنة ١٤٤ هـ/٧٦١ م ودارت بين الفريقين معركة دموية ، انتهت بقتل أبي الخطاب وجميع قواته ، وقام ابن الاشعث بحز رأسه ، وارسله الى ابي جعفر المنصور[114] .

ولم يكد ابن الاشعث ينتهي من ترتيب قواته ، حتى فوجيء بطلائع امدادات الخوارج العسكرية ، بقيادة أبي هريرة الزناتي ، أحد قادة أبي الخطاب ، ومعه ١٦ ألف مقاتل من زناتة وغيرها ، فتصدى لهم ابن الاشعث ، وابادهم جميعا في ربيع

---

(١١٢) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ .

(١١٣) المصدر السابق : دبوز : تاريخ المغرب الكبير ١٦/٣ .

(١١٤) اليعقوبي : تاريخ ١٢٤/٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٠/١ ، الشماخي : كتاب السير ص ١٢٤ وما بعدها ، أبو الربيع : مختصر تاريخ الاباضية ص ٣٤ ، وانظر : ابن ايبك : مخطوط كنز الدرر وجامع الغرر ، معهد المخطوطات : جامعة الدول العربية رقم ٤١٣ تاريخ ١٦/٦ .

الأول سنة ١٤٤ هـ/٧٦١ م ، وكتب الى المنصور بهذا النصر الجديد[١١٥] .

وبعد هذا النصر ، زحف ابن الاشعث بجيشه ، واحتل طرابلس سنة ١٤٤ هـ ٧٦١ م ، وانهى على كل مظاهر دولة الاباضية الاولى فيها . ثم اتجه الى القيروان واستخلف على طرابلس المخارق بن غفار الطائي ، وتمكن من احتلال القيروان في جمادى الاولى سنة ١٤٤هـ[١١٦] ، وشرع باقامة الاستحكامات العسكرية ، وتوزيع العمال على البلاد ، فعين الاغلب بن سالم على الزاب[١١٧] ، وبدأ ببناء سور القيروان في ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢م ، فأتمه في رجب سنة ١٤٦ هـ/٧٦٣ م[١١٨] ، وجعلها قاعدة عسكرية لجنده ، ثم ارسل جيشا بقيادة اسماعيل ابن عكرمة الخزاعي للقضاء على فلول الخوارج الاباضية في المناطق الجنوبية ، فتمكن هذا من احتلال زويلة وقتل قائدها عبد الله بن حبان الاباضي ، واجلى الباقين عنها ، كما احتل المناطق المجاورة لها وقتل من بها من الاباضية[١١٩] .

وبذلك تمكن ابن الاشعث من بسط نفوذه على افريقية كلها، واذعن له البربر بالطاعة ، لما وجدوا فيه من بأس وشدة . واكتفى ابن الاشعث بما حققه من انتصارات ولم يفكر بارسال حملات عسكرية الى اباضية المغرب الاوسط والاقصى ،لمنعة هذه البلاد أولا ، ولانه حقق الغرض من حملته باحتلاله افريقة وارجاعها الى حظيرة الدولة العباسية ثانيا ، حسب الاوامر الصادرة اليه من الخليفة ، خاصة وان سياسة الدولة في ذلك الوقت ، كانت تقضي باحتلال هذا الجزء ، ليكون سدا منيعا امام الحركة الخارجية .

---

(١١٥) ابن الاثير : الكامل ٧١٧/٥ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٢١٩، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ٣٤٤/٢ .

(١١٦) ابن أبي دينار : المؤنس في اخبار افريقية وتونس.، تحقيق محمد شمام ، تونس ، ص ٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦١/١ ، ابن خلدون . العبر ١٩٢/٣ ، السلاوي : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (ط قديمة) ٥٧/١ .

(١١٧) ابن خلدون : العبر ١٩٢/٧ .

(١١٨) ابن الاثير : الكامل ٣١٨/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦١/١ ، ابن ايبك : مخطوط كنز الدرر ١٦/٦ .

(١١٩) المصادر السابقة وانظر : دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٢١/٣ .

ومؤسسها عبد الرحمن بن رستم الاباضي ، خليفة ابي الخطاب على القيروان الذي فر منها حين علم بمقتله ، ومسير القوات العباسية لاحتلال القيروان ، فاتجه بمن معه من الاباضية ، ولحق باباضية المغرب الاوسط ، البعيد عن نفوذ العباسيين ليؤسس دولة هناك على غرار دولة أبي الخطاب ، وشد ازره اباضية المنطقة ، وسارع اليه اباضيو قبائل هوارة ولواتة ولماية ، وبايعوه بالامامة ، وبلغ عددهم ٦٠ الفا[١٢٠] ، فضلا عن تأييد اباضية المناطق الاخرى له .

وقد حاول ابن الاشعث القضاء على هذا التجمع الاباضي الجديد ، لكنه فشل في ذلك ، ورجع بقواته الى القيروان ، وكرس جهده في ضبط افريقية وتحصينها[١٢١] .

أما عبد الرحمن بن رستم ، فانه اراد اتخاذ عاصمة لدولته الجديدة ، فوقع اختياره على تاهرت السفلى[١٢٢] ، فبدأ في بنائها سنة ١٤٤ هـ/٧٦١م[١٢٣] ، وجعلها عاصمة له ، واستمرت عاصمة للاباضيين حتى سنة ٢٩٦ هـ[١٢٤] ، وكان امامها يلقب بامير المؤمنين ، وقد انضوى تحت لواء الدولة الجديدة ، جميع الخارجين على الحكم العباسي .

---

(١٢٠) ابو الربيع الباروني : الازهار الرياضية في ائمة ملوك الاباضية ص ٧ ! مختصر تاريخ الاباضية ص ٣٦ .

(١٢١) انظر : دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٣/٢١ ، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ٢/٥٤٠ .

(١٢٢) تاهرت السفلى : تقع على بعد خمسة اميال من تاهرت القديمة : البكري : معجم ما استعجم ص ٦٧ .

(١٢٣) ابن خلدون : العبر ٣/١٩٢ .

(١٢٤) لقد سقطت الدولة الرستمية على يد الشيعة العبيدين في شوال سنة ٢٩٦ هـ حين تمكن عبد الله الشيعي من دخول عاصمتهم بقواته ، وانهى حكمهم الذي دام أكثر من ١٥٠ عاما . زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه زكي محمد وحسن أحمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١ ، ١/١٠٠ وانظر السلاوي :الاستقصا١/٧دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٣/٤٤٤ .

ويبدو ان افريقية لم تهدأ بالاستقرار الا لفترات قصيرة جدا ، فبعد ان استقر ابن الاشعث بالقيروان ، حتى اشتعلت نار العصبية بين جيشه ، بسبب ميله للقحطانيين من جنده ، مما اغضب اكثر قواده المضريين ، فثار عليه هاشم بن اشتاخنج الخراساني ، وايده بعض المضرية نكاية بابن الاشعث ، فبلغ اتباعه ٢٠ الف مقاتل ، فوجه ابن الاشعث اليه جيشا قويا التقى به بنواحي تاهرت ، والحق به الهزيمة وقتل اكثر اصحابه ، والتجأ هاشم بمن معه الى طرابلس ، فوصل في هذا الوقت رسول من الخليفة يحمل امرا بقتل هاشم لمخالفته ، فنفذ فيه الحكم في صفر سنة ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م[١٢٥] ، وبذل الامان لاصحابه . لكن ابن الاشعث لم يعجبه هذا الاجراء ، فشن هجوما قتل فيه اكثرهم ، فغضبت المضرية لقتل اقرانهم ، وقرروا خلع ابن الاشعث من الامارة ، فولوا عليهم عيسى بن موسى بن عجلان الخراساني المضري ، واعلنوا الثورة ، واجبروا ابن الاشعث على مغادرة البلاد ، فاستجاب لطلبهم ،وغادرها في شهر ربيع الاول سنة ١٤٨ هـ/٧٦٥م ، وتوجه الى العراق[١٢٦] .

ولم يستمر عيسى بن موسى بن عجلان بالولاية سوى ثلاثة اشهر ، لان المنصور ارسل بعهده على افريقية الى الاغلب بن سالم التميمي في آخر جمادى الآخرة سنة ١٤٨ هـ/٧٦٥م . وامره بحسن السيرة ، والعدل في الرعية ، واوصاه بتحصين مدينة القيروان ، وحفر خندق حولها ، وتنظيم حاميتها[١٢٧] ، وهذا الاهتمام من الخليفة يدل بوضوح على المامه بشؤ ون البلد ، وعلى بعد نظره ، خاصة وانه قد زار افريقية قبل خلافته ، فعرف امورها ، وادرك ان البربر لا بد وان يتأهبوا من جديد لخوض حرب اخرى مع القوات العباسية ، انتقاما لما اصابهم من انتكاسات وهزائم على يدها .

---

(١٢٥) اليعقوبي : تاريخ ١٢٤/٣ ، ابن الاثير : الكامل ٣١٨/٥ وانظر : الطبري ٤١/٨ .

(١٢٦) المصدران السابقان ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦١/١ .

(١٢٧) انظر : اليعقوبي : تاريخ ١٢٤/٣ ابن الاثير : الكامل (الطبعة الازهرية)٢٧٧/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٣/١ ، ابن الابار : الحلة السيراء ٧٠/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٢/٣ .

وقد صدق حدس المنصور في ذلك ، فلما ان كاد الاغلب ينتهي من ضبط الأمور ، حتى بايعت قبيلة زناتة والخوارج الصفرية اباقرة بن دوناس الصفري سنة ١٤٨ هـ/٧٦٥(١٢٨) . بالامامة ليقودها في حرب الدفاع والهجوم ، والتف حوله الصفرية في المغرب الاوسط والاقصى ، فاتخذ من مدينة تلمسان(١٢٩) في المغرب الاوسط قاعدة له ، وحشد قواته استعداداً لحرب الاغلب ، الذي قصده بقوات ضخمة ، فاراد ابو قرة ان يستدرجه الى المغرب الاقصى ، موطن الخوارج ، ليقضي عليه ، بعد ان يبعده عن مركز قوته ، فتظاهر بالهرب الى المغرب الاقصى ، لكن الاغلب عرف اهداف هذه الحركة ، فرجع ادراجه الى القيروان ، وعاد ابو قرة الى تلمسان(١٣٠)

وبعد هذه الحملة ، قرر الاغلب ان يجهز حملة عسكرية جديدة بقيادته ، للقضاء على الخوارج الصفرية في المغربين الاوسط والادنى ، فسار بقواته سنة ١٥٠ هـ/٧٦٧ لتحقيق هدفه ، لكن بعض جنده تثاقلوا عليه . ورجعوا الى القيروان ، فانتهز الحسن بن حرب الكندي وثار في تونس واستولى عليها ، وزحف على القيروان فدخلها من غير قتال ، وقبض على سالم بن سوادة التميمي خليفة الاغلب على القيروان فسجنه ، وقد اجبرت هذه الاحداث الاغلب الى الرجوع للقضاء على الثورة ، فتمكن من دخول القيروان ، بعد ان الحق الهزيمة بالحسن الذي فر الى تونس في جمادى الاخرة سنة ١٥٠ هـ/٧٦٧م ، ولكن الاغلب قتل في اللقاء الذي جرى بينهما في شعبان سنة ١٥٠ هـ/٧٦٧ م ، وتولى المخارق بن غفار الطائي قائد ميمنته امر افريقية في رمضان من نفس السنة ، خلفا له(١٣١) ، وبلغ من شدة تأثر المنصور على مقتل الاغلب حين سمع به ، انه قال « ان سيفي بالمغرب قد انقطع ، فان دفع الله عن المغرب بريح دولتنا والا فلا مغرب »(١٣٢) . اما الحسن فانه اغتيل

---

(١٢٨) السلاوي : الاستقا ٥٧/١ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٣٥/٣ .

(١٢٩) تلمسان : مدينة مشهورة بالقطر الجزائري حاليا .

(١٣٠) ابن خلدون العبر ١٩٢/٣ ، السلاوي : الاستقصا ٥٧/١ .

(١٣١) ابن الاثير : الكامل (طـ أزهرية) ٢٧٨/٥ ، ابن عذاري : البيان المغرب ٦٤/١ .

(١٣٢) ابن الابار : الحلة السيراء ٧٠/١ .

بعد ذلك بشهرين من قبل بعض جنود تونس ، عندما حاول الرجوع اليها[١٣٣] .

ومما لا شك فيه ان هذا التصدع والانشقاق الذي اصاب القوات العباسية في افريقية ، كان في صالح الخوارج التي بدأت تأخذ انفاسها ، وتجمع قوتها ، في محاولة لتوحيد صفوفها من جديد .

أما الخليفة ، فانه وجد في هذه الخلافات خطراً يهدد افريقية بأسرها ، ويعرضها للضياع من الدولة العباسية ، بعد ان لاحت في الافق ، بوادر التضامن الخارجي يسود المنطقة ، متمثلا في عقد معاهدة حسن جوار بين الدولة الرستمية الاباضية ، ودولة الصفرية في سجلماسة ، تعداه الى زواج ابن اليسع بن قاسم امام سجلماسة ، باروى بنت عبد الرحمن بن رستم[١٣٤] ، وازاء هذا التحول في العلاقات الخارجية ، استقر رأيه على ان يولي امر افريقية الى احد قواده البارزين ، فوقع اختياره على عمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة العتكي ، الملقب بهزارمرد - ومعناه الف رجل - وكان يومئذ واليا عن السند ، فعزله عنها وولاه افريقية سنة ١٥١هـ/٧٦٨م[١٣٥] ، وقد يكون عزله عن السند راجع الى قيام عمر بمساعدة ابن محمد النفس الزكية حين ارسله ابوه لبث دعوته في هذه البلاد . فجاء عزل الخليفة لعمر عن السند وتوليته افريقية ، في الوقت المناسب ، وفي مصلحته .

اتجه ابن حفص الى القيروان ، بحامية عسكرية من ٥٠٠ مقاتل ، فدخلها في صفر من نفس السنة ، وبدأ فور وصوله ، بتنظيم امور البلاد ، في محاولة لتهدئة الحالة المتوترة ، فيها ، واعادة الأستقرار الى المنطقة ، فتمكن من تحقيق هذه

---

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٧٨/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٩٤/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٢/٣ .

(١٣٤) انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم ، الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ ، ١٣٨/٣ ابن عذارى : البيان المغرب ٢٥١/١ . سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب من طريق بلاد السودان ، ابن الوردي : مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ١٨١ .

(١٣٥) البلاذري : فتوح البلدان ٢٧٥/٢ ، اليعقوبي : تاريخ ١٢٤/٣ ، الطبري ٣٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨١/٥ .

الأهداف وبنى مدينة سماها العباسية[١٣٦] ، وضبط البلاد ، واستمرت حالة الهدوء . فيها حتى سنة **١٥٣** هـ/ ٧٧٠م ، فوصله امر من الخليفة يطلب منه التوجه الى اقليم الزاب ، لبناء طبنة ـ قاعدة الاقليم ـ وتحصينها . لتكون قاعدة لانطلاق الجيوش العباسية ، في المرحلة العسكرية الجديدة ، الهادفة الى مهاجمة الخوارج الاباضية والصفرية في كل من تاهرت وسجلماسة وتلمسان في المغربين الاوسط والاقصى .

وبدأ ابن حفص بتطبيق هذه السياسة ، فتوجه بجيشه الى اقليم الزاب ، واستخلف على القيروان ، ابا حازم حبيب بن حبيب المهلبي ، فوجد الخوارج ان الفرصة سانحة امامهم ، لمهاجمة القيروان ، بعد ان خلت من القوات الدفاعية القادرة على حمايتها . فساروا بجموعهم يريدونها ، فتصدى لهم حبيب المهلبي بقواته ، وتمكن الخوارج من قتله بعد معركة غير متكافئة . والحقت الهزيمة بقواته ، وعلى اثرها ، اجتمع الخوارج بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الاباضي مولى كندة ، فطلب الجنيد بن بشار عامل طرابلس من ابن حفص ان يمده بالمساعدات العسكرية المستعجلة ، فارسل اليه خالد بن يزيد المهلبي في ٤٠٠ مقاتل ، فاجتمع هو والجنيد ، فالتقيا مع الخوارج بقيادة أبي حاتم ، الذي ألحق بهما الهزيمة ، فلحقا بقابس ـ غرب مدينة طرابلس ـ فحصرهما ابو حاتم بها[١٣٧] ، فلما وصلت الاخبار الى ابن حفص « ارسل سليمان بن عباد المهلبي ، في جيش ، فلقي أبا حاتم بقابس فقاتله ، فانهزم سليمان الى القيروان »[١٣٨] .

وقد بدأ الخوارج بعد هذه الانتصارات ، بتوحيد صفوفهم ، وجمع شملهم ، وقرروا تضامنهم في اشعال الثورة بارجاء البلاد واعلان الحرب على القوات العباسية ، لطردها من افريقية بأسرها ، فاجتمعوا بقوة ضارية قوية ، بلغ عددها

---

(١٣٦) البلاذري : فتوح البلدان ١/٢٧٥ .

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٥/٢٨٣ ، النويري : مخطوط نهاية الارب : ٢٢/١٥٣ هـ

(١٣٨) النويري : مخطوط نهاية الارب ٢٢ك١٥٣ هـ .

اثنا عشر عسكرا ، فيهم ابو قرة الصفري في ٤٠ ألف مقاتل من الصفرية ، وعبد الرحمن بن رستم الاباضي في ١٥ الف ، وعاصم السدراتي في ٦ الاف مقاتل من سدراته واباضية المغرب الاوسط ، والمسور بن هاني الزناتي الاباضي في ١٠ الاف مقاتل من اباضية زناتة ، وعبد بن سكرويد الصنهاجي في الفين من صنهاجة الصفرية ، وجرير بن مسعود المدبوتي فيمن تبعه من مدبوتة ، وانضم غير هؤلاء من خوارج هوارة وزناتة وصنهاجة[١٣٩] ، واتجهوا بجموعهم الى ابن حفص المقيم في طبنة في ١٢ الف مقاتل ، وضربوا الحصار على المدينة ، وعسكر عبد الرحمن الاباضي بقواته في تهودا جنوب طبنة ليكون مددا لقوات الخوارج[١٤٠] .

ووجد ابن حفص ان الحصار المحكم قد ضرب على قواته ، ورأى انه لا مفر له من الخروج بنفسه لفكه ، الا ان اصحابه منعوه من ذلك ، وقالوا له : ان أصبت تلفت العرب[١٤١] ، فاقتنع بوجهة نظرهم هذه ، ولجأ الى طريقة اغراء عدوه بالمال لعله يطمع في قبوله وينصرف عنه ، فارسل الى ابي قرة رسولا يعرض عليه ستين الف درهم مقابل انسحابه عنه ، فرفض ابو قرة هذا العرض ، وقال للرسول : أبعد اربعين سنة يسلم علي بالامامة ابيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ، لا حاجة لي به[١٤٢] ، ولم يفت هذا الرفض من عضد ابن حفص في اعادة المحاولة ، مع اخي ابي قرة ، فعرض عليه اربعة الاف درهم وهدايا ، مقابل ان يعمل على صرف أخيه عنهم ، فاستجاب لهذا الطلب ، وارتحل من ليلته وتبعه اكثر الجيش ، ولم يجد ابو قرة بعد رحيل اكثر جيشه ، بدا من الانسحاب بمن بقي معه[١٤٣] .

---

(١٣٩) ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٣/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٥/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٧٦/٨ ، السلاوي : الاستقصا ٥٨/١ .

(١٤٠) السلاوي : الاستقصا ٥٨/١ .

(١٤١) ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٣/٥ .

(١٤٢) المصدر السابق ، النويري : مخطوط نهاية الارب جـ ١٥٣/٢٢ هـ - ابن عذارى : البيان المغرب ٦٥/١ .

(١٤٣) ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٣/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٦/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ .

وبذلك نجح ابن حفص في تفريق حشود الخوارج عن طبنة ، ولم يبق امامه الا معالجة امر الخوارج الاباضية المعسكرة بتهودا بقيادة عبد الرحمن بن رستم ، فجهز جيشا وارسله اليه ، فالحق به الهزيمة ، بعد ان قتل ثلاثة الاف من جنده ، وانسحب عبد الرحمن الى تاهرت بعد هزيمته(١٤٤) .

وبعد ان تمكن ابن حفص من دفع الخطر عن طبنة ، قرر التوجه الى القيروان سنة ١٥٣ هـ/ ٧٧٠م ، لرفع الحصار عنها ، الذي ضربه الخوارج عليها بقيادة أبي حاتم مدة ثمانية أشهر متواصلة ، حتى اصبحت مهددة بالسقوط بين آونة وأخرى ، فسار بقوات خفيفة بلغت ٧٠٠ مقاتل(١٤٥) ، وخلف على طبنة المهنا بن مخارق بن غفار الطائي ، فانتهز ابو قرة الفرصة ، وهجم بقواته على طبنة ، الا ان المهنا بن المخارق تصدى له بقواته والحق به الهزيمة ، واستباح عسكره ، فلحق أبو قرة بأبي حاتم وانضم اليه(١٤٦) .

ولما وصلت الانباء الى ابي حاتم ، بتوجه ابن حفص الى القيروان لرفع الحصار عنها ، سار للقائه ، فقام ابن حفص بحركة التفاف ناجحة ، حين اخذ طريق تونس ليبعد عدوه عن القيروان ، اطول مسافة ممكنة ، وقد تم له ذلك ، فاستطاع بقواته الخفيفة من دخول القيروان ، وبعث خيوله حول القيروان ، وجعل يدخل اليها ما يصلحه من الطعام والحطب وغير ذلك ، واستعد للحصار ، وخندق خندقا على باب أبي الربيع فعسكر فيه الجند ، ثم قدم ابو حاتم في جنوده وقد بلغوا مائة الف وثلاثين الفا . . .(١٤٧) . وكان معه ابو عادي الاباضي ، وغيره من قادة الخوارج .

---

(١٤٤) المصادر السابقة .

(١٤٥) المصادر السابقة .

(١٤٦) ابن الاثير : (ط أزهرية) ٢٨٣/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٦٢/٣ .

(١٤٧) النويري : مخطوط نهاية الارب جـ ٢٢ حوادث ١٥٣ هـ . ابن عذارى : البيان المغرب ٦٦/١ ، وهناك روايات تذكر بان عدد الجيش بلغ ١٦٠ الفا و٤٠٠ الفا . انظر الطبري ٤٢/٨ ، والازدي : تاريخ الموصل ٢١٣/٢ ، ٢١٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧٦/٨ .

وحدثت بعض الاشتباكات الحربية بين الطرفين على ابواب المدينة ، ولم تتمكن القوات العباسية من حسم الموقف ، او رفع الحصار المضروب عليها ، وهذا مما دعا ابن حفص ، لان يجمع قادته للتشاور معهم . في إيجاد حل يتجنب فيه سقوط البلد ، والتزود بالاقوات . بعد ان اوشكت على النفاذ ، فاقترح عليهم ان يخرج بنفسه لمقاتلة الخوارج ، ويستدرجهم للابتعاد عن المدينة ، وبذلك تسنح الفرصة لادخال الاقوات اليها ؛ لكن اهل القيروان عارضوا هذا الاقتراح حين قالوا له : لا يجوز ان تخرج ، ونبقى نحن في الحصار ، اقم معنا ، فوافقهم بشرط ان يرسل بعض قواده لتنفيذ الفكرة ، فوافقوا ، ووقع اختياره على المخارق بن غفار وغيره ، لكن هؤلاء رفضوا القيام بهذه المهمة ، وقالوا له : تقيم انت في الراحة ونخرج نحن ، لا والله لا نفعل « فغضب ابن حفص وقال لهم : والله لاوردنكم حياض الموت »(١٤٨) .

وفي هذا الجو المشحون باختلاف وجهات النظر بالاضافة الى عدم قدرة الجيش العباسي على رفع الحصار عنه . وقرب نفاذ الاقوات ، اصبح الوضع ينذر بالخطر الشديد ، ويهدد هذه القوات بالابادة التامة ، اذا استمر جمود الموقف العسكري على ما هو عليه ، وهو بلا شك في صالح قوات الخوارج .

وقد ادرك الخليفة هذه الحقيقة عند سماعه بالاخبار ، ووجد من الضروري ارسال امدادات عسكرية ضخمة الى افريقية ، لانفاذ القوات العباسية من الورطة التي هي فيها ، بعد ان اصبحت عاجزة تماما عن انقاذ نفسها . فاختار لهذه المهمة القائد يزيد بن حاتم ، وهو ابن عم عمر بن حفص ، فجهزه بجيش من نحو ٥٠ الف مقاتل(١٤٩) . وبلغ من اهتمام المنصور بهذا الجيش ، انه صرف عليه ٦٣ الف ألف درهم(١٥٠) ، اضافة الى خروجه معه الى بيت المقدس مشيعا له(١٥١) .

---

(١٤٨) النويري : مخطوط نهاية الارب : ١٥٣/٢٢ هـ .

(١٤٩) البلاذري : فتوح البلدان ٢٧٥/١ ، الطبري ٤٤/٨ ، المقدسي : البدء : التاريخ ٨٧/٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧٧/٨ ، الذهبي : العبر ٢٢٢/١ .

(١٥٠) الطبري ٤٤/٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٧/٦ ، العيني مخطوط عقد الجمان ٧٧/٨ .

(١٥١) اليعقوبي : تاريخ ١٢٥/٣ ، الطبري ٧٧/٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣٢١/٦ .

سار يزيد بقواته الضخمة يريد القيروان آخر سنة ١٥٣ هـ/ ٧٧٠ م ، فوصلت أخبار مسيره الى ابن حفص واصحابه ، الذين طلبوا منه التريث ، والامتناع عن القيام باية اعمال حربية قد تعرض وجودهم للخطر ، لحين وصول الامدادات العسكرية بقيادة يزيد ، الا ان وصول كتاب من امرأته خليدة بنت المعارك ، تخبره فيه ، ان الخليفة قد استبطأك ، فبعث يزيد بن حاتم الى افريقية(١٥٢) ، اثار حماسه ، ومنعه اباؤه ، ان ينقذه يزيد من محنته ، فقال : لا خير في الحياة بعد ان يقال يزيد أخرجه من الحصار ، انما هي رقدة ثم ابعث الى الحساب(١٥٣) ، وصمم على قتال الخوارج ، فخرج وقاتل ، فقتل آخر سنة ١٥٣ هـ/ ٧٧٠م(١٥٤) ، فولى اهل القيروان عليهم جميل بن صخر ، وهو اخو عمر لامه(١٥٥) ، الذي فاوض ابا حاتم على الصلح بشرط الاستمرار بالدعاء للمنصور ، فرفض ابو حاتم طلبه ، وهاجم القيروان ، فاحرق ابوابها ودخلها عنوة ، واخرج اكثر اهلها الى الزاب(١٥٦) .

اما يزيد فانه وصل مصر سنة ١٥٤ هـ/ ٧٧١ م ، فأقام بها يسيرا ، بهدف استكمال استعدادته العسكرية(١٥٧) ، فلما تم له ذلك ، توجه الى افريقية ، فلما علم ابو حاتم بمسيره ، استخلف على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري ، وتوجه بقواته الى طرابلس ، للتصدي للقوات العباسية ، وكتب الى عامله ، يطلب منه ان يجرد الجند العباسي من سلاحهم ، وان لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ، ثم يوجه بهم اليه واحدا بعد واحد ، وشعر الجند العباسي ، بما يراد بهم ، فاجتمعوا ، وقرروا اعلان الثورة ، وزاد من تصميمهم ، قرب وصول القوات

---

(١٥٢) النويري : مخطوط نهاية الارب جـ ١٥٣/٢٢ هـ .

(١٥٣) المصدر السابق • ابن عذارى : البيان المغرب ٦٦/١ .

(١٥٤) اليعقوبي : تاريخ ١٢٥/٣ الطبري ٤٢/٨ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢١٦/٢ العيني : مخطوط عقد الجمان ٧٦/٨ ، الذهبي : العبر ٢١٨/١ ، ابن تغري : النجوم الزاهرة ٢٠/٢ .

(١٥٥) ابن خياط : تاريخ ٤٦٥/٢ ، النويري : مخطوط نهاية الارب جـ ١٥٣/٢٢ هـ .

(١٥٦) ابن عذارى : ابيان المغرب ٦٦/١ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣٣ .

(١٥٧) انظر اليعقوبي : تاريخ ١٢٥/٣ ، الطبري ٤٤/٨ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧٧/٨ .

العباسية ، فولوا عليهم عمر بن عثمان الفهري ، واشعلوا الثورة في القيروان ، فاضطر ابو حاتم لان يرجع لقمع هذا التمرد ، الذي لم يكتب له النجاح ، فهرب جميل بن صخروالجنيد بن بشار والتحقا بقوات يزيد ، وفر عمر بن عثمان والمخارق بن غفار ومن معهما الى تونس[١٥٨] .

وبعد ان تمكن أبو حاتم من القضاء على هذا التمرد ، رجع بقوته الى طرابلس ، متنظرا وصول يزيد ، الذي وجه اليه قوة عسكرية بقيادة سالم بن سوادة التميمي ، فالتقى بابي حاتم بسرت شرق مدينة طرابلس ، ودارت بين الطرفين معركة شديدة ، انتهت بهزيمة القوات العباسية ، وانسحابها الى يزيد[١٥٩] ، الذي قرر ان يسير بكامل قواته لملاقاة ابي حاتم ، فانسحب هذا الى جبال نفوسة ، ليعصم نفسه ويحتمي بالمواقع الطبيعية الموجودة في المنطقة ، وليكون قريبا من انصاره واتباعه المتواجدين فيها ، ولشدة احتياطه ، حفر خندقا على قواته لتلافي هجوم القوات العباسية .

لكن هذه الاجراءات ، لم تمنع يزيد من المسير اليه ، فتوجه اليه ، وتمكن من استمالة قبيلة مليلة البربرية الى جانبه ، التي امدته برجالها[١٦٠] . فضلا عن مده بالمعلومات العسكرية عن المنطقة ، لكونهم من سكانها . وبذلك اصبح الجيش العباسي اكثر عدة وعددا ، واحسن تنظيما وتعبئة من عدوه ، وقادرا على الهجوم وشن الحرب الشاملة على الخوارج ، التي وقعت بين الطرفين في ربيع الاول سنة ١٥٥ هـ/٧٧٢ م ، وكانت حرب شديدة استمرت اياما ، وقع فيها الكثير من القتلى ، وانتهت بقتل ابي حاتم وابي عاد ومن معهما[١٦١] ، وامعن آل المهلب بقتل

---

(١٥٨) ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٤/٥ ، النويري : مخطوط نهاية الارب جـ٢٢ ، الشماخي : كتاب السير ص ١٥٦ .

(١٥٩) انظر : ابن الاثير ٢٨٤/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ ، دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٧٤/٣ .

(١٦٠) سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ ، الشماخي : سير ص ١٣٥ وما بعدها .

(١٦١) اليعقوبي : تاريخ ١٢٥/٣ ، الطبري ٤٦/٨ ، سرحان بن سعيد : مخطوط تاريخ عمان باب ٣٢ ، سالم بن حمد ، العقود الفضية في اصول الاباضية ص ٢٣٩ .

الخوارج طلبا بثأر عمر بن حفص ، فبلغ عدد قتلاهم ٣٠ الفا[١٦٢] ، واشتد يزيد بطلب الخوارج في المناطق القريبة ، فتمكن من تصفية جيوب المقاومة الخارجية في تلك النواحي .

ولما اطمأن يزيد على موقفه العسكري ، وعلى سلامة قواته ، عين على طرابلس سعيد بن شداد[١٦٣] ، وارتحل بقواته الى القيروان ، فدخلها في جمادى الآخرة سنة ١٥٥ هـ/٧٧٢[١٦٤] ، وارسل المخارق بن غفار الى الزاب ، فنزل طبنة واستطاع اخماد القلاقل التي نشبت فيها[١٦٥] ، وبذلك تمكن يزيد بن حاتم من القضاء على ثورات الخوارج التي اقلقت الخلافة العباسية ، ردحا من الزمن .

ان نجاح يزيد في مهمته ، مكن له ضبط البلاد ، ضبطا محكما حتى بعد وفاة المنصور ، حيث استمر واليا عليها الى أن توفي سنة ١٧٠ هـ .

وارى ان سبب نجاحه في القضاء على ثورات الخوارج يرجع الى ما يأتي :

١ ـ قوة الجيش العباسي ، واهتمام الخليفة بهذا الجيش ، يضاف الى ذلك ، التحاق الكثير من المقاتلين بصفوفه ، سواء من مصر او من الذين قدموا عليه من افريقية ، فزادوا من قوته وحجمه .

٢ ـ حسن اسناد الخليفة قيادة الجيش ليزيد بن حاتم المعروف بكفاءته العسكرية الممتازة ، فضلا عن انه ابن عم عمر بن حفص ، الذي قتله الخوارج ، فهو من هذه الناحية سيندفع بحماس اقوى لقتالهم ، طلباً بثأر ابن عمه .

٣ ـ اغلب قوات الخوارج كانوا من المتطوعين ، بعكس القوات العباسية ، فانها قوات نظامية مزودة بالسلاح الكامل .

---

(١٦٢) ابن الاثير : الكامل ٢٨٤/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩٣/٣ .

(١٦٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٦٩/١ .

(١٦٤) اليعقوبي : تاريخ ١٥٢/٣ ، الطبري ٤٦/٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٦٩/١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣٢١/٦ .

(١٦٥) ابن خلدون : تاريخ ١٩٣/٣ ، السلاوي : الاستقصا ٥٨/١ ، دبوز تاريخ المغرب الكبير ٨٦/٣ .

٤ ـ انهاك الحروب الكثيرة والمتواصلة لقوات الخوارج ، حتى بلغت ٣٧٥ وقعة حربية(١٦٦) ، فاضعفت هذه الحروب قوتهم ،وشتت الكثير منهم الى جهات متفرقة ، يضاف الى ذلك ، امكانات الدولة العباسية الواسعة ، واستعدادها التام لارسال الحملات والامدادات بصورة مستمرة .

٥ ـ خطأ الخوارج حين تركوا بعض القوات العباسية في القيروان وطرابلس وطبنة ، وهي بكامل سلاحها ، ولم يدركوا بان هؤلاء سيشكلون خطرا مستمرا على مستقبل الحروب القادمة . وقد اثبتت الاحداث ، ان هؤلاء قاموا بحركات ثورية . اعاقت قوات الخوارج عن أداء مهمتها كاملة في التصدي للقوات العباسية ، واعطت هذه الثورات بنفس الوقت الفرصة ليزيد لان يخطط بهدوء تام وثقة كاملة .

٦ ـ استمالة يزيد لقبيلة مليلة البربرية ، التي وقفت بجانبه ، وامدته بالمقاتلين وبالمعلومات العسكرية عن المنطقة مما سهل ليزيد وضع خططه الحربية بموجبها فكتب له النصر .

والذي يلاحظ على اغلب ثورات الخوارج ، افتقارها الى التخطيط المنتظم المدروس ، فاكثرها كان يعتمد على ظهور قائد يلتفون حوله ليقودهم في الثورة ، فما ان يقتل حتى تنتهي الثورة وتخمد انفاسها ، ويتفرق اتباعها وانصارها ، لحين ظهور قائدا آخر يقودهم في ثورة جديدة .

وقبل ان أختم الكلام عن ثورات الخوارج . ارى ان أنبه الى بعض الاراء التي قيلت عن ثوراتهم ، وليست لها من الادلة القوية ، ما يثبت صحتها ، منها ، ما ذكره المستشرق الالماني فلهوزن الذي قال « وكان زوال الاباضية يتبع زوال دولة بني امية حذو النعل بالنعل »(١٦٧) ، وما ذكره عمر ابو النصر حين قال « ولم يكن للخوارج

---

(١٦٦) ابن الاثير : الكامل ٥/٢٨٤ ، النويري : مخطوط نهاية الارب جـ ٢٢ .

(١٦٧) احزاب المعارضة السياسية والدينة في صدر الاسلام ـ الخوارج والشيعة ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مصر سنة ١٩٥٨ م ، ص ١٤٥ .

شأن في العهد العباسي الا ما كان من بعض الفتن الصغيرة التي لم يكن لها كبير اثر ولا شأن »[١٦٨] .

وهذه الآراء ضعيفة ولا يعول عليها ، لان الاحداث التاريخية اثبتت ان الاباضية تمكنوا من تأسيس دولتين لهم في افريقية . اولها: في طرابلس سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م برئاسة عبد الاعلى بن السمح ، واستمرت أربع سنوات فقضى عليها ابن الاشعث سنة ١٤٤ هـ/٧٦١م ، وثانيها : الدولة الرستمية الإباضية في تاهرت والتي اسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤ هـ واستمرت باستقلالها التام عن الدولة العباسية حتى قضى عليها العبيديون سنة ٢٩٦ هـ بقيادة عبد الله الشيعي ، يضاف الى ذلك قيام الصفرية بتأسيس دولة لهم في سجلماسة سنة ١٤٠ هـ واستمرت حتى منتصف القرن الرابع الهجري . اما ثورات الخوارج في المناطق الاخرى فقد اتينا على ذكرها زمن المنصور . ولم تنته هذه الثورات بوفاته ، بل استمرت بعد عصره فقد اعلن ـ على سبيل المثال ـ عبد السلام اليشكري ثورته بالموصل سنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م زمن المهدي ، واستمرت مدة سنتين ، تبودلت خلالها رسائل مهمة بينه وبين الخليفة المهدي الى ان تمكن من القضاء عليها سنة ١٦٢ هـ/٧٧٨ م[١٦٩] .

أما في زمن الخليفة هارون الرشيد ، فقد اعلن الوليد بن طريف الشاري الخارجي ثورته بالجزيرة ، سنة ١٧٨ هـ/٧٩٤ م وكانت من الشدة والعنف بمكان ، حتى انها هددت العاصمة بغداد (فبات مـن بالشماسية ـ وهي ضاحية في جانب الرصافة ـ يتوقعون طروقه) الى ان تمكن الرشيد من القضاء عليها سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥م[١٧٠] .

---

(١٦٨) الخوارج في الاسلام : مطابع دار الكشاف ، بيروت سنة ١٩٤٩ م ، ص ١١٢ .

(١٦٩) ابن خياط : تاريخ ٤٧٥/٢ ، وما بعدها . الازدي تاريخ الموصل ٢٣٨/٢ ، ٢٤٢ ، الطبري ١٣٣/٨ ، ١٤٢ .

(١٧٠) ابن خياط ٤٨٤/٢ ، الطبري ٢٥٦/٨ و٢٦١ الازدي : تاريخ الموصل ٢٨٠/٢ و٢٨٢ .

أفبعد كل هذا ، يقال بأن الخوارج انتهوا بانتهاء الدولة الاموية حذو النعل بالنعل ، او لم يكن لهم شأن في العهد العباسي ؟ واذا اردنا ان نثبت ضعف هذا القول ، فالامثلة كثيرة ، وانما اكتفينا بما اوردناه ، لان فيه الدليل على ضعف هذه الاقوال .

الفصل الثالث
سياسته تجاه العلويين

١ ـ العلويون والخلافة العباسية

اتخذ العلويون موقفاً عدائياً تجاه الخلافة العباسية ، استمرارا لموقفهم السابق من الأمويين ، لاعتقادهم بأن العباسيين قد خدعوهم فسلبوهم حقاً ، كان المفروض أن يؤول اليهم ، لأنهم أولى وأحق به منهم لقرابتهم القريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ان نظرة العلويين العدائية للحكم العباسي لم تكن واحدة ، فالفرع الحسني برئاسة عبد الله بن الحسن ، كانت أشد عداوة ، وتعلقا لطلب الخلافة ، أما الفرع الحسيني الذي يتزعمه جعفر الصادق ، فإنه مال الى الهدوء والسكينة ، وعزف عن المطالبة بالخلافة ، ناصحا اتباعه بعدم شهر السلاح ، لأن الظروف السياسية غير مواتية للقيام بمثل هذا العمل .

وقبل الحديث عن موقف العلويين ، أرى من المفيد مناقشة ما حدث في اجتماع الابواء[١] ، الذي عقده افراد البيت الهاشمي في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م . حين اضطراب امر بن أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد في جمادى الاخرة سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م ، وكان الهدف من الاجتماع ، مناقشة الوضع السياسي المتدهور للدولة الاموية ، والاتفاق على شخصية يبايعونها ، بعد ان اصبحت الدلائل تنبىء بقرب نهاية الامويين .

وقد اشارت بعض الروايات، الى ان عبدالله بن الحسن ، هو الذي دعا لهذا

---

(١) الابواء : قرية بين مكة والمدينة وبها قبر امنة بنت وهب والدة الرسول (ص) .

الاجتماع ، لكي يبايعوا لابنه محمد بالخلافة(٢) ، الا ان المؤرخين اختلفوا في ذكر وقائعه واشخاصه ومقرراته النهائية ، ويبدو ان المجتمعين لم يستجيبوا لطلب عبدالله ابن الحسن ، حينما دعاهم بالبيعة لابنه، فانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار معين(٣) لكن الحسنيين اشاعوا بعد ذلك ، ان المجتمعين بايعوا لمحمد النفس الزكية (٤) . في حين تشير روايات اخرى عكس ذلك ، وفي صالح العباسيين ، فحواها ان ابراهيم الامام انسحب من الاجتماع بعد ان اتاه رسول من خراسان يخبره بان شيعته هناك يدعون اليه(٥) .

ويلاحظ ان الرواة من ذوي الميول العلوية او العباسية ، اتخذوا من هذا الاجتماع مصدرا لرواياتهم ، لتدعيم وجهات نظرهم المختلفة .

واری ان الاجتماع قد تم فعلا ، وحضره عبدالله بن حسن وابنه محمد وجعفر الصادق وإبراهيم الإمام وأبو جعفر المنصور وأبو العباس ، وبعض مواليهم وأنصارهم ، وحين بدأ عبدالله بشرح الوضع السياسي المتدهور للدولة الأموية ، رشح ابنه محمدا للخلافة ، وطلب من الحاضرين مبايعته ، عارض جعفر الصادق طلبه بشدة ، ونهى الحاضرين عن البيعة ، وقال لهم : لا تفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد ، واستطرد موجها كلامه لعبدالله ؛ ان كنت ترى ان ابنك هذا هو المهدي ، فليس به ، ولا هذا اوانه ، وان كنت انما تريد ان تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فانا والله لا ندعك وانت شيخنا ، ونبايع ابنك ،

---

(٢) مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري) : مخطوط اخبار العباس وولده ورقة ١٩٠ آ .

(٣) المصدر السابق ورقة ١٩٠ آ ، ١٩١ آ ، ١٩٢ آ . الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد احمد الصقر ، طبع دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٩ م ص ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٥٦ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٢٣١/٣ ، وانظر : الطبري ٥١٧/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ابن الطقطقي الفخري ص ١٣٠ .

(٤) سمي النفس الزكية : لزهده ونسكه ، كما يذكر المسعودي : مروج الذهب ١٦٩/٢ ، وقيل لقوله (ص) تقتل باحجار الزيت من ولدي نفس زكية ، ابن عتبة : عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ١٠٥ .

(٥) مؤلف مجهول : مخطوط اخبار العباس وولده ورقة ١٩٠ آ و ١٩٠ ب .

فغضب عبدالله من كلامه[٦] ، وذهب الصادق الى ابعد من هذا ، حين تنبأ بان الخلافة ستؤول لبني العباس ، وخص منهم ابا العباس والمنصور[٧] ، وواجه ابراهيم الامام هذا الاقتراح بالرفض ايضا فقال لعبدالله ، سبحان الله يا ابا محمد ! تدع مشايخنا وذوي الاسنان منا ، وتدعونا الى فتى كبعضنا ، لو دعوتنا الى نفسك ، او الى بعض من ترى ، ما ها هنا احد من ذوي الاسنان يرضى بهذا في نفسه ، وان اعطاك الرضا في علانيته ، فقال بعض من حضر منهم ، معقبا على كلام ابراهيم : صدق وبر ، وترك ابراهيم الاجتماع وانصرف الى الشراة [٨] .

وفي هذا الجول المليء باختلاف وجهات النظر ، لم يتمكن الحاضرون من التوصل الى اتخاذ قرار معين ، وانفض الاجتماع دون نتيجة .

والذي يبدو لي ان البيعة لمحمد النفس الزكية ، لم يكن لها اساس او سند يؤيد وقوعها ، وانما كانت مجرد ادعاء ، لتبرير الثورة فيما بعد[٩] ، يؤيد هذا الرأي امران :

اولهما : ان الدعوة العباسية قطعت شوطا بعيدا تخطيطا واعدادا وتنظيما ، حيث مضى عليها ، لحين وقوع الاجتماع ، اكثر من ستة وعشرين عاما فمن غير المعقول ، ان يبايع افراد البيت العباسي ، لمحمد النفس الزكية او لغيره ، وهم يعلمون ان دعوتهم قد قاربت من اعطاء ثمارها .

ثانيهما : لو كانت البيعة لمحمد قد تمت فعلا ، لاشار اليها في خطبه او رسائله

---

(٦) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٠٧ .

(٧) مؤلف مجهول : مخطوط اخبار العباس وولده ورقة ١٩٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٤ الطوسي : اختيار معرفة الرجال ، المعروف برجال الكشي ، تصحيح وتعليق حسن المصطفوي ، مشهد ايران سنة ١٣٤٨ هـ ، ٢١٤/٣ ، التستري : قاموس الرجال ، المطبعة العلمية بقم ، ايران ١٣٨٧ هـ ، ٢٤٣/١ ، وانظر : المجلسي : بحار الانوار المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٨٥ هـ ١٢٠/٤٧ . العاملي : اعيان الشيعة ٤ قسم ١٤٧/٢ .

(٨) مؤلف مجهول : مخطوط اخبار العباس وولده ، ورقة ١٩٢ آ .

(٩) انظر : الطبري ٥١٧/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٩٤/٥ ، وذكر هؤلاء بان محمدا زعم ان المنصور بايعه .

المتبادلة مع الخليفة المنصور ، ولاتخذها حجة قوية في دعم وجهة نظره ، حين طالب بالخلافة لنفسه ، لكن لم يحصل شيء من هذا القبيل ، فجاءت رسائله خالية من اية اشارة من هذا النوع ، وهذا يثبت عدم صحة بيعته بالخلافة .

ومع هذا ظل الفرع الحسني يتطلع الى الخلافة(١٠) ، وكان عبدالله بن حسن زعيم هذه الدعوة ، نظرا لمكانته السامية بين افراد بيته(١١) فكان يعد بنيه ويمنيهم بالخلافة ، ويحثهم على السعي لها ، وتحين الفرص لنيلها ، وهذا واضح من كلامه لهم : اصبروا فانما هي غدوة او روحة حتى يأتي الله بالفرج(١٢) ، لذلك رفض محمد وابراهيم اعلان بيعتهما للحكم الجديد ، مما اثار تساؤلات الخليفة أبي العباس ، الا انه لم يجد تعليلا مقبولا من ابيهما او غيره عن امتناعهما بالحضور لمقر الخلافة واعلان بيعتهما ، كما فعل افراد البيت الهاشمي ، واقتنع الخليفة اخيرا ، انه لا جدوى من الاستمرار في الالحاح بهذه المسألة(١٣) .

وادرك ابو العباس من خلال هذه المواقف ، طموح آل حسن في الخلافة ، وأحس بما يدور في كوامن نفوسهم من شعور عدائي ازاء الوضع الجديد ، الذي خيب امالهم ، وقضى على طموحهم ، فحاول طيلة فترة حكمه ، اتباع سياسة اللين معهم ، وتجنب كل ما يثير مشاعرهم ، ورأى انه من الحكمة استمالتهم بالاموال(١٤) ، وتحاشى الاصطدام بهم ، لاعطاء الفرصة للوضع الجديد من تثبيت اقدامه ، واكتفى بالوعد الذي حصله من ابيهما ، بعدم قيامهما باي عمل عدائي ضده « يا امير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه الا ترى منهما شيئا تكرهه ما كانا في

---

(١٠) ابن اعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(١١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٢ . الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٨٠ .

(١٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ .

(١٣) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٤٧/٨ .

(١٤) انظر : الجاحظ : التاج ص ٨١ ، ابن قتيبة : العارف ص ٢١٢ ، عيون الاخبار ٢١١/١ ، البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢٣٥/٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٧/٣ ، ابن الجوزي : مخطوط التنظيم ٤٧/٨ ، ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، وقف على طبعه ، احمد عبيدة : الطبعة الاولى . دمشق ٣٦١/٧ .

الدنيا »[١٥] ، وبالرغم من عدم اقتناع الخليفة بهذا الوعد الا انه استمر في سياسته السابقة تجاههم ، خدمة لمصلحة الدولة العليا ، تاركا لاخيه المنصور تدبير اموره معهم بعده .

* * *

٢ ـ المنصور وآل حسن :

ان سياسة اللين التي سار عليها ابو العباس مع العلويين ، لم تلق استجابة وقبولا من لدن المنصور ، لعدم اقتناعه بجدواها ، فقرر بعد تسلمه الخلافة ، طرح هذه السياسة جانبا . واستبدالها بسياسة جديدة للدولة ، من سماتها البارزة ، الحزم والشدة ، تجاه العناصر المعارضة لحكمه خاصة العلويين منهم ، ليتمكن من ارساء دعائم ملكه على أسس قوية ومتينة ، بتصفيته لهذه العناصر ، نظرا لتغير الظروف السياسية ، التي استوجبت تغير الاساليب تبعا لها .

فبعد ان الت الخلافة للمنصور ، امتنع كل من محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم من اعلان بيعتهما له ، ورفضا الاعتراف بخلافته، استمراراً لموقفهم السابق ، وهذا مما دعاه لان يعاتب اباهما عليه[١٦] ، ومن هنا بدأت المشكلة بين الطرفين ، تأخذ طريقها نحو التعقيد والاختلاف ، وبدأ الشك يتسرب الى قلب المنصور تجاههم وزاده اتخاذ محمد لقب «المهدي»[١٧] وهذا اللقب يعد من ابرز مميزات العقيدة الشيعية واولها ظهورا ، والذي جذب الكثير من الاتباع والانصار اليه ، سواء أكانوا من ذوي الميول العلوية ام غير علوية ، لاعتقادهم بانه المنقذ المنتظر الذي سيملأ الارض عدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا .

---

(١٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٧٦ ، وانظر اليعقوبي : تاريخ ٣/١٠٠ .

(١٦) الطبري ٧/٥٢٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٢٣ .

(١٧) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٥١٤ ، وانظر : ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١٠٤ ، و
Browne, A literary History Gr. Persia, Vol.I. P. 130.

وقد ادرك المنصور ، بان الحركة العلوية اصبحت بهذه الصورة ، تشكل رمزا للمعارضة ضد الحكم العباسي ، في مناطق الكوفة والبصرة وخراسان . فقد نبه ابو عون عبدالملك بن زيد الازدي والى خراسان الخليفة بتصاعد الدعوة لمحمد النفس الزكية[١٨] ، واستغل عبد الجبار الازدي ، هذه الناحية ، حين اعلن ثورته بخراسان ، فاتخذ شعار الدعوة للعلويين ، ليكسب تحت هذا الشعار المزيد من الانصار والمؤيدين لدعم ثورته .[١٩]

اما محمد النفس الزكية ، فانه لم يقتنع بالحكم العباسي ، ورفض اعلان طاعته له وتبلور هذا الرفض بشكل علني وسافر منذ اعتلاء المنصور الخلافة ، فكشف عن موقفه هذا بقوله « لقد كنا نقمنا على بني امية ما نقمنا ، فما بنو العباس الا اقل خوفا لله منهم ، وان الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت للقوم اخلاق ومكارم وفواضل ليست لابي جعفر[٢٠] » وقد اثبتت الحوادث فيما بعد صحة هذا الموقف .

وإزاء المواقف العدائية التي اتخذها آل حسن من الحكم العباسي ، منذ اعلانه ، واصرارهم على السير فيه ، لم يجد المنصور امامه الا انتهاج سياسة تتماشى وهذا الموقف . حفاظا على حكمه منهم .

وقد بدأت بوادر هذه السياسة تظهر الى الوجود ، في موسم الحج سنة ١٣٦ هـ حيث لفت نظره عدم حضور محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم الى مجلســه ، مما دعاه لان يسال عنهما والي المدينة زياد بن عبيدالله الحارثي ، الذي طمأنه ، وضمن له الاتيان بهما[٢] ومع هذا فان الخليفة لم يكن مرتاحا لهذا الوضع ، فوقع في نفسه تهمتهم واكدها « انه بعث بعطاء اهل المدينة ، وكتب الى عامله ، ان اعط الناس في

---

(١٨) الطبري ٥٤٧/٧ .

(١٩) انظر ثورة عبد الجبار الازدي في الفصل الاول من الباب الثاني .

(٢٠) الاصفهاني : الاغاني ١٠١/١٠ .

(٢١) الطبري ٥١٨/٧ .

ايديهم ، ولا تبعث الى احد بعطائه، وتفقد بني هاشم ، ومن تخلف منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن ، ففعل ، وكتب الى المنصور يعلمه بتخلف محمد وابراهيم عن الحضور »[٢٢] وبعد هذه الحادثة ، ولى المنصور سنة ١٣٨ هـ /٧٥٥ م الفضل بن صالح بن علي الموسم ، وطلب منه ان يراقب محمدا وابراهيم مراقبة شديدة ان وجدهما هناك ، فلما قدم المدينة تلقاه اهلها جميعا ، فيهم عبدالله بن حسن وسائر بني حسن الا محمدا وابراهيم ، فسكت ولم يسأل عنهما ، وحين صدر عن الحج ، سأل اباهما عن سبب عدم حضورهما لتلقيه ، فأجابه بانهما منهومان بالصيد واتباعه[٢٣] . ولم تكن هذه الاجابة مقنعة للفضل العباسي ، ولا للخليفة .

ومن هنا بدأ الموقف العدائي يتصاعد بين الطرفين . فأيقن المنصور ان استمرار غيبة محمد وابراهيم ورفضهما اعلان طاعتهما ، واختلاق ابيهما الاعذار الواهية لهما ما هي الا بداية لإعلان الثورة ضده ، يؤيده قوله لعقبة بن سلم : ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتياله[٢٤] ، لذلك قرر وضع آل حسن تحت رقابة شديدة ، واتخاذ اجراءات قاسية ضدهم ، خاصة محمد وابراهيم « فلم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه وعما يريد »[٢٥] . بعد ان ثبت له تنقله في البلدان . يدعو الناس لتأييده في طلب الخلافة ، ويحثهم على نصرته في ثورته .

ومن اجل ان يتوصل المنصور الى كشف اسرار الدعوة العلوية ، ومدى نضوجها ، والنتيجة التي وصل اليها محمد في نشرها ، ومكان تواجده « دعا بني هاشم رجلا رجلا يسأله سرا ، فكلهم يقول : يا امير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك

---

(٢٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٢٧ .

(٢٣) الطبري ٧/٥٢٠ .

(٢٤) المصدر السابق ٧/٥١٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١١ ، الاغاني ١٨/٢٠٧ .

(٢٥) الطبري : ٧/٥١٨ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٠ ، ابن الأثير الكامل ٥/٥١٤ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٧٥ .

خلافا ، ولا يجب لك معصية ، ويبدو ان البيت العلوي قد تواطأ على عدم افشاء سر محمد ، الا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، فانه اخبر المنصور بحقيقة الامر، حين قال له : والله ما آمن وثوبه عليك ، فانه لا ينام عنك ، فر رأيك[٢٦] .

وعلى أثر هذه المعلومات ، كتب الخليفة في بداية سنة **١٣٩** هـ /**٧٥٦** م الى عبدالله بن حسن يسأله عن ابنيه ويأمره باظهارهما ، ويخبره انه غير عاذره ، فكتب اليه عبدالله ،انه لا يدري أين هما ولا اين توجها ، وان غيبتهما غير معروفة[٢٧] ، فلم يقتنع المنصور بهذه الاجابة ، وجد في الامر ، فارسل عيونا وجواسيس على هيئة أعراب وتجار وزودهم بما يحتاجون اليه ، وفرقهم في طلب محمد ، بظاهر المدينة وفي بلدان اخرى ، يتعرفون الاخبار[٢٨] فجاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره ان رسولا لعبد الله ومحمد وابراهيم خرج بكتب الى رجال بخراسان يستدعيهم اليه ، فامر ابو جعفر برسولهم . فأتى به وبكتبه فردها الى عبدالله دون ان يفتحها ، ورد اليه رسوله ، وكتب اليه : اني اتيت برسولك ، والكتب التي معه فرددتها اليك بطوابعها كراهية ان اطلع منها على ما يغير قلبي عليك ، فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ، ولا الى الفرقة بعد الاجتماع ، واظهر لي ابنيك فانهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف . فكتب اليه عبدالله يتنصل من ذلك وينكره ويقول : فعل ذلك عدو يريد الفرقة بعد الاجتماع . ثم علم المنصور ان نفس الرسول خرج بنفس الكتب الى خراسان ، وانه نازل بالبصرة ، فبعث من اتى به ومعه الكتب . فحبس الرسول ، وارسل الكتب الى خراسان مع بعض ثقاته ، وعادت الاجوبة بمايكره ، واستبان له الامر ، فكتب الى عبدالله : اما بعد فقد قرأت

---

(٢٦) الطبري : ٥١٨/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٠ ، الاغاني ٢٠٦/١٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ ، وقد كافأ المنصور الحسن بن زيد على موقفه هذا بعدئذ فعينه واليا على المدينة سنة ١٥٠ هـ حتى سنة ١٥٥ ، الطبري ٣٢/٨ و ٤٩ .

(٢٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/٣ .

(٢٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥١٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٤/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٧/٧ .

كتبك وكتب ابنيك وانفذتها الى خراسان وجاءتني جواباتها بتصديقها، وقد آستقر عندي انك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فاظهرهما الي ، فان لله على ان اعظم صلتهما وجوائزهما ، واضعهما حيث وضعتهما قرابتهما، فتدارك الأمور قبل تفاقمها ، فكتب اليه عبدالله : انه لا يدري اين توجها من بلاد الله ، ولا يدري اين صارا ، وانه لا يعرف الكتب ، ولا يشك انها مفتعلة »[٢٩] .

ولما التبست الامور على ابي جعفر ، استدعى عقبة بن سلم وكلفه بمهمة التجسس على محمد وابراهيم واوصاه قائلا « اني انما ادخلك بين جلدي وعظمي فلا توطىء عشواء ، ولا تخف عني امرا تعلمه »[٣٠] ، فارسله الى المدينة ، فقدمها متنكرا ، وجعل يبيع العطر ويدس عمالا يبيعون العطر ،ويسألون عن الاخبار ، وكان يبذل ويعطي في طلب محمد ، ويكتب بالاخبار [٣١] ، وتمكن عقبة الازدي من التودد الى عبدالله ، وأوهمه بانه مرسل بكتاب واموال من قبل دعاتهم بخراسان ، فوثق به وقبل الاموال ، واخبره بوقت خروج ولديه . لكي يخبر دعاتهم بذلك ، فأتى عقبة الى المنصور واخبره الخبر[٣٢] فبادر المنصور باختيار رجل ممن يثق به ، واعطاه مالا وامره باظهار التشيع ، وكتب له كتبا عن السن الشيعة الى محمد يذكرون طاعتهم له وارسله لعبد الله بن حسن ليتعرف له الاخبار ، فرجع اليه ، بعد اكمال مهمته ، واخبره بان محمدا موجود في جبل جهينة من اعمال ينبع[٣٣] .

وقرر المنصور بعد ان تجمعت لديه هذه الاخبار ، بالسفر الى الحجاز سنة ١٤٠ هـ ٧٥٧م بقصد الحج ، وليقف على الحالة السياسية هناك ، ويتقصى

---

(٢٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٥/٧ ـ ١٧٦ .

(٣٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/٣ .

(٣١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، وانظر : مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٣٤/٣ .

(٣٢) الطبري ٥٢٠/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٢ ، الاغاني ٢٠٧/١٨ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

(٣٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٤/٥ .

الاخبار بنفسه عن كثب ، بعد ان عجز والي المدينة زياد الحارثي من القاء القبض على محمد ، رغم تعهد السابق بانه سيفعل ذلك .

ولما وصل الخليفة الى مكة ، وجد محمد وابراهيم الفرصة مواتية جدا لاغتياله ، فاجتمعا مع اخرين ، لبحث خطة الاغتيال ، واستقر رأيهم على ان تكون بين الصفا والمروة ، اثناء تأدية ا لمنصور لشعائر الحج في هذا المكان ، وتكفل الاشتر عبدالله بن محمد النفس الزكية في القيام بهذه المهمة ، بمساعدة ابي العساكر خالد بن حسان الخراساني ، احد قواد الخليفة . بعد ان تمكنوا من استمالته الى صفوفهم . الا ان اختلاف وجهات النظر ، بين الحاضرين، وتحذير عبدالله بن حسن لهم بالاقلاع عن تنفيذ الخطة ، لعظم وحرمة المكان ، ادى بالنهاية الى فشل المؤامرة ، وعلم المنصوربها ، فقبض على بعض افراد المجموعة ، وفر الباقون[٣٤] .

وبعد انتهاء المنصور من اداء فريضة الحج ، قسم اموالا كبيرة ، خص فيها آل ابي طالب ، وارسل الى عبدالله بن حسن ، وسأله عن ابنيه ، فأخبره ، بانه لا علم له بهما ، والح المنصور عليه باحضارهما ، وتعهد له بانه سيحسن اليهما ويصلهما ، وتحت هذا الالحاح ، استشار عبدالله بن حسن ، سليمان بن علي عم المنصور الذي نصحه بعدم اظهار ابنيه . وقال له : لو كان ابو جعفر عافياً لعفا عن عمه عبدالله . فقبل عبدالله بن حسن قوله ، واخفى امر ابنيه [٣٥] .

وقد رفض الخليفة في اللقاء التالي حجج عبدالله حين قال له : وحقك يا امير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، ولقد خرجا من يدي . فرد عليه المنصور منكراً : لا تفعل اكتب اليهما ، والي من يوصل كتابك اليهما . [٣٦]

ونستشف من المحاورة ، ان الامر وصل بين الاثنين الى مرحلة انعدام الثقة . فلم يعد المنصور يقتنع بكلام عبدالله ، ولا هذا يثق بوعود الخليفة ، يدل على ذلك

---

(٣٤) الطبري ٥٢٥/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٨/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٥/٧ و ١٧٧ .

(٣٥) الطبري ٥١٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٤/٥ . العصامي : سمط النجوم العوالي ١٥٥/٤ .

(٣٦) الطبري : ٥٢٤/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

كلام الخليفة السابق ، وقول عبدالله حين لامه الناس في استمراره بكتم أمر ولديه : بليتي اعظم من بلية الخليل (ع) لان الله تعالى امره بذبح ابنه وهو طاعة الله تعالى ، قال الله ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وهذا ـ أي المنصور ـ يطلب مني ان ادله على ولدي ليقتلهما وهو معصية(٣٧) .

وشدد المنصور الخناق على عبدالله ، واحرجه ، حين احضر الى مجلسه عقبة ابن سلم وغيره ، ممن اتصل بعبدالله وعرف سره ، حينئذ عرف عبدالله ان امره قد انكشف وطلب من الخليفة اعفاءه من عشرته ، فرفض طلبه وقال له : هل علمت انك تعرف مكان ولديك ، وانه لا عذر لك ، وقد باح السر ، فاظهرهما لي ولك ان اصل رحمك ورحمهما ، وان اعظم ولايتهما واعطي كل واحد منهما الف الف درهم .(٣٨)

فرفض عبدالله هذا العرض ، واستمر على موقفه السابق . وتمسك الخليفة برأيه ، وازاء اصرار كل طرف منهما على رأيه ، وتمسكه به ، تصاعد الموقف العدائي بينهما بسرعة فائقة . فوصل الى ذروته ، حين عير الخليفة عبدالله بامهاته ، فرد عليه عبدالله منكرا قوله ، فكان خاتمة هذه المناقشات والمجادلات العقيمة والعنيفة ، ان امر المنصور بحبس عبدالله(٣٩) وطلب من والي المدينة زياد الحارثي ، بالتحفظ عليه ، والتشدد في طلب محمد وابراهيم ، وغادر المدينة متوجها الى العراق .

وبعد ان استقر المنصور بالانبار ، اخذ يتابع الامور ، ويترقب النتائج التي سيتوصل اليها زياد الحارثي ، فوصلته انباء تفيد ، بان واليه توانى في مهمته ، وانه

---

(٣٧) سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ، المطبعة العلمية ، النجف ، العراق ، سنة ١٣٦٩ هـ ، ص ٢٢٨ وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١٠٩/٧ ، الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢١٦ .

(٣٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٩/٣ وانظر : الطبري ٥٢٣/٧ ، الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢١٤ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

(٣٩) اليعقوبي : تاريخ ١٠٩/٣ ، الطبري ٥٢٢/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٤ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٨/٥ .

ساعد محمداً على الهرب(٤٠) ، فارسل ابا الازهر المهري الخراساني الى المدينة فورا ، وامره ان يستعمل عليها عبد العزيز بن المطلب بن الصلت ، وان يقبض على زياد واصحابه ويرسلهم اليه، فقدم أبو الازهر المدينة في جمادى الاخرة سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، ونفذ الأمر (٤١) .

ثم ان المنصور عزله وعين بدله محمد بن خالد القسري ، وامره بطلب محمد النفس الزكية ، وان يبذل الاموال في الوصول الى هذه الغاية ، فقدمها في رجب من نفس السنة(٤٢) . فوجد في بيت مال المدينة الف الف درهم وسبعين الف دينار فاسرع في انفاقها(٤٣) ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى هدفه، رغم الجهود الكبيرة ، التي بذلها من اجل ذلك ، فكتب اليه المنصور ، يحثه على بذل المزيد من جهوده .

اما الخليفة ، فانه هو الآخر، ارسل عيونه في اماكن متفرقة، يتسقطون له الاخبار ، فوصلته في سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ، اخبار مؤكدة بان محمدا وصل البصرة سرا ، وانه نازل في بني راسب مع أربعين من اتباعه ، يدعو الناس لنفسه(٤٤) ، فتشير بعض الروايات الى انه اجتمع بعمرو بن عبيد صاحب الحسن ، فطالت النجوى بينهما ، فلم يجبه عمرو الى شيء وحذره الدماء وسوء العواقب(٤٥) » وعندها توجه المنصور الى البصرة(٤٦) ، فلما علم محمد بذلك تركها، وعند وصول الخليفة اليها، ارسل الى عمرو بن عبيد ، وكان صديقا له قبل ان يلي الخلافة ، فقال له : ان الناس مجمعون على انك قد بايعت محمدا . فقال عمرو :

---

(٤٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٢٩/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

(٤١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٢٩/٧ ، ابن الاثير الكامل ٥١٩/٥ .

(٤٢) المصادر السابقة ، وانظر : ابن بدران : تهذيب ابن عساكر ٣٦٢/٧ .

(٤٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٣١/٧ .

(٤٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ آ ، الطبري ٥٢١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٧/٥ .

(٤٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣آ ، وانظر : مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٣٥/٣ .

(٤٦) وهذه الزيارة كانت الاولى للمنصور لمدينة البصرة بعد خلافته والثانية كانت سنة ١٥٣ هـ ، انظر : ابن خياط تاريخ ٤٤٧/٢ ، الطبري ٥١٢/٧ و ٤٢/٨ الازدي : تاريخ الموصل ٢١٦/٢ .

والله لو قلدني الناس امرهم على ان اختار لهم اماما ما اخترته فكيف ابايع محمداً[٤٧] ، ودام مكوث المنصور بالبصرة ، طوال شهر رمضان وبضع ايام من شوال من سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ، واستدعى قبل رجوعه الى الانبار ، عمرو بن عبيد[٤٧]، وسأله عن الوضع السياسي في البصرة. فأكد له بعدم وجود ما يعكر صفو الامن فيها . ويظهر ان ابا جعفر اراد ان يطمئن على سلامة موقف عمرو فارسل له كتابا على لسان محمد، فلما قرأه، قال للرسول: قل له دعنا نعيش في هذا الظل، ونشرب هذا الماء البارد ، حتى يأتينا الموت ، فرجع الرسول الى المنصور ، فأخبره ، فقال : هذه ناحية كفيناها[٤٩] ، لانه كان يخشى ان يكون عمرو ، بمكانته واتباعه من المعتزلة ، قد بايع محمدا .

اما محمد واخوه ابراهيم ، فانهما لماوجدا ان الخليفة يلاحقهما ، وان جواسيسه تتبعهما ، وان الرقابة اصبحت شديده عليهما ، قررا التواري عن الانظار فترة من الزمن ، لعل ذلك يخفف من حدة الرقابة عليهما اولا ، ولكسب الانصار والمؤيدين وتهيئة افكار الناس للثورة ضد الحكم العباسي ثانيا، فسافرا الى عدن، ثم الى السند ، ومنها رجعا الى الكوفة ، ثم رحلا الى المدينة ، وهذا يفسر لنا ارسال محمد ابنه عبد الله الاشتر مع بعض اتباعه الى البصرة، ثم الى السند لبث دعوته هناك[٥٠] .

واستمر المنصور يتابع الامور بنفسه ، فكتب الى محمد القسري والي المدينة يأمره باتخاذ تدابير حاسمة ، للقبض على محمد واخيه ، لكنه لم يفلح في ذلك ، فأمره الخليفة بحظر التجول في المدينة ، واجراء مسح شامل لدورها ، في محاولة للقبض عليهما ، فنفذ القسري الامر ، واستعمل اعوانه واتباعه في هذه المهمة ، ودامت

---

(٤٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٦ آ ، وانظر : الطبري ٧/ ٥٢٢ .

(٤٨) الطبري ٧/ ٥١٣ و ٥٢٢ ، ابن الاثير : الكامل ٥/ ٥١٧ .

(٤٩) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١/ ٢٠٩ والبلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٦آ و ٤/ ٢ آ .

(٥٠) الطبري ٧/ ٥٢٢ ، ابن الاثير الكامل ٥/ ٥١٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/ ١ .

ويذكر الخليفة بن خياط (تاريخ ٢/ ٤٦٣) ان عمر بن حفص والي السند ، كان قد ساعد عبد الله الاشتر =

سبعة ايام متواصلة لزم الناس خلالها بيوتهم ، لكن العملية لم يكتب لها النجاح(٥١) .

وبعد فشل القسري في القبض على محمد وابراهيم ؛ راى المنصور ان المصلحة تقتضي عزله، وتولية غيره، فاشار عليه بعض خاصته بان يوليها رجلا من آل الزبير او طلحة ، فانهما قادران على القبض عليهما ، فرفض الخليفة هذا الاقتراح ، قائلا : والله ما خفي على هذا ، ولكن اعاهد الله الا انتقم من بني عمي واهل بيتي بعدوي وعدوهم ، ولكن ابعث عليهم صعلوكا من العرب يفعل بهم ما قلت(٥٢) .

وربماكان الدافع في عدم تولية المنصور امر المدينة لرجل من آل الزبير أو طلحة ، هو خشيته ان يتفق هذا مع محمد في اعلان الثورة ، أو أن تسول له نفسه الثورة بعد قبضه على محمد .

ان قرار الخليفة بتعيين وال مغمور مثل رياح بن عثمان المري على المدينة ، يعتبر نقطة تحول مهمة ، في طرح السياسة القديمة، واستبدالها بسياسة الشدة والارهاب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان تعين المري واليا جديدا على المدينة ، سيجعله يتفانى في مهمته ، ويخلص فيها ، ليثبت للخليفة حسن ظنه فيه فضلا عن ان اباه وابن عمه ، قد خدما الدولة الاموية فترة من الزمن ، فابن عمه مسلم بن عقبة هو الذي قضى على ثورة اهل المدينة بوحشية بالغة سنة ٦٣ هـ (٥٣) ، أما ابوه عثمان المري ، فقدأساءلعبدالله بن حسن وبعض اهل بيته ، اثناء توليه المدينة سنة ٩٣ هـ - ٩٦ هـ (٥٤) فاذا وضعنا في تقديرنا هذه الامور ، يضاف

= وسهل له امره، فكان ذلك سبب عزله عنها . وانظر الطبري ٣٣/٨ .

(٥١) انظر المصادر السابقة .

(٥٢) الطبري ٥٣١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٩/٥ .

(٥٣) ابن خياط : تاريخ ٢٤٤/١ ، اليعقوبي : تاريخ ٢٣٧/٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٧٨/٣ .

(٥٤) ابن خياط : تاريخ ٣٢٣/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٨/٩ .

اليها جنوح الخليفة في استعمال نار العصبية القبلية في هذا الموضوع ، لان رياح المري كان قيسيا ، تبين لنا مقدار خطورة ودقة المنصور في اختياره هذا ، يدل لذلك قوله ليزيد بن اسيد السلمي : اما تدلني على فتى من قيس مقل ، اغنيه واشرفه ، وأمكنه من سيد اليمن يلعب به . فأشار عليه برياح بن عثمان بن حيان المري . [٥٥] .

استدعى الخليفة رياح المري ، واخبره باختياره واليا جديدا على المدينة ، طالبا منه التشدد على بني حسن ، وامره بالجد في القبض على محمد وابراهيم ، وقال له : ماوجدت لهم غيرك ولا اعلم لهم سواك[٥٦] ، وسيره الى المدينة فوصلها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م[٥٧] .

وكان أول عمل قام به ؛ ان قبض على ابن القسري وكاتبه رزام ، فضربهما وسجنهما بحجة احتجانهما الاموال التي كانت بحوزتهما[٥٨] . ثم اعلن لأهل المدينة السياسة التي سيسير عليها من خلال خطبة القاها عليهم ، قال فيها : يا أهل المدينة انا الافعى ابن الافعى ابن عثمان بن حيان وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراءكم المفني رجالكم ، والله لادعها بلقعا لا ينبح فيها كلب[٥٩] . وبذلك أوضح ان سياسته ستنطوي على البطش والارهاب ، تجاه العناصر المعارضة للحكم العباسي ، خاصة العلويين منهم .

وقد بدأ فعلا بتطبيق هذه السياسة ، فاستدعى الحسن بن زيد وجماعة ، وامرهم بالتوجه الى عبدالله بن حسن في سجنه ، ليكلموه في أمر ابنيه ، ففعلوا ،

---

(٥٥) الطبري : ٥٣٢/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٩/٥ .

(٥٦) اليعقوبي : تاريخ ١١٤/٣ .

(٥٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٣٢/٧ . ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ وانظر : ابن الاثير : الكامل ٥٢٠/٥ .

ابن بدران : تهذيب ابن عساكر ٣٦٢/٧ .

(٥٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٣٣/٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٣٥/٣ .

(٥٩) اليعقوبي : تاريخ ١١٤/٣ .

فقال لهم عبدالله ، انكم جئتموني تكلموني في ان آتي بابنيّ هذا الرجل؛ فيقتلهما وهو لله جل وعز معصية ، فرجعوا واخبروا رياح برفض عبدالله[٦٠] : حينئذ اسرع رياح الى السجن فدخل عليه ، وهدده قائلا : ايهاالشيخ ، ان امير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ، ولا يد سلفت اليه ، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري ، والله لازهقن نفسك او لتأتيني بابنيك محمد وابراهيم[٦١] . فنهره عبد الله وهدده هو الآخر ، واخبره بأن مصيره القتل ان هو استمر في ملاحقة ابنيه ، فلم يعبأ رياح بكلامه ، واستمر باجراءاته الشديدة .

وفي اثناء ذلك . وصلته معلومات ، تفيد بأن محمدا في شعب من شعاب رضوى من جبل جهينة من اعمال ينبع ، فأمر عامله عمر بن عثمان بن مالك الجهني ، بطلبه ، فسار اليه برجاله ، لكن محمدا تمكن من الافلات من قبضته بعد مطاردة ، راح ولده الصغير ضحية لها[٦٢] ولاحقه رياح المري بنفسه ، عدة مرات ، وفي مواضع مختلفة . لكنه لم يتمكن من القبض عليه .

وكان الخليفة يترقب بشغف كبير النتائج الايجابية التي سيتوصل اليها واليه الجديد ، فلما طال انتظاره، أشار عليه عبد العزيز بن سعيد، وكان عيناً له وواليا على الصدقات ، قائلا له : يا أمير المؤمنين ، اتطمع ان يخرج لك محمد وابراهيم وبنو حسن مخلون ، والله للواحد منهم اهيب في صدور الناس من الاسد[٦٣] . فرأى المنصور ان الفكرة جديرة بالتنفيذ، فكتب الى رياح يأمره بأخذ بني حسن ، وارسل ابا الازهر للاشراف على تنفيذ الامر ، فحبس رياح منهم ثلاثة عشر رجلا[٦٤] .

---

(٦٠) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٦ .

(٦١) الطبري ٥٣٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢٠/٥ .

(٦٢) الطبري ٥٣٥/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٣٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢١/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٧/٧ .

(٦٣) الطبري ٥٣٦/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ . ابن الاثير : الكامل ٥٢٢/٥ .

(٦٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٣ ، الطبري ٥٣٧/٧ و ٥٥٠ ، مؤلف مجهول ؛ مخطوط غرر السير ورقة ١٧٨آ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

وقد راودت محمد فكرة تسليم نفسه بعد اعتقال اهل بيته ، فأخبر امه هند بنت ابي عبيدة بذلك ، وقال لها : اني قد حملت ابي وعمومتي ما لا طاقة لهم به ، ولقد هممت ان اضع يدي في ايديهم فعسى ان يخلى عنهم . لكن أبوه رفض اقتراحه ، حين اتته امرأته بالسجن واخبرته بذلك . فقال لها : كلا بل نصبر فوالله إني لارجو ان يفتح الله به خيرا ، قولي له : فليدع الي امره ، وليجد فيه ، فان فرجنا بيد الله(٦٥) . واستمر محمد بنشر دعوته ، فارسل ابنه عليا الى مصر يدعو اليه ، فقبض عليه والي مصر يزيد بن حاتم ، وارسله الى المنصور ، فاعترف له وسمى له اصحاب ابيه ، وكان فيهم عبد الرحمن بن ابي الموالي وابو حنين ، فامر الخليفة بهما فحبسا(٦٦) .

وعزم المنصور في سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م . التوجه الى الحجاز بقصد الحج ليطلع بنفسه على الاجراءات التي اتخذها واليه ، وليشرف بنفسه على الوضع المتأزم ، الذي وصل الى حد الانفجار ، بعد سجن آل حسن ، ولعله يتمكن من ايجاد مخرج يرضي به الاطراف كافة ، ويدفع به اراقة الدماء ، فأرسل عند وصوله المدينة الى مالك بن انس ومحمد بن عمران ، وطلب منهما الذهاب الى بني حسن في السجن ، والتباحث معهم لتسليم محمد وابراهيم ، كحل نهائي لتسوية المشكلة سلمياً . الا ان عبدالله بن حسن ، اخبر الوفد برفضه لهذا الطلب ، وطلب مقابلة الخليفة ، فرفض الخليفة مقابلته(٦٧) وتوجه الى مكة ، فلما قضى حجه ، رجع بريد المدينة ، فتوقف في الربذة(٦٨) وامر رياح باشخاص بني حسن اليه ، ففعل ، وقام

---

(٦٥) الطبري ٥٣٩/٧ ، مؤلف مجهول : مخطوط غرر السيرة ورقة ١٧٨آ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٨١/١٠ . وانظر : اليعقوبي . تاريخ ١١٠/٣ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٦ .

(٦٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ آ ، الطبري ٥٣٨/٧ ، ابن تغري النجوم الزاهرة ٢٠١/٢ ، ويذكر الكندي : انه اول علوي قدم مصر ، وقام خالد بن سعيد بن ربيعة بأمره ودعوته ، فتكلم الناس بها ، وبايع كثير منهم لعلي بن محمد . فشعر به يزيد فقبض عليه وارسله للمنصور . كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١١١ .

(٦٧) الطبري : ٥٣٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢٣/٥ .

(٦٨) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة اميال . ياقوت : معجم البلدان ٢٢٢/٤ .

المنصور بآخر محاولاته السلمية ، فارسل عمه عيسى بـن علي الى عبدالله . ليكلمه بالأمر ، وامره ان يقول له : اذكرك الله في نفسك ، واهل بيتك اظهر ابنيك وخذ على امير المؤمنين ما شئت من عهد وميثاق . فدخل عيسى على عبد الله ، واخبره بقول الخليفة ، فرفض ان يجيب بشيء [٦٩] ، وبذلك انتهى كل امل لتسوية المشكلة سلميا. وبات الوضع ينذر بالانفجار وخشي المنصور العاقبة، «فعبى ميمنة وميسرة وقلب جيشه ، وتهيأ للحرب ، واجلس في مسجد النبي (ص) عشرين معطيا يعطون العطايا ، فلم يتحرك عليه احد »[٧٠] . فشد رحاله الى العراق ، ومعه بني حسن مقيدين . وتشير بعض الروايات ، الى ان محمدا وابراهيم قد اتصلا بأبيهما سرا اثناء ترحيله الى العراق ، يطلبان منه ان يسمح لهما باعلان الثورة ، فطلب منهما تأجيلها ، ونصحهما بعدم التسرع ، فقال لهما : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ، وان منعكما ابو جعفر ان تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما ان تموتا كريمين[٧١] .

ولما وصل المنصور العراق ، امر بحبس بني حسن في هاشمية الكوفة . [٧٢] .

ولكي يبرر الخليفة عمله الذي اقدم عليه ضد بني حسن ، ويضمن استمرار ولاء الخراسانيين بصورة خاصة لسياسته ، بعد ان لمس ميلهم لال البيت ، صعد المنبر وخطبهم خطبة اثنى فيها على الخراسانيين[٧٣] ، واعلمهم بانهم عصب الدولة ورجالها واهل دعوتها « يا اهل خراسان ، انتم شيعتنا وانصارنا واهل دعوتنا ، ولو بايعتم لم تبايعوا خيرا منا » ثم انتقل الى موقف العلويين ، من الحكم الاموي فبين فشلهم في تحقيق اهدافهم رغم ثوراتهم المتعددة، بسبب خذل شيعتهم لهم . وانتقل

---

(٦٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ١٦/٣ ، ويذكر البلاذري : ان المنصور دعا بعبد الله فاغلظ عبد الله به ، فأمر ببيع متاعه ، فبيع وبقي في بيت المال بالمدينة ، فأخذ مالك بن انس الفقيه رزقه من ذلك المال .

(٧٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٧١) الطبري ٥٤١/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٢٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١٠٤ .

(٧٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣٠ .

(٧٣) انظر نص الخطبة في ملحق رقم (٥) .

الى وضع العباسيين ، فاشار الى ان الامويين طاردوهم ونفوهم من البلاد « ثم وثب بنو أمية علينا فابتزونا شرفنا واذهبوا عزنا . . فنفونا عن البلاد . . » ثم اثنى على الخراسانيين لنصرتهم « حتى ابتعثكم شيعة وانصارا ، فاحيا شرفنا وعزنا بكم » وبين اخيرا بان العباسيين قد نالوا الخلافة بنضالهم المستمر فضلا عن قرابتهم من الرسول (ص) بكونهم ورثته ، فحسدهم العلويون، رغم احسانهم اليهم ،وهدف المنصور الرئيسي من خطبته هو استمالة الخراسانيين للحصول على تأييدهم للحكم الجديد ، وللسياسة التي يتبعها ضد العلويين .

وفي هذه الفترة ، ورد كتاب من أبي عون عبد الملك بن يزيد الازدي عامل خراسان ، الى الخليفة ، يخبره فيه ، بان اهل خراسان ينتظرون محمدا ، وانه جفل منهم[٧٤] ، فعمد المنصور الى محمد بن عبدالله المعروف بالعثماني ، وكان اخا عبدالله بن حسن لامه ، فقتله وارسل راسه الى خراسان ، ومعه رجال يشهدون انه راس محمد النفس الزكية[٧٥] ، لتمويه الرأي العام الخراساني ؛ وبعث الياس في نفوسهم . وقد يكون قتل العثماني بالذات راجعا الى تحذير رياح المري للخليفة من شعبيته عند اهل الشام حين قال له : يا امير المؤمنين ، اما اهل خراسان فشيعتك وانصارك ، واما اهل العراق فشيعة ال أبي طالب ، واما اهل الشام فوالله ما علي عندهم الا كافر ، وما يعتدون باحد من ولده ، ولكن اخاهم محمد بن عبدالله بن عمرو ، ولو دعا اهل الشام ما تخلف عنه منهم رجل[٧٦] .

وقد اثار قتل العثماني تساؤلات البعض ، فقد سئل محمد بن جعفر بن ابراهيم عن سبب قتله ، فقال : أحتيج الى رأسه[٧٧] . واتبعه بقتل محمد بن ابراهيم بن عبدالله المشهور بالديباج الاصفر ، اما عبدالله بن الحسن فقد مات في

---

(٧٤) الطبري ٥٤٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢٦/٥ ، البراقي حميد بن احمد مخطوط الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية ، المتحف العراقي رقم ١٨٦٧ ، ١٦٤/١ .

(٧٥) المصادر السابقة وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ٨٢/١٠ .

(٧٦) الطبري ٥٤٣/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٤/٨ هـ .

(٧٧) الطبري ٥٤٨/٧ .

السجن سنة ١٤٥ هـ . وتبعه اخرون . فدفنوا على شاطىء الفرات[٧٨] .

ونتيجة للسياسة الشديدة التي اتبعها الخليفة ضد آل حسن ، لم يجد محمد النفس الزكية امامه الا ان يعلن ثورته ، كرد فعل لتصرف المنصور تجاهه وتجاه اهل بيته .

* * *

٣ ـ اعلان محمد النفس الزكية الثورة :

ان لثورة محمد النفس الزكية وثورة اخيه ابراهيم بعدها ، طابعا خاصا يميزها عن الثورات الاخرى . باعتبارها ذروة كفاح الفرع الحسني العلوي ضد الحكم العباسي ، ابان تلك الفترة الزمنية ، التي دامت ثلاثة عشر عاما ، ابتداء من خلافة أبي العباس حتى سنة ١٤٥ هـ .

وقبل عرض أحداث الثورة ، أرى من المهم القاء الضوء على الاسباب الداعية لها ، ومع اختلاف المؤرخين فيها ، الا اني ارى ان السبب الحقيقي الذي دفع محمدا للثورة ، هو اقتناعه التام ، بانه احق بالخلافة من المنصور ، او بالاحرى ان العلويين احق بها من العباسيين ، فاعتبرهم من وجهة نظره مغتصبين للخلافة ، وانهم خدعوهم ، فسلبوهم حقا شرعيا ، كان المفروض ان يؤول اليهم بدون أدنى شك . يؤيد هذا ما جاء في رسالته التي وجهها للمنصور ، يقول : له فيها « فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وان ابانا عليا كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء . . »[٧٩] ، وترتب على هذا الاقتناع ، انه اعتبر العباسيين عامة والمنصور خاصة ، اكثر ظلما وعدوانا من الامويين ، لذلك فان الثورة عليهم واجبة بل هي أوجب منها على

---

(٧٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، اليعقوبي : تاريخ ١١٠/٣ الطبري ٥٤٩/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٠٠ ، الطوسي : اختيار معرفة الرجال ، ٢١٢/٣ .

(٧٩) انظر نص الرسالة في ملحق رقم (٧) .

الامويين ، يقوي هذا الاتجاه قوله « لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا فما بنو العباس الا اقل خوفا لله منهم ، وان الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت للقوم اخلاق ومكارم وفواضل ليست لابي جعفر (٨٠) ، وقد أيدت الاحداث التاريخية صحة ذلك . فما ان انبثقت الدولة العباسية ، حتى وقف محمد واخوه ابراهيم منها موقفا عدائيا ، متمثلا برفضهما اعلان طاعتهما لها ، وبثهما الدعوة في الامصار لتهيئة افكار الناس للثورة . والحصول على المؤيدين والانصار لها ، فضلا عن ارسال محمد ابنه عبدالله الاشتر الى البصرة ثم الى السند لبث الدعوة هناك ، وابنه الاخير عليا الى مصر ، وابنه الحسن الى اليمن ، ووجه اخاه موسى الى الجزيرة ، واخاه يحيى الى الري ثم الى طبرستان ، لنفس الغرض . (٨١) وكان أبوهما عبدالله بن حسن ، المحرك والمشجع الاول لولديه؛ للمضي في طريق الثورة ، ورفضوا كافة الحلول السلمية التي طرحت عليهم من المنصور ، واصروا على اقتناعهم باحقيتهم للخلافة من العباسيين ، فشجعتهم هذه العقيدة الى الايمان بان الثورة المسلحة هي الطريق الوحيد لاسترداد حقهم المسلوب .

وقد اختلف المؤرخون في ذكر السبب المباشر للثورة فيرى بعضهم ان محمد النفس الزكية اعلن ثورته بعد ان قبض المنصور على اهله . (٨٢)

بينما يرى فريق ثان ان السبب يعود الى اعتقال أخيه موسى بن عبدالله ، من قبل والي المدينة رياح المري ، الذي قام بارساله الى العراق واوصى القوة المرافقة له بقتله في الطريق ، فعلم بخطة المري ، وانقذ اخاه(٨٣) .

ويرى فرق ثالث ؛ انه لما وصلت الاخبار لمحمد النفس الزكية تؤكد له موت

---

(٨٠) الاصفهاني : الاغاني ١٠/١٠١ .

(٨١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٦ آ ، الطبري ٧/٥٢٢ و ٨/٣٣ ، المسعودي : مروج الذهب ٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٠١ و ٣٠١ ، الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١١١ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ـ خطط ـ مطبعة النيل ، مصر ١٣٢٤ هـ ٢/٣٣٨ .

(٨٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٦ ب ، المسعودي : مروج الذهب ٣/٣٠٦ .

(٨٣) الطبري ٧/٥٥٨ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٢٤ .

ابيه في سجن الخليفة ، ثار انتقاما لموته[٨٤] .

وذهب فريق رابع الى ان اهل المدينة كانوا السبب في دفعه للثورة ، بعد ان سئموا الحالة السيئة التي الت اليها الاوضاع ،بسبب اجراءات رياح المري التعسفية ضدهم ، فأرسلوا اليه وفدا مكونا من عبدالله بن عمر بن ابي ذئب ، وعبد الحميد ابن جعفر ، يطلبون منه الثورة او الاستسلام ، فقالوا له : ما تنتظر بالخروج ؟ والله ما نجد في هذه الامة أحداً أشأم منك ، ما يمنعك من الخروج ، اخرج ولو وحدك ، فدفعه هذا التحذير لاعلان ثورته[٨٥] .

ويمكن اضافة سبب آخر لماتقدم ، يعود الى دهاء المنصور وتمكنه من خدع محمد النفس الزكية ، حين امر كبار قواد جيشه ان يكتبوا له ، بأنهم على استعداد للوقوف بجانبه ، والانضمام الى جيشه وقت ثورته[٨٦] ، وقام الخليفة من جانبه بتزوير بعض الكتب عن السن قواده يدعونه الى الظهور ، ويخبرونه انهم معه[٨٧] ، فانطلت هذه الخدعة عليه ، واعتقد بصحتها ، لذلك كان يقول : لو التقينا مال إليّ القواد كلهم[٨٨] فضلا عن الكتب التي وردت عليه من الأقاليم باشارة من الخليفة تعلمه بتأييدهم له ، فبنى ببساطة عليها امالا كبارا ، يؤيدها قوله لأهل المدينة « . . والله ما من مصر يعبد الله فيه الا وقد اخذت لي دعاتي فيه بيعة أهله »[٨٩] وبذلك تمكن المنصور بخطة ذكية وناجحة من ايهام محمد ودفعه للثورة ويمكن ان نلمس مدى سروره بنجاح خطته حين علم بالثورة من قوله : « انا ابو جعفر اخرجت الثعلب من وكره »[٩٠] .

---

(٨٤) الازدي : تاريخ الموصل ١٨١/٢ .
(٨٥) الطبري : ٥٥٣/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٢٩/٥ .
(٨٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ١/٤ آ .
(٨٧) الطبري ٥٥٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣١/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ .
(٨٨) المصادر السابقة .
(٨٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، وانظر : ابن الاثير : الكامل ٥٣٠/٥ .
(٩٠) الطبري ٥٦٤/٧ .

وعلى اثر التطورات الأخيرة ، ساد في المدينة جو شديد الحساسية فانتشرت الشائعات، وتوقع الناس بان الثورة واقعة لا محالة ، فتكلموا بها ، وبدأوا يستعدون لها ، « فاسرعوا في شراء الطعام حتى باع بعضهم حلى نسائه »[٩١] . لتجنب قسوة الحصار الاقتصادي المرتقب الوقوع على المدينة ، بعد ظهور محمد . الذي اعلن الثورة فعلا في مستهل رجب سنة ١٤٥هـ / ايلول سبتمبر ٧٦٢ م ،[٩٢] في مائة وخمسين رجلاً[٩٣] فسيطر على السجن، وأخرج من فيه ، وكان فيهم محمد بن خالد القسري والي المدينة السابق ، وابن اخيه النذير بن يزيد ورزام مولاه وكاتبه [٩٤] ،واستولى على بيت المال ، ثم القى القبض على والي المدينة رياح ابن عثمان المري ، وابن اخيه عباس بن عثمان ، وابن مسلم بن عقبة المري واودعهم السجن[٩٥] للتخلص منهم .

وفي اليوم التالي، أمر بأن يكتب كتابا بالدعوة الى الناس، وأمر باذاعته اهم ما جاء فيه « . .ونحن ندعوكم ايها الناس الى الحكم بكتاب الله ، والى العمل بما فيه ، والى انكار المنكر ، والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونستعينكم على ما امر به في كتابه من المعاونة على البر والتقوى . . .[٩٦] ، ويعتبر هذا الكتاب بمثابة البيان الأول للثورة الذي شرح أهدافها ، وحدد نهجها .

وبعد هذا اقبل الناس لبيعته ، فلما تم له ذلك ، صعد المنبر وخطبهم فقال : « يا أهل المدينة اني والله ما خرجت فيكم للتعزز بكم ولغيركم أعزُّ منكم ، وما أنتم

---

(٩١) المصدر السابق ٥٥٢/٧ .

(٩٢) ابن خياط : تاريخ ٢/ ٤٤٩ و ٤٦٠ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٥/٣ ، الطبري ٥٥٦/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث ١٤٥ هـ .

(٩٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ٢٣٧/٣ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٠/٥ .

(٩٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، الطبري ٥٥٤/٧ـ ٥٥٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٠/٥ .

(٩٥) المصادر السابقة .

(٩٦) البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٦١/١ .

باهل قوة ولا شوكة ، ولكنكم اهلي وانصار جدي فحبوتكم بنفسي ، والله ما من مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذت لي دعاتي فيه بيعة أهله ، ولولا ما انتهك مني ووترته به ما خرجت[٩٧] » وهذه أول خطبة ، يكشف فيها محمد سبب اختيار المدينة وأهلها للقيام بثورته فيها .

وقد ذكر بعض المؤرخين خطبة اخرى ، تتفق الى حد كبير في نهايتها مع جوهر هذه الخطبة ، الا ان بدايتها جاءت باضافة جديدة ، اهم ما ورد فيها « أما بعد ايها الناس : فانه كان من امر هذا الطاغية عدو الله ابي جعفر ما لم يخف عليكم . من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه ، وتصغيرا للكعبة الحرام . . »[٩٨] ويبدو لي ان هذه الاضافة موضوعة ، لان المنصور ـ باتفاق اغلب المصادر ـ بدأ بوضع الحجر الاساسي لمدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ ، وباشر بالبناء ، فلما بلغ حائط المدينة مقدار قامة ، توقف عن البناء بسبب اعلان محمد الثورة ، واستمر كذلك الى ان انتهى من القضاء على ثورته وثورة اخيه ابراهيم[٩٩] ، وعلى هذا الاساس ، لم يكن قصره او معالم البناء الاخرى قد اكتملت وظهرت للعيان بشكل نهائي .

ومهما يكن من امر ، فان محمد النفس الزكية قد احكم سيطرته على المدينة وبدأ بتشكيل حكومة مؤقتة برئاسته ، وكان تشكيلها على النحو الاتي ، تعيين عثمان ابن محمد بن خالد بن الزبير واليا على المدينة ، وعبد العزيز بن المطلب المخزومي على القضاء ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي على السلاح ، وابي القلمس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب على الشرطة ، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن

---

(٩٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ٢٣٨/٣ ، البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٦٧/١ .

(٩٨) الطبري ٥٥٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣١/٥ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٩/٧ ـ ١٨٠ .

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان ٣٦١/٢ ، الطبري ٦١٧/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٩٤/٢ ، ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد . مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ١٣٩٣ ورقة ١ و٢ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦٦/١ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣١/٥ وما بعدها .

المسوو على الديوان[١٠٠] .

وبعد هذه الاجراءات ، اراد محمد ان يفرض سيطرته على المناطق المجاورة فوجه الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى مكة ، وسير معه القاسم بن اسحق واليا على اليمن ، فسار الحسن بقواته وجعل على مقدمته عبد الله بن عدي بن حارثة[١٠١] فلما شارفوا على مكة ، ارسل اليهم واليها السري بن عبد الله ، قوة عسكرية بقيادة كاتبه مسكين بن هلال ، ومولاه مسكين بن نافع ، فجرت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة القوة ، ودخول الحسن بن معاوية مكة ، فسيطر عليها ، وخطب الناس ، فنعى اليهم ابا جعفر ودعا لمحمد[١٠٢] . كما قام محمد بارسال اخيه موسى بن عبد الله الى الشام ، ليدعو له ، وارسل معه رزام مولى محمد القسري وكاتبه « فانسل منه رزام وسار الى المنصور برسالة من مولاه القسري ، فعلم محمد بذلك ، فحبس محمد القسري[١٠٣] . اما موسى فانه لما وصل الى الشام وجد من اهلها « سوء رد عليه وغلظة ، فكتب الى محمد : اخبرك اني لقيت الشام واهله فكان احسنهم قولا الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضقنا حتى مافينا لهذا الامر موضع ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن اصبحنا من ليلتنا وامسنا من غد ليرفعن امرنا ، فكتبت اليك ، وغيبت وجهي وخفت على نفسي[١٠٤] .

اما في المدينة ، فقد استفتى اهلها ، الامام مالك بن أنس الفقيه في الخروج مع محمد وقالوا له : ان في اعناقنا بيعة لابي جعفر قال : انما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين . فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته[١٠٥] . وارسل محمد النفس

---

(١٠٠) الطبري ٧/٥٥٩ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥/٥٣١ .

(١٠١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٦ ب ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٣٨/٢٣٩ .

(١٠٢) الطبري ٧/٥٧٣/٥٧٤ ، وانظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ هـ ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٢ .

(١٠٣) ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٢ وانظر : مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٤٠ .

(١٠٤) المصدر السابق : وانظر ابن الجوزي : مخطوط التنظيم ٨/١٤٥ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/٨٥ .

(١٠٥) الطبري ٧/٥٦٠ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٣ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ =

الزكية الى اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، يطلب منه البيعة ، فرفض اجابته وقال له : يا ابن اخي انت والله مقتول ، فكيف ابايعك ! فارتدع الناس عنه قليلا[١٠٦] ، ولم يؤثر هذا في تأييد غالبية اهل المدينة له ، الذين سارعوا الى ثورته وهم يقولون : هذا الذي كنا نسمع به العجب كل العجب بين جمادى ورجب[١٠٧] ، وقد يكون ذلك اشارة الى مهديته ، بعد ان تسمى بالمهدي .

أما الخليفة المنصور فانه لم يسمع باخبار الثورة الا في ٩ رجب سنة ١٤٥ هـ ، حين اتاه الحسين بن صخر من ال اويس يحمل له اخبارها من المدينة[١٠٨] ، ثم نواترت عليه الاخبار بعد ذلك« فغمه الخبر حتى امتنع من الغداء وقته وطال عليه فكره[١٠٩] » ، لكنه ما لبث ان علم ان الثورة اصبحت حقيقة واقعة وانه لا بد له من اتخاذ خطوات سريعة وحازمة لمواجهتها ، « فشمر عليه درعه ولبس خفه وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ما لي اكفكف عن سعد ويشتمني ولو شتمت بني سعد لقد سكنوا

= هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٢/٥ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣١ . وقد اشارت بعض الروايات الى ان الامام مالكا ضرب من جراء فتواه هذه ، فقد سعى به الى جعفر بن سليمان بن علي الذي تولى المدينة في ربيع الاول سنة ١٤٦ هـ ، وقيل له انه لا يرى ايمان بيعتكم بشي ، فانه يأخذ بحديث ثابت عن الاحنف في طلاق المكره انه لا يجوز فاستدعاه واحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط وهناك رواية تشير الى ان ضربه كان بسبب مدحه لعبد الرحمن الداخل ، وقيل غير ذلك لكن الثابت تاريخيا ان جعفر بن سليمان ضربه سنة ١٤٧ هـ دون علم المنصور فلما علم الخليفة بذلك عزل جعفرا عن المدينة ونستنتج من هذا ان ما اتهم به مالكا غير صحيح ، انظر ابن خياط : تاريخ ٤٥١/٢ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٤٩/٢ ، الطبري ٦٥٦/٧ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ . ابن فرحون : كتاب الديباج المذهب في معرفةاعيان علماء المذهب مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٩ هـ ص ٢٨ العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٥/٧ ، أبا المحامد جمال الدين : مخطوط كوكب المريخ في خلاصة التاريخ ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ٤٤٤ ، ١١٤/٣ ـ ١١٥ .

(١٠٦) الطبري : ٥٦٠/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ .

(١٠٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ، ٦/٣ ب ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٣٩/٣ .

(١٠٨) الطبري ٥٧٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٣/٥ وانظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

(١٠٩) المبرد : الكامل في اللغة ، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ ، ١٤٨/٢ .

جهـلا علينـا وجبنـا عن عـدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبن[110]

أما والله لقد عجزوا عما قمنا به ، فما عضدوا الكافي ، ولا شكروا المنعم ، فماذا حاولوا ؟ اشرب رفقا على غصص ؟ وابيت منهم على مضض ، والله اني لا اصل ذا رحم بقطيعة نفسي ، ولئن لم يرض بالعفو مني ليطلبن مالا يوجد عندي ، ولان أقتل معزرا احب الي من ان أحيا مستذلا ، فليبق ذو نفس على نفسه ، قبل ان يقضي نحبه ، ثم لا ابكي عليه ، ولا تذهب نفسي حسرة لما ناله[111] ، وبذلك اعلن المنصور من خلال خطبته هذه ، السياسة التي سيسير عليها في مواجهة الثورة ، وحذر فيها بالعقاب الشديد لكل من تسول له نفسه بالخروج عن طاعته .

وبعد ان انتهى المنصور من خطبته ، بدأ بسلسلة من الاستشارات ليستطلع فيها آراء اهل الرأي والخبرة في الحروب ، فاستدعى بديل بن يحيى واعلمه بخروج محمد بالمدينة ، فاشار عليه قائلا : اشحن الاهواز بالجنود ، فقال له انه ظهر بالمدينة ، قال : قد فهمت وانما الاهواز الباب الذي تؤتون منه[112] . ودعا بجعفر ابن حنظلة البهراني ، وكان اعلم الناس بالحروب ، فقال له : يا جعفر قد ظهر محمد ، فما عندك ؟ قال : واين ظهر ، فقال المنصور بالمدينة ، قال : فاحمد الله حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع ، ابعث مولى لك تثق به ، فيسير حتى ينزل بوادي القرى ، فيمنعه ميرة اهل الشام فيموت مكانه جوعا[113] . وارسل جماعة من اهل بيته الى عمه عبد الله بن علي ، وهو محبوس عنده ، وكان ذا رأي عندهم يخبره بخروج محمد ، ويطلب منه ان يشير عليه ، فأجابه عبد الله : ان المحبوس محبوس الرأي ، فأخرجني حتى يخرج رأيي . فارسل اليه المنصور : لو جاءني حتى يضرب بابي ما اخرجتك ، وانا خير لك منه ، وهو ملك اهل بيتك .

---

(١١٠) البيتان من قصيدة لقعنب بن ام صاحب . انظر الطبري ٩٢/٨ .

(١١١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ آ ، وانظر الطبري ٩٢/٨ . المسعودي مروج الذهب ٣٠٩/٣ ، العاملي : اعيان الشيعة ٢٩٦/١٧ .

(١١٢) الطبري : ٦٢٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٥/٥ .

(١١٣) الطبري : ٥٧٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٥/٥ .

فأرسل اليه عبد الله ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة ، فأجثم على اكبادهم ، فانهم شيعة اهل هذا البيت وانصارهم ، ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها الى وجه من الوجوه او أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ، وابعث الى مسلم بن قتيبة ينحدر عليك ـ وكان بالري ـ واكتب الى اهل الشام فمرهم ان يحملوا اليك من اهل البأس والنجدة ما يحمل البريد ، فاحسن جوائزهم ، ووجههم مع مسلم[١١٤] وارسل الى اسحق بن مسلم العقيلي ، الذي اشار عليه « ان يرمي محمداً بمثله ، اذا قال انا ابن رسول الله (ص) قال هذا : وانا ابن عم رسول الله (ص) »[١١٥] .

وبعد ان وقف المنصور على اراء مستشاريه بادر بالرحيل الى الكوفة ، وبدأ باتخاذ الخطوات اللازمة لاخماد الثورة ، فقرر ضرب الحصار الاقتصادي على المدينة ، وكتب الى عامله بمصر ، يأمره بقطع الميرة عن اهل الحرمين ، لان اكثرها كانت تأتيهم من مصر[١١٦] ، في محاولة لاجبار اهلها على التخلي عن محمد والتقاعس عن نصرته ، نظرا للعنت الشديد الذي سيصيبهم من جراء قلة الاقوات . وامر ان يكتب الى العباس بن محمد ابن اخيه ، وهو على الجزيرة « ان يمده بمن قدر عليه ، ولو ان يبعث اليه في كل يوم رجلا واحد لينكسر بهم اهل خراسان ، فانه لا يؤمن فسادهم مع دالتهم[١١٧] ، وزيادة في الحيطة امر بحفر خندق على قواته[١١٨] ، لتفادي اي هجوم مفاجىء قد يشنه اهل الكوفة عليه .

وقبل ان يقدم المنصور على الاجراء العسكري ، بدا له ان يدخل في سلسلة من المراسلات مع محمد النفس الزكية ، ليعطي لنفسه الفرصة في جمع قواته وترتيبها وتسليحها ، وليبرر عمله ، ويضع المسؤولية على عاتق محمد ، فكتب اليه رسالة

---

(١١٤) الطبري ٥٦٤/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٣٤/٥ وانظر : الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢٦٥ سبط بن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣١ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ .

(١١٥) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٧/٣ .

(١١٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب .

(١١٧) المصدر السابق .

(١١٨) المصدر السابق .

تحمل في طياتها التهديد والترغيب في آن واحد ، بدأها بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين الى محمد بن عبد الله[119] ، انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم[120] » ، وبذلك اعتبر الخليفة محمداً من الخارجين على الدولة المحاربين لله ورسوله ، الساعين في الارض فسادا ، المستحقين للقتل .

وبعد هذا التهديد عرض المنصور عليه الامان له ولاهله ومن تبعه ، ان هو عدل عن الثوزة فقال له « ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله (ص) ان تبت ورجعت قبل ان اقدر عليك ان اؤ منك وجميع ولدك . . على دمائكم وأموالكم » لكن الذي يلفت النظر في هذا الامان ، ان الخليفة تجاوز حقه الشرعي فيه ، لانه وان كان من حقه بذل الامان لاي انسان ، الا انه ليس من حقه التجاوز على حقوق العباد في الاموال والدماء ، لانه لا يملك حق التصرف فيها ، ولا ادري كيف سمح لنفسه بذلك حين قال : « . . . واسوغك ما أصبت من دم او مال ، واعطيك الف الف درهم . . » .

فلما وصلت هذه الرسالة الى محمد النفس الزكية ، رد عليها برسالة لقب نفسه فيها بالمهدي ، فقال « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله الى عبد الله بن محمد[121] » . .

«طسم ، تلك ايات الكتاب المبين ، نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يُذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين

---

(١١٩) انظر نص الرسالة في ملحق رقم (٦) .

(١٢٠) سورة المائدة ٣٣ ـ ٣٤ .

(١٢١) انظر نص الرسالة في ملحق رقم (٧) .

استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون[١٢٢] » .

بعدها عرض على المنصور الامان « وانا اعرض عليك من الامان مثل الذي عرضت علي . . » واوضح بان حق الخلافة للعلويين ، وان العباسيين قد سرقوا هذا الحق منهم « وانما ادعيتم هذا الامر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا . . » واستدل على احقيته بالخلافة لا على كونه من نسل الامام علي (رض) فحسب . بل على كونه من نسل فاطمة بنت الرسول (ص) « وان ابانا عليا كان الوصي وكان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده احياء . . وانا بنو ام رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم » فأكد مفهوم الوراثة عن هذا الطريق . انتقل بعدها الى المفاخرة بالانساب والاحساب واكد على شرف نسبه من جهة النساء في الجاهلية والاسلام ليغمز المنصور بامه سلامة بنت بشير وهي ام ولد بربرية ، بينما امه عربية حرة « . . . لم تعرق في العجم ، ولم تنازع في امهات الاولاد . . » وختم رسالته بان عرض على الخليفة الامان له ولمن تبعه ان هو دخل في طاعته ، على ان لا يعفيه من مسؤولية اقامة الحق عليه في حد من حدود الله . واتبع ذلك بان سخر بالامانات التي اعطاها المنصور لرجال قبله ، فقال « . . . فأي الأمانات تعطيني ! أمان ابن هيبرة ، أما أمان عمك عبد الله بن علي ، ام أمان ابي مسلم . . » .

وحينما وصلت رسالة محمد النفس الزكية الى المنصور قال له وزيره ابو ايوب المورياني : دعني اجبه عليها ، فقال له الخليفة : لا بل أنا اجيبه عليها ، اذا تقارعنا على الاحساب فدعني واياه[١٢٣] ، ونستدل من هذا على ان المنصور كان حريصا للرد على محمد ، ليقارعه الحجة بالحجة ، لكي لا يترك له دعوى علوية الا ويجيب

---

(١٢٢) سورة القصص ١ ـ ٦ .

(١٢٣) الطبري ٥٦٦/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٨١/٢ ، الجهيشاري : الوزراء والكتاب ص ١١٥ .

عليها بدعوى عباسية . لذا رد عليه بكتاب مطول[١٢٤] استهله بدحض حجة محمد لقائمة على أساس قرابته من النساء، فاكد له ان العمومة اقرب من قرابة النساء في الميراث فالعم يرث ابن اخيه شرعا ، وبين ان العباس (جده) اجاب لدعوة الرسول (ص) في حين رفض ابو طالب (جد محمد النفس الزكية) فقال : « . . ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة اربعة . . فأنذرهم ودعاهم ، فاجاب اثنان احدهما أبي[١٢٥] ، وابى اثنان احدهما ابوك . .[١٢٦] »انتقل بعدها الى الرد على تفاخر محمد عليه ، بكونه لم تعرق فيه العجم ، ولم تتنازع فيه امهات الاولاد ، فاجابه بانه تفاخر في غير موضعه ، لانه بذلك تفاخر على ابراهيم بن رسول الله (ص) ، وبين له بان علي بن حسين وهو افضل من حسن بن حسن ، ومع هذا فامه ام ولده « وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو امهات اولاد ، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن حسين ، وهو لام ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي ، وجدته ام ولد ولهو خير من ابيك ، ولا مثل ابنه جعفر وجدته ام ولد ولهو خير منك . . » .

انتقل بعد ذلك الى نقطة جديدة ومهمة ، دحض فيها استحقاق العلويين الخلافة عن طريق الوراثة ، فأكد للنفس الزكية، بأنهم اي العلويين بنو أبنة الرسول (ص) » . . وانها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الامامة . . » ثم شرح كيف ان عليا طلبها فاختلفت عليه الامة ، ثم قام ولده من بعده ، فلم يفلح أحد منهم في نيلها .

وختم رسالته مؤكدا على ان العباس هو الوارث الوحيد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وان العباسيين ما نالوا هذا الامر الا بعد نضال طويل ومرير ، فالخلافة لهم

---

(١٢٤) انظر نص الكتاب في ملحق رقم (٨) .
(١٢٥) هما الحزة والعباس .
(١٢٦) هما ابو طالب وابو لهب .

ومن حقهم ، دون غيرهم ، « وطلبنا بثأركم ، فادركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لانفسكم » .

هذا وقد اشارت بعض المصادر الى وجود رسالة رابعة لم تذكرها المصادر القديمة ، وانما ذكرها البراقي[١٢٧] ووصفها « بالدامغة »[١٢٨] وهي المتضمنة رد محمد النفس الزكية على رسالة المنصور الاخيرة ، كما ان عدم وجودها في المصادر القديمة ، لا يعني ان ننكرها اصلا ، لان الذي يقرأ الرسالة يجد ان فقراتها منسجمة في الرد على رسالة الخليفة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان كلا من المنصور والنفس الزكية ، كان حريصا في الرد على خصمه لدحض ادعائه وحججه في المطالبة بالخلافة ، وليبين للرأي العام من خلال ذلك انه احق بالخلافة من غيره ليضمن استمرار التأييد والولاء له ، ومن هذا المنطلق كان رد النفس الزكية فبين في رسالته ضعف اقوال المنصور في اسناد حقه على القرابة من جهة العم . واكد على ان قرابته من ناحية النساء اقوى فقال « . . فانك ذكرت ان فخري بالنساء فرأيت ان اوضح ما امر لهن ما جهلته من حق العم لاب وام خلاف ما اوهمته وليس قرابتهن اقرب القرابة ، أو ليس قد ذكر الله الاباء والامهات والاخوات والبنات ولم يجعل بينهن وبين الاباء والقرابة فرقا فقال : « يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن »[١٢٩] ، فقد ذكر الامهات والاخوات والبنات ولم يذكر العم . انتقل بعدها الى الرد على الخليفة في تقسيم الخلافة اذا صحت ميراثها فقال « وعلى هذا القياس ان تقسم الخلافة على قسمة المواريث للذكر مثل حظ الانثيين فالولد احق بها من العم ، والعم اولى من ابن الاخ ، فان جاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك . . » وختم رسالته بتأكيده على ان الحرب هي الفيصل بينهما ، « وليس اراه يسعني الا مجاهدتك فان موعدك الساعة . . » .

نستطيع القول ان الرسائل المتبادلة بين الخليفة المنصور ومحمد النفس الزكية

---

(١٢٧) مخطوط الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية ١٦٦/١ .

(١٢٨) المصدر السابق ١٦٦/١ ، وانظر الرسالة في ملحق رقم (٩) .

(١٢٩) سورة النساء ١٢٧ .

كانت بمظهرا من مظاهر الدعاية العباسية والعلوية ، الهدف منها جمع اكبر عدد من المؤيدين والانصار ، تركز اغلبها على التفاخر بالاحساب والانساب ، باسلوب بليغ ، لكن أهـم ما يلفت النظر فيها ، مسألة معالجة الخلافة ، حيث لم يوفق كل من الخليفة والنفس الزكية الى الصواب في ذلك ، لان الخلافة لا تورث كما ادعيا ، لان امرها متروك للأمة ، او لاهل الحل والعقد منها ، تختار من يصلح لدينها ودنياها ، فتوليه امرها

ومع هذا فان اهمية الرسائل تنحصر في انها اعطت صورة واضحة للعلاقات السياسية بين العباسيين والعلويين في تلك الفترة ، حول اخطر مشكلة سياسية ودينية وهي الخلافة ، فعكست بجلاء اراء كل من الطرفين المتنازعين حولها ، فتحمس كل منهما في الدفاع عن وجهة نظره ، خدمة لمصلحته الخاصة ، ولدحض حجج خصمه بأية طريقة كانت .

والملاحظ ان الرسائل لم تؤد الى حسم النزاع بل انها جعلت الصلح بينهما مستحيلا ، واصبحت الحرب هي الحل الوحيد لانهاء النزاع بين الفريقين .

ولهذا استدعى المنصور بعد استقراره بالكوفة ولي عهده عيسى بن موسى[١٣٠] وشاوره في الامر ، وقال له : أما ان تخرج وأقيم فأمدك ، واما ان اخرج فتمدني ، فقال : بل أقيك بنفسي وأكفيك هذا الوجه ان شاء الله[١٣١] . فجهز له جيشا من اربعة الاف فارس[١٣٢] ، والفي راجل[١٣٣] ، واتبعه بحميد بن قحطبة في جيش كثيف[١٣٤] ، وضم اليه محمد بن ابي العباس ، مع قواد اخرين منهم كثير

---

(١٣٠) وكان يقال لعيسى فحل بني العباس ـ انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٩٧/٣ .

(١٣١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٣ ب وانظر المسعودي : مروج الذهب ٣٠٧/٣ .

(١٣٢) الطبري ٥٧٧/٧ وما بعدها ، الازدي : تاريخ الموصل ١٨٧/٢ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٤١ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .

(١٣٣) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٧/٣ .

(١٣٤) اليعقوبي : تاريخ ١١٥/٣ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٠٧/٣ .

ابن حصين العبدي ، وهزارمرد ، وجعفر بن حنظلة ، ومحمد بن يزيد بن علي بن الحسين[١٣٥] .

ان اختيار الخليفة لعيسى بن موسى وتوجيهه لمحاربة النفس الزكية كان الهدف منه امران :

اولهما : رغبة الخليفة في ان يكون القائد هاشمياً عباسيا ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليكون كفئا بمحمد النفس الزكية الهاشمي العلوي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قال هذا :«انا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ذاك : انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٣٦] » ، وبذلك اراد المنصور ان يحقق التوازن في شخصي القائدين المتحاربين الذي قد يؤدي الى انحياز بعض وجوه اهل المدينة للجيش العباسي ، وهذا ما حصل فعلا ، فضلا عن رفع معنويات الجند بمثل هذا القائد الذي جاء تعيينه ضرورة ملحة املتها الظروف السياسية والعسكرية في ذلك الوقت بالذات .

ثانيهما : رغبة الخليفة في التخلص من ولي عهده عيسى بن موسى ، ليولي ابنه المهدي مكانه ، لذلك وقع اختياره عليه بالذات دون غيره ، يؤيد هذا الرأي قول المنصور : لا ابالي ايهما قتل صاحبه[١٣٧] ، فهو كسب له ، وهذه الخطة تعيد الى الاذهان خطته السابقة في ارسال ابي مسلم لمحاربة عمه عبد الله بن علي ، فكما تخلص من أبي مسلم بعد انتصاره كذلك اجبر عيسى بن موسى في التنازل عن ولاية العهد بعدئذ .

وقبل توجه عيسى الى الحجاز اجتمع به المنصور ، وزوده بارشاداته وتوصياته والخطة التي يجب ان يسير عليها ، فقال له : « يا ابا موسى اذا صرت الى المدينة فأدع محمد بن عبد الله الى الطاعة ، والدخوال في الجماعة ، فان اجابك فاقبل منه ، وان

---

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٤ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٨١ .

(١٣٦) المسعودي : مروج الذهب ٣/٣٠٧ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مراة الجنان حوادث ١٤٥ هـ

(١٣٧) الطبري ٧/٥٧٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٤ ، الذهبي : العبر ١/١٩٨ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث ١٤٥ هـ .

هرب منك فلا تتبعه ، وان ابى الا الحرب فنأجزه واستعن بالله عليه ، فاذا ظفرت به فلا تخيفن اهل المدينة وعمهم بالعفو ، فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار ، وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي لا كما أوصى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وامره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثة ايام ففعل . . . ثم اكتب الى اهل مكة بالعفو والصفح عنهم ، فانهم ال الله وجيرانه ، وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة ، وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث فيه محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وشرف به اباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتي لا كما اوصى الذي وجه الحجاج الى مكة فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد في الحرم بظلم ففعل . . »[١٣٨] وكتب الخليفة كتبا الى رؤساء قريش والانصار من اهل المدينة ، وسلمها له ليدفعها اليهم خفية ، يدعوهم الى الرجوع للطاعة[١٣٩] . فلما هم عيسى بالمسير بقواته ودعه المنصور وقال له : « يا عيسى اني ابعثك الى ما بين هذين واشار الى جنبيه ، فان ظفرت بالرجل فاغمد سيفك ، وابذل الامان وان تغيب فضمنهم اياه فانهم يعرفون مذاهبه ، ومن لقيك من آل أبي طالب فاكتب الي باسمه ، ومن لم يلقك فأقبض ماله[١٤٠] » .

توجه عيسى بقواته ، فلما وصل فيد[١٤١] كتب الى بعض وجوه اهل المدينة منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومي وعبيد الله بن محمد الجمحي وعبد الله بن محمد بن عمر بن أبي طالب ، فخرجوا اليه في جماعة آخرين والتحقوا بصفوفه[١٤٢] .

---

(١٣٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣١/٣ .

(١٣٩) الطبري : ٥٨٠/٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٧/١٠ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث ١٤٥ هـ .

(١٤٠) ابن الاثير : الكامل ٥٤٤/٥ ، وانظر : الطبري ٥٧٨/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ

(١٤١) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة .

(١٤٢) الطبري ٥٧٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٤/٥ .

كما قام بارسال كتب الخليفة بيد رسول له « لكن حرس النفس الزكية ، قبضوا عليه ومعه الكتب ، فوجد فيها كتابا الى ابراهيم بن طلحة بن عمر وغيره فأمر محمد بحبسهم جميعا ليأمن جانبهم[١٤٣] » .

اما محمد النفس الزكية ، فانه لما علم بقرب وصول الجيش العباسي بقيادة عيسى بن موسى ، استشار اصحابه في الخروج من المدينة او البقاء فيها ، فاشار عليه عبد الحميد بن جعفر ، « بان يتوجه بقواته الى مصر لان المدينة اقل بلاد الله فرسانا وطعاما وسلاحا واضعفها رجالا » على عكس مصر ، فانها صالحة للحرب ، لسهولة توفير العدة والعدد منها ، فضلا عن قربها من افريقية والتي يمكن التوجه اليها وقت الحاجة . نظرا لضعف القوات العباسية المتواجدة فيها وانشغالها بحرب الخوارج انذاك ، لكن هذا الرأي لم يجد قبولا من بعض اصحاب النفس الزكية ، ومنعوه من الخروج فقال له حنين بن عبد الله : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رايتني في درع حصينة فاولتها المدينة فقبل رأيه[١٤٤] .

ثم اختلف عليه اصحابه في ان يخندق ام لا ؟ فقال له جابر بن أنس رئيس سليم : لا تخندق فان رسول الله خندق خندقه لما الله اعلم به ، فانك ان خندقته لم يحسن القتال رجّالة ، ولم توجه لنا الخيل بين الازقة ، وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ، وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم[١٤٥] ، وكان هذا عين الصواب ، لكن بعض اصحابه اشاروا عليه بان يخندق اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافقهم على رأيهم وحفر الخندق ، وبذلك احكم الحصار الحربي والاقتصادي على نفسه .

---

(١٤٣) الطبري : ٥٨٠/٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٧/١٠ .

(١٤٤) الطبري : ٥٨١/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٤/٥ .

(١٤٥) الطبري ٥٨١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٤/٥ ـ ٥٤٥ ، انظر : الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

وقد ترتب على اختلاف وجهات النظر هذه ، ظهور بوادر المنافسة بين صفوف اتباعه ، زاد من حدتها تفضيل محمد لقبيلة جهينة فغضبت لذلك قبائل قيس[١٤٦] ، وبذلك اصبح الصراع بين انصاره صراعا قبليا له خطورته الفادحة على وضعه العسكري خاصة وانه مقبل على معركة حاسمة تحدد مصيره كان المفروض عليه ان يتلافى هذه الثغرة الحساسة ، منذ البداية ، لا ان يعمل هو على اتساعها . ومن الطبيعي ان ظهور مثل هذا الصراع في جيشه ، كان في صالح القوات العباسية المتقدمة والتي كانت تتمتع بروح قتالية عالية تحت قيادة عسكرية حكيمة .

وصل عيسى بن موسى بقواته الى مشارف المدينة صباح يوم السبت ١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م[١٤٧] ، وعسكر على اربعة اميال منها ، عند سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف[١٤٨] ، وشرع بتنظيم قواته ، استعداداً للحرب .

وبدأ النفس الزكية هو الاخر بجمع مؤيديه وانصاره ، فبلغوا مائة الف فأخذ عليهم الميثاق . لكنه أخطأ خطأً فادحا حين احلهم من بيعته في الخطبة التي القاها عليهم « يا اهل المدينة ، ان عدو الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الاحوص ، وان احق الناس بالقيام بهذا الامر لابناء المهاجرين والانصار الا وانا قد جمعناكم واخذنا عليكم الميثاق ، وعدوكم عدد كثير والنصر من الله والامر بيده ، وانه قد بدا لي أن آذن لكم ، فمن احب منكم ان يقيم اقام ، ومن احب ان يظعن ظعن[١٤٩] ، فتخلى الناس عنه الا القليل ، وخرج اكثر اهل المدينة باهليهم منها لئلا يشهدوا القتال[١٥٠] ، فأمر أبا القلمس ان يرد من قدر عليه منهم ، فاجاب اليه

---

(١٤٦) الطبري ٥٨١/٧ .

(١٤٧) الطبري ٥٨٥/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٦ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .

(١٤٨) الطبري ٥٨٣/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٥/٥ .

(١٤٩) ابن الاثير : الكامل ٥٤٥/٥ ، وانظر : الطبري ٥٨٢/٧ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

(١٥٠) المصادر السابقة ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ٨٨/١٠ ، الذهبي : العبر ١٩٨/١ .

قليل ورفض الكثير ، وبذلك تخلى عنه اكثر مؤيديه من اهل المدينة في الوقت الذي كان هو بامس الحاجة اليهم ، وهذا يثبت لنا ، ان غالبية سكان المدينة ، رغم اندفاعهم القوى في تأييد النفس الزكية اول الامر ، لكنهم في الواقع لم يكونوا جادين في القتال معه ، لهذا لم يستمروا على نفس حماسهم السابق ، بعد ان وجدوا ان زجهم لأنفسهم في الصراع العباس العلوي لا يخدم مصالحهم لذلك اشارت بعض الروايات الى انه لم يبق معه وقت المعركة سوى ٣١٣ مقاتل(١٥١) .

ولما علم عيسى بانفضاض اغلب انصار محمد عنه ، خشي ان تحدثه نفسه بالهرب الى مكة ، ومنعاً لوقوع هذا الاحتمال ، امر محمد بن ابي الكرام بالتوجه مع ٥٠٠ مقاتل لقطع طريق مكة بوجه محمد ان هو فكر بالهرب اليها ، فسار هذا بقواته وعسكر ببطحاء ابن ازهر على بعد ستة اميال من المدينة(١٥٢) ، واستمر مرابطا فيها حتى انتهت الحرب .

ثم ان عيسى بدأ بتنفيذ وصية المنصور في عرض الامان على محمد النفس الزكية فارسل اليه القاسم بن الحسن بن زيد ، يطلب منه الرجوع عما هو عليه ، ويخبره ان امير المؤمنين قد آمنه واهل بيته(١٥٣) ، فرفض محمد هذا الامان وارسل ابراهيم بن جعفر برسالة الى عيسى يعرض عليه الامان جاء فيها « يا هذا ان لك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرابة قريبة ، واني ادعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، واحذرك نقمته وعذابه ، واني والله ما انا منصرف عن هذا الامر حتى القى الله عليه ، فاياك ان يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل . أو تقتله فيكون اعظم لوزرك واكثر لمأثمك(١٥٤) » ، فرد عيسى على الرسول ان « ارجع الى صاحبك فقل له : ليس بيننا الا القتال(١٥٥) » وبذلك باءت المحاولة الهادفة الى

---

(١٥١) الطبري : ٥٨٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .
(١٥٢) الطبري ٥٨٤/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٦/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٨/١٠ .
(١٥٣) المصادر السابقة ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .
(١٥٤) الطبري ٥٨٤/٧ ، ابن الاثير الكامل ٥٤٦/٥ ، انظر : الذهبي : العبر ١٩٩/١ .
(١٥٥) المصادر السابقة .

حقن دماء الطرفين بالفشل واصبحت الحرب حقيقة واقعة لا مفر منها .

المعركة الفاصلة :

وقد سلك عيسى بن موسى خلال الفترة الواقعة من ١٢ ـ ١٤ رمضان سنة ١٤٥ هـ ، خطة وهو في مجال الاستعداد للمعركة ، بان عرض الامان على اهل المدينة لاطماعهم بالتفرق عن محمد ، فكان يأتي كل يوم مع قوة من جيشه ، فيقف على الثنية عند سلع فينادي « يا أهل المدينة ، ان الله قد حرم دماء بعضنا على بعض ، فهلموا الى الامان ، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، خلوا بيننا وبين صاحبنا فأما لنا او له(١٥٦) » فلم يستجب له من بقي من أهلها .

فلما كان يوم الاثنين النصف من رمضان(١٥٧) ، زحف عيسى بقواته ، فجعل على مقدمة جيشه حميد بن قحطبة ، وعلى ميمنته محمد بن أبي العباس ، وعلى ميسرته داود بن كراز ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة ، فضرب الحصار العسكري على المدينة من ثلاث جهات ، وترك الرابعة لمن يهرب منها(١٥٨) ، وعرض الامان على محمد ، كآخر حل سلمي بينهما فناداه : « أيا محمد ان امير المؤمنين امرني الا أقاتلك حتى اعرض عليك الامان ، فلك على نفسك واهللك وولدك واصحابك ، وتعطى من المال كذا وكذا ، ويقضي عنك دينك ويفعل بك ويفعل » فأجابه محمد : « ليس لكم عندي الا القتال »(١٥٩) . وبذلك انتهت اخر فرصة للسلام .

---

(١٥٦) الطبري ٥٨٦/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥٦/٥ ٤ الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٤/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .

(١٥٧) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٥/١ .

(١٥٨) الطبري ٥٨٨/٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٩/١٠ .

(١٥٩) المصدران السابقان ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

فاصدر عيسى على اثرها اوامره لقواته بقصف المدينة« بالمقالع والنشاب لمدة ساعة[١٦٠] ، بدأ بعدها الزحف العام للقوات العباسية ، فأرسل عيسى قائده حميد ابن قحطبة مع بعض الجند والفعلة لردم الخندق ، ففعل ، وفاجأ قوات محمد من الخلف بنفس الوقت التي كانت فيه القوات الرئيسية بقيادة عيسى تتقدم من الامام والتي اجتازت الخندق بعد ردمه[١٦١] ، كما مال بنو ابي عمر والغفارون الى جانب عيسى وسهلوا لقواته الاخرى دخول المدينة[١٦٢] ، فدارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس ، كثر فيها القتلى وابلى محمد فيها بلاء حسنا « فقتل بين يديه سبعون رجلاً[١٦٣] » ، وكان محمد قد تولى بنفسه قتال حميد بن قحطبة ، وتولى عيسى بن زيد محاربة عيسى بن موسى ، ويزيد وصالح ابنا معاوية بن عبد الله بن جعفر توليا قتال كثير بن الحصين العبدي ، اما قبيلة جهينة فتصدت لقتال محمد بن أبي العباس وعقبة بن سلم[١٦٤] .

ويبدو من سير المعارك ، ان القوات العباسية ، كانت تتمتع بتفوق عسكري واضح على قوات محمد ، فأول الجبهات العسكرية التي انهارت امامها ، كانت جبهة يزيد وصالح ابنا عبد الله بن معاوية ، اللذان طلبا الأمان من كثير بن حصين ، فأجابهما الى طلبهما ، واعلم عيسى بن موسى بذلك ، فرفض الموافقة على الامان ، وطلب منهما الهرب الى حيث ارادا ، فهربا[١٦٥] .

ولما اشتد الخطب على محمد واصحابه ، نصحه عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة بالتوجه الى مكة فقال له : « .. والله مالك بما رأيت طاقة ، وما معك احد

---

(١٦٠) الطبري ٧/٥٨٦ .

(١٦١) المصدر السابق ٧/٥٩٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٧ . الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/٦٤ .

(١٦٢) الطبري ٧/٥٩٣ ، ابن الاثير : الكامل ٥/٥٤٨ .

(١٦٣) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ هـ ، الذهبي : العبر : ١/١٩٩ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مراة الجنان حوادث ١٤٥ هـ .

(١٦٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ ، وانظر مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٤٣ .

(١٦٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٤٣ .

يصدق القتال ، فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة ، فان معه جلة اصحابك[١٦٦] » ، فرفض طلبه وقال له : « لو خرجت من المدينة وفقدوني لقتلوا اهل المدينة كقتل اهل الحرة[١٦٧] ، واقترح عليه عيسى بن خضير وهو المصعب بن المصعب وكان بمثابة الوزير لمحمد[١٦٨] ، بالذهاب الى البصرة او غيرها ، فرفض اقتراحه[١٦٩] ، واصر على القتال ، الذي دارت رحاه خارج المدينة ، ومضى ابن خضير الى المدينة ، فاحرق الديوان الذي فيه اسماء من بايع محمداً خوفا من وقوعه بايدي القوات العباسية ، ودخل السجن فقتل رياح المري ، واخاه عباس بن عثمان المري ، وابن مسلم بن عقبة المري ، واراد قتل محمد بن خالد القسري وجماعة معه كانوا محبوسين في دار هشام ، لكنه لم يتمكن منهم ، لاغلاقهم الابواب دونه[١٧٠] ، فرجع الى محمد واخبره بما قام به ، وقاتل معه حتى قتل ، وقتل معه اخرون ، منهم علي بن مالك الغفاري وسعيد بن ابي سفيان الصيرفي ، وفي مقابل ذلك ، تمكن ابو القلمس عثمان بن عبيد الله من قتل القائد العباسي هزارمرد[١٧١] .

وفي اثناء سير القتال ، حدثت مفاجأة ، كان لها اثر في انهزام اصحاب محمد ، ذلك ان اسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد بن عباس ، امرت برفع خمار اسود ـ شعار العباسيين ـ على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأه اصحاب محمد تنادوا : « دخلت المدينة وهربوا[١٧٢] » ، وثبت محمد مع بعض اصحابه المخلصين من بني شجاع وغيرهم ، وحاصرتهم القوات العباسية من كل جانب ، فضرب رجل منهم محمدا بسيف دون شحمة اذنه اليمنى فبرك لركبتيه ،

---

(١٦٦) الطبري ٥٩١/٧ ، الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢٦٩ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٧/٥ ، اما مصير الحسن فانه هرب بعد قتل محمد والتحق بصفوف ابراهيم بالبصرة واختفى القاسم بالمدينة حتى اخذ له الامان .

(١٦٧) المصادر السابقة .

(١٦٨) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١٢٥ .

(١٦٩) ابن الاثير : الكامل ٥٤٧/٥ .

(١٧٠) انظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٥/٣ ، الطبري ٥٩١/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٨/٥ .

(١٧١) الطبري : ٥٨٩/٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٤٤/٣ .

(١٧٢) اليعقوبي : تاريخ ١١٥/٣ ، الطبري ٥٩٣/٧ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١٩ ، البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٦٩/١ .

واستمر يدافع عن نفسه : ويقول : ويحكم : انا ابن نبيكم مجروح مظلوم[١٧٣] ، واجتمع عليه الجند العباسي ، فصاح حميد بن قحطبة فيهم ان يتوقفوا عن قتله ،وتقدم هو ، فاحتز رأسه واتى به عيسى بن موسى ، وكان قتله عصر يوم الاثنين ١٤ رمضان سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م[١٧٤] .

بعد ذلك ، ارسل عيسى بن موسى برأس محمد النفس الزكية الى الخليفة المنصور ، بصحبة محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن علي ، وضم اليه ١٠٠ مقاتل ، وبعث بالبشارة مع القاسم بن حسن بن زيد[١٧٥] ، فلما وصل رأس النفس الزكية الى الخليفة وهو يومئذ بالكوفة ، امر فطيف به ، ثم بعثه الى الافاق وتشير بعض الروايات ، ان رأس النفس الزكية ، حين وصل الى خراسان ارتاب اهلها ، وقالوا : اليس قد قتل مرة واتينا برأسه ! يقصدون واقعة قتل الخليفة لمحمد العثماني وارساله اليهم على انه رأس النفس الزكية ، فلما « تكشف لهم الخبر علموا حقيقته ، فكانوا يقولون : لم يطلع من ابي جعفر على كذبة غيرها »[١٧٦] .

اما عيسى بن موسى ، فانه بعد قتل النفس الزكية ، قام بمصادرة اموال بني حسن عقابا لهم ، ثم امر فنصب الوية على باب ، اسماء بنت حسن بن عبد الله ، والعباس بن عبد الله بن الحارث ، ومحمد بن عبد العزيز الزهيري ، وعبيد الله بن محمد بن صفوان ، وابي عمرو الغفاري ، وصاح مناديه : من دخل تحت لواء منها ، او دخل دارا من هذه الدور فهو آمن[١٧٧] .

---

(١٧٣) انظر : الطبري ٥٩٥/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧١ ، ابن الاثير : الكامل « الطبعة الازهرية » ٢٦٠/٥ .

(١٧٤) ابن حبيب : المحبرص ٣٥ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٥/١ ، الطبري ٥٩٧/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ٢٣٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .

(١٧٥) الطبري ٥٩٩/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٢٦٠/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨١/٧ .

(١٧٦) الطبري ٥٤٨/٧ .

(١٧٧) المصدر السابق ٦٠٣/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٢٦١/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ .

ولما أطمأن عيسى على هدوء الحالة واستتباب الأمن في المدينة، ارتحل الى مكة لغرض اداء العمرة ، يوم ١٩ رمضان سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م[١٧٨] ، وعين على المدينة كثير بن الحصين[١٧٩] ، وبينما هو في طريقه اليها اتاه امر عاجل من الخليفة يطلب منه القدوم عليه بقواته ، لان ابراهيم بن عبد الله اعلن الثورة بالبصرة ، فغير سيره واتجه الى الكوفة .

وبذلك انتهت ثورة محمد النفس الزكية بالمدينة المنورة ، تلتها ثورة ابراهيم بالبصرة ، والتي تعتبر امتداداً لثورة اخيه الفاشلة .

اسباب فشل ثورة محمد النفس الزكية :

ان اهم الاسباب التي ادت الى فشل الثورة كما أراها ، هي :

١ ـ نجاح خطة المنصور في دفع محمد النفس الزكية لاعلان ثورته قبل اوانها ، وتصديق محمد ببساطة وسذاجة كتب التأييد التي وردت عليه من كبار قواد الخليفة يعلموه فيها بتأييدهم له ، ولم يدر بخلده ان المنصور كان وراء هذه الكتب ، وانه زور بعضها عن لسانهم .

٢ ـ عدم توفيقه في اختيار المكان المناسب للمعركة . فلم تكن ارض المدينة ارضا صالحة للعمليات العسكرية « ... بلد ليس فيه زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة[١٨٠] » ، « وأقل بلاد الله فرسا وسلاحا واضعفهارجالا[١٨١] » ، وكانت مصر في ذلك الوقت انسب مكان لاعلان الثورة على ارضها ، خاصة بعد ان

---

(١٧٨) الطبري ٧/ ٦٠٠ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٥/ ٢٦٣ ، ابن الوردي : تاريخ ١/ ٢٦٤ .
(١٧٩) الطبري : ٧/ ٦٠٩ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/ ١٤٥ هـ .
(١٨٠) المسعودي : مروج الذهب ٣/ ٣٠٦ .
(١٨١) الطبري ٧/ ٥٨١ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

ظهرت الدعوة العلوية فيها[١٨٢] من جهة ، ولبعدها عن مركز الخلافة من جهة ثانية ، فالرأي الصواب كان كما اخبره عبد الحميد بن جعفر « ان تسير بمن معك حتى تأتي مصر ، فوالله لا يردك راد ، وتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله[١٨٣] » .

٣ ـ اخطأ بحفره الخندق ، لانه احكم به الحصار العسكري على قواته ، « انما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردني عنه احد فلست بتاركه[١٨٤] » ، ناسيا ان المقارنة بين وقته ووقت الرسول (ص) كان قياسا مع الفارق ، لاختلاف الزمان والحال .

٤ ـ عدم استقرار الحالة النفسية بين اتباعه ، لاختلاف وجهات النظر بين بني سليم وبني شجاع من جهة[١٨٥] ، وظهور الصراع القبلي بين قبائل جهينة وقيس من جهة ثانية . وهذه بطبيعة الحال ادت الى حدوث تصدع وانشقاق ، او على اقل تقدير تنافر وتناحر بين صفوف جيشه ، المقبل على معركة مصيرية ، كان المفروض فيه ان يكون على درجة عالية من الثقة بالنفس وبالقائد ، فضلا عن ان تأييد غالبية اهل المدينة له ، كان تأييدا عاطفيا ومؤقتا ، لانهم في الحقيقة لم يكونوا مستعدين للتضحية بانفسهم من اجله ، فانفضوا عنه في احلك ظروفه .

٥ ـ توفر القيادة الجيدة للجيش العباسي المتمثلة بشخص عيسى بن موسى ـ فحل بني العباس ـ[١٨٦] يعضده قواد مخلصون ، وجند يتمتع بروح قتالية عالية ، يدعمها امكانات الخلافة الواسعة .

---

(١٨٢) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١١١ .

(١٨٣) الطبري ٥٨١/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

(١٨٤) الطبري ٥٨١/٧ .

(١٨٥) المصدر السابق .

(١٨٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٩٧/٣ .

نتائج الثورة :

من اهم النتائج التي اسفرت عنها ثورة محمد النفس الزكية ، ما يلي :

١ ـ مصادرة اموال بني حسن ، من قبل عيسى بن موسى ، وايده الخليفة في تصرفه هذا ، واقره عليه ، كما صودرت قطيعة جعفر الصادق رغم عدم اشتراكه في الثورة ، ورفض المنصور ردها اليه طيلة مدة خلافته ، فلما كان المهدي امر بردها على ولده[١٨٧] . وقد يكون رفض الخليفة راجعا الى اشتراك بعض انصار الصادق بثورة محمد النفس الزكية .

٢ ـ ضرب الحصار الاقتصادي على المدينة ابتداء من بداية الثورة وحتى انتهاء خلافة المنصور ، فلما تولى المهدي الخلافة ، امر برفع الحصار عنها .

٣ ـ قضت الثورة على قمة الخلاف السياسي والعسكري المسلح بين الفرع الحسني من العلويين والعباسيين مدة خلافة المنصور على الاقل .

٤ ـ توقف العمل في بناء بغداد لمدة ستة اشهر تقريبا حتى فرغ المنصور من ثورة ابراهيم .

حالة المدينة بعد فشل الثورة :

لقد ساد المدينة في اعقاب فشل ثورة النفس الزكية ، جو من عدم الاستقرار نظرا للاجراءات التعسفية التي قامت بها السلطات العباسية ، من ضربها الحصار الاقتصادي عليها ، ومصادرة اموال واملاك من اشترك بالثورة من اهلها ، فأدى استمرار هذه الاجراءات ، الى غليان الموقف ، وساعد على انفجاره السياسة التي اتبعها الوالي الجديد عبد الله بن الربيع الحارثي ، الذي عينه الخليفة واليا عليها في شوال سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م[١٨٨] ، فبدلا من ان يعمل هذا على تهدئة الحالة

(١٨٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب ، الطبري ٦٠٣/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٩٣/٢ .

(١٨٨) ابن خياط : تاريخ ٤٤٩/٢ ، الطبري ٦٠٩/٣ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

ومعالجة الموقف المتدهور ، انحاز الى صف جنده ، الذي اساءوا التصرف ضد اهل المدينة ، فكانوا يشترون البضائع ولا يدفعون ثمنها ، فقام وفد من اهلها بعرض الامر عليه ، وطلبوا منه العمل على شجب هذه التصرفات ومحاسبة مرتكبيها فلم يلتفت الى طلبهم ، واعتبره تدخلا في شؤونه ، فزجرهم وشتمهم ، فطمع فيهم الجند « فتزايدوا في سوء الراي » وتمادوا في غيهم ، وقاموا بعمليات سلب جريئة ، وهددوا الاهالي بقتل كل من يتقدم بالشكوى منهم . فزادت الحالة حرجا ، وبات الموقف يهدد بالانفجار بين لحظة واخرى ، ولم تستمر حالة التوتر هذه طويلا ، فانبعثت الشرارة الاولى من سوق القصابين بعد قتلهم لاحد الجند العباس ، وبذلك بدأت اعمال العنف تجتاح المدينة ، وزاد الحالة سوءاً انضمام العبيد الى صفوف المتمردين وقتلوا عددا من الجند ، وتمكنوا من اجبار الوالي على الفرار من المدينة واستولوا على مخازن الطعام الخاصة بالسلطة ، وخاف اعيان البلد من سوء العاقبة ، فقام الاصبغ بن سفيان بن عاصم ، وعبد الله بن ابي سبره ـ الذي اطلق سراحه المتمردون من السجن ، بعد ان سجنه رياح المري ـ باعادة الامن ، وارجاع الوالي ابن الربيع الى المدينة ، الذي قام بقطع ايادي زعماء المتمردين من العبيد ، وسيطر على الوضع .(١٨٩) .

بعدها عين المنصور جعفر بن سليمان واليا جديدا على المدينة خلفا لابن الربيع ، وطلب منه تنفيذ سياسة الشدة والحزم تجاه اهلها ، فقال له : « انظر من خرج مع محمد بن عبد الله من قريش فأسجنه ، ومن خرج من العرب فاجلده ومن خرج من الموالي فاقطع يده(١٩٠)» ، فسار اليها وتسلمها من ابن الربيع في ربيع الاول سنة ١٤٦هـ /٧٦٣ م ، فضبطها(١٩١) .

---

(١٨٩) انظر الطبري ٧/ ٦١٠ وما بعدها ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٢٦٣/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩١/١٠ .

(١٩٠) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٨٦ .

(١٩١) الطبري : ٦٥٦/٧ .

٤ ـ ثورة ابراهيم اخي النفس الزكية :

تعتبر ثورة ابراهيم بن عبد الله بالبصرة ، امتداداً لثورة اخيه محمد النفس الزكية ، وبمعنى ادق ان الثورتين بالاصل واحدة ، لاشتراكهما في الغاية والهدف ، فقد كان ابراهيم ولي عهد اخيه وداعية له[١٩٢] ، وكان على هذا الاساس ان تفجر الثورتان في وقت واحد في كل من المدينة والبصرة ، الا انه لظروف اختلفت ساعة الصفر بينهما .

فذكرت بعض الروايات ، ان محمدا خرج قبل وقته الذي فارق عليه اخاه[١٩٣] ، وقد يكون سبب ذلك ، سياسة الشدة التي أتبعها المنصور ضده ، فدفعه لاعلان الثورة قبل وقتها المتفق عليه مع اخيه ابراهيم .

وذهبت روايات اخرى الى ان ابراهيم هو الذي تأخر عن الموعد المحدد للثورة بسبب الجدري الذي اصابه[١٩٤] .

بينما نسبت روايات ثالثة ، سبب تأخره الى زواجه عند مقدمه البصرة بهنكة بنت عمر بن سلمة « فكانت تأتيه في مصبغاتها والوان ثيابها ، فألهته عما حاوله[١٩٥] » .

ويبدو لي من مناقشة الروايات ، ان الروايتين الثانية والثالثة أولى بالقبول ، لان محمدا وان كان تقدم الموعد المتفق عليه مع اخيه ، بنحو شهرين ، لكنه يستبعد جدا ان لا يقوم باخبار اخيه بالتعديل الجديد الذي طرأ على الموعد خاصة وان الامر على درجة كبيرة من الاهمية والخطورة ، بل أكدت بعض الروايات ان محمدا أخبر

---

(١٩٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/٣ .

(١٩٣) الطبري ٥٥٢/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٨٣/١٠ .

(١٩٤) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، انظر ابن عنبة ، عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ص ١٠٤ ، الدروبي : مخطوط انساب الطالبيين المتحف العراقي رقم ١٥٧٥ ، ص ٧٦ .

(١٩٥) الطبري ٦٤١/٧ .

اخاه بالموعد الجديد وطلب منه اَن يعلن الثورة[١٩٦] ، وعلى الارجح ان هذا الامر وصل لابراهيم بعد اسبوعين من اعلان اخيه ثورته بالمدينة على أكثر احتمال ، لان البريد بين المدينة والبصرة لا يأخذ أكثر من هذه المدة ، بدليل ان خبر مقتل النفس الزكية وصل الى أخيه بمدة لا تتجاوز الاسبوعين[١٩٧] ، ومن هذا يتضح لنا ان سبب تأخر ابراهيم لم يكن بسبب تقدم اخيه باعلان الثورة ، وانما كان بسبب مرضه ، مضافا اليه زواجه ، فتظافر السببان في تأخره عن اعلان ثورته .

أما ما ذكره بعض المؤرخين المحدثين ، بان ابراهيم كان لقربه من المنصور ففي ذلك ما يرهبه ، أضافة الى صغر سنه عن اخيه وهو الامام المبايع له فاذا انتصر محمد فان النصرسيسهل امره الى ابراهيم[١٩٨] ، » فاني ارى ان هذا التعليل غير قوي لأن الذي يقدم على الثورة، لا يهمه ان كان عدوه قريباً منه أم بعيداً عنه، ثم ان البصرة لم تكن قريبة من الكوفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان ارض الجزيرة مثلا والتي هي اقرب الى الكوفة منها الى البصرة ، كانت مركزا لثورات الخوارج لفترة من الزمن ، ولم يقف قربهم من مقر الخلافة حائلا دون اعلانهم لهذه الثورات ، اما ان ابراهيم اصغر من اخيه سنا وهو الامام المبايع له . . فاذا انتصر محمد فان النصر سيسهل امره الى ابراهيم . صحيح ان ابراهيم لم يكن بامكانه اعلان الثورة قبل اخيه لان الدعوة كانت باسم النفس الزكية ، لكن هذا لا يمنعه من مساندة اخيه في الوقت ذاته ، فضلا عن ان هناك روايات تشير الى ان ابراهيم كان أكبر سنا من اخيه[١٩٩] .

---

(١٩٦) الطبري ٦٢٨/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٢٦٧/٥ ، الذهبي العبر ١٩٩/١ ومخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ .

(١٩٧) انظر المصادر السابقة .

(١٩٨) كمال شلال : مخطوط « ابو جعفر المنصور وقيام الدولة العباسية » .

(١٩٩) كان عمر أبراهيم يوم مقتله ٤٨ سنة ، انظر الطبري ٦٤٧/٧ ، ابن الاثير الكامل (ط الازهرية) =

كيف واجه المنصور الثورة :

ان الظروف التي اعلن فيها ابراهيم ثورته بالبصرة ، تكاد تشبه ظروف ثورة أخيه بالمدينة من حيث التخطيط والاعداد والنهاية التي الت اليها ، فعند قدومه البصرة ، اتخذ من دار ابي فروة مركزا لنشر دعوته السرية ، والترويج للثورة ، وكانت دعوته اول الامر ، باسم اخيه النفس الزكية ، فلما قتل اخذ يدعو الناس لنفسه(٢٠٠) ، فاستجاب له قوم منهم نميلة بن مرة ، وعفو الله بن سفيان ، وعبيد الله ابن يحيى بن حصين الرقاشي وغيرهم(٢٠١)، فبلغ عدد من بايعه بالخلافة أربعة آلاف(٢٠٢) فيهم كثير من المعتزلة والزيدية(٢٠٣) ، وايده كثير من الفقهاء والعلماء ، كبشير الرحال ، والامام ابي حنيفة(٢٠٤) ، وعباد بن العوام ، وهشيم بن بشير ،

= ٢٧٠/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، ابن عماد : شذرات الذهب ٢١٤/١ ، بينما ذكرت روايات اخرى ان عمر النفس الزكية يوم مقتله كان ٤٥ سنة . انظر : المسعودي : مروج الذهب ٣٠٧/٣ ، ابن عنبه : عمدة الطالب ص ١٠٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٥/١٠ .

(٢٠٠) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٤٢/٧ هـ .

(٢٠١) الطبري ٦٢٨/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣١٨ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .

(٢٠٢) القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، تحقيق ابراهيم الابياري ، مطبعة السعادة ، مصر الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ ، ص ١٦٠ .

(٢٠٣) الطبري ٦٢٨/٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٠٨/٣ ، الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٣١٨ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الصنعاني : مخطوط نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ص ٢٣ ، ٢٦ .

(٢٠٤) يجدر بنا ان نوضح موقف المنصور من الامام ابي حنيفة بعد تأييده لثورة ابراهيم والذي اتخذ الرواة منه مادة لذكر رواياتهم المختلفة .

فتشير إحدى الروايات ، انا ابا حنيفة كتب لابراهيم ، اما بعد فاني قد جهزت اليك اربعة الاف درهم ولم يكن عندي غيرها ، ولولا امانات الناس عندي للحقت بك ، فاذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل ابوك في اهل صفين ، اقتل مدبرهم واجهز على جريحهم ، ولا تفعل كما فعل ابوك في اهل الجمل فان القوم لهم فئة : « ويقال ان هذا الكتاب وقع الى الدوانيقي وكان سبب تغيره عليه »(١) .

وتشير رواية ثانية الى ان المنصور سقاه شربة سم فمات منها سنة ١٥٠ هـ(٢) .

وتذهب رواية ثالثة الى انه حمل من البصرة فسمه المنصور سنة ١٥٠ هـ(٣) .

وتذكر رواية رابعة ان المنصور حبسه لانه لم يقبل العهد بالقضاء فمات في السجن(٤) .

والذي اميل اليه من هذه الروايات ان المنصور اراده على القضاء فأبى ـ وهو امتداد لموقفه السابق حيث اراده =

ومسلم بن سعيد ، وعبد الله بن جعفر المدائني والد المدائني[٢٠٥] ، فكان بشير الرحال « يقص بالبصرة على الناس ويعرض بأبي جعفر ويقول : ايها الناس : قابلوا من اماتوا الكتاب والسنة وعطلوا حدود الله ودعوا الى طاعتهم دون طاعة الله . . ايها الناس : كنتم تلتمسون رجلا يقوم بالعدل فقد اتاكم الله به فانصروه ترشدوا ، وقوموا معه تفلحوا ، فمن قدر على الخروج معه فليخرج ، ومن لم يقدر فليعنه بالمال والسلاح[٢٠٦] » « وكان صالح المري يخطب بالبصرة ، ويقول : قاتلوا المارق ـ يعني المنصور ـ مع ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي رضي الله عنه[٢٠٧] » وكان ابو حنيفة يفتي بالخروج مع ابراهيم[٢٠٨] ، وقال الاعمش لجماعة من اعيان الكوفة : ما يقعدكم عنه والله لو كنت مبصرا ما سبقني اليه احد[٢٠٩] .

=[مروان بن محمد على القضاء فأبى فضربه على راسه ـ فحلف الخليفة ان يتولى له ، وحلف ابو حنيفة ان لا يتولى له . فولاه القيام بامر مدينة بغداد وضرب اللبن لها ، ففعل . وللمنصور مواقف حسنة مع الفقهاء لتقديره واحترامه الشديد لهم . فكان يستشيرهم ويسمع فتواهم ونصحهم في مواقف كثيرة . وقد سبق موقفه الودي من الامام مالك رغم فتواه بنقض بيعته . فتجاوز عنه . كما تجاوز عن ابي حنيفة ، الذي مات في رجب سنة ١٥٠ هـ[٥] .

١ ـ البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٣/١ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١٠٩ ، العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٨/٥ .

٢ ـ العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٨/٥ .

٣ ـ الصنعاني : مخطوط نسمة السحر ص ٢٦ .

٤ ـ الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٩٧/٥ ، نظمي زادة : مخطوط جامع الانوار في مناقب الابرار ، المتحف العراقي رقم ٢٥٦ و ١٣١٩ ورقة ١٣٢ .

٥ ـ ابن خياط : تاريخ ٤٥٣/٢ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢١٣/٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٣١٥/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٧/١٠ ، ابن قنفذ : كتاب الوفيات ، طبعة بيروت طبعة اولى سنة ١٩٧١ م ص ١٢٩ ، نظمي زادة : مخطوط جامع الانوار ورقة ١٣١ .

(٢٠٥) الطبري ٦٢٨/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٨٦/٣ ١٨٨ ، الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٤/١ و ٦٧٤ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١٠٩ .

(٢٠٦) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٥/٧ .

(٢٠٧) المصدر السابق .

(٢٠٨) الازدي : تاريخ الموصل ١٨٨/٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٦١ ، الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، طبعة مصر سنة ١٣٦٧ هـ ، ٢٣٧/١ ، العاملي اعيان الشيعة ٢٦٨/٥ .

(٢٠٩) الازدي : تاريخ الموصل ١٨٨/٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٥/٧

وبعد هذا التأييد الذي حصل عليه ابراهيم ، اشار عليه اتباعه ، بالتحول الى وسط البصرة ، ليكون قريبا من العناصر التي ترغب بنصرته ومبايعته فانتقل الى دار ابي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر ، واتخذها مقرا جديدا له ومنها اعلن الثورة ليلة الاثنين اول رمضان سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م(٢١٠) ، في عدد قليل من اتباعه لا يتجاوزون العشرين(٢١١) ، وقد يكون اعلان الثورة بهذا الشكل ، مرده الى امرين :

اولهما : توجيه المنصور لمجالد ومحمد ويزيد ابناء يزيد بن عمران ، الى البصرة ، قبل ظهور ابراهيم ، فقدموا جندهم ، فجعلوا يدخلونها بعضهم على اثر بعض ، فخشي ابراهيم ان يكثر فيها الجند ، وعندها يصعب اعلان الثورة ، فخرج(٢١٢) .

ثانيهما : تحذير بعض اتباعه له ، بعد اشتهار امره ، حين قالوا له : اخرج ، والا بعث اليك فأخذت ، فخرج(٢١٣) .

ويبدو ان والي البصرة سفيان بن معاوية ، قد مال الى جانب ابراهيم ، فلم يتخذ الاجراءات اللازمة للتصدي له ، رغم ان رئيس شرطته جابر بن حماد قد اخبره ببوادر الثورة في ليلتها ، كما وصل في نفس الليلة ابو حماد الابرص في الفي راجل ، كان المنصور قد وجهه مددا لسفيان ، الذي انزله مع بقية القواد في قصره ، فسهل بذلك لابراهيم من الاستيلاء على سلاح هؤلاء الجند ودوابهم(٢١٤) .

وما ان حل صباح يوم ١٥ رمضان ، حتى كانت اخبار الثورة قد عمت ارجاء

---

(٢١٠) ابن خياط : تاريخ ٤٤٩/٢ ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٨ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٦/١ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٢/٧ .

(٢١١) الطبري : ٦٣٥/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢١ .

(٢١٢) الطبري ٦٣٤/٧ .

(٢١٣) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٠/٣ ، انظر : العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٥/٥ .

(٢١٤) الطبري ٦٣٠/٧ وما بعدها. ابن الاثير (ط ازهرية) ٢٩٧/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩١/١٠ ، العاملي : اعيان الشيعة ، ٢٦٥/٥ .

البصرة ، فتوافد الناس على ابراهيم في المسجد الجامع ، بين ناظر وناصر[٢١٥] ، فبلغ ديوانه ١٠٠ الف على حد قول بعض الروايات[٢١٦] ، فتوجه الى دار الامارة وكان سفيان بن معاوية فيها مع بعض أتباعه ، فحاصرهم « ابراهيم » ، فطلب سفيان الامان منه ، فأجابه لما اراد ، وارسل مطهر بن جويرية السدوسي لاخذ الامان له[٢١٧] . ثم فتح لهم الابواب ، فدخلها ابراهيم ، والقى القبض على سفيان وقيده ، بقيد خفيف ليبعد شبهة تواطئه معه[٢١٨] ، وقام بعدها بالاستيلاء على بيت المال فوجد فيه الفي الف درهم فتقوى بها ، وفرق على اصحابه قسما منها[٢١٩] ، وأمر المغيرة بن الفزع ، ان يأتي السجن فيطلق من فيه ، ففعل[٢٢٠] ، وبذلك تمت له السيطرة على مدينة البصرة ، وتذكر بعض الروايات ، ان المعتزلة والزيدية اختصوا به ، ولازموا مجلسه وتولوا اعماله[٢٢١] .

واول الاعمال الحربية التي واجهها ابراهيم ، كانت مع جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي ، وكانا بالبصرة وقت اعلان الثورة ، فما ان سمعا بها حتى جمعا انصارهما فبلغوا ٦٠٠ مقاتل ، فاتجهوا الى دار الامارة ، فأرسل ابراهيم اليهم المضاء ابن قاسم الجزري في ١٨ فارسا و ٣٠ راجلا ، فتمكن من الحاق الهزيمة بهما وبقواتهما في المعركة التي جرت بينهما والتي جرح فيها محمد بن سليمان ، فخرجا الى ميسان[٢٢٢] واقاما فيها متحصنين في خندق[٢٢٣] .

---

(٢١٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٢/١٠ . (٢١٦) الذهبي : العبر ٢٠١/١ .

(٢١٧) الطبري ٦٣٥/٧ وانظر : ابن خياط تاريخ ٤٤٩/٢ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٦/٣ الازدي : تاريخ الموصل ١٨٧/٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢١ .

(٢١٨) انظر الطبري ٦٣٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٧/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٢/١٠ .

(٢١٩) الازدي : تاريخ الموصل : ١٨٨/٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٤ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٧/٥ .

(٢٢٠) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥١/٣ . (٢٢١) البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٣/١ .

(٢٢٢) ميسان : هي الان احدى المحافظات الجنوبية في العراق ، مركزها مدينة العمارة وتقع على دجلة في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة .

(٢٢٣) اليعقوبي : تاريخ ١١٦/٣ ـ ١١٧ ، الطبري ٦٣٥/٧ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

وبعد هذا النصر المبكر لابراهيم ، ارسل الحسين بن ثولاء الى الاهواز يدعوهم الى البيعة ، فاستجابوا له ، فأخذ بيعتهم ، ورجع فأخبر ابراهيم بذلك(٢٢٤) . وهذا مما شجعه لان يرسل بعض قواده الى المناطق المجاورة لاحتلالها . فوجه المغيرة بن الفزع الى الاهواز في خمسين مقاتلا ، وانضم اليه هناك بعض المؤيدين ، فخرج اليه عامل الاهواز محمد بن الحصين في اربعة الاف مقاتل ، فالتقوا على ميل من قصبة الاهواز ، ودارت بين الفريقين معركة ، كان النصر فيها للمغيرة ، الذي دخل الاهواز فأحتلها(٢٢٥) ، كما استولى محرز الحنفي على كرمان(٢٢٦) ، وقام ابراهيم بارسال يعقوب بن الفضل الهاشمي الى فارس ، وكان عليها اسماعيل بن علي ومعه اخوه عبد الصمد ، فتحصن منه في مدينة دارا بجرد(٢٢٧) ، فتمكن يعقوب من الاستيلاء على البلد ، واخرج اسماعيل بن علي عنه(٢٢٨) . كما ارسل برد بن لبيد اليشكري الى كسكر(٢٢٩) فغلب عليها(٢٣٠) ووجه هارون بن سعد العجلي الى واسط في ١٧ الف مقاتل ، وكان الوالي عليها يومئذ هارون بن حميد الايادي ، فتمكن ابن سعد العجلي من السيطرة عليها(٢٣١) .

واستمر ابراهيم طيلة شهر رمضان ، يفرق العمال ويوجه القواد ، الى المناطق المجاورة لاخضاعها لنفوذه ، فأصبحت الاهواز وكرمان وفارس وكسكر وواسط تحت سيطرته « واتته كتب اهل الشام والجزيرة يلتمسون رسوله ليبايعوا

---

(٢٢٤) الطبري ٦٣٥/٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٢٥) ابن خياط : تاريخ ٤٥٠/٢ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، الطبري : ٦٣٥/٧ - ٦٣٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٤ ، العاملي اعيان الشيعة ٥ / ٢٦٥ .

(٢٢٦) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٢/٣ .

(٢٢٧) دارا بجرد : هي قصبة الكورة الشرقية من الكور الخمس التي تكون اقليم فارس جنوب بلاد ايران . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٣٥ .

(٢٢٨) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٦/١ ، اليعقوبي ١١٧/٣ .

(٢٢٩) كسكر : كورة واسط . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٩٣ .

(٢٣٠) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٦/١ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥١/٣ .

(٢٣١) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، الطبري ٦٣٧/٧ ، البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٥/١ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ .

له[٢٣٢] » ، وفي الكوفة ذات الميول العلوية ، كان ابن ماعز الاسدي يبايع له فيها سراً[٢٣٣] ، وهذا مما زاد في خطورة الثورة وقوتها .

واستطيع القول ، بان نجاح الثورة المبكر في فرض سيطرتها على البصرة والمناطق المجاورة . بالاضافة الى تأييد أهالي المناطق الاخرى لها ، اصبحت اشد خطرا على الحكم العباسي من ثورة النفس الزكية .

أما الخليفة المنصور ، فأنه لما علم باخبار الثورة عن طريق الرسول الذي ارسله جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بعد مغادرتهم البصرة مهزومين « تحير في امره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك[٢٣٤] » فقال : « والله ما ادري كيف اصنع : والله ما في عسكري الا الفا رجل ، فرقت جندي ، فمع المهدي بالري ثلاثون الفا ، ومع محمد بن الاشعث بافريقية اربعون الفا ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون الفا[٢٣٥] » وكلام المنصور هذا ، يكشف لنا بوضوح مقدار حرج موقفه العسكري ، والحالة التي هو فيها ، حتى انه « لم يستطع ان يتابع الكلام من كثرة همه ، وما تفتق عليه من الفتوق والخروق . . . وقد خرجت عن يده البصرة والاهواز وارض فارس والمدائن وارض السواد ، وفي الكوفة عنده مائة الف مغمدة سيوفها تنتظر به صيحة واحدة ، فيثبون مع ابراهيم ، وهو مع ذلك يعرك النوائب ويمرسها ولم تقعد به نفسه »[٢٣٦] .

فبادر بدراسة الموقف العسكري والسياسي دراسة عميقة ومستفيضة من غير اضاعة للوقت ، الذي يعتبر من العوامل المهمة في كسب الحرب ، ويمكن ان نلمس

---

(٢٣٢) الصنعاني : مخطوط نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ص ٢٦ .

(٢٣٣) الطبري ٦٣٢/٧ .

(٢٣٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٢/١٠ - ٩٣ .

(٢٣٥) الطبري ٦٣٨/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الذهبي مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ ، الصنعاني : مخطوط نسمة السحر ص ٢٦ .

(٢٣٦) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ وانظر : الطبري ٦٤١/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٨/٥ .

مقدار حرصه في ذلك من قوله « لا انام ولا اغير لباسي حتى أرى رأس ابراهيم عندي أو يرى رأسي عنده »[٢٣٧] ، فأرسل الى بديل بن يحيى ، واستشاره في الامر ، فأشار عليه بأن « يعالجه بالجند ويشغل الاهواز عنه »[٢٣٨] ، وأشار عليه جعفر بن حنظلة : ان يكتب الى عامله بالشام ان يمده بما يستطيع من الجند ، فكتب اليه بذلك[٢٣٩] .

وقام المنصور باستدعاء ولد ابيه ، للتشاور معهم في الامر ، فلما ضمهم مجلسه ، قال لهم : « ما تقولون وما ترون . فقالوا : توجه اليه موسى بن عيسى . فقال : والله يا ولد علي ما انصفتم ، وجهت اباه ، واوجهه فاكون قد وجهت من ولد محمد بن علي رجلين . فقالوا توجه عبد الله بن علي وتصطنعه . فقال : أبعث علي حربا اخرى ، ان خانني مالأ عدوي علي ، وان ظفر عاد الحرب بيني وبينه جذعة ، وقد سمعتكم تذكرون ان له اربعة الاف مولى يموتون تحت ركابه فأي رأي هذا ، والله لو دخل علي ابراهيم بسيف مسلول كان آمن عندي من عبد الله بن علي »[٢٤٠] ، وقد كشفت لنا هذه المناقشة ، عن وجود خلافات ومنافسات خفية بين أفراد البيت العباسي ، حسم موضوعها المنصور ، كما أبرزت لنا مدى تخوف المنصور من عمه عبد الله ، فرفض بشدة توجيهه لحرب ابراهيم للاسباب التي ذكرها .

وعلى كل حال ، فان الخليفة شرع باتخاذ اجراءات وتدابير سريعة وشديدة ، لمواجهة الموقف المتفجر ، قبل ان تفلت من يده زمام الامور ، فاصدر أمره بمنع التجول في مدينة الكوفة ليلا ، ليأمن غدر أهلها ، وكلف المسيب بن زهير الضبي رئيس شرطته بتنفيذ الامر بدقة ، فقام هذا بتقسيم جنده على شكل دوريات

---

(٢٣٧) الصنعاني : مخطوط نسمة السحر ص ٢٦ ، وانظر : ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٨/٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ .

(٢٣٨) الطبري ٦٣٠/٧ .

(٢٣٩) المصدر السابق .

(٢٤٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب .

ثلاث ، كل دورية مؤلفة من ٥٠٠ جنديا ، مهمتها القيام باعمال الدورية في المدينة ليلا ، والقاء القبض على كل من يخالف الأمر(٢٤١) ، وكان المنصور اذا اتهم احدا من اهلها بالميل الى ابراهيم ، ارسل اليه مسلم مولى قحطبة ليلا فيغتاله ويأخذ خاتمه(٢٤٢) .

وقد لجأ أبو جعفر الى خدع حربية مبتكرة وناجحة ، ليدعم موقفه العسكري المهزوز « فكان يأمر بالنيران الكثيرة فتوقد ليلا ، فيحسب الناظر اليها ان ثم جندا كثيراً »(٢٤٣) ، أما جند أهل الشام ، فانهم لما بدأوا يصلون اليه على دفعات متعاقبة » فكان اذا جنهم الليل في عسكره امرهم ، فرجعوا منكبين عن الطريق ، فاذا اصبحوا دخلوا ، فلا يشك اهل الكوفة انهم جند آخرون سوى الأولين »(٢٤٤) ، فاعطى ذلك انطباعا لديهم ، ان وضع الخليفة العسكري لا يستهان به ، فدانوا ، ولم يحركوا ساكنا خوفا من العواقب . وزيادة في الحيطة ، وضع قوة عسكرية في القادسية بقيادة أبي الفضل بن معقل الخراساني ، «وأمره بالقاء القبض على كل من يحاول الالتحاق بصفوف ابراهيم من اهل الكوفة ، فوصلت لأبي الفضل معلومات تفيد بان بعض اهالي الكوفة في طريقهم الى البصرة للالتحاق بالثورة ، فتتبعهم وقتلهم أجمعين وكان عددهم ١٢ رجلا »(٢٤٥) .

وبعد هذه الاجراءات ، اطمأن المنصور على موقفه ، بدأ بعدها باتخاذ التدابير الفعلية لمواجهة الثورة ، فكتب الى عيسى بن موسى كتابا ،« يأمره ، بسرعة القدوم »(٢٤٦) ، فأتاه الكتاب ، وقد أحرم بعمرة فتركها وعاد بقواته(٢٤٧) ، وأرسل الى حرب الراوندي ، وكان مقيما في الفي جندي بالموصل . لمكان الخوارج

(٢٤١) الطبري ٦٣١/٧ .
(٢٤٢) المصدر السابق .
(٢٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ .
(٢٤٤) الطبري ٦٣٠/٧ .
(٢٤٥) الطبري ٦٣١/٧ - ٦٣٢ .
(٢٤٦) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، وانظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ .
(٢٤٧) ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٨/٥ وانظر الطبري ٦٤٤/٧ .

بالجزيرة ، يأمره بالشخوص اليه بقواته ، فسار متوجها بهم الى الكوفة ، فلما كان بباحمشا(٢٤٨) ، اعترضه اهلها ، وقالوا له : لا ندعك تجوزنا لتنصر ابا جعفر على ابراهيم ، ورفضوا السماح له بمواصلة سيره ، فاضطر لقتالهم ، فقتلهم جميعا ، وحمل رؤوسهم الى المنصور ، فلما قدم عليه ، اخبره خبرهم ، فقال : هذا اول الفتح(٢٤٩) .

وكتب الى مسلم بن قتيبة الباهلي وهو يومئذ بالري ، يأمره بسرعة القدوم عليه بقواته المرابطة معه ، فضمه الى جعفر بن سليمان بن علي . وكاتب ابن قتيبة اهل البصرة ، فلحقت به قبيلة باهلة(٢٥٠) .

وأرسل الى ابنه المهدي المعسكر بقواته بالري ، يطلب منه توجيه القائد القدير خازم بن خزيمة الى الاهواز ، فوجهه المهدي اليها وضم اليه أربعة الاف مقاتل ، فسار خازم بقواته حتى اتى الاهواز ، فتصدى له المغيرة بن الفزع عامل ابراهيم عليها ، ودارت بين الطرفين معركة حامية ، انتهت بهزيمة الفزع الى البصرة ، ودخول خازم الاهواز بقواته ، فأباحها ثلاثة أيام(٢٥١) ، وسيطر على المنطقة .

ووجه المنصور عامر بن اسماعيل في خمسة الاف مقاتل الى واسط ، لاحتلالها ، بعد ان استولى عليها هارون بن سعد ، فزحف بجيشه إليها ، فخرج إليه هارون بقواته ، فدارت بين الفريقين عدة معارك ، راح ضحيتها الكثير من القتلى ، دون الوصول الى نتيجة حاسمة تحدد مصير احدهما ، فلما شخص ابراهيم من البصرة بقواته متجها الى الكوفة ، أتفق الطرفان على عقد هدنة مؤقتة ، لحين ظهور نتيجة الحرب ، وعندها يكونان تبعا للغالب . فلما قتل ابراهيم هرب

---

(٢٤٨) باحمشا (بفتح الحاء وسكون الميم) قرية قريبة من بغداد من جهة تكريت . ياقوت : معجم البلدان ٢٧/٢ .

(٢٤٩) الطبري ٦٣٢/٧ الأزدي : تاريخ الموصل ١٩٥/٢ .

(٢٥٠) الطبري ٦٣٩/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ .

(٢٥١) المصادر السابقة الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٩ .

هارون ، ودخل عامر بقواته واسط فضبطها[٢٥٢] .

وبهذا يمكن القول ، ان المنصور تمكن بخططه العسكرية الناجحة ، وسرعة تنفيذه لها ، من معالجة الموقف بحكمة ودهاء بالغين ، فاستطاع بفترة قصيرة من قلب موازين القوى لصالحه ، بحد السيف ، منتزعا اهم المناطق الحصينة التي استحوذت عليها قوات ابراهيم .

* * *

المعركة الفاصلة :

لما وصلت جحافل القوات العباسية الى الكوفة ، عائدة من المدينة بقيادة عيسى بن موسى ، ومعه القائد الكبير حميد بن قحطبة ، استقبله الخليفة ، واخبره باعلان ابراهيم الثورة بالبصرة ، وقال له : يا أبا موسى انت اولى بالفتح من جعفر ومحمد ابني سليمان ، فأنفذ ليكمل الله الظفر على يديك[٢٥٣] ، فوافق عيسى وابدى استعداده التام بالتوجه لقمع الثورة ، فجهز له المنصور جيشا من ١٥ الف مقاتل ، وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة في ٣ آلاف مقاتل ، وكتب الى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بالالتحاق بقواتهما بصفوف جيش عيسى[٢٥٤] ألذي توجه بقواته يريد البصرة .

وقد وفق الخليفة باختياره لعيسى بن موسى كأحد افراد البيت العباسي لتولي قيادة الجيش اولا ، ولتأكده من اخلاصه ولسابقته في قضائه على ثورة النفس الزكية ثانيا . وبلغ من اعتماد المنصور عليه ان قال للحجاج بن قتيبة بن مسلم : يا حجاج ! ان ابراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي ، وخشونة قرني

---

(٢٥٢) الطبري ٦٣٧/٧ ـ ٦٣٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٧/٥ .

(٢٥٣) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ .

(٢٥٤) المصدر السابق . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ ، وانظر الطبري ٦٤٢/٧ ، العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٦/٥ .

وانما جرّأه على المسير الي من البصرة اجتماع هذه الكورة المطلة على عسكر امير المؤمنين واهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد رميت كل كورة بحجرها ، وكل ناحية بسهمها ، ووجهت اليهم الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعدة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته اياه ، فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به(٢٥٥) .

اما اسراهيم فانه استمر بجمع المؤيدين والانصار لثورته . فلما تم له ذلك اعطاهم ارزاقهم (٢٥٦) ، وبينما هو يستعد للمسير ، اذ وصله خبر مقتل اخيه النفس الزكية يوم الفطر(٢٥٧) ، فأثر في نفسيته تأثيرا سيئاً ، فصعد المنبر وخطب الناس واعلمهم الخبر(٢٥٨) فزاد هذا من غضب اتباعه على المنصور ، ودفع الاهالي للتعاطف معه ، وهذا مما دعاه الى اعادة النظر في اموره ، وترتيب قواته طول شهر شوال سنة ١٤٥ هـ ، ومن الطبيعي ان هذا التأخير لم يكن في صالحه ، وكان من آثاره ظهور خلافات في آراء اصحابه ، فكل جماعة أشارت عليه برأي(٢٥٩) وأخيرا استقر رأيه على المسير الى الكوفة ، فتحرك بقواته البالغة نحو

---

(٢٥٥) الطبري ٦٤١/٧ .

(٢٥٦) الازدي : تاريخ الموصل ١٨٨/٢ .

(٢٥٧) ابن خياط : تاريخ ٤٥٠/٢ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٨٨/٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٢ .

(٢٥٨) انظر : المبرد : الكامل ١٥١/١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٥٩) أشار عليه قواد اهل البصرة قائلين : « أقم بمكانك ، ووجه الاجناد ، فان هزم لك جند امددتهم بجند ، وان هزم لك قائد امددته بقائد ، فخيف مكانك ، واتقاك عدوك ، وجبيت الاموال وثبتت وطأتك » . فعارضهم الكوفيون ، وقالوا له : « أصلحك الله ! ان بالكوفة رجالا لو قد راؤك ماتوا دونك ، والا يروك تقعد بهم اسباب شتى فلا يأتوك » . واقترح عليه عبد الواحد بن زياد « ان يسلك به طريقا لا يعرفه احد ، الا وهو بالكوفة » فيفاجىء المنصور في مقر داره ، فأبى عليه ابراهيم ، فقال له عبد الواحد : فانا معشر ربيعة اصحاب بيات فدعني أبيت اصحاب عيسى بياتا ، فعارضت الزيدية هذا الرأي وقالت : انما البيات من فعال السراق ، فاستجاب لرأيهم . وقال له ابن هريم : انك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة ، فان صارت لك مع تحصنه - يقصد المنصور - بها لم تقم له بعدها قائمة . . فدعني اسير اليها مختفيا فادعو اليك في السر ثم اجهر . . فاذا سمع المنصور الهيعة بارجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان . فعارض بشير الرحال هذا ، وقال : انه غير مأمون العاقبة ، فاذا استجاب بعض اهل الكوفة دون البعض الاخر ، فحينئذ يستباح دم البريء والصغير والمراة ، وفي ذلك مأثم كبير ، فوافقه ابراهيم على رأيه ، وترك تنفيذ الفكرة ، انظر : الطبري ٦٤٢/٧ - ٦٤٣ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص =

١٠٠ الف مقاتل[٢٦٠] من البصرة في اول ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ[٢٦١] ، واستخلف عليها نميلة ابن مرة السعدي[٢٦٢] ، وجعل ابراهيم على ميمنة جيشه عبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي وعلى ميسرته برد بن لبيد اليشكري[٢٦٣] . فأخذ على كسكر يريد الكوفة فلما وصل بقواته الى باخمرى[٢٦٤] عسكر فيها ، مقابل قوات عيسى بن موسى[٢٦٥] .

وفي هذا الظرف الدقيق ، برزت خلافات جديدة بين اتباعه « فكان اصحابه مع قلة رأيه يختلفون عليه ، وكل يشير برأي[٢٦٦] حول الخطة الحربية التي سيسيرون عليها ، فأشار عليه عبد الواحد قائلاً : « ارجع الى البصرة ، ودعنا نقاتل عيسى فان هزمنا امددتنا بالامداد ، فقالت الزيدية : اترجع عن عدوك وقد رأيته[٢٦٧] . واشار عليه بعض قواده : ان يسير الى الكوفة بطائفة من الجند ، فان المنصور ليس عنده من الجيش ما يردون عنه ، فعارض آخرون هذا الرأي ، وقالوا ان الاولى ان نناجز هؤلاء الذين بازائنا . ثم هو في قبضتنا ، فثناهم ذلك عن الرأي الأول[٢٦٨] . واقترح عليه آخرون ان « خندق على نفسك حتى لا تؤتى الا

= ٣٤٤ ، ابن الاثير : الكامل (ط الازهرية) ٥ / ٢٦٩ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ ، العاملي اعيان الشيعة ٢٦٦/٥ .

(٢٦٠) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٦١) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ .

(٢٦٢) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٧/١ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، وانظر : الطبري ٦٣٦/٧ .

(٢٦٣) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٣/٣ ، وانظر : البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٦/١ .

(٢٦٤) باخمري : موضع بين الكوفة وواسط وهو الى الكوفة اقرب . ياقوت : معجم البلدان ٢٨/٢ وتبعد ١٦ فرسخا من الكوفة . انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٣ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٠٨/٣ والتنبيه والاشراف ص ٣٤١ .

(٢٦٥) الطبري ٦٤٤/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٩/٥ ، العاملي اعيان الشيعة ٢٦٦/٥ .

(٢٦٦) الذهبي : العبر ٢٠١/١ .

(٢٦٧) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٢٦٨) ابن كثير : البداية والنهاية ٩٣/١٠ وانظر : ابن خلدون : العبر ١٩٥/٣ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : نقله للعربية نبيه امين بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٤٩ ، ٧/٢ .

من مأتى واحد » . فقال اصحابه : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم : لا والله لا نفعل « ونحن في ١٠٠ الف » وأيدت الزيدية هذا الـرأي[٢٦٩] » .

وقال له بعض قواده : جرد لنا عسكرا لنبيت ابا جعفر ، فنقتله في خلف عسكره وننقض هذه الجموع . قال اكره البيـات[٢٧٠] . وهكذا يفسد التدبير بترك صواب الرأي .

واشار عليه جماعة : بان يتبع نظام الكراديس في القتال ، لان الصف اذا انهزم بعضه تداعى ، فلم يكن لهم نظام ، اما الكراديس، فان انهزم كردوس ثبت آخر . فقال الباقون : لا نصف الا صف الاسلام [٢٧١] . يقصدون قوله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مـرصوص »[٢٧٢] .

وقال له المضاء بن القاسم التغلبي : ان هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع ، وانما معك رجال عراة من اهل البصرة فدعني ابيته ، فوالله لاشتتن جموعه ، فقال : اني اكره القتل ، فقال له المضاء تريد الملك وتكره القتل[٢٧٣] .

ان الخلافات الكثيرة في اراء اتباع وانصار ابراهيم ، لم تؤد الى نتيجة ، سوى انها كشفت لنا التناقضات الخطيرة التي كانت سائدة في صفوف جيشه من البصريين والكوفيين ، فأدت هذه بالتالي الى خلق جو من البلبلة وعدم الثقة بينهم ، كانت لها مخاطرها على مستقبل الحرب .

ومهما يكن من أمر، فقد عبأ كل فريق منهما قواته تعبئة تامة ، واستعد

---

(٢٦٩) الطبري ٦٤٤/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٦ ، ابن الاثير الكامل (ط ازهرية) ٢٦٩/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٧٠) البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٥/١ .

(٢٧١) الطبري ٦٤٤/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٩/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٧٢) سورة الصف ٤ .

(٣٧٣) الطبري ٦٤٤/٧ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣٧ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

للقتال ، فكان جيش ابراهيم مكونا من نحو ١٠٠ الف مقاتل ، منهم ١١٧٠٠ فارسا والباقون من المشاة[٢٧٤] ، يقابله من الجيش العباسي ١٨ الف مقاتل[٢٧٥] فقدم عيسى بن موسى للقتال حميد بن قحطبة ، والتحمت الحرب في ٢٥ ذي القعدة وكانت اشد حرب ، والدائرة على عيسى بن موسى « حتى لم يشك الناس في علو ابراهيم وظفره[٢٧٦] فانهزم حميد بن قحطبة بقواته بعد استظهار قوات ابراهيم عليه ، « فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة ، فلا يلوون عليه . واقبل حميد بن قحطبة منهزما ، فقال له عيسى : يا حميد ، الله الله والطاعة : فقال لا طاعة في الهزيمة[٢٧٧] ، فثبت عيسى مع ١٠٠ مقاتل من حاشيته[٢٧٨] ، فقال له بعضهم : « . . لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب اليك الناس فتكر بهم ! فقال : لا أزول عن مكاني هذا ابدا حتى اقتل ، او يفتح الله على يدي ، ولا يقال : انهزم »[٢٧٩] .

ولما وردت انباء هذه الهزيمة الى المنصور ، اعد الدواب للهرب الى الري[٢٨٠] الا ان مجرى الحرب تغير لصالح قواته ، بعد حركة الالتفاف الناجحة التي قام بها محمد وجعفر ابنا سليمان بن علي ، اللذان كانا قد قدما بقواتهما من ميسان للالتحاق بجيش عيسى حسب طلب المنصور ، فوجدا الفرصة مناسبة للهجوم على قوات ابراهيم فشنوا على خطوطه الخلفية هجوما عنيفا ، اربك صفوفهم ، وظنوه كمينا ، فرجعوا لمقاومته والقضاء عليه[٢٨١] ، وكان لهذا الهجوم

---

(٢٧٤) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٣/٣ ، البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٦/١ .

(٢٧٥) اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ .

(٢٧٦) المصدر السابق .

(٢٧٧) الطبري ٦٤٥/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٩/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ .

(٢٧٨) سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ٢٣٧ ، الذهبي : العبر ٢٠١/١ .

(٢٧٩) الطبري ٦٤٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٩/٥ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ .

(٢٨٠) اليعقوبي : تاريخ ١١٨/٣ ، الطبري ٦٤٩/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٦ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٦/٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٤/٧ .

(٢٨١) الطبري ٦٤٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٧٠/٥ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٣/٣ .

اثر كبير في تغيير مجرى القتال لصالح الجيش العباسي ، حتى ان عيسى بن موسى اعترف بذلك فقال : لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا(٢٨٢) .

والى جانب هذا ، فقد ساهمت الموانع الطبيعية الموجودة في ارض المعركة في نصر القوات العباسية ، الى حد ما ، ذلك ان القوات المنهزمة من جيش عيسى لم تتمكن من عبور النهر الذي اعترض طريقها ، فكرت راجعة في نفس الوقت التي تراجعت فيه قوات ابراهيم للقضاء على الكمين « فكان اول راجع حميد بن قحطبة الذي كان اول من انهزم »(٢٨٣) ، وبتراجع الجيش العباسي ، اصبح جيش ابراهيم ، محاصرا من الامام والخلف ، فأدى ذلك الى اختلال نظامه ، فكثر فيه القتلى ، ولحقت به الهزيمة النكراء ، وثبت ابراهيم في ٤٠٠ مقاتل من الزيدية(٢٨٤) ، « فأصابه سهم في حلقه لا يدري من رمى به ، فتنحى عن موقفه ، فقال : انزلوني ، فأنزلوه . . وهو يقول : وكان امر الله قدرا مقدورا ، اردنا امرا واراد الله غيره ، فأنزل الى الارض وهو مثخن ، واجتمع عليه اصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه(٢٨٥) ، واسنده بشير الرحال الى صدره(٢٨٦) ، فارتاب حميد بن قحطبة اجتماعهم على هذه الصورة ، وامر اصحابه بالهجوم عليهم وتفريق شملهم ، ليرى سبب اجتماعهم ، فهجموا عليهم فكشفوهم بعد قتال شديد ، فاستبان لهم ابراهيم وهو جريح ، فتقدم حميد وحز رأسه وارسله الى عيسى بن موسى ، الذي عرضه على ابن ابي الكرام الجعفري ، فأكد له انه رأس

---

(٢٨٢) الطبري ٦٤٦/٧ ، الذهبي : العبر ٢٠١/١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٣/٧ ، العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٧/٥ .

(٢٨٣) المصادر السابقة ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٤/١٠ .

(٢٨٤) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٧/١ ، اليعقوبي : تاريخ ١١٧/٣ .

(٢٨٥) الطبري ٦٤٧/٧ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٧ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ١٤٥/٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ . العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٤/٧ .

(٢٨٦) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٧ ، البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١٧٦/١ .

ابراهيم[٢٨٧] وكان قتله يوم الاثنين ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢م[٢٨٨] ، وقتل معه بشير الرحال وجماعة كثيرة من اتباعه[٢٨٩] ، منهم قائد ميمنته عبد الواحد بن زياد ، وقائد ميسرته برد بن لبيد البشكري ، وعبد الوارث بن الحواري[٢٩٠] .

وقام عيسى بن موسى ، بارسال الرأس الى المنصور ، فلما وضع بين يديه تمثل بقول معقّر بن أوس البارقي .

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر[٢٩١]

ثم بكى حتى قطرت دموعه على خد ابراهيم ، وقال : اما والله اني كنت لهذا كارها ولكنك ابتليت بي وابتليتُ بك[٢٩٢] ، وامر المنصور ان يطاف به بالكوفة[٢٩٣] ، تحديا لاهلها ، ليكسر شوكتهم ، ويذلهم ، نظرا لموقفهم العدائي منه ، وزيادة في اذلالهم وتحديدهم ، صعد المنبر فخطبهم خطبة شديدة اللهجة ، تهددهم وتوعدهم فيها : فقال : « يا أهل الكوفة عليكم لعنة الله ، وعلى بلد انتم فيه ، للعجب ببني امية وصبرهم عليكم ، كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ، ويسبوا ذراريكم ، ويخربوا منازلكم . سبأية خشبية[٢٩٤] ، فمن قائل يقول : جاءت

---

(٢٨٧) الطبري ٦٤٧/٧ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، العاملي : اعيان الشيعة ٢٦٧/٥ .

(٢٨٨) الذهبي : العبر ٢٠١/١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٤/٧ .

(٢٨٩) ابن خياط : تاريخ ٤٥٠/٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٧ .

(٢٩٠) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٣/٣ .

(٢٩١) الطبري ٦٤٨/٧ ، الذهبي : العبر ٢٠٣/١ ومخطوط سير اعلام النبلاء ٦٥/٥ ، وانظر الازدي : تاريخ الموصل ١٨٩/٢ .

(٢٩٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٥٢ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٧٠/٥ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٤/٧ .

(٢٩٣) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٦/٤ ب .

(٢٩٤) الخشبية : سموا بذلك لانه حينما استنجد محمد بن الحنفية بالمختاربن ابي عبيد ، على عبد الله بن الزبير ، ارسل له جيشا وافرجوا عن ابن الحنفية ومن معه ، وساروا معهم الى مأمنهم وقد سمى جند المختار هؤلاء بالخشبية لانهم دخلوا مكة وبايديهم الخشب كراهة شهر السيوف في الحرم ، وقيل لانهم اخذوا الحطب الذي اعده ابن =

الملائكة ، وقائل يقول : جاء جبزيل ، وهو يقول : اقدم حيـزوم[٢٩٥] ، ثم عمدتم الى اهل هذا البيت ، وطاعتهم حسنة فافسدتموهم وانغلتموهم ، فالحمد لله الذي جعل دايرة السوء عليكم ، اما والله يا اهل المدرة الخبيثة لئن بقيت لكم لأذلنكم »[٢٩٦] .

وفي اعقاب فشل الثورة ، والتي انتهت بقتل ابراهيم وبعض اتباعه ، اعلن عيسى بن موسى الامان لكل من يلقي سلاحه ، لكن الامان لم يطبق بصورة كاملة ، فقد قتل بعض اتباع ابراهيم ، سواء من الذين سلموا انفسهم ، ام الذين القت عليهم السلطة القبض بعدئذ ، منهم المغيرة بن الفزع والي ابراهيم على الاهواز والذي هرب الى البصرة ، فقتل فيها ، كما قتل عمرو بن شداد فيها أيضاً[٢٩٧] .

هذا وقد أثنى الخليفة على عيسى بن موسى بعد قضائه على الثورة من خلال خطبة القاها على اهل الكوفة وبغداد . قال فيها « ان عيسى بن موسى لم يزل مصيبا في رأيه ، سديدا في امره ، ماضيا في عزمه ، كافيا فيما اسند اليه ، ميمون النقيبة فيما استكفيته ، مؤيدا بالنصر ، مستعملا للاناة والصبر قد كفى الغائب

= الزبير . ابن الاثير : الكامل ٢٥١/٤ وانظر ابن رستة : الاعلاق النفسية ص ٢١٨ ، فلهوزن : احزاب المعارضة الخوارج والشيعة ـ ص ٢٢٤ ، كامل مصطفى ، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، مكتبة النهضة بغداد ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦ م ، ص ٢١ .

(٢٩٥) وقد وضح العيني هذه العبارة في الخطبة التي ذكرها ، فقال : خطب المنصور اهل الكوفة : فقال يا اهل هذه المدرة السوداء الخبيثة بلغني انكم تقولون ، وكان قد سمع في عسكر ابراهيم قائل يقول : اقدم حيزوم بشبهونة بعسكر رسول الله (ص) يوم بدر ، اكفار نحن ، لعنكم الله ولعن مدرتكم تريدون قتالي ان ظهر ابراهيم ، لقد بلغني ان فيكم مائة الف سيف معه ، والعجب للحجاج كيف لم يقتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم وقد كان ناصحا لبني امية مخطوط عقد الجمان ١٨٥/٧ .

(٢٩٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب ، وانظر مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٥٤/٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٨٥/٧ .

(٢٩٧) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ٣٥٩/٣ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٦/٨ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١٤/١٠ .

فاحمدوا الله على ما وهب لكم من رأي أمير المؤمنين واهل بيت نبيكم[٢٩٨] .

لماذا فشلت ثورة ابراهيم :

ان اهم الاسباب التي ادت الى فشل ثورة ابراهيم ، هي كما يلي :

١ ـ اختلاف موعد ثورته مع موعد ثورة اخيه النفس الزكية ، مما اعطى الفرصة الكافية للمنصور للقضاء على الثورتين الواحدة تلو الاخرى ، ولو اعلنت الثورتان في آن واحد لكان من المحتمل نجاحهما .

٢ ـ ضعف شخصية ابراهيم عسكريا وسياسياً ، وتردده في اتخاذ القرارات الحازمة والسريعة لمواجهة احتمالات الحرب المتوقعة ، فسمح بذلك المجال لاختلاف وجهات نظر قواده واتباعه عليه ، فنجده مثلا يترك الرأي الصواب ، بالهجوم على المنصور لقلة قواته ، او الهجوم على قوات عيسى ليلا ، لقول اتباعه من الزيدية : انما البيات من فعل السراق ، او انه يكره البيات والقتل ، ناسيا ان الحرب خدعة ، حتى ان المضاء التغلبي احد قواده علق على رأيه قائلا : تريد الخلافة وتكره القتل .

٣ ـ افتقار اغلب جيشه الى صفة الجند المحارب ، وقد اعترف ابراهيم نفسه بهذه الحقيقة حين سمع اصوات الطنابير والغناء اثناء تفقده لقواته في باخمرى ، فقال : ما اطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا[٢٩٩] . فضلا عن ان اغلب الذين ايدوه ، كان تأييدهم له عاطفيا ومتقلبا ، او من الذين وجدوا في الثورة متنفسا لاعلان استيائهم على الحكم العباسي لسبب او لاخر فنجد مثلا قبائل بأهله التي كانت من اوائل من ايد ابراهيم ، سرعان ما نقضت ولاءها له ، بمجرد مراسلة سلم بن قتيبة الباهلي لها .

---

(٢٩٨) الازدي : تاريخ الموصل ١٩٤/٢ . والنقيبة : النفس والعقل والمشورة ونفاد الرأي .

(٢٩٩) الطبري ٦٤٢/٧ ، سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ص ٢٣٧ .

٤ ـ عدم اطلاعه بالمخططات العسكرية اطلاعا واسعا ، نظرا لقلة تجربته الحربية وبراعة خصمه فيها وممارسته لها .

٥ ـ امكانات الدولة الواسعة وقدرتها على ارسال الجيوش وتجهيزها بالامدادات العسكرية المتواصلة ، واختيار القادة المخلصين لها ، حال الى حد ما في اخفاق الثورة رغم النصر المبكر الذي حققته .

نتائج الثورة :

اسفرت ثورة ابراهيم عن نتائج اهمها :

١ ـ قضت الثورة على آخر طموح الفرع الحسني في نيل الخلافة بقوة السلاح في عهد المنصور .

٢ ـ اتباع سياسة الشدة ضد العناصر التي اشتركت مع ابراهيم في ثورته ، حيث قام الوالي محمد بن سليمان بن علي اواخر سنة **١٤٥** هـ/ **٧٦٢** م ، بناء على طلب الخليفة بتهديم دور واتلاف بساتين بعض هذه العناصر ، واغتيال البعض الاخر .

٣ ـ استمرار توقف البناء في بغداد حتى صفر سنة **١٤٥** هـ[٣٠٠] ، ولحوق اضرار جسيمة بمواد البناء المتروكة في ساحة العمل ، حيث قام أسلم مولى المنصور باحراق المواد التي كانت بعهدته حين علم بانتصار ابراهيم في بداية المعركة ، خوفا من وقوعها بيد العدو .

حالة البصرة بعد فشل الثورة :

لقد ساد البصرة جو من عدم الاستقرار ، بعد فشل الثورة ، لخوف اهلها الشديد ، من انتقام الخليفة منهم بسبب تأييدهم لابراهيم ، « فهربوا برا وبحرا واستخفى الناس »[٣٠١] .

---

(٣٠٠) الطبري : ٦٥٠/٧ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٦٥/٥ .

(٣٠١) الذهبي : العبر ٢٠٣/١ .

وقد قام المنصور بالفعل باتخاذ اجراءات شديدة ضد اهلها ، بسبب موقفهم العدائي منه ، فعين في اعقاب فشل الثورة ، سلم بن قتيبة الباهلي واليا عليها ، فقدمها سلم في اواخر سنة ١٤٥ هـ ، وعين يزيد بن سلم على شرطه(٣٠٢) ، فكتب اليه المنصور« اما بعد ، فأهدم دور من خرج مع ابراهيم وأعقر نخلهم » فكتب اليه سلم « بأي ذلك ابدأ ؟ بالدور ام بالنخل»(٣٠٣) ؟ويبدو ان سلم الباهلي اراد من جوابه هذا المراوغة في تنفيد الامر ، لان تنفيذه سيشمل بعض افراد قبيلته باهلة ، الذين ايدوا ابراهيم واشتركوا في ثورته ، لكن الخليفة ادرك الموضوع ، فكتب اليه يوبخه على فساد رأيه « اما بعد : لو امرتك بافساد تمرهم لكتبت تستأذنني بأية ابدا بالبرني ام بالشهريز!»(٣٠٤) ثم عزله بعد شهرين من ولايته وولى مكانه محمد بن سليمان بن علي في نفس السنة ، فتولى هذا تنفيذ امر الخليفة ، فهدم دار يعقوب بن الفضل والي فارس السابق من قبل ابراهيم ، ودار عبد الواحد بن زياد قائد ميمنة ابراهيم ، ودار ابي مروان في بني يشكر وغيرهم(٣٠٥) ، وقام بعقر نخلهم وحدثت بعض الاغتيالات لبعض اعوان ابراهيم فيها ، مثل المغيرة بن الفزع وعمرو بن شداد ، لكن هذه الاغتيالات لم تؤثر على حالة الهدوء والاستقرار التي بدأت تنعم فيها البصرة ، فعادت تمارس نشاطها كمركز تجاري للدولة العباسية .

٥ ـ تقدير لسياسة المنصور تجاه الثورتين :

بعد ان انتهى الصراع العباسي العلوي ، بفشل ثورتي النفس الزكية ، واخيه ابراهيم في كل من المدينة المنورة والبصرة ، تنفس المنصور الصعداء لتخلصه من اهم مشكلة سياسية واجهته في مدة خلافته .

---

(٣٠٢) ابن خياط : تاريخ ٤٦٢/٢ .

(٣٠٣) ـ ٣٠٤ الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٢٨٢ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ١ / ٤٤ الطبري ٧ / ٦٥٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ / ٢٩ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٩٣ .

(٣٠٥) المصادر السابقة . وذكر ابن خياط : ان المنصور عزله وولى مكانه محمد بن أبي العباس . تاريخ ٢ / ٤٦٢ .

وهنا تجدر الاشارة الى التنبيه لموقف المنصور وال حسن بعضهم من بعض لالقاء الضوء على الظروف السياسية والملابسات التي احاطت بموقفيهما ، واذا كان الامر كذلك ، فيتحتم توجيه سؤالين اجابتهما توضح ما اشكل وخفى :

أولهما : هل كان الخليفة مصيبا في اجراءاته القانونية والشرعية تجاه ال حسن ؟

وثانيهما : هل جاز شرعا لمحمد وابراهيم ان يعلنا ثورتيهما على المنصور ؟

الاجابة على السؤال الاول بالنفي ، لان الخليفة بمقتضى مركزه ، وان كان من حقه ان يعتقل اي انسان يشك في ان وجوده مطلق السراح يشكل خطرا على سلامة الدولة وامنها ، ولكن يجب ان يكون هذا الاعتقال بالقدر الذي يمنع عنها هذا الخطر ، مع ضرورة مراعاة الجوانب الشرعية والانسانية فيه فهل وضع المنصور نصب عينيه هذه الاعتبارات عند اعتقاله لال حسن ؟ الحوادث تثبت عكس ذلك ، وتؤكد انه انتهج تجاههم سياسة القسوة والمذلة والمهانة . ناسيا صلة الرحم التي تربطه واياهم .

ومع اننا لا ننكر ان المنصور حاول المستحيل في حل المشكلة سلميا ووديا الى آخر لحظة سبقت المعركة ، كما لا ننكر علم ال حسن بطمع محمد واخيه بالخلافة والسعي لها . لكن ما كان يجدر به ان يسومهم سوء العذاب منذ لحظة القبض عليهم ، ويعاملهم بوحشية بالغة ، فلقد حملهم من المدينة المنورة مقيدين بالاغلال على جمال بلا أقتاب ووطاء ، وحبسهم في هاشمية الكوفة ، بسجن ضيق ، لا يعرفون ليلهم فيه من نهارهم ، وامر بقتل بعضهم ، دون مسوغ شرعي فقتل العثماني لمجرد انه احتيج لرأسه ، لتهدئة ثائرة اهل خراسان ، على انه رأس النفس الزكية وقتل محمد بن ابراهيم بن حسن بطريقة لا انسانية « فوضعه باسطوانة وبنى عليه وهو حي » وبسط على ما بقي منهم حيا العذاب ، حتى مات اكثرهم في السجن .

وقد يقول قائل دفاعا عن المنصور ، ان اصرار النفس الزكية وأخيه على عدم مبايعته هو الذي دفع به الى هذا التصرف ضد ال حسن ، لكن هذا القول

مردود ، لان خطر هؤلاء على الدولة ، ان كان موجودا ، فقد زال بسجنهم بعيدا عن مركز الثورة ، ولا يتطلب الموقف بعد ذلك ، معاملتهم بالعنف المقرون بالتعذيب والقتل. وكان الاولى به ، وهو خليفة للمسلمين ان يترفع عن الاتيان بمثل هذه الاعمال ، ليكون جديرا بالخلافة ، رحيما برعيته ، امينا على ما أؤتمن عليه من أموالهم ودمائهم وامورهم ، يحترم كبيرهم ، ويعطف على صغيرهم ، ويتجاوز عن مسيئهم فلا يسرف بالتعذيب وسفك الدماء الا عند الضرورة القصوى ، وبالقدر الذي يحفظ الملك من الضياع ، ويدفع عن المسلمين الهلاك . لكنه نسي ذلك او تناساه ، فاشتط في معاملته لال حسن ، وتمادى فيها وأسرف ، كما هو ثابت تاريخيا .

ولهذا استطيع ان اقرر ثبوت ادانة المنصور في هذه الناحية ، وتحمله المسؤولية التامة لوحده . وعلى عاتقه يقع وزر ما اقترفت يداه من اثم بحق ال حسن . وكل محاولة يقصد منها التماس العذر له ، غير مقبولة ، لانه تبرير في غير محله ، والتماس في غير موضعه .

اما الاجابة على السؤال الثاني ، فأقول ، ما كان لمحمد النفس الزكية واخيه شرعاً ان يعلنا الثورة على خليفة المسلمين المنصور ، وكان الاولى بهما ان يدخلا في طاعة من دخل المسلمون في طاعته ، لا ان يعملا على تفريق الكلمة ، وتمزيق الصفوف ، خاصة وان المنصور عرض عليهما الامان مرات عديدة ، في محاولة لحقن دماء المسلمين ، وتسوية المشكلة سلميا . لكن اصرارهما على سلب الخلافة ، وتلقيب النفس الزكية نفسه بأمير المؤمنين ، دفع المنصور ان يقف بالضرورة ، بعد تفجيرهما الثورة ، موقفا حاسما وشديدا ، لان المسألة اصبحت مسألة حياة او موت لكليهما .

وارى ان المنصور كان محقا في اجراءاته التي اتخذها ضد محمد واخيه والتي أدت بالنهاية الى قتلهما . ولو فرضنا ان محمدا هو المنتصر ، فماذا كان سيفعل بالمنصور ؟ هل سيعفو عنه ؟ قطعا لا ، والدليل على هذا رسائله للخليفة . لذلك فان ما فعله المنصور كان سيفعله محمد لو كتب لثورته النجاح .

الفصل الرابع
سياسته تجاه الحركات الفارسية

١ - حركة سنباذ[١] :

لقد أدى اغتيال أبي مسلم الخراساني ، الى قيام اضطرابات في شمال شرقي إيران وغربها ، فتشير بعض الروايات إلى انه « لما نمى قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بابي مسلم وامامته »[٢] ، فتزعم سنباذ ، وهو من قرية اهن احدى قرى نيسابور ، قيادة هذه الجموع الغاضبة ، واعلن تمرده سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٥[٣] .

اما سبب الحركة ، فيبدو واضحاً من خلال الصلة الوثيقة التي تربط سنباذ بأبي مسلم[٤] ، لانه كان من اصحابه وصنائعه[٥] ، اما هو : فزعم انه ولى أبي مسلم[٦] ، فاعطاه هذا مبررا لان يعلن تمرده ، غضبا لقتل أبي مسلم ، وطلبا

---

(١) ابن خياط : تاريخ ٤٤٢/٢ ، الطبري ٤٩٥/٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ ، بيليايف : العرب والاسلام والخلافة العربية ص ٣١ .

ويطلق عليه البلاذري والمسعودي اسم « سنفاذ » : مخطوط انساب الاشراف ٣/٤ ب ، مروج الذهب ٣٠٦/٣ ، أما ابن اسفنديار فيذكره باسم « سنباد » تاريخ طبرستان ، ص ١٦٨ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٥/٣ ، ابن النديم : الفهرست ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ص ٤٨٧ . وعن المسلمية انظر : الاسفراييني : التبصير في الدين ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٥٥ م ، ص ١١٤ .

(٣) انظر المصادر السابقة ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ .

(٤) انظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢٣/٤ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ ، وانظر الطبري ٤٩٥/٧ .

(٦) المقدسي : البدء والتاريخ ٨٢/٦ .

بثأره »[٧] ، وادعى ان ابا مسلم لم يمت وانه تلى اسم الله الاعظم قبل ان يقتل فصار حمامة بيضاء وطار »[٨] وقد لقـى هذا الادعاء قبولا عند اتباعه من اهل خراسان لحبهم لابي مسلم اولا ؛ ولأنه جاء موافقا لمعتقداتهم الدينية ، التي كانت سائدة في المنطقة ، خاصة فكرة الحلول والتناسخ ثانيا ، لذلك اختلف المؤرخون في مذهبه الديني ، فتشير احدى الروايات الى ان سنباذ كان مجوسيا[٩] وثانية انه كان مزدكيا[١٠] ، وثالثه ، اعتبره خرميا[١١] .

ومن هنا نلاحظ ان الشعارات التي رفعها لحركته ، كانت مزيجا من مبادىء اسلامية غالية ومزدكية وخرمية[١٢] ، لمحاولة جذب كافة العناصر لتأييد حركته ، فكان يبشر اتباعه من الفرس والمجوس بنهاية السلطان العربي ،واعلن انه يريد الذهاب الى الكعبة لهدمها[١٣] ، وكتب الى ملك الديلم : انه قد انقضى ملك العرب ، فخف عليه في ديانته[١٤] .

انتشار الحركة والقضاء عليها :

بدا سنباذ حركته بنيسابور ، ودعا الخرمية والمزدكية والغلاة ، الى تأييده فالتف حوله عدد كبير منهم ، واستجاب له اهل طبرستان واهل الجبال ـ شمال غرب ايران ـ وكانوا مجوسا ، فالتحقوا بصفوف حركته « فكان عامة اصحابه من

---

(٧) الطبري ٤٩٥/٧ ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١٠٨/٣ ، البلدان ص ٦٣ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٢/٦ .

(٨) براون Browne: Literarary History of Persia, V.I.P. 314

(٩) الطبري ٤٩٥/٧ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٢٨٢/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٢١٩/٥ ، ومخطوط سير اعلام النبلاء ٤٠/٥ .

(١٠) نظام الملك : سياسة نامة ص ٢٦٦ وما بعدها .Browne: Literary History of Persia, V.I.P. 314
وانظر : بيليابيف : العرب والاسلام ص ٣١٠ ، فاروق عمر : العباسيون الاوائل ٢٨٧/١ .

(١١) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٦/٣ .

(١٢) Sadighi, Les Mouvements religieux Iraniens, P. 137

(١٣) ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٨٤/٣ .

(١٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٤ ب و٤ آ .

اهل الجبال »[١٥] من الفلاحين والزراع « وأكثر هؤلاء ـ الخرمية من القرى والضياع »[١٦] .

ولهذا كانت الحركة مدفوعة بروح قـومية ، وجدت رمزها في أبي مسلم لاحتلاله مكانة رفيعة لدى جماهير الفلاحين في بلاد فارس ، فارتبط اسمه ونشاطه في اذهانهم بالامل في التحرر الاجتماعي »[١٧] .

وبذلك تزايد عدد اتباعه ومؤيديه من سكان هذه المناطق ، الذين سارعوا للانضمام اليه ، بعد رفعه شعارات تبشر بزوال النفوذ العربي الاسلامي ، وانه ينوي التوجه الى الحجاز لهدم الكعبة ، فكثر جمعه بمن حوله من اهل الجبال وطبرستان »[١٨] وايده في امره ملك الديلم[١٩] ، فلبغت جموعه تسعين الفا ،[٢٠] فسيطر على نيسابور، وتمكن من احتلال قومس[٢١] ، وتحرك نحو الري ، فاحتلها واستولى على الاموال والخزائن التي خلفها أبو مسلم فيهـا[٢٢] ، فتقوى بها ، وفرق بعضها على اتباعه ، « ولم يأته مجوسي يدعى على ابي مسلم شيئا الا قضى له به »[٢٣] ، وتسمى « فيروز أصبهبـذ »[٢٤] كما اسـر عددا كبيـرا من النساء المسلمات[٢٥] ونهب الاموال ، « وافسد في البلاد التي احتلها فسادا كثيرا »[٢٦]

---

(١٥) الطبري ٤٩٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٤٠/٥ .

(١٦) المسعودي : مروج الذهب ٦٠٣/٣ .

(١٧) بيليايف : العرب والاسلام والخلافة العربية ص ٣١٠ .

(١٨) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٦/٣ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٤٠/٥ .

(١٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٤ ب .

(٢٠) المقدسي : البدء والتاريخ ٨٣/٦ .

(٢١) قومس : كورة تشتمل على مدن وقرى وهي في ذيل جبال طبرستان . ياقوت معجم البلدان ١٨٥/٧ .

(٢٢) الطبري ٤٩٥/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٨/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٦٨ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ .

(٢٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ .

(٢٤) لفظ فارسي معناه القائد المنتصر : انظر . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ١٣٩ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٧ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ .

(٢٦) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٧ .

وتقدم نحو همدان ، يريد العراق[٢٧] .

ولما وصل الخبر الى المنصور، جهز له جيشا من ١٠ الاف مقاتل ، واسند قيادته الى جهور بن مراد العجلي[٢٨] ، وارساله على وجه السرعة ، واتبعه بتعزيزات عسكرية اخرى[٢٩]، فسار جهور بقواته، يريد سنباذ، فلما قارب العدو، حض اصحابه على الصبر في القتال، فقال لهم « انكم تريدون قتال قوم يريدون محق دينكم واخراجكم من دنياكم »[٣٠] ، ثم التقى الطرفان في موقعة جرجنبان بين الري وهمدان [٣١] ، فدارت بينهما معركة « كانت ملحمة مهولة »[٣٢] وقد شارك في القتال « عمر بن العلاء الذي كان جزارا بالري ، فجمع جمعا حين قدم جهور وقاتل معه سنباذ »[٣٣] .

وفي بعض الروايات ، ان سبب هزيمة سنباذ مرجعه الى انه « كان قد قدم السبايا من النساء المسلمات على الجمال ، فلما رأين عسكر المسلمين ، قمن في المحامل ونادين : وامحمداه : ذهب الاسلام ! ووقعت الريح في اثوابهن ، فنفرت الابل ، وعادت على عسكر سنباذ فتفرق العسكر . . . »[٣٤] واضطرب . فوجد جهور ان الفرصة مواتية له فشن عليهم هجوما عنيفا ، فاكتسحهم ، بعد قتال شديد » ونادى ـ جهور ـ بالنهي عن التعرض للغنيمة قبل الأثخان »[٣٥] فقتل منهم ٦٠ الفا ، وسبى ذراريهم ونساءهم[٣٦] ، وحوى المسلمون عسكرهم[٣٧] ، ويذكر

---

(٢٧) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ .

(٢٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٤ ب ، اليعقوبي : البلدان ص ٢٦٣ الطبري ٤٩٥/٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٠٦/٣ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ٢١٩/٥ ، ومخطوط سير اعلام النبلاء ٤٠/٥ .

(٢٩) المسعودي : مروج الذهب ٣٠٦/٣ .

(٣٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ .

(٣١) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٧٤ .

(٣٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ٢١٩/٥ .

(٣٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٧ .

(٣٥) البلاذري : مخطوط انساب الأشراف ٤/٤ آ .

(٣٦) الطبري : ٤٩٥/٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٠٦/٣ ، المقدسي البدء والتاريخ ٨٣/٦ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨١/٥ ، وانظر : البسوي المعرفة والتاريخ ١١٩/١ .

(٣٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ .

ابن اسفنديار : ان اثار عظام القتلى بقيت في هذا المكان ـ جرجنبان ـ حتى سنة ٣٠٠ هـ(٣٨) .

أما سنباذ، فانه تمكن من الهرب «وتوجه مهزوما الى طبرستان ، وطلب اللجوء من الاصبهبذ ، فارسل خورشيد ، ابن عمه طوز مع النزل والهدايا والخيل وسائر الايات في استقباله ، واعد الضيافة له ، فلما وصل طوز الى سنباذ ، ترجل وسلم عليه ، فاجابه سنباذ وهو على ظهر الفرس ، ولم يترجل ، فتطير طوز وقال له : انا من بني عم الأصبهبذ ، وقد ارسلني اليك احتراما لك ، ولم تكن عدم الحرمة من الشرط . فأجاب سنباذ بغلظ ، فركب طوز ووجد الفرصة ، فضرب عنق سنباذ بالسيف . والقى راسه ، وجاء بكل ما معه من المال الى الاصبهبذ . فتأسف الاصبهبذ ، وتلهف ولعن طوزا ، وحصل على كل خزائن تركات سنباذ وأبي مسلم . فأرسل الاصبهبذ فيروز الحاجب مع رأس سنباذ الى الخليفة ، فاكرمه المنصور واستماله »(٣٩) ، وهكذا انتهت الحركة ، بعد سبعين يوما من قيامها رغم جسامتها .

ومن الجدير بالملاحظة ان الحركة كشفت لنا أموراً وجوانبا مهمة ، هي :

١ ـ استمرار ولاء الخراسانيين لابي مسلم الخراساني ، ولم يقتصر هذا الولاء على هذه الحركة ، وانما تعداه الى الحركات التالية ، وهذا يثبت لنا ان ذكرى ابي مسلم لم تزل حية في قلوب الفرس(٤٠) ، فأيدوا كل حركة من هذا النوع .

٢ ـ سرعة ونجاح الحركة وتقدمها ، وكثرة مؤيديها ، وهذا يكشف لنا ، قلة انتشار الاسلام ، ومدى تغلغل المعتقدات المجوسية بين سكان المناطق

---

(٣٨) تاريخ طبرستان ص ١٧٤ .

(٣٩) تاريخ طبرستان ص ١٧٤ ، وانظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ آ ، ابن الاثير : الكامل ٤٨٢/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٧/٧ .

(٤٠) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٣ .

Browne,,Literary History of Persia, V.2, P. 313

Noldeke, Sketches from Easten History, P. 117

الشمالية من ايران ، وقد انتبه المنصور الى هذه الناحية ، فارسل بعدئذ عدة حملات عسكرية لفتح طبرستان والمناطق المجاورة لها ، واخضاعها لنفوذ الدولة العباسية .

٣ ـ ضخامة عدد المتذمرين ، خاصة من الطبقة الفقيرة ، على الحكم العباسي ، الذي لا يزال في اوله ، مما يدل على خيبة امل هذه الطبقة به .

٢ ـ حركة اسحق الترك :

ان المعلومات التي ذكرت عن حركة اسحق الترك قليلة ، فانه لم يرد ذكر لها في المصادر القديمة ، الا في كتاب الفهرست[٤١] ، فقد ذكر ابن النديم : ان اسحق الترك كان اميا ، ومن دعاة واصحاب ابي مسلم الخراساني ، وانه هرب بعد مقتله الى بلاد ما وراء النهر ، واقام بها داعية له ، وادعى ان ابا مسلم محبوس في جبال الري ،وسمى اسحق الترك لدخوله بلاد الترك يدعوهم برسالة ابي مسلم[٤٢] .

وتشير رواية ثانية الى ان اسحق كان من العلوية ، وانما تستر بهذا المذهب عندهم ، وهو من ولد يحيى بن زيد بن علي ، خرج هاربا من بني أمية يجول بلاد الترك »[٤٣] .

وقالت رواية ثالثة « انه كان رجلا من أهل ما وراء النهر ، وكان أميا ، وكان له تابعه من الجن ، ودعا الناس اليه ، وزعم انه نبي أنفذه زرادشت ، وادعى ان زرادشت حي لم يمت . . وانه يخرج حتى يقيم الدين لهم »[٤٤]

---

(٤١) ابن النديم : ص ٤٩٧ .

(٤٢) الفهرست : ص ٤٩٧ وانظر .

Sadighi, Les mouvements religieux Iraniens, P.151.

(٤٣) ابن النديم : الفهرست : الفهرست ص ٤٩٧ . اما زيد بن علي فانه قتل سنة ١٢٥ في ولاية نصر بن سيار .

(٤٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٩٧ ، وانظر : فان فلوتن : السيادة العربية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ، مطبعة السعادة ، مصر طبعة أولى سنة ١٩٣٤ ص ١٣١ .

وقد تكون الرواية الاولى هي الراجحة ، اذ تبدو الصلة واضحة بين مقتل ابي مسلم ، وقيام اسحق الترك بحركته من خلال تبشيره لاتباعه ، بان ابا مسلم لم يمت وانه محبوس في جبال الري ، وسيخرج في وقت معين ، فتمكن بذلك من جمع المبيضة - حزب أبي مسلم - حوله(٤٥) ، واعلن حركته التمردية على السلطة ، وقد تمكن خالد بن ابراهيم الذهلي والي خراسان ، من اخماد الحركة فقبض على اسحق وقتله ، وتفرق جمعه من المبيضة بعد مقتله ، لكنهم استمروا في الخفاء ، اذ كان بعضهم يعيش بقرى بلخ في القرن الثاني عشر الميلادي(٤٦) .

* * *

٣ - حركة الراوندية :

ظهرت الراوندية كحركة تمردية بشكل علني ضد الخليفة المنصور سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م بهاشمية الكوفة (٤٧) ، رغم انهم « شيعة ولد العباس بن عبد المطلب »(٤٨) ونشأتهم كانت بتأثير الدعوة العباسية في ايران .(٤٩)

وقد سموا بالراوندية « نسبة الى قرية « راوند » القريبة من اصفهان ، التي كانت مهد دعوتهم(٥٠) ، ومعظم اتباعها من الخراسانيين ، الذين اعتقدوا بان العباسيين احق بالامامة من غيرهم(٥١) ، فغالوا فيهم غلوا فاحشا ، فقدسوهم

---

(٤٥) عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الاول طبع بغداد ص ٨٧ ، شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي ١/١٢٤ ، فاروق عمر : العباسيون الاوائل ١/٢٩٠ .

(٤٦) Barthold, Turkestan down to the Mongol Invasin, London, 1928, P. 198.

(٤٧) الطبري ٧/٥٠٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤١ ، ابن الاثير الكامل ٥/٥٠٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٧١ ، ابن جابر الله مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث ١٤١ هـ .

(٤٨) المسعودي : مروج الذهب ٣/٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر ٣/١٧٣

(٤٩) الدوري : العصر العباسي الاول ص ٨٨ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، طبعة مصر ١٩٦٠ م ص ١٨٤

(٥٠) النوبختي : فرق الشيعة : طبعة اسطنبول ١٩٣١ م ص ٤١ وما بعدها الدوري : العصر العباسي الاول ص ٨٨ ، شلبي : في قصور الخلفاء العباسيين ، مطبعة مخيمر القاهرة ١٩٥٤ م ص ٣٢ .

(٥١) المسعودي : مروج الذهب ٣/٢٠٢ .

والهوهم »[٥٢] واعتبروا « المنصور ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم »[٥٣] ، وربما ساعدهم على سلوك هذا الاعتقاد المتطرف ، المعتقدات الدينية ، التي كانت سائدة في تلك المنطقة ، فجرفوا بتيارها ، وبذلك خرجوا عن روح الاسلام .

وقد انقسمت الراوندية الى عدة فرق ، تضاربت اقوال المؤرخين العرب فيها[٥٤] والذي يهمنا منها الفرقة التي ، أسسها عبدالله الراوندي ، وهؤلاء اعتبروا ابا جعفر الامام القادر القدير ، واعتقدوا بانه اله وان ابا مسلم نبيه[٥٥]

---

(٥٢) انظر : المقدسي : البدء والتاريخ ٨٣/٦ : ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، المطبعة الادبية القاهرة ١٣١٧ هـ ٩٠/١ ، ابن خلدون : العبر ١٨٥/٣ .

(٥٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ ب . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

(٥٤) قسم المؤرخون الراوندية الى مجموعتين هما :

أ ـ جماعة تعتقد بان الرسول اوصى بالامامة لعمه العباس ، ثم ورثها عند اولاده[١] ، ويطلق على هذه الجماعة اسم العباسية[٢] ، وقد تطرفت هذه الجماعة في تقديس أبي مسلم ، ونقلت الرياسة الدينية اليه ، ولعل مرجع ذلك كان بسبب ادعائه انه من نسل سليط بن عبد الله بن العباس .

ب ـ جماعة اعتقدت بانتقال الامامة من أبي هاشم الى محمد بن علي بالوصية[٣] وقد يكون هؤلاء من أوائل من انضم الى الدعوة العباسية ، ثم انقسمت هذه الجماعة بعد وفاة أبي العباس الى ثلاث فرق .

أولاها : فرقة اعتقدت بامامة أبي جعفر وبعده المهدي[٤] .

ثانيها : فرقة نقلت الامامة من أبي العباس لابي مسلم وهؤلاء فريقان :

١ ـ فريق دخل بينهم بعض الخرمية ، وسموا « المسلمية » وهؤلاء يؤكدون ان ابا مسلم لم يمت وانه نبي على قول بعضهم ارسله زرادشت[٥] بينما يقول البعض الآخر بان جزءاً الهياً حل فيه وانه فوق الملائكة وهم ينتظرونه[٦] .

٢ ـ فريق يعتقد بموت أبي مسلم ولكنهم ينسبون اليه المعجزات والخوارق وهم الرزامية[٧] .

ثالثها : فرقة انشأها عبد الله الراوندي ، وهي التي تهمنا منهم .

١ ـ انظر المسعودي : مروج الذهب ٢٥٢/٣ . ابن خلدون : العبر ١٧٣/٣ .

٢ ـ النوبختي : فرق الشيعة ص ٤١ .

٣ ـ انظر المسعودي : مروج الذهب ٢٥٤/٣ ، الدوري : العصر العباسي الاول ص ٨٨ ، شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي ١٢٠/١ .

٤ ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، طبعة مصر ١٣٢٨ هـ ص ٢٥٥

٥ ـ ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٣ .

٦ ـ المصدر السابق . الاسفراييني : التبصير في الدين ص ١١٤ .

٧ ـ الاسفراييني : التبصير ص ١١٤ .

(٥٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٨ وانظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ ابن دحية : النبراس ص ٢٥ .

وقالوا : « ان امير المؤمنين يرزقنا ويطعمنا ويسقينا ، فهو ربنا ، وانه لو شاء ان يسير الجبال لسارت ، ولو امرنا ان نستدبر القبلة لاستدبرناها »(٥٦) .

ويطلق المؤرخون على هؤلاء اسم « السبعية » لقولهم : « ان الارض سبع ، والسموات سبع ، والاسبوع سبعة ، فدل على ان دور الأئمة تتم بسبعة، فعدوا العباس ثم ابنه عبدالله ثم ابنه علي ثم ابنه محمد ، ثم ابنه ابراهيم الامام . ثم السفاح ،ثم المنصور،فقالوا هو السابع »(٥٧) فعبدوه . وهذه الفرقة هي التي تحركت ضد ا لمنصور سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨م ، بهاشمية الكوفة .

وتصف الروايات التاريخية اتباعها « بانهم قوم من اهل خراسان، كانوا على رأي أبي مسلم ، الا انهم يقولون بتناسخ الارواح . . وان ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو المنصور »(٥٨)

ولكي نلقي الضوء على طبيعة الحركة واتجاهها ، نتسائل : لماذا ثارت هذه الجماعة ضد الخليفة ابي جعفر ، وهو ربهم كما يدعون ؟ وهل كان القصد من الثورة هو الاخذ بثأر ابي مسلم الخراساني ، فاتخذوا من ذلك طريقا ملتويا لتحقيق هدفهم ؟ .

وسأحاول الاجابة عن ذلك ، فأقول : انه من المستبعد ان تكون الراوندية قد ثارت للأخذ بثأر أبي مسلم للاسباب الآتية :

١ ـ لانهم شيعة بني العباس ، المؤمنين بإمامتهم .

---

(٥٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٢ ب . وانظر : الطبري ٥٠٥/٧ المقدسي : البدء والتاريخ ٨٣/٦ .

(٥٧) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم : ١٤١/٨ هـ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٤١/٤ هـ ، العيني: مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

(٥٨) انظر : البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٢ ب ، الطبري ٥٠٥/٧ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

٢ ـ لقلة عددهم ، فقد بلغوا ٦٠٠ شخصا ، ومثل هذا العدد لا يسمح بقيام ثورة مسلحة في الهاشمية مقر الخلافة انذاك ، نظرا لعدم وجود من يعضدهم في ثورتهم . فقد دلت الاحداث ، ان الاهالي قد قاوموا الثورة وقت انبثاقها ، هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى، فان بعدهم وانقطاعهم عن بلدهم يجعلنا نستبعد قيامهم بالثورة من اجل الأخذ بثار أبي مسلم، وقد يؤيد هذا الرأي ، ان المنصور حين قتل ابا مسلم بالمدائن ، فان اصحابه البالغ عددهم ثلاثة الاف ، سلوا سيوفهم وتنادوا للثورة حين علموا بمقتله ، لكنهم ذلوا وسكنوا لانقطاعهم عن بلدهم .

٣ ـ لاعتقادهم ان ابا جعفر المنصور ربهم ، وان ابا مسلم نبيه ، وعلى هذا الاساس ، فلا مبرر لهم باعلان الثورة ، لمجرد ان الرب غضب على نبيه فقتله ، وهذا من حقه ، وليس من حق البشر الاعـتراض عليه فيما يفعله ، وقد يؤيد هذا الرأي ما ذكره النوبختي من انهم لما قالوا مقالتهم هذه اردفوها بقولهم : « ان المنصور ربنا وهو يقتلنا شهداء كما قتل انبياءه ورسله ، يقصدون ابا مسلم . .[٥٩] .

أما ما ذكـره الدينوري « ان الراوندية تداعوا وخرجوا يطلبون بثأر ابي مسلم وخلعوا الطاعة . . »[٦٠] ، لا يصلح ان يكون دليلاً قويا يمكن الاحتجاج به ، لعدم دقة الرواية ـ لانه يجعل الثورة في بغداد سنة ١٤٢ هـ ، وهي لم تشيد بعد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فانه يجعل سماع المنصور بالثورة وهو في البصرة ، فوجه اليهم خازم بن خزيمة فقتلهم وبددهم في الارض ، وهذا خلاف ما ذكرته المصادر التاريخية .

فاذا استبعدنا بان الثورة كانت للاخذ بثأر أبي مسلم ، تعين ان يكون هناك سبب آخر للثورة غير هذا ، وقد ذكره غير واحد ، بان الراوندية كانوا قد قدموا

---

(٥٩) فرق الشيعة ، ص ٤٧ .

(٦٠) الاخبار الطوال ص ٣٦٣ ـ وانظر : شلبي : في قصور الخلفاء العباسين ص ٣٢ .

الهاشمية لاعلان الطاعة للخليفة ، فلما سمع بمقالتهم ،«بتقديسه وتأليهه ، حبس بعضهم ، فثار بقيتهم »[٦١] .

والذي يجعلنا نميل الى هذا الرأي ، ان المنصور وهو خليفة للمسلمين ، لما سمع بتقديس الراوندية له بهذا الشكل العلني ، الذي ينافي مبادى الاسلام خشي من عاقبة سكوته على مقالتهم ان يؤلب الرأي العام الاسلامي ضده [٦٢] فأعتقل زعماءهم، وطلب منهم الرجوع عن مقالتهم ، فغضب اصحابهم ، واستنكروا هذا الاجراء، فاحتجوا قائلين : وعلام حبسوا ! فاعتقدوا ان المنصور تنصل منهم ، وبذلك فقد الوهيته بنظرهم ، وفقد شرعية حكمه تبعا لهذا ، لان فكرة شرعية الحكم عند الفرس متصلة بفكرة الالوهية .[٦٣] .

ومما يؤيد هذا الرأي ، ما ذكره النوبختي « ان المنصور لما بلغه ذلك احضر جماعة ، فاستتابهم وأمرهم بالرجوع عن قولهم ذلك »[٦٤] ، ويذهب ابن دحية الى نفس الرأي فيقول « . . فطلبهم ابو جعفر واستتابهم فرجع عن ذلك قوم وثبت عليه قوم فلم يتوبوا فقتلهم وصلبهم »[٦٥] ، ويذكر نولدكه « ان امير المؤمنين لم يجرؤ على التسامح مع الراوندية ، لان هذا يسبب اثارةخواطر المسلمين عامة ضده . . مع انهم قدموا ليعلنوا خضوعهم له . . »[٦٦] ويقول كندي « وحين وصل الامر الى الكفر فان ذلك قد اثار غضب الخليفة لان فيه نقصا مباشرا لتعاليم الاسلام . . »[٦٧] .

---

(٦١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٢ ب ، الطبري ٧/٥٠٥ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٢٧ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤/١٤١ هـ .

(٦٢) انظر الطبري : ٧/٥٠٧ .

Noldeke, Sketches from Eastern History, p. 119

(٦٣) انظر براون : Browne, Literary History of Persia, V.I. P. 313

(٦٤) فرق الشيعة ص ٤٧ .

(٦٥) النبراس : ص ٢٥ .

(٦٦) Sketches from Eastern History, P. 119

(٦٧) Kenndy, Arabian. Society at the time of Muhamed, P. 160

ويتضح من هذا ان دعوة الراوندية ، كانت دعوة الحادية صريحة ، وقد جاهرت بهذه الدعوة في عاصمة الخلافة آنذاك ، مما اضطر المنصور ازاء هذا الالحاد ، من اتخاذ موقف حاسم وشديد ضدهم .

* * *

الحركة والقضاء عليها :

اعلنت الراوندية حركتها ضد الخليفة في هاشمية الكوفة اواخر سنة ١٤١ هـ ٧٥٨ م[٦٨] وكان عددهم يومئذ ٦٠٠ شخصاً ، فأتوا قصره ، وجعلوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا « فانكر عليهم قولهم ، وأرسل الى رؤسائهم ، فحبس منهم مائتين[٦٩] ، فغضب اصحابهم وقالوا : علام حبسوا[٧٠] ، فأمر المنصور ألا يجتمعوا » فأخذوا نعشا واظهروا ان فيه امرأة ميته وملؤوه سلاحا ومروا الى باب السجن »[٧١] فرموا النعش ، وهجموا على السجن وكانوا ٤٠٠ رجلا فاخرجوا جماعتهم بقوة السلاح ، وقصدوا الخليفة ، وتنادى الناس ، وغلقت باب المدينة فلم يدخل أحد[٧٢] ، وبذلك اصبحت الثورة داخل المدينة تشكل خطرا جسيما على شخص المنصور، نظرا لعدم وجود قوات كافية انذاك ، يمكنها التصدي للثورة وسحقها ، فلم يجد مناصاً من الخروج بنفسه من القصر ماشيا مع بعض اتباعه لمقاومتها ، نظرا لعدم وجود دابة يركبها ، ثم اتى له بواحدة فركبها ، وقصدهم « فتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه »[٧٣] لولا ان جاء اليه معن بن زائدة

---

(٦٨) يفهم ذلك من رواية العيني ، لانه يجعل وفاة عثمان بن نهيك سنة ١٤٢ هـ بعد ان اصابه سهم فمات بعد ايام ، مخطوط عقد الجمان ١٧٢/٧ .

(٦٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ ب ، الطبري ٥٠٥/٧ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

(٧٠) الطبري ٥٠٥/٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٢٧/٣ .

(٧١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ ، وانظر الطبري ٥٠٥/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٢/٥ ، مؤلف مجهول : مخطوط كتاب عجائب البلدان والجبال والاحجاز وغير ذلك ، وفيه تاريخ مصر وذكر ملوكها ! نسخة وحيدة في العالم ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ١٤ ص ٤٧١ .

(٧٢) المصادر السابقة .

(٧٣) ابن الاثير : الكامل ٥٠٢/٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٧ .

الشيباني فترجل واخذ بلجام دابته ، وجعل يذود عنه ، وقاتل دونه قتال الابطال فانقذ حياته(٧٤) ، وجاء ابو نصر مالك بن الهيثم ، فوقف بباب القصر ، وحال بينه وبين من يريد اقتحامه (٧٥) ، ونودي في اهل السوق والاهالي ، فرموهم وقاتلوهم ، ثم فتحت ابواب المدينة ، فدخل الناس ، ودخل خازم بن خزيمة ، فحمل عليهم ، حتى الجأهم الى ظهر حائط فاحتموا به(٧٦) ، وتمكنوا من كشفه مرتين ، فقال خازم للهيثم بن شعبة ، اذا كروا علينافأسبقهم إلى الحائط فاذا رجعوا فاقتلهم . فلما شنوا في الثالثة الهجوم ، تراجع خازم امامهم ، ليفسح المجال للهيثم وقواته ، بأخذ اماكنها المتفق عليها ، فنجحت الخطة وأصبحت الراوندية بين نارين ، فقتلوا عن آخرهم ، وذهب ضحيهتم عثمان بن نهيك رئيس حرس المنصور، حيث رموه بنشابة ، مرض اياما منها فمات(٧٧) ، أول سنة **١٤٢** هـ / **٧٥٩** م(٧٨) .

وهكذا انتهت الحركة بالفشل . بعد ان كادت تعصف بحياة المنصور ، الذي اخطأ بخروجه عليهم بنفسه ، وقد اعترف نفسه بهذا الخطأ حين قال : « . . وخرجت يوم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعاً . . »(٧٩) ، ولكن شجاعته واباؤه ، دفعه الى القيام بهذا العمل ، لذلك يقول نولدكه :

---

(٧٤) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ ب ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٣/٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

وكان المنصور قد اهـدر دم معن بن زائدة لاشتراكه بحرب واسط مع ابن هبيرة. فلما ظهرت الراوندية خرج وقاتل دون الخليفة ، الذي عفا عنه وولاه اليمن ثم سجستان . انظر : الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٥/٥ .

(٧٥) الطبري : ٥٠٦/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٠٣/٥ ، وكان ابو نصر من اصحاب أبي مسلم ، فعفا عنه الخليفة لموقفه هذا .

(٧٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٢/٤ ب ، الطبري ٥٠٦/٧ ، ابن الاثير: الكامل ٥٠٣/٥ .

(٧٧) المصادر السابقة : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ .

(٧٨) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٢/٧ .

(٧٩) الطبري : ٥٠٧/٧ .

« وبهذه الهمة التي ابداها المنصور مقدما فيها ذات نفسه ، فغلب على هذا الفريق من المغامرين[٨٠] .

وكان من نتيجة حركة الراوندية ، ان تنبه المنصور الى ضرورة وضع دابة مسرجة ملجمة امام قصره دائما تكون جاهزة لاستعمالها عندالحاجة ، اطلق عليها «فرس النوبة » وتشير بعض الروايات الى انه اول من اتخذ ذلك ، واستمرت النوبة للخلفاء من بعده[٨١] .

* * *

٤ ـ حركة اهل الديلم :

لقد اعلن اهل الديلم[٨٢] حركتهم سنة **١٤٣** هـ / **٧٦٠** م[٨٣] ضد الحكم العباسي ، والملاحظ في هذه الحركة ، انها لم تكن ذات صبغة سياسية فقط ، بل انها بالاساس كانت دينية الصبغة ، هدفها اطفاء نور الاسلام في البلاد ، فهي بهذا المفهوم اشد خطرا على كيان الدولة العباسية .

ولهذا اصبح الصراع هناك يدور بين المسلمين ، سواء اكانوا من المؤيدين للحكم العباسي ام لا من جهة ، واعدائهم من غير المسلمين من جهة ثانية . يؤيد ذلك ما ذكرته بعض الروايات من « ان اهل الديلم عندما اعلنوا ثورتهم ، أوقعوا بالمسلمين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . . . وان المنصور لما سمع بخبرهم اعلن الجهاد »[٨٤] فارسل « حبيب بن عبدالله الى البصرة ، وعليها يومئذ

---

(٨٠) Sketches from Eastern History, P. 119

(٨١) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٧ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكر ١٤١/٤ هـ
Browne Literary History of persia, V:I.P. 317

(٨٢) بلاد الديلم : تقع بمحاذاة جبال ناحيتي الطالقان وتارم من اقليم الجبال . وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فقيل الديلمان ، واشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بني بويه أي الديالمة ، لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٠٧ .

(٨٣) الطبرى : ٥١٥/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٣/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٥١٢/٥ .

(٨٤) المصادر السابقة . الذهبي : العبر ١٩٤/١ .

اسماعيل بن علي ، وامره بإحصاء كل من له فيها عشرة الاف درهم فصاعدا ، وان يأخذ كل من كان ذلك له بالشخوص بنفسه لجهاد الديلم ، ووجه آخر لمثل ذلك الى الكوفة »[٨٥] وكتب الى اهل واسط والموصل والجزيرة يحثهم على الجهاد ، فلبوا النداء طائعين ، ووفدوا على مقر الخلافة ، فاجتمع لدى المنصور قوة عسكرية ضخمة منهم ، فاسند قيادتها لابن أخيه محمد بن ابي العباس ، وسيره سنة ١٤٤ هـ /٧٦١ م لغزو الديلم[٨٦] ، فتوجه بقواته وتمكن من القضاء على الحركة ، وبالرغم من نجاح الحملة ، وما اصابه المسلمون من الغنائم والسبي أثناء الحرب ، لكن نجاحها لم يحقق الهدف المنشود في إخضاع البلاد للحكم العباسي .

* * *

٥ ـ حركة استاذسيس :

لقد قامت هذه الحركة سنة ١٥٠ هـ /٧٦٧ م ، في منطقة باذغيس[٨٧] ، بزعامة استاذسيس[٨٨] ، الذي تصفه احدى الروايات بانه « رجل من الكفرة[٨٩] ، وانه كان زعيما لحركة دينية في خراسان كانت موجهة ضد العباسيين »[٩٠] وذكر اليعقوبي « ان استاذسيس ادعى النبوة »[٩١] وقد حدد

---

(٨٥) الطبري ٥١٥/٧ .

(٨٦) المصادر السابقة ، وانظر : العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٥/٧ . اما البلاذري فانه ذكر ان الحملة توجهت لغزو الديلم سنة ١٤١ هـ خلافا لما ذكرته المصادر التاريخية . مخطوط انساب الاشراف ٣٨/٣ ب .

(٨٧) باذغيس : ناحية تشمل قرى من اعمال هراة ومرو الروذ . ياقوت : معجم البلدان ٣١/٢ .

(٨٨) اليعقوبي : تاريخ ١١٩/٣ ، الطبري ٢٩/٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٨٦/٦ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٧٩/٥ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٥٠/٤ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ . ويرد اسمه ، باسم اسبادسيس واستادسيس ، انظر النويري : مخطوط نهاية الارب ١٥٠/٢٢ هـ . ويذكر البسوي الحركة تحت عنوان خروج اهل هراة المعرفة والتاريخ ١٣٦/١ ، وابن الجوزي : يذكرها تحت عنوان وخرجت الاعاجم . مخطوط المنتظم ١٥٠/٨ هـ .

(٨٩) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٦/١٠ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ .

(٩٠) دائرة المعارف الاسلامية . تعريب ابراهيم زكي وجماعته كتاب الشعب عدد ٢٠ مجلد ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٩١) تاريخ ١١٩/٣ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٨١/٥ .

الشهرستاني ميوله الدينية فوصفها بانها مجوسية .[٩٢]

وعليه يمكن القول ! بان الحركة كانت فارسية الصبغة مجوسية العقيدة

موجهة ضد الاسلام عامة ، والعباسيين خاصة .

توسع الحركة واخمادها :

لقد ساعد الجو المضطرب الذي ساد خراسان ابان تلك الفترة على توسع الحركة وانتشارها، يضاف الى ذلك ، عدم وجود قوات عباسية قوية في المنطقة يمكنها التصدي بحزم للحركة ، التي اخذت بالتوسع [٩٣] ، فبلغ عدد مؤيديها ٣٠٠ الف مقاتل[٩٤] ، فاستطاع استاذسيس بهذا الجيش الضخم من بسط نفوذه، وسيطرته على « سجستان وهراة وباذغيس وكور خراسان »[٩٥] ، وبذلك اصبحت الثورة تشكل خطرا فادحا على الوضع هناك ، وقد اشارت بعض الروايات الى خطورتها ، فذكرت « ان الجيوش الخراسانية خرجت عن الطاعة مع الامير استاذسيس ؛ واستولى على اكثر مدن خراسان وعظم الخطب واستفحل الشر ، واشتد على المنصور الامر »[٩٦] .

ولم يكتف استاذسيس بما استولى عليه ، وأراد ان يحقق انتصارات جديدة فزحف الى مرو الروذ ، فتصدى له عاملها الاجثم المروروذي بقواته، وسانده اهل البلد ، ودارت بين الفريقين معركة غير متكافئة ، انتهت بقتل الاجثم واكثر

---

(٩٢) الملل والنحل ص ١٨٧ .

(٩٣) مؤلف مجهول : تاريخ سجستان ص ١٤٢ .

(٩٤) المقدسي : البدء والتاريخ ٨٦/٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٠/٨هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٠/٥ ، الذهبي : العبر ٢١٢/١ .

(٩٥) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ ، وانظر : البسوي : المعرفة والتاريخ ١٣٦/١ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٠/٨ هـ .

(٩٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٢ ، وانظر الذهبي : العبر ٢١٢/١

اصحابه[97] واستباح استاذسيس المدينة « فقتل من المسلمين خلقا كثير »[98] .

وتمكن استاذسيس من الحاق الهزيمة بعدد من القواد العباسيين ، منهم معاذ بن مسلم ، وجبريل بن يحيى ، وحماد بن عمرو ، وابو النجم السجستاني وداود ابن كراز[99] ، فلما سمع المنصور بانباء الهزائم المتوالية لقـواتـه ، وما حل بالمسلمين من قتل وتشريد ، وجه القائد القدير خازم بن خزيمة التميمي في ١٢ ألف مقاتل[100] ، الى ابنه المهدي ، المقيم بنيسابور ، فلما قدم خازم على المهدي ، ضم اليه قـوات اخـرى ، ووجهـه لمحاربة استاذسيس .

توجه خازم بقواته البالغة ٢٨ الف مقاتل[101] ، الى استاذسيس ، وجعل على مقدمة جيشه بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ساقته القائد الخراساني ترارخدا ، واستعمل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ، ونهار بن حصين السعدي على مسيرته[102] ، وكان خازم حريصا على اتخاذ الاحتياطات اللازمة اثناء زحفه ، خوفا من اي هجوم مفاجيء للعدو ، فكان إذا نزل موضعا خندق على قواته ، وكتب الى المهدي اثناء زحفه ، يطلب منه ارسال امدادات عسكرية له ، فكتب المهدي الى ابي عون عبد الملك بن يزيد الازدي ، وعمرو بن مسلم ابن قتيبة ، وكانا بطخارستان ، بالتوجه بقواتها لمساندة القوات العباسية بقيادة خازم[103] .

استعد خازم للمعركة الفاصلة ، بعد ان علم بتوجه استاذسيس بقواته اليه . فأدخل الى خندقه كل ما يحتاجه من مؤنة ، وجعل له أربعة أبواب ، فأقبل

---

(٩٧) الطبري : ٢٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٠/٥ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٥٠/٤ هـ ابن خلدون/العبر ١٩٨/٣ .

(٩٨) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٦/١٠ .

(٩٩) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٣٦/١ ، الطبري ٢٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٠/٥ .

(١٠٠) ابن خلدون : العبر ١٩٨/٣ .

(١٠١) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٠/٨ هـ ، وانظر : الطبري ٣٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٣٨٠/٥ .

(١٠٢) الطبري ٢٣٠/٨ ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٠/٥ ، ابن خلدون : العبر ١٩٨/٣ .

(١٠٣) مؤلف مجهول : تاريخ سجستان ص ١٤٢ .

استاذسيس بجيشه العظيم ، وكان معه الحريش « الذي كان يدبر أمرهم »[١٠٤] وهو من ابناء سجستان ، وتقدمت قوة من جيشه لردم الخندق واجتيازه « فأتوا من الباب الذي كان عليه بكار بن مسلم فشدوا عليه شدة لم يكن لاصحاب بكار نهاية دون ان انهزموا حتى دخلوا عليهم الخندق[١٠٥] » فثبت بكار من معه من خاصته ، حتى تمكنوا من ردهم ، وكان الجيش بنفس الوقت قد قاد هجوما عنيفا على الباب الذي كان عليه خازم ، فلما رآه مقبلا ، امر الهيثم بن شعبة قائد الميمنة ، ان يخرج بقواته من بابهم ، بحذر للقيام بحركة التفاف عسكرية من غير ان يشعر به العدو الا وهو خلف خطوطهم القتالية ، فأبدى الهيثم استعداده التام لتنفيذ الخطة باحكام[١٠٦] .

وكان لنجاح الخطة ، اثر بالغ في تغير مجرى القتال فأصبحت القوات العباسية ، مهاجمة ، بعد ان كانت في موضع دفاع مستميت عن مواقعها الحصينة التي كادت ان تفقدها . فبعد ان خرج الهيثم بقواته ، بدأ خازم بمناوشة قوات استاذسيس ومشاغلتها ، لالهائها عما يراد بها ، وامر خازم اصحاب بكار بن مسلم ، ان يكبروا وينادوا ، قد جاء اهل طخارستان ، حين يروا الهيثم ، الذي ما ان وصل الى خلف العدو ، حتى قام بشن هجوم مفاجىء ، وعنيف على مواقعه الخلفية ، وكبر اصحاب بكار جاء اهل طخارستان ، وقام خازم في الوقت ذاته . بالهجوم على العدو من الامام ، فاربك الهجومان قواته ، فانتهزت القوات العباسية هذا الوضع ، فخرج عليهم نهار بن حصين واصحابه من ناحية الميسرة ، وبكار بن مسلم واصحابه من ناحيتهم »[١٠٧] واشتبك الفريقان في معركة شديدة ؛ وكان النصر فيها للقوات العباسية ، التي تمكنت من قتل ٧٠ الفا من

---

(١٠٤) الطبري ٣١/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط أزهرية) ٢٨٠/٥ .

(١٠٥) المصدران السابقان ، وانظر : بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٥٠/٤ هـ .

(١٠٦) المصادر السابقة .

(١٠٧) المصادر السابقة .

افراد العدو ، وأسروا ١٤ ألفا ، وفر الباقون »[١٠٨] .

وتمكن استاذسيس مع ٣٠ ألف من اصحابه من الهرب ، والاعتصام باحد الجبال الحصينة ، فأمرخازم بضرب اعناق الاسرى . واتجه بقواته ، فضرب الحصار على استاذسيس واصحابه ، وفي هذه الاثناء وصلت الامدادات العسكرية من طخارستان بقيادة ابي عون وعمرو بن مسلم ، فطلب منهما خازم ان يعسكروا في ناحية ، ويكونوا على اهبة الاستعداد ، لان المعركة لم تنته بعد، وتحت وطأة الحصار الشديد الذي ضربته القوات العباسية ، وافق استاذسيس على حكم أبي عون ، فاستسلم ومن معه « فأمر ابو عون بان يوثق استاذسيس وبنوه واهل بيته بالحديد ، وان يطلق سراح من معه ، فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون »[١٠٩] وكتب الى المهدي بالنصر ، الذي كتب بدوره الى ابيه المنصور ، يعلمه بالفتح ، وحمل استاذسيس واهل بيتهمقيدين الى بغداد ، فأمر أبو جعفر بهم فقتلوا[١١٠] ، وبذلك انتهت الحركة بالفشل .

* * *

---

(١٠٨) المصادر السابقة ، ابن كثير : البداية والنهاية ١/١٠٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ وانظر : البسوي : المرعفة والتاريخ ١/١٣٦ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٠/٨ هـ .

(١٠٩) المصادر السابقة ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٥٠/٤ هـ . الذهبي : العبر ٢١٣/١ .

(١١٠) اليعقوبي : تاريخ ١١٩/٣ .

الفصل الخامس
بغداد حاضرة الخلافة

١ ـ العواصم التي سبقت بغداد :

لقد فكر العباسيون منذ اللحظات الاولى لنجاح ثورتهم بانشاء عاصمة جديدة لدولتهم ، لكن الظروف السياسية الدقيقة ، التي كانت تمر فيها الدولة آنذاك حالت دون ذلك ، فكان عليهم ان يختاروا احدى المدن العراقية لاتخاذها عاصمة مؤقتة لحين سماح الظروف بتشييد عاصمة جديدة .

وكانت اشهر مدن العراق آنذك ، البصرة ، وواسط ، والموصل ، والكوفة فاستبعدت المدن الثلاث الاولى ، لاسباب سياسية وجغرافية[1] ، فبالنسبة للبصرة فانها لا تتوسط بلاد العراق ، ولانها منطقة بطائح تنتشر فيها المستنقعات ومن عيوبها اختلاف الجوفي اليوم الواحد . وانتشار مرض الطاعون فيها .

اما واسط ، فلان الحجاج بن يوسف كان قد بناها لتكون معسكرا لجيشه ، واختار لها سكانها لذلك اتخذت طابعا امويا منذ نشأتها ، واليها التجأ ابن هبيرة بقواته ، فتحصن فيها عند اندلاع الثورة العباسية .

اما الموصل ، فانها لا تتوسط بلاد العراق ، وكانت مركزا لبعض الخوارج ومن عيوبها الطبيعية شتاؤها شديد البرد وريح الجنوب مؤذية ، وماء النهر بعيد المستقى .

---

(١) للإطلاع أنظر : البلاذري : فتوح البلدان ب / ٤٥٥ ، المقدسي أحسن التقاسيم ص ١٣٨ ، القزويني : آثار البلاد ص ٣٠٥ ـ ٣٠٩ .

لذلك لم يبق من هذه المدن سوى الكوفة ، ومع كونها ذات ميول علوية ، لكن الضرورة اقتضت ان تكون عاصمة لمقر الخلافة ولو لفترة قصيرة ، ففيها اختفى ابو العباس واهل بيته ، وفيها اخذت البيعة له ، الا ان اقامته فيها لم تدم ، فشرع في اتخاذ الخطوات الفعلية لاختيار عاصمة جديدة غيرها ، اما الحيرة وحمام اعين اللتين نزلهما ابو العباس فترة قصيرة لاسباب سياسية وعسكرية فلا يمكن ان نطلق عليها عواصم بالمعنى الصحيح . لأن اقامته فيهما كانت اقامة مؤقتة .

ويمكن القول بأن اهم العواصم ـ بعد الكوفة ـ التي سبقت بناء بغداد هي :

١ ـ الهاشمية : وهي التي بناها يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولم يتمها ، فنزلها ابو العباس واستتم مقاصيرها وسماها « الهاشمية » لكن استمرار الناس على تسميتها بمدينة ابن هبيرة ، جعل الخليفة يكره السكن فيها ، فبنى حيالها مدينة أسماها « الهاشمية »[٢] وهي التي تعرف باسم « هاشمية الكوفة »[٣] .

٢ ـ الانبار : انتقل اليها ابو العباس ، وبدأ ببناء مدينة فيها على شاطئ الفرات ، سنة ١٣٤ هـ / ٧٥١م وسماها « الهاشمية » ايضا[٤] ، وتعرف باسم « هاشمية الانبار » واتخذها عاصمة له ، وفيها توفي سنة ١٣٦ هـ /٧٥٣ م فدفن فيها .

ولما استخلف المنصور سنة ١٣٦ هـ ، قرر اتخاذ عاصمة له فنزل بادىء الامر « المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقي منها ، وزاد فيها بناء وهيأها على ما اراد[٥] » أما ما ذكره بعض المؤرخين من ان المنصور بنى مدينة بين الكوفة

---

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٥١ ، محمود شكري الألوسي : مخطوط أخبار بغداد وما جاورها من البلاد المكتبة القادرية بغداد «خزانة التاريخ بدون رقم » ص ١٧ .

(٣) وردت هذه التسمية في نص الأمان الذي أعطاه المنصور لعمه عبد الله بن علي أنظر : الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٧٠ ياقوت : معجم البلدان ٨ / ٤٣٩ أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٩٧ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ص ٦ وتاريخ ٣ / ٩٨ ، ياسين العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٨ . أنظر ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٣ لسترنج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٣ وتبعد الهاشمية عن بغداد بمقدار عشرة فراسخ : ياقوت : معجم البلدان ١ / ٢٤١ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٥١ .

والحيرة سماها الهاشمية، واقام بها مدة[٦] » قد يكون اشارة الى ما قام به المنصور من استكمال بناء هاشمية الكوفة ، لا لكونه بنى مدينة ثالثة تحمل اسم الهاشمية ، وقد أشارت بعض المصادر الى ان المنصور بنى مدينة بظهر الكوفة سماها « الرصافة[٧] » لكن « هاشمية الكوفة » ظلت مركزا لنشاط الخليفة السياسي .

ومن الجدير بالملاحظة ان كلا من الخليفتين ابي العباس والمنصور ، قد حرصا على اختيار اسم « الهاشمية » دون اسم « العباسية » رغم ان هذه التسمية اكثر ملاءمة من الاولى وربما كان السبب في ذلك ان الدعوة العباسية كانت في مهدها تدعو للرضا من ال محمد ، وهذا العموم في اللفظ يشمل العباسيين والعولويين ، لانتسابهم الى البيت الهاشمي فكان اختيار اسم « الهاشمية » يخدم مصالح العباسيين فهو من ناحية يؤكد وصول الهاشميين الى الخلافة ، ومن ناحية ثانية لا يجرح مشاعر ابناء عمومتهم من العلويين[٨] .

هذا وقد استمر المنصور في الاقامة بهاشمية الكوفة، التي قامت الراوندية بحركتها فيها هذه سنة ١٤١ هـ/ ٧٥٨ م . فكره سكناها ، وفكر في انشاء حاضرة جديدة للدولة العباسية .

٢ ـ بناء بغداد :

أ ـ اسباب بنائها :

لما كانت العاصمة من الاهمية بمكان لكل دولة ، خاصة في الادارة وتسيير دفة الحكم بصورة سليمة ، فان اهميتها للدولة العباسية الجديدة ، اصبحت امرا ضروريا بعد نجاح الثورة .

---

(٦) أنظر : اليعقوبي : البلدان ص ٦ ، أما الطبري فجاءت إشارته إلى هاشمية الكوفة التي كان أبو العباس قد نزلها ولم يستكمل بنائها . ٧ / ٦١٤ .

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٢٥٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ .

(٨) أنظر نيكلسن Nicholson , Aliterary history of the arabs, cambridge, 1930, P. 250.

ولما كانت الظروف السياسية قد حالت دون ان يشيد ابو العباس عاصمة تشبع طموح العباسيين، وتخلد مجدهم عبر الاجيال ، فان الخليفة المنصور الذي خلف اخاه سنة ١٣٦ هـ ، قام بتحقيق المشروع ، بعد دراسته دراسة مستفيضة من جميع جوانبه ، فوقع اختياره اخيرا على موقع « بغداد » الذي وجد توفر كافة الصفات المطلوبة فيه لان يكون عاصمة للدولة فباشر في بنائها فيه .

اما الاسباب التي دعت المنصور لبناء بغداد كعاصمة فيمكن ردها الى امرين اولهما : ثورة الراوندية عليه في مدينته الهاشمية سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م .
ثانيهما : قربه من أهل الكوفة ؛ وعدم اطمئنانه لهم .

وقد اشارت اغلب المصادر التاريخية الى هذين الامرين ، مؤكدا ان المنصور بسببهما بنى مدينة بغداد [٩] خاصة بعد ان اثبتت الهاشمية عدم صلاحيتها عسكريا ، لا فتقارها للمناعة الواجب توفرها في عاصمة الخلافة ، وقد ادرك الخليفة هذا العيب من خلال ثورة الراوندية عليه . فضلا عن استعداد اهل الكوفة لمساعدة اية ثورة تقوم ضده . الا ان بعض الاراء التي ظهرت اخيرا ، لا تعير لثورة الراوندية اية اهمية تذكر ، او بمعنى ادق لا تأخذ بالسببين السابقين كاساس لبناء بغداد، فمن ذلك ما ذكره علي ظريف الاعظمي حين قال : « انه لا صحة لما قيل من ان المنصور كره الهاشمية لقربها من الكوفة التي كانت حينذاك مركز الفتن ، او انه كرهها منذ ثارت عليه جماعة الراوندية سنة ١٤١ هـ ، او انه كان خائفا من اشياع ابي مسلم الخراساني الذي قتله فبنى بغداد وحصنها وغاية ما هناك انه بناها لاهمية موقعها من جهة ادارة الملك ، ولا تخفى ما لذلك من عظيم الغاية بتدبير امر الدولة[١٠] » .

---

(٩) الطبري ٧ / ٦١٤ ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ١٢ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٨ محمود شكري الألوسي : مخطوط أخبار بغداد وما جاورها من البلاد، المكتبة القادرية ، بغداد خزانة التاريخ ، ص ١٨ ، جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام . مطبعة المؤيد ، مصر ١٩٠٥ م ص ٤٢ .
(١٠) مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد سنة ١٣٤٤ هـ ، ص ٥ ـ ٦ .

وهذا الرأي لا يمكن الاعتماد عليه لمخالفته للنصوص التاريخية مخالفة صريحة وواضحة ، ولا يستند على وقائع ملموسة .في حين ايد كل من الدوري والبستاني بان بناء بغداد كان بسبب ثورة الراوندية على الخليفة في هاشمية الكوفة التي اثبتت عدم مناعتها ، فضلا عن قربها من الكوفة العلوية ، التي كان المنصور يخشى اهلها ، ولذلك آثر الانتقال الى موضوع آخر يبني فيه عاصمته الجديدة(١١) .

وعلى هذا يمكن القول : ان لثورة الراوندية اهمية بالغة ومباشرة في ان يعقد المنصور العزم على بناء عاصمة جديدة لمقر خلافته ، او على اقل تقدير لو فرضنا ان الخليفة كان قد فكر في بناء عاصمة لملكه ، فان ثورة الراوندية قد حفزته للاسراع بتنفيذ المشروع . ونستطيع ان نلمس مدى خطورة هذه الثورة على حياة المنصور من قوله « اخطأت ثلاث خطيات وقاني الله شرهـا ، قتلت ابا مسلم وانا في خرق ومن حولي يقدم طاعته ويؤثرها ولو هتكت الخرق لذهبت ضياعاً ، وخرجت يوم الراوندية ولو اصابني سهم غرب لذهبت ضياعاً وخرجت الى الشام ولو أختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ضياعاً »(١٢) . يضاف الى ذلك مجاورة الكوفة المعروفة بميولها العلوية ، حتى ان بعض الروايات أشارت الى أن « اهلها قد افسدوا جنده »(١٣) . فقرر الانتقال الى موضع آخر اكثر امانا .

ونستطيع ان نضيف سببا ثالثا لا يقل بنظرنا اهمية عن سابقيه ، وهو اهتمام الخلفاء والولاة المسلمين بتشييد العمائر والمدن التي تخلد اسماءهم على مر السنين والاجيال(١٤) . لذلك قال اليعقوبي عن المنصور ،« وكان أول خليفة بنى مدينة

---

(١١) العصر العباسي الأول ص ٩٤ ، دائرة معارف البستاني ، طبع بيروت سنة ١٩٦٤ ٥ / ٥٠٨ .

(١٢) الطبري ٧ / ٥٠٧ .

(١٣) ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ١٢ ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٨ ، الألوسي : مخطوط أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ص ١٨ ، جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام ص ٤٢ .

(١٤) الأمثلة على ذلك كثيرة . منها بناء الحجاج لمدينة واسط سنة ٨٣ هـ ، وبناء الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي بدمشق سنة ٨٨ هـ ، أنظر البلاذري فتوح البلدان ٢ / ٣٥٥ ، ٣٦٥ .

فنزلها وهي مدينة بغداد»(١٥) ، كما يؤثر عن المتوكل حين انتقل الى مدينة المتوكلية في محرم سنة ٢٤٧ هـ قوله « الآن علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها »(١٦) .

اما لماذا اختار المنصور موقع بغداد ، فيمكن رده الى مجموعة من الاسباب السياسية والعسكرية والجغرافية والاقتصادية .

فمن الناحية السياسية ، كان العباسيون قد اعتمدوا على القوة العربية الضارية من مؤيدهم المتواجدين في خراسان وقت اندلاع ثورتهم ، لذلك كانت خراسان بالنسبة لهم معقلا رئيسيا لانصارهم واتباعهم ، ومع هذا فان العباسيين لم يفكروا باتخاذ حاضرة فيه ، وقد يكون لبعده عن المراكز العربية المهمة ، جعلت من غير المستحسن الاقدام على تنفيذ الفكرة .

اما بلاد الشام المعروفة بميولها الأموية، فلم يكن بوسع المنصور اتخاذ عاصمة له فيها، لما ينطوي ذلك على مخاطر جسيمة وهو بين جماعة لا تدين له بالولاء وقد برهنت ثورةعبدالله على ذلك ، فضلا عن قرب الشام من حدود دولة الروم البيزنطية ،التي اقلقت الامويين بهجماتها على ثغور دولتهم .

اما الحجاز فانه احتفظ بمكانته الدينية ، وفقد الكثير من مكانته السياسية منذ اصبحت دمشق عاصمة للدولة الاموية . يضاف الى ذلك ان اهل الحجاز قد ملوا الخلافات السياسية ، بعد الحوادث التي تعرضت لها المدينة ومكه ، كموقعة الحرة، وحصار الكعبة وحرقها، ومقتل ابن الزبير بمكة(١٧)، وما رافق ذلك من مجازر دموية جعلت اهله يبتعدون عن الخوض في امور الخلافة ومشكلاتها . ثم ان

---

(١٥) مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، مطبعة دار الكتاب الجديد بيروت ط أولى ١٩٦٢ م ص ٢٣ .

(١٦) اليعقوبي : البلدان ، طبعة ليدن سنة ١٨٩١ م ص ٣٦٧ .

(١٧) موقعة الحرة كانت سنة ٦٣ هـ ، ومقتل ابن الزبير كان سنة ٧٣ هـ . أنظر ابن خياط : تاريخ ١ / ٢٢٣ - ٢٤٩ و ٢٦٦ - ٢٦٧ .

العباسيين لم يعتمدوا على الحجاز في دعوتهم منذ البداية ، ولم يتخذوا منه مركزا لنشاطهم السياسي ، الا في مواسم الحج . لذلك لم يكن البلد ، بالبلد الذي يشبع طموح المنصور باقامة حاضرة لدولته فيه ، بعد ان اصبح بمعزل عن النشاط الحزبي الذي لاحت بوادره في اواخر الدولة الاموية وتكلل بنجاح العباسيين واستيلائهم على السلطة .

اما بلاد العراق ، وخاصة الكوفة ، فانها كانت مركزا مهما لنشاطهم السياسي ، ومقرا منظما لدعوتهم ؛ فاليها التجأ ابو العباس واهل بيته ، وفيها اعلنت خلافته ؛ ومنها انتقل الى عدة مراكز ، لاختيارعاصمة له مدة خلافته ، وسار المنصور على نهجه فاستقر في هاشمية الكوفة ، ومن هذا ندرك أهمية العراق للعباسيين ؛ كانسب مكان لقيام حاضرة للدولة فيه ، لهذا كان اختيار موقع بغداد الذي يتوسط بلاد العراق ، فضلا عن قربه من خراسان مركز الدعوة العباسية ، وقربه من المراكز العربية المهمة الأخرى ، وبعده عن مراكز الاحتكاك البيزنطي ، افضل موقع لبناء العاصمة الجديدة فيه .

اما من الناحية العسكرية ، فلان الهاشمية اثبتت عدم مناعتها ، وقد أدرك المنصور بخبرته العسكرية الممتازة ، خطورة هذه الناحية عليه ، ان هو استمر في الاقامة فيها ، فقرر حفاظا على سلامة الدولة وأمنها ، الانتقال الى موضع تتوفر فيه الحصانة والمناعة لاقامة الحاضرة فيه ، يؤيد ذلك قول المنصور نفسه حين وقع اختياره على موقع بغداد « هذا موضع معسكر صالح [١٨] » .

وتبرز لنا اهمية موقع بغداد العسكري من خلال حديث « صاحب بغداد » حين استدعاه المنصور ليسأله عن موقعها القديم فقال « . . . وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك ، وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق والمغرب

---

(١٨) الطبري ٧ / ٦١٤ وانظر : ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٢ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ .

الا احتاج الى العبور ، وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وانت قريب من البر والبحر والجبل[١٩] ،ومن الطبيعي حين يسمع المنصور وهو القائد العسكري الجيد مثل هذا الوصف لموقع بغداد لا بد وان يختاره لذلك « ازداد عزما على النزول في الموضع الذي اختاره[٢٠] » ، لما يمتاز به من تحصينات عسكرية طبيعية تجعل من العسير على قوات العدو القادمة من المشرق أو المغرب اقتحامها ، لوجود موانع مائية تعوق تقدمه [٢١] ، يؤيد هذا قول صاحب بغداد « ومع هذا فان الله قد من على امير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده ، فليس أحد من اعدائه يطمع في الدنو منه ، والتدبير في المدن ان تتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون ، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين[٢٢] .

ومن هذا يتضح لنا ان موقع بغداد يمتاز بصفات عسكرية دفاعية طبيعية جعلته جديرا باقامة عاصمة الدولة فيه ، خاصة اذا علمنا ان الهدف الرئيسي من بناء بغداد كان عسكريا بالدرجة الاولى ، لهذا قال ويسلر ، « ان بغداد ذات موقع حربي واستراتيجي عظيم[٢٣] » .

اما من الناحية الجغرافية ، فلان موقع بغداد يتوسط بلاد العراق والموقع بالذات تحيط به اراض سهولية منبسطة ، مع توفر الماء من نهري دجلة والفرات ومثل هذا الموقع يشبع رغبة المنصور خاصة والمسلمين عامة الذين اعتادوا

---

(١٩) الطبري ٧ / ٦١٦ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ، تصحيح محمد بهجت الأثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٤٢ هـ ص ٨ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ ، الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢٠ .

(٢٠) الطبري ٧ / ٦١٧ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ .

(٢١) أنظر : ابن سرابيون : مخطوط وصف ما بين النهرين وبغداد ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ٩٢٤ ، ص ٢٠ ، مصطفى جواد وأحمد سوسه : دليل خارطة بغداد ، طبع المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ م ص ٢ ، ٣ ، ١٦ .

(٢٢) الطبري ٧ / ٦١٧ .

(٢٣) الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٣٧ .

السكنى في المناطق المفتوحة ، يعضد هذا الرأي ما ذكره الطبري « ان المنصور ارسل جماعة يرتادون له موضعا ينزله واسطا رافقا بالعامة والجند ، فنعت له موضع قريب من بارما[٢٤] ، وذكر له عند غذاء طيب ؛ فخرج اليه بنفسه حتى ينظر اليه ، وبات فيه ، وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيبا ، فقال لجماعة من اصحابه ، منهم سليمان ابن مجالد وابو ايوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا : ما رأينا مثله ، هو طيب صالح موافق قال صدقتم ، هو هكذا ، ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وانما اريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي[٢٥] » .

لهذا كان المنصور حريصا على ان يكون الموقع الجغرافي لمدينته موقعا مناسبا معتدلا جوه صيفا وشتاء ، تتوفر فيه الشروط الصحية الملائمة التي تؤهله لان يكون صالحا لتشييد حاضره الدولة فيه ، ويمكن ان نلمس مدى حرصه واهتمامه باختيار موقعه جغرافيا من الرواية القائلة : « ان المنصور نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد ،فدعا بصاحب الدير ، واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواقعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام ؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم ، فوجه رجالا من قبله ، وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية منها ،فبات كل رجل منهم في قرية ،واتاه بخبرها[٢٦] واتفق قولهم على طيب الموقع وصحة هوائه[٢٧] ، ثم ان المنصور تحرى الموقع بنفسه فرحل « ونزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة فوجده قليل

---

(٢٤) بارما : « بكسر الراء وتشديد الميم » مدينة على دجلة فوق تكريت ، ياقوت : معجم البلدان ٥ / ١٥٣ .

(٢٥) تاريخ ٧ / ٦١٥ ، ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ .

(٢٦) الطبري ٧ / ٦١٦ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ .

(٢٧) ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ .

البق فقال : هذا موضع ارضاه . . ويصلح ان تبنى فيه مدينة »[٢٨] ويقول جوزيف هل : «وقد أسست العاصمة الجديدة على نهر دجلة في سهل خصيب[٢٩] » ويذكر ويسلر : عن بغداد وجوها « بانها تخلو من البعوض الذي كان ينتشر في البصرة والكوفة وهي على مسافة قريبة من هاتين المدينتين ، حيث اخـذت تتجمع الطبقة العاملة »[٣٠] .

اما من الناحية الاقتصادية ، فالمعروف عن المنصور اقتصاده الشديد حتى لقبه الناس « بالدوانيقي[٣١] » وقال هو عن نفسه « انا ابو الدوانيق[٣٢] » ومثل هذا الحرص على الاموال ؛ لا بد وان يدفعه لادراك اهمية الناحية الاقتصادية والتجارية عند تحريه عن موقع ملائم يبنى فيه عاصمته ، تتوفر فيه هذه النواحي المهمة ، لهذا اعترض على من ارسلهم للبحث والتقصي ، حين ذكروا له موضعا قريبا من بارما حببوه له ، لاشتماله على خصال جيدة ، فخرج اليه بنفسه ، فوجده كما قالوا لكنه اعترض عليه قائلا « انه لا يحمل الجند والناس والجماعات ، وانما اريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهـم مع موافقتهم لي. ولا تغـلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة ، فأني ان أقمت في موضع لايجاب اليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار ، وقلت المادة ، واشتدت المؤونة ، وشق ذلك عل الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال ، فأنا راجع

---

(٢٨) الطبري ٧ / ٦١٧ ـ ٦١٩ وانظر : ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ .

(٢٩) الحضارة العربية ، ترجمة إبراهيم العدوى سلسلة ألف كتاب ، القاهرة ص ٨٢ ، وما بعدها .

(٣٠) الحضارة العربية ص ١٣٧ .

(٣١) النرشجي : تاريخ بخارى : عربه من الفارسية وقدم له وحققه ، أمين عبد عبد المجيد بدوي ونصر الله الطرازي ، مطبعة دار المعارف ، مصر ص ٨١ ، الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل مطبعة الحلبي القاهرة ص ٢٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧٠ ، الطوسي : اختيار معرفة الرجال ٧ / ٢١٢ ، مؤلف مجهول : مخطوط كتاب عجائب البلدان ص ٤٧١ ويذكر الثعالبي : ان أبا جعفر كان يلقب بذلك لندنقه ومحاسبته عمال البلاد، فضلاً عن الفعلة والاجراء على الدوانيق والحبات ، والدوانيق جميع دانق ودناق وهو سدس الدرهم ، لطائف المعارف ص ٤٤ ، أنظر المقريزي : كتاب النقود ص ٢٣ .

(٣٢) الطبري ٧ / ٦١٩ .

اليه وبائت فيه ، فان اجتمع لي فيه ما اريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه[٣٣] » .

وواضح من سياق النص ، ان رفض المنصور للموقع كان بسبب عدم ملاءمته اقتصاديا .

اما موضع بغداد الذي اشار اليه الخليفة من خلال كلامه ، واستحسنه ، فانه يمتاز بصفات تؤهله لان يكون صالحا لاقامة العاصمة فيه ، فهو يتوسط بلاد العراق ويقع على ملتقى الطرق التجارية البرية والمائية ، اضافة الى الاراضي الزراعية المحيطة به ، ويؤيده قول صاحب بغداد للمنصور « فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فان أجدب طسوج[٣٤] وتأخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات وانت يا امير المؤمنين على الصراة ، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من ارمينيه وما اتصل بها . . حتى تصل الى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة[٣٥] .

وتشير بعض الروايات الى ان المنصور لم يعتمد على قول البطريق صاحب بغداد اعتمادا كليا في اختياره لموضع بغداد ، بل انه نزله شخصيا وبات فيه وتفحصه تفحص الخبير العارف ، فاعجب به[٣٦] ، وقال : هذا موضع ابني فيه ، فانه تاتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الانهار ، ولا يحمل الجند

---

(٣٣) المصدر السابق ٧ / ٦١٥ ، ابن الفقيه الهمذاني : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ .

(٣٤) الطسوج : الناحية .

(٣٥) الطبري ٧ / ٧ ٦١ ، ابن الجوزي مناقب بغداد ص ٨ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٤ الألوس : مخطوط أخبار بغداد ص ٢٠ .

(٣٦) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٦٢ ، بيبرس مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٤٥ هـ العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٨٦ .

والعامة الامثلة[٣٧] » وفي رواية اخرى ، انه قال « هذا موضع معسكر جيد ، هذه دجلة يأتينا كل ما في البحر منها ، وتاتينا ايضا فيها الميرة من الجزيرة وارمينية وما والاها ، وهذا الفرات يحمل فيه متاع الشام والرقة ، فنزل وضرب على الصراة وخط المدينة»[٣٨] ولهذا قال « هل » عن موقع بغداد انه عند نقطة تلتقي فيها اهم الطرق التجارية في اسيا الغربية[٣٩] .

ب ـ البدء في بناء بغداد[٤٠]

بعد ان درس المنصور موضع المدينة التي ستكون حاضره للدولة الجديدة دراسة مستفيضة وعميقة ، اثناء الرحلة التي قام بها بنفسه الى الموقع ، وقارنها بالمعلومات الوافية التي حصل عليها من سكان المنطقة ومن الوفود التي ارسلها انتهى الى توافر الشروط التي كان يهدف اليها من موضع العاصمة يؤ يده قوله « ما رأيت موضعا اصلح لبناء مدينة من هذا الموضع .[٤١] » فصمم على البدء بتنفيذ المشروع ، واتخذ معسكرا له على نهر الصراة وخط المدينة[٤٢] ، في الجانب الغربي من دجلة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م[٤٣] .

أما ماقاله الدينوري : من ان المنصور كان قد بنى بغداد سنة ١٣٩

---

(٣٧) الطبري ٧ / ٦١٦، ابن الفقيه: مخطوط مختصر كتاب البلدان، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ .

(٣٨) ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٢ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٤٥ هـ ، وانظر الطبري : ٧ / ٦١٤ العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٨٦ .

(٣٩) الحضارة العربية ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٤٠) سنقتصر في بحثنا على أهم الجوانب العمرانية ، وبالقدر الذي يغنينا عن ذكر التفاصيل الكثيرة الأخرى ، لأنها غير موضوع بحثنا هذا ، ومن أراد التوسع فلينظر المصادر الواردة في الحواشي .

(٤١) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٣ .

(٤٢) الطبري ٧ / ٦١٤ ابن الفقيه ، مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٢ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ .

(٤٣) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، الطبري ٧ / ٦١٤ الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٩٤ ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٦ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ ومناقب بغداد ص ٨ ، العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٨ .

هـ[٤٤] ، فهذا القول تعارضه رواية اليعقوبي القائلة « ان المنصور اختطها في ربيع الأول سنة ١٤٠ هـ[٤٥] وحتى هذه الرواية تعارضها روايته القائلة «وصار ابو جعفر الى بغداد سنة ١٤٤هـ فاختط مدينته المعروفة بمدينة ابي جعفر[٤٦] وللطبري في ذلك اربع روايات ، واحدة توافق رواية اليعقوبي الثانية في ان المنصور اختط بغداد سنة ١٤٤ هـ[٤٧] والرويات الثلاث الباقية ، تؤكد انه باشر العمل بالمدينة سنة ١٤٥ هـ[٤٨] .

اما ابن الجوزي فذكر رواية تخالف الروايات السابقة فقال « ان المنصور اختط مدينة بغداد سنة ١٤٢ هـ ولم يشرع بالبناء[٤٩] ، ولم يبين لنا ابن الجوزي سبب ترك المنصور لمدينة بغداد مخططة للفترة الواقعة بين سنة ٤٢ هـ - ١٤٥ هـ كما ان هذه المدة كافية لتذهب بمعالم التخطيط ، وفي هذا تضييع للجهود وعلى غير المعهود من حرص المنصور . اما بيبرس فذكر « ان المنصور انتقل من الكوفة سنة ١٣٩ هـ فخط مدينة دار السلام » ولكنه يعود فيذكر في حوادث سَنة ١٤١ هـ ، ان المنصور اختط بغداد ولم يشرع في البناء[٥٠] والتناقض بين الروايتين واضح ، وكأنما الخليفة اختط بغداد مرتين الاولى في سنة ١٣٩ هـ والثانية في سنة ١٤١ هـ ، ولم يقل احد بذلك .

ان التضارب والاختلاف بين الروايات السابقة يجعلنا نشك بصحتها وبالتالي نستبدعها جميعا نظرا لعدم امكانية الاحتجاج بواحدة منها . في حين توجد روايات اكثر وثوقا ، يمكن الاعتماد عليها والتي تؤكد ان المنصور وقع اختياره على

---

(٤٤) الأخبار الطوال ص ٣٦٢ .
(٤٥) كتاب البلدان ص ٧ .
(٤٦) تاريخ ٣ / ١١٣ .
(٤٧) تاريخ ٧ / ٦١٨ .
(٤٨) تاريخ ٧ / ٦١٤ ، و٦١٧ و٦١٨ .
(٤٩) مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٢ هـ .
(٥٠) مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٩ هـ و١٤١ هـ .

موضع بغداد سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م [٥١] .

ويمكن القول ان اختيار المنصور للموضع كان اوائل سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، هكذا تنبىء الاحداث التاريخية التالية فحين اختار المنصور الموضع «وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، فاحضروا وامر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة وكان ممن احضر لذلك الحجاج بن ارطأة وابو حنيفة النعمان بن ثابت »[٥٢] .

وتشير بعض الروايات الى ان « المنصور احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين والفعلة والصناع، وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من امر البناء حتى تكامل بحضرته من اهل المهن والصناعات الوف كثيرة [٥٣] ، ولم يبدأ بالبناء الى حين تكامل له من الفعلة واهل المهن مائة الف »[٥٤] .

واول عمل قام به المنصور ان « أمر بخطها بالرماد فدخلها من ابوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد . . ثم امر ان يجعل على الرماد حب القطن وينصب عليه النفط ، ويشعل بالنار، ففعلوا ، فنظر اليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها[٥٥] ، وهذه الاجراءات والاعمال بطبيعة الحال تحتاج الى جهد ووقت واذا ادخلنا في حسابنا ايضا ، ان المنصور حينما باشر البناء ووصل الحائط مقدار قامة قطع العمل بسبب ثورة النفس الزكية في اول رجب سنة

---

(٥١) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٨ البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، الطبري ٧ / ٦١٤ الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٩٤ المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٤٦٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٦ .

(٥٢) الطبري ٧ / ٦١٨ ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٤ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٥ ، ـ الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢٠ .

(٥٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٦ وانظر : اليعقوبي تاريخ ٣ / ١١٣ .

(٥٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣ .

(٥٥) الطبري ٧ / ٦١٨ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية ٥ / ٢٦٥) .

١٤٥ هـ جعلنا ذلك نرجح ان ا بتداء البناء كان اوائل هذه السنة . وحدد بعض المؤرخين المحدثين تاريخ ذلك ، فقالوا « ابتدأ المنصور ببناء مدينته اوائل جمادى الاولى سنة ١٤٥ هـ الموافق اوائل شهر أب ـ اغسطس ـ سنة ٧٦٢ م »[٥٦] ولم يذكروا دليلا على ذلك .

وعلى اية حال ، فقد اتخذ شكل المدينة المدور طابعا خاصا يميزها عن المدن الاخرى ، لذلك اشارت بعض الروايات الى « انه لا يعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها »[٥٧] . وكان لهذا الشكل معان ليست متوفرة في سواها ، وربما ادرك الخليفة هذا الامر ، فجعل قصره في وسطها ، لكي لا يثير الحساسيات بين اهله وذويه وقادته في قربهم وبعدهم عنه هذا من ناحية [٥٨] ومن ناحية اخرى سهولة الدفاع عن اي جزء من اجزائها اذا تعرض لهجوم خارجي .

وقد اشرف على تخطيطها كما يذكر الخطيب البغدادي « الحجاج بن ارطأة وجماعة من أهل الكوفة [٥٩] » وحدد اليعقوبي اسماء مهندسيها وهم ، عبد الله بن محرز ، وعمران بن الوضاح ، وشهاب بن كثير ، والحجاج بن يوسف وهو الحجاج ابن ارطأة[٦٠] .

---

(٥٦) مصطفى جواد وأحمد سوسة : تخطيط بغداد في مختلف عصورها بحث في مجلة بغداد قام بنشره نقابة المهندسين العراقية سنة ١٩٦٩ م ص ١٧ .

(٥٧) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٧ .

(٥٨) أنظر المصدر السابق ١ / ٧٢ ، ابن الفقيه : مخطوط مختصر البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٥ .

(٥٩) تاريخ بغداد ١ / ٧٠ .

(٦٠) كتاب البلدان ص ١٠ . وذكر ابن خياط أن الحجاج بن يوسف محدث من الطبقة الخامسة ويكنى بأبي ارطأة . الطبقات : تحقيق اكرم العمري ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ وقال اليعقوبي « قلد المنصور الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة وباب المحول والكوخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس ، والربع من باب الكوفة الى الشام وشارع طريق الأنبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد وواضحاً مولاه وعبد الله بن محرز المهندس ، الربع من باب الشام إلى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الجسر على منتهى دجلة حرب بن عبد الله وغزوان مولاه ، والحجاج بن يوسف المهندس ، ومن باب خراسان إلى الجسر الذي على دجلة ماراً في الشارع على دجلة إلى البغيين وباب قطر بل هشام بن عمرة التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس » البلدان ص ١٠ .

وأمر المنصور بعد ذلك ، بالمباشرة بالعمل ، فاحضر العمال وكانوا ١٠٠ الف عامل ، فاجرى عليهم ارزاق ، وهيأ لهم السكن في موقع العمل ، وامر فحفرت الابار للماء وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الاخذ من الفرات فأتقنت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين وامر بحفر اساسات المدينة وضرب اللبن وطبخ الاجر ووضع اول لبنه بيده معلنا ابتداء البناء ، وقال « بسم الله والحمد الله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال : «ابنوا على بركة الله[٦١] » واختار الحجاح بن ارطأة وابا حنيفة للاشراف على البناء[٦٢] لما عهده فيهما من العدالة والفقه والامانة . وقد تولى ابو حنيفة ضرب اللبن وعده ، واخذ الرجال بالعمل [٦٣] وكان يعمل في كل يوم خمسون الف رجل[٦٤] .

وقد اهتم الخليفة اهتماما كبيرا بطريقة بناء مدينته من الناحية العسكرية . فجعلها محصنة تحصينا يصعب على العدو اقتحامها وهذا واضح من التصميم الأساسي للمدينة ، ولحين تكاملها فقد صممت دائرية الشكل ، يحيطها سور عرضه من اسفله ٥٠ ذراعا ، ومن اعلاه ٢٠ ذراعا[٦٥] وجعل فيه اربعة ابواب باب خراسان وباب البصرة وباب الكوفة وباب الشام[٦٦] وهذه الأبواب كانت

---

(٦١) الطبري ٧ / ٦١٦ ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٣ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ ، الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢١ ، ياسين العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام في ص ٨ .

(٦٢) ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٤ .

(٦٣) المصدر السابق ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧١ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ .

(٦٤) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣١٨ ، مصطفى جواد وأحمد سوسه : تخطيط بغداد في مختلف عصورها ص ١٧ .

(٦٥) الطبري ٧ / ٦١٩ ، ابن الأثير الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٥ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكره ٤ / ١٤٥ هـ .

(٦٦) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٣ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١ / ٧١ ، ابن الجوزي مناقب بغداد ص ١٠ .

باتجاه المدن المشهورة الاربعة فسميت الابواب على اسمائها « فكان اذاجاءها الجائي من المشرق دخل من باب خراسان ، واذاجاءها من الحجاز دخل من باب الكوفة واذا جاءها من المغرب دخل من باب الشام ، واذاجاءها من فارس والاهواز والبصرة واليمامة والبحرين وعمان دخل من باب البصرة[٦٧] .

وكان للمدينة سور داخلي ثان يسمى « السور الاعظم » وهو الخط الدفاعي الرئيسي عن المدينة ، لكونه أعلى من السور الخارجي ، ولاحتوائه على ١١٣ - برجا دفاعيا ، لانه جعل « بين كل بابين ثمانية وعشرون برجا الا بين باب البصرة وباب الكوفة ، فانه يزيد واحدا[٦٨] ويحوي هذا السور على اربعة ابواب ايضا ، ويفصله عن السور الخارجي دهليز ورحبة ، فكان « الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز ازج معقود بالاجر والجص عرضه عشرون ذراعا وطوله ثلاثون ذراعا ، المدخل اليه في عرضه والمخرج منه من طوله[٦٩] » ، فالابواب الخارجية على هذا الاساس مزورة عن الابواب الداخلية اي ليست على سمتها .

ولهذا الطراز من المداخل ، اهمية عسكرية كبيرة ، فضلا عن انه ظاهرة معمارية جديدة تدل على الابداع والابتكار، لوحظ عند هندسة المدينة ، لان العدو اذا نجح في اختراق الخندق والسور الخارجي ، فانه لا يمكنه الاندفاع بكل قوته الى داخل المدينة بطريق مستقيم اذ لا بد له من الانعطاف إلى اليسار لكي يصل الى الرحبة ومن ثم يصل الى الابواب الداخلية وهذا الانعطاف في القوات المهاجمة ، يجعل يمين هذه القوات معرضة لسهام القوات المدافعة عن المدينة لان الجنود كانوا يحملون تروسهم عادة في ايديهم اليسرى ، فتبقى جوانبهم اليمنى

---

(٦٧) ابن الفقيه مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٥ وانظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧٢ .

(٦٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧٢ .

(٦٩) المصدر السابق ١ / ٧٤ .

مكشوفة ، وتستطيع القوات المدافعة من الحاق خسائر فادحة بهم .

ومن الظروف السياسية المهمة ، التي رافقت بناء بغداد ، وعرقلت سير العمل فيها ، اعلان النفس الزكية ثورته بالمدينة في رجب سنة ١٤٥ هـ ، وكان المنصور آنذاك في موقع العمل مشغولا بالبناء والاشراف على سير الاعمال ، وكان السور قد بلغ البناء فيه مقدار قامة ، فقطع البناء حين وصلته أخبار الثورة وعاد الى الكوفة[٧٠] ، ليعالج امر الثورة ، فما ان تمكن من القضاء عليها ، حتى اعلن ابراهيم ثورته بالبصرة في رمضان من نفس السنة ، فلما قضي عليها عاد لاستكمال ابناء .

ومن النتائج التي ترتبت على هاتين الثورتين توقف العمل مدة ستة أشهر تقريبا ، بالاضافة الى الخسائر الفادحة في المواد، ذلك لان المنصور حين ترك موقع العمل ، ترك في ساحته كل ما تحتاج اليه المدينة من خشب وساج وغير ذلك ، وأوكل امره الى مولاه أسلم ، فقام هذا باحراق هذه المواد حين بلغه ان ابراهيم هزم جيش الخليفة ، فلما علم المنصور بذلك كتب اليه يلومه على فعله ، فكتب اليه « يخبره بانه خاف ان يظفر بهم ابراهيم فيأخذه[٧١] ، فعفى عنه لعلمه ان اجراء مولاه كان صحيحا في ذلك الوقت .

وبعد ان قضى المنصور على ثورتي محمد وابراهيم ، عاد الى موضع بغداد في صفر سنة ١٤٦ هـ « الموافق شهر يونيو ـ حزيران ـ سنة ٧٦٣ م[٧٢] » لمعاودة

---

(٧٠) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٤ ، الطبري ٧ / ٦١٩ ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٤ ، المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٣٦٠ ، الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢١ ، العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص ٩ .

(٧١) الطبري ٧ / ٦٥٠ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٦٥ .

(٧٢) المصدران السابقان : وزيادة في الإطلاع على تفاصيل البناء أنظر : ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ ومناقب بغداد ص ٨ ـ ٩ ، الصيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧٨ .

العمل ثانية ، فاستكمل بناء المدينة فنزلها ، ونقل الخزائن وبيوت الاموال والدواوين اليها من الكوفة في نفس السنة وسماها مدينة السلام[٧٣] ، اما اعمال البناء الاخرى ، فان العمل استمر فيها مدة ثلاث سنوات ، اكملت خلالها جميع امورها ، فتم اكمال السور الخارجي ، وحفر الخندق حوله ، واجرى فيه الماء ، ويعتبر الخندق خط دفاعي اول عن المدينة ، لانه يشكل حاجزاً يحول بين العدو وبين المدينة ، وما ان جاءت سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٦ م ، حتى اتخذت بغداد شكلها النهائي كحاضرة للدولة[٧٤] .

هذا وعين الخليفة قادة لابواب المدينة بعد الانتهاء منها ، « فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العكي في الف وعلى باب خراسان مسلمه بن صهيب الغساني في الف ، وكان لا يدخلها احد راكبا[٧٥] » .

ولاسباب امنية تتعلق بسلامة الدولة ، امر المنصور سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤م ، باخراج الاسواق من المدينة الى الكرخ ، خوفا من دخول الاعداء

---

(٧٣) مدينة السلام : سميت بذلك لأن دجلة كان يطلق عليه وادي السلام . أوتفاؤلاً بالسلامة من الخطر والعدوان . وهو اسم مقتبس من القران « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم » الأنعام ١٢٦ - « والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » ، يونس ٢٤ .

وسميت بالزوراء ، لازورار قبلتها ؛ أو لأن الأبواب الخارجة مزورة عن الأبواب الداخلية أي ليس على سمتها ، واشتقاق هذه الصفة يؤيد هذا المعنى ، ويؤيد أيضاً كون جامعـها مزوراً عن القبلة ، لأن المصلي يحتاج لأن ينحرف إلى باب البصرة قليلاً ، أو لأن دجلة يزور في جنوب المدينة . وسميت بغداد وبغدان وهما اللغتان المشهورتان السائرتان في العرب . وسميت بأسماء أخرى مثل مدينة المنصور ، أو المدينة المدورة ، أو مدينة أبي جعفر . أنظر البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٣٠ ، البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٣ وكتاب البلدان ص ٣ ومشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٢ ، ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ١ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٩٩ ، والتنبيه والاشراف ص ٤٦٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٥٨ و ٦٠ و ٧٧ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٦ ، الألوسي ، مخطوط أخبار بغداد ص ٢٥ .

(٧٤) أنظر : البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٧٤ ، الطبري ٧ / ٦١٩ ، ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٧ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٦ - ٦٧ ، ابن الجوزي مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٩ هـ .

(٧٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧٧ .

والجواسيس الى المدينة بقصد التجارة[٧٦] .

اما مقدار نفقات بناء بغداد، فقد اختلف المؤرخون في ذكرها ، فذكر بعضهم بانها بلغت ٤ ملايين و ٨٣٣ الف درهم[٧٧] ، وبعضهم ذكر بانها بلغت ١٨ مليون درهم[٧٨] ، وأميل الى ترجيح الرواية الاخيرة ، لان المنصور حين شيد مدينته اراد ان تتوفر فيها كافة المزايا سواء اكانت عسكرية ام غيرها ، ولا يغطي مثل هذه المزايا باعتقادي الامثل هذا المبلغ .

واختلف ايضا في مقدار مساحتها، فذكر اليعقوبي « ان بين كل باب منها الى الاخر خمسة الاف ذراع بالذراع السوداء من خارج الخندق[٧٩] » ، ولما كانت الابعاد بين الابواب الأربعة متساوية ، فيكون محيط المدينة ٢٠ الف ذراع ، وبما ان الذراع يساوي ٥٠ سم تقريبا ، فيكون المحيط على هذا الاساس ١٠ كم ، وبذلك تصبح مساحة بغداد ٧,٩٤٥ كم^{2} . وذكر الخطيب البغدادي ست روايات مختلفة[٨٠] ، ويتفق ابن الفقيه في روايته مع الخطيب البغدادي ، في ذكر بعدين مختلفين لقطري المدينة ، فقال « وجعل الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ٨٠٠ ذراع ومن باب الشام الى باب البصرة ٦٠٠ ذراع[٨١] » . ونستبعد هذه الرواية ، لأن اعطاء قطرين مختلفين للمدينة ، معناه انها كانت بيضوية الشكل ، وهذا لم تثبت صحته تاريخياً .

---

(٧٦) المصدر السابق ١/ ٧٩،ابن كثير :البداية والنهاية ١٠ / ٩٩،الألوسي. مخطوط أخبار بغداد ص٢٣

(٧٧) الطبري ٧ / ٦٥٥ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد « في رواية » ١ / ٦٦ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٢١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٨٨ .

(٧٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ـ في رواية ـ ١ / ٦٩ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٥ ياقوت معجم البلدان ١ / ٦٨٣ ، ياسين العمري : مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ص٩.وهناك رواية ثالثة تذكر بأنها بلغت ٤ ملايين و٨٨٣ درهماً ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٩ .

(٧٩) البلدان ص ٣ .

(٨٠) «الأولى : ١٣٠ جريباً ، والثانية : ميلين مكسر في ميلين ، والثالثة : ميل في ميل والرابعة : المسافة بين كل باب وآخر ميل ، فيكون المحيط ٤ أميال . الخامسة : ذكر قطرين مختلفين لها هما ٨٠٠ ذراع في ٦٠٠ ذراع . السادسة : ذكر قطرين متساويين لها هما ٢٢٠٠ ذراع في مثلها . تاريخ بغداد ١ / ٦٩ ـ ٧٤ .

(٨١) مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٥ ، تاريخ بغداد ١ / ٧٢ .

وقد تكون الرواية التي نميل الى الاخذ بها ، تلك التي ذكرها الخطيب البغدادي عن رباح البناء وكان ممن اشترك في البناء ، والذي قال « وكان بين كل باب من ابواب المدينة الى الاخر ميل[٨٢] » فيكون محيط المدينة ٤ أميال وتساوي ٨٠٠٠ مترا باعتبار ان الميل العربي ٤٠٠٠ ذراع ، والذراع يعادل ٥٠ سم ، فتكون مساحة المدينة على هذا الاساس ٥,٠٩٠,٠٩٠ مترا مربعا ، اي اكثر بقليل من خمسة كيلو مترات مربعة ، وقد رجح مصطفى جواد واحمد سوسة هذه الرواية[٨٣] .

ومن الجدير بالذكر ان شخصية المنصور الاقتصادية تظهر بوضوح من خلال بناء بغداد ، فقد نقل ابواب مدينة واسط ، واستعملها في البناء اقتصادا في النفقات ، وانه استشار خالد بن برمك في نقض إيوان كسرى بالمدائن لاحتياجه الى انقاضه في البناء ، فاشار عليه بالايفعل ، فاتهمه المنصور بميله الى اصحابه العجم ، وامر بنقضه ، فتم نقض ناحية من القصر الابيض ، لكنه عدل عن ذلك لأنه وجد تكاليف النقض والشحن تكلف اكثر من الجديد لو عمل ، وانه حاسب القواد المشرفين على نفقات البناء ، فالزم كلا منهم بما بقي عنده ، فأخذه ، حتى ان خالد بن الصلت بقي عليه خمسة عشر درهما فحبسه واخذها منه[٨٤] .

ويمكن القول ، ان بغداد اصبحت من اعظم مدن العالم آنذاك « فكان لا يعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها[٨٥] » ، فهي «المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة . . . سكنها من اصناف الناس واهل الامصاروالكوروانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية

---

(٨٢) تاريخ بغداد ١ / ٧١ .

(٨٣) تخطيط بغداد في مختلف عصورها ، ص ١٨ .

(٨٤) الطبري ٧ / ٦٥١ وما بعدها . ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٦ . ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ١٠ ، ومخطوط المنتظم ٨ / ١٤٥ هـ . مؤلف مجهول : مخطوط عجائب المخلوقات مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ١٧ ، ص ٣٢ .

(٨٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٣٢ .

وآثرها جميع اهل الافاق على أوطانهم . . »[٨٦] ، فعلت شهرتها الافاق ، وقال الخطيب البغدادي «لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة امرها، وكثرةعلمائها وأعلامها وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها وسعة أطوارها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشوارعها ، ومحالها واسواقها ، وسككها وازقتها ، ومساجدها ، وحماماتها وطرزها ، وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ؛ واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حصر من عدة سكانها ، واكثر ما كانت عمارة وأهلا في ايام الرشيد ، اذ الدنيا قارة المضاجع ، دارة المراضع خصيبة المراتع ، موردة المشارع . . »[٨٧] .

فانها من الناحية السياسية ، برزت كعاصمة الخلافة الرسمية منذ انتقال الخليفة المنصور اليها سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م ، فاتجهت اليها الانظار ، فعظم شأنها ، وتحول مركزالثقل السياسي من دمشق اليها ، واصبحت الولايات الاسلامية تتلقى اوامرها منها . يقول (هل) » ودلت هيئة العاصمة الجديدة بغداد او مدينة السلام كماه سميت رسميا ، على عزم العباسيين على ادارة دفة الدولة بيد حازمة ، وقد استطاعوا النهوض بذلك العبء خير نهوض مدى قرن ونصف قرن[٨٨] » ، فقد استمرت مكانتها السياسية زمن احفاد المنصور ، المهدي والهادي والرشيد والامين والمأمون والمعتصم ، ، الذي اقام فيها من سنة ٢١٨ - ٢٢١ هـ ، ثم انتقل منها الى سامراء[٨٩] ، ففقدت من اهميتها السياسية كمركز للخلافة لفترة وجيزة ، ثم عادت اهميتها تظهر بعد انتقال الخليفة المستعين اليها سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م ، واستمرت شأنها على هذه الحال ، لحين سقوطها سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م على يد هولاكو .

---

(٨٦) اليعقوبي : البلدان ص ٣ .

(٨٧) تاريخ بغداد ١ / ١١٩ . وانظر : يزدجرد بن مهمندار الفارسي : فضائل بغداد العراق ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٢ م ص١ - ١٧

(٨٨) الحضارة العربية ص ٨٤ .

(٨٩) اليعقوبي : البلدان - طبعة ليدن - ص ٢٥٤ .

اما من الناحية الثقافية : فيظهر هذا واضحا من الاثار العلمية والادبية والفنية التي خلدتها ، ويمكن القول بانها فاقت دمشق عاصمة الامويين زمن خلافتهم ، وطغت شهرتها عى القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين ، ولم تبلغ ايا من المدن الاسلامية المعاصرة لها ما بلغته بغداد من شهرة واسعة في هذا المضمار .

اما من الناحية العمرانية، فنستطيع القول ؛ ان بناء المدينة المدورة يعتبر بحق اكبر تجربة معمارية قام بها المنصور « فكان اول خليفة بنى مدينة فنزلها وهي مدينة بغداد[٩٠] » لاعتمادها على نظام هندسي دقيق ، وخبرات فنية ومعمارية ، وامكانات مادية واسعة ، وجهود عظيمة ، بذلها الخليفة واصحابه لتكون اهلا لتحمل مسؤولية العاصمة للدولة الجديدة ، يقول بارتولد « لقد خطت مدينة المنصور على شكل خاص بها ، ومما يميز بغداد عن المدن الاخرى كونها مخططة تخطيطا دائريا . وكانت بغداد اكبر من مدينة دمشق على كل حال »[٩١] .

ولا اعدو الصواب ان قلت ان بناء المدينة على هذا الشكل كان من ابداع المنصور وابتكاره ، مما يدل على سعة افقه في الشؤون الهندسية والمعمارية ، يؤيد هذا الرأي ، ما رواه الخطيب البغدادي ، فقال « ان المنصور حين عزم على بناء مدينته أحضر اثنين من المهندسين هما الحجاج بن ارطأة وابو حنيفة واحضر معهما من اهل المعرفة ومثل لهم صفة المدينة التي في نفسه[٩٢] » ، واكد هذه الحقيقة احد المؤرخين المحدثين حين قال « ان تخطيط بغداد الدائري مبتكر صدرعن خيال المنصور، وان هذا التخطيط كان من نتاج الاستنباط في الفكر العربي الصميم[٩٣] ومن يدعي ان هذا التخطيط مقتبس من مدن اخرى، او ان المنصور سبق وان

---

(٩٠) اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٢ .

(٩١) الحضارة العربية ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٩٢) تاريخ بغداد ١ / ٦٧ .

(٩٣) أحمد فكري : المدخل ـ مساجد القاهرة ومدارسها ـ، طبع دار المعارف ، مصر سنة ١٣٨١ هـ ص ٣٣ وما بعدها .

اطلع على مثل هذا التخطيط ، عليه اثبات دعواه بنص تاريخي ، ولا يعتبر بما ذكره بعض المؤرخين المحدثين من ان المسلمين اقتبسوا هذا التخطيط من الفرس(٩٤) ، لافتقاره الى مثل هذا الدليل ، وارى ان مثل هذه الدعوى ، تظهر وكأنما الفكر العربي الاسلامي عاجز عن الاستنباط والابداع والاتيان بالشيء الجديد الذي لم يسبق لأحد الوصول اليه . فاستكثروه على العقل العربي ، فنسبوا كل ابداع لغيره .

والملاحظ ان التخطيط الدائري الذي اعتمده المنصور لمدينته ، لم يعطها قدرا من النمو والاتساع ، فاتجه الناس بعد ذلك الى البناء خارج الاسوار فأنشئت حارة الكرخ خارج باب الكوفة واصبحت مدينة خاصة للتجار ، وبنيت الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد ، واتسعت المدينة على جانبي دجلة اتساعا منقطع النظير . الا ان المدينة المدورة التي بناها المنصور بقيت كما تركها الى وفاة حفيده هارون الرشيد سنة **١٩٣** هـ /**٨٠٩** م(٩٥) ، واول تخريب اصاب قسما من سورها وبيوتها كان بسبب فتنة الامين والمأمون ، حين حاصرها طاهر بن الحسين سنة **١٩٧** هـ / **٨١٢** م وضربها بالمجانيق(٩٦) .

ويظهر ان المدينة ظلت قائمة خلال القرن الثالث الهجري ، وآخر ذكر لابوابها كان سنة **٣٠٧** هـ ، على ما ذكره الخطيب البغدادي حين قال « وفي سنة **٣٠٧** هـ كسرت العامة الحبوس فافلت من كان فيها ، فغلقت الأبواب وتتبع الحرس الهاربين ، فلم يفلت منهم احدا(٩٧) ولم يرد ذكر لابوابها بعد هذا التاريخ . اما القبة الخضراء التي كانت تعلو قصر المنصور فانها سقطت سنة **٣٢٩** هـ(٩٨) .

وقد اختفت مدينة المنصور عن الانظار ، بنهاية القرن الرابع الهجري ،

---

(٩٤) أنظر : الخربوطلي : المهدي العباسي ، اعلام العرب عدد ٥١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ص ٨٠ ، وكريزول : كتاب العمارة الإسلامية «Gereswell, early Muslim archictecture, Vo. II, P. 18 »

(٩٥) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٦٦ .

(٩٦) الطبري ٨ / ٤٤٥ وما بعدها .

(٩٧) تاريخ بغداد ١ / ٧٥ .

(٩٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٧٣ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ١٢ .

العاشر الميلادي[٩٩] - ويظهر من الروايات التاريخية ، ان الاقسام الباقية من المدينة تداخلت تدريجيا مع الابنية التي قامت خلف اسوار بغداد القديمة وحولها[١٠٠] ، واهم بناء قام خارج بغداد في اول عصرها ، كان بناء المنصور مدينة الرصافة لابنه المهدي .

وكان من النتائج التي ترتبت على بناء بغداد ، ان قام المنصور ببناء مدينة الرافقة سنة ١٥٥ هـ /٧٧٢ م على غرار بناء مدينة بغداد[١٠١] . ورتب بها جندا من اهل خراسان الموالين للدولة الجديدة. ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصرا سماه قصر السلام، لانه كان يقيم في الرقة اوالرافقة كلما اشتد الحر في بغداد[١٠٢] .

٣ - بناء الرصافة :

كان لبناء الرصافة سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨ م في الجانب الشرقي من بغداد اسباب سياسية تهدف الى زيادة تأمين سلامة حاضرة الدولة الجديدة وأمنها .

وقد ذكر اليعقوبي تاريخا متقدما لبنائها ، فجعل تاريخ الشروع فيها سنة ١٤٣ هـ/ ٧٦٠ م[١٠٣] ، واشك في صحة الرواية من حيث تاريخها ، لان معنى هذا ان الرصافة شيدت قبل بغداد بسنتين وهذا لم تثبت صحته تاريخيا . في حين اشارت الروايات التاريخية الاخرى الى ان بناءها كان سنة ١٥١هـ/٧٦٨م[١٠٤] ،

---

(٩٩) لسترنج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٤٩ .

(١٠٠) أنظر المصدر السابق .

(١٠١) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢١٣ ، الطبري ٧ / ٦١٨ .

(١٠٢) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٢ - ١٣٣ . وتقع الرافقة على نحو ٣٠٠ ذراعاً من الرقة . المصدر السابق .

(١٠٣) البلدان ص ١٨ طبعة النجف ، وص ٢٥١ طبعة ليدن .

(١٠٤) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، الطبري ٨ / ٣٧ ، ابن الفقيه مخطوط مختصر كتاب البلدان . قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٢ .

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٨٢ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ١٢ ومخطوط المنتظم ٨ / ١٥١ هـ ، بيبرس : مخطوط زيدة الفكرة ٤ / ١٥١ هـ .

وهذا ما نرجحه .

اما سبب بنائها ، فتشير بعض الروايات الى « ان الراوندية لما شغبوا على ابي جعفر وحاربوه على باب الذهب، استشار قثم بن العباس - وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عندهم - فقال له : اما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الامر من ايدينا ، فما ترى ؟ فعمل له قثم ترتيباً حيث شق قبائل مضر واليمن ، فقال عندئذ للمنصور: ارى ان تعبر بابنك فتنزله في ذلك الجانب وتحول معه بعض جيشك، فيصير هذا بلدا وذاك بلدا ، فان فسد عليك اهل هذا البلد ضربتهم بأولئك ، وان فسد عليك اولئك ضربتهم بهؤلاء ، وان فسد عليك بعض القبائل ضربتهم بالقبيلة الاخرى ، فقبل رأيه وبنى الرصافة .[١٠٦] .

وارى ان هذه الرواية ضعيفة ولا يعول عليها، لأنها اشارت الى أن الراوندية ثارت في بغداد ثانية وحاربت المنصور على باب قصر الذهب، في حين ان الثابت تاريخيا ان الراوندية ثارت في هاشمية الكوفة سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، فقتلهم الخليفة جميعا ، ولم تذكر لنا اية رواية تاريخية ، ان الراوندية تسللوا ثانية الى بغداد وثاروا فيها . فضلا عن ان ثورة الراوندية كانت احدى الاسباب لبناء بغداد ، وليس لبناء الرصافة .

اما الرواية التي تعارض الرواية السابقة ، فقد عزت سبب بناء الرصافة الى شغب الجند على الخليفة ومحاربتهم اياه على قصر باب الذهب[١٠٦] ، وحتى هذه الرواية لم تمط اللثام عن سبب ثورة الجند هذه . ولم تبين إلى اي مدى كانت خطورتها على الحكم . وهذا الغموض والاختلاف في الروايتين يجعلنا نستبعدهما معا .

---

(١٠٥) الطبري - في رواية - ٨ / ٣٧ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ١٢ ، ومخطوط المنتظم ٨ / ١٥١

(١٠٦) ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٨٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٨ ، الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢٥ .

وارى أن سبب بناء الرصافة كان لأمرين ؛ اولهما : سياسي ، وثانيهما : عسكري . فاما السياسي ، فهو الذي اشارت اليه المصادر التاريخية ، حين ذكرت ان الرصافة قبل بنائها كانت تعرف « بمعسكر المهدي لأنه عسكر فيه حين خرج الى الري »(١٠٧) ، وان المنصور باشر ببناء قصر لابنه فيها ، حين شخص الاخير الى خراسان(١٨٠) ، فاذا اضفنا هذه الامور الى ان المهدي كان يومئذ وليا للعهد وان اباه كان يعده لتولي الخلافة بعده ، فضلا عن رغبته الشديدة في ان تكون لابنه شخصية مستقلة ، واثرا يخلد اسمه ، ويرفع مكانته بين الناس تبين لنا أهمية بناء الرصافة له من هذا الوجه . حتى انه لما قدم من خراسان في شوال سنة ١٥١ هـ(١٠٩) ، امر المنصور كبار البيت الهاشمي والقواد وغيرهم باستقباله استقبالا حافلا ، وانزله وقواته في هذا الجانب ، واستمر في بنائها له ، فبنى لها سورا وخندقا واجرى اليها الماء ، وفرغ منها سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م(١١٠) .

اما من الناحية العسكرية ، فبالاضافة الى اهتمام المنصور بتحصين العاصمة فقد عنى بانشاء خط دفاعي عنها ، فكانت الرصافة المجاورة لبغداد ، انسب مكان لاقامة مثل هذا الخط ، فضلا عن قرب ولي العهد منه ، الذي تمركز بقواته فيها ، وهذا مما يعطي الخليفة سهولة استدعاء هذه القوات واستخدامها لضرب اي تمرد يقوم بالعاصمة ، وبالعكس . يضاف الى ذلك ان الخليفة لم يهتم بتحصين بغداد ، ومن ثم الرصافة فقط ، بل انه اهتم بتحصين اغلب المدن ضمن خطة عسكرية شاملة اعدها لذلك ، فقام على سبيل المثال بتحصين الكوفة القريبة من العاصمة ، فبنى لها سورا وخندقا حولها سنة ١٥٥ هـ /٧٧١ م(١١١) .

---

(١٠٧) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ ، اليعقوبي : البلدان ص ١٨ ، الطبري ٨ / ٣٧ ، ابن الفقيه : مخطوط مختصر كتاب البلدان قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٢٢ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٨٣ .

(١٠٨) البلاذري : فتوح البلدان ٢ / ٣٦١ .

(١٠٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٨٢ .

(١١٠) المصدر السابق . الألوسي : مخطوط أخبار بغداد ص ٢٤ .

(١١١) الطبري ٤٦/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٢٢٣ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٥٥ هـ .

ومن طريف ما يروى في ذلك ، مما له دلالة على اقتصاد المنصور وذكائه ، انه لما عزم عى عمل السور وحفر الخندق ، امر بقسمة خمسة دراهم على اهل الكوفة ، واراد بذلك علم عددهم ، فلما عرف عددهم امر بجبايتهم اربعين درهما من كل انسان فجبوا ، ثم أمر بانفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخنادق لها . فقال شاعرهم :

يا لقومي ما لقينا * من امير المؤمنيا
قسم الخمسة فينا * وجبانا اربعينا[112]

وقام الخليفة سنة ١٥٥ هـ ايضا ، بعمل سور لمدينة البصرة لحمايتها من اي هجوم بحري قد يقع عليها مستقبلاً[113] .

(١١٢) المصادر السابقة .

(١١٣) الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٢٢٤ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٦ / ٢ .

الفصل السادس

ولاية العهد

١ - خلع عيسى بن موسى :

لقد كان عيسى بن موسى وليا للعهد بعد المنصور ، بموجب عهد من الخليفة السابق ابي العباس « هذا ما عهد امير المؤمنين الى عبد الله بن محمد فان حدث بعبد الله حدث الموت فالى عيسى بن موسى[١] » ، وعلى هذا الاساس اخذت البيعة على المسلمين للمنصور ولعيسى بن موسى بعده ، وبذلك اصبحت البيعة على هذا الشرط واجبة التنفيذ من الجميع واولهم الخليفة ، ولكن الى اي مدى التزم المنصور بهذا الشرط ؟ .

تشير الدلائل الى ان ابا جعفر التزم بنص الشرط ، لبضع سنوات من حكمه وكان هذا الالتزام ظاهريا ، لعدم اقتناعه به ، وقد كشفت الحوادث صحة ذلك ، حيث كان سكوته طيلة المدة المحصورة بين سنة ١٣٦ هـ وحتى سنة ١٤٧ هـ (٧٥٣ م - ٧٦٤ م) ضرورة سياسية املتها الظروف الحرجة التي مرت بها الدولة انذاك . فلما تمكن من تصفية العناصر المناهضة له ، وبدأت الاحوال تميل الى الاستقرار والهدوء ، عز عليه بعد هذا الجهد الكبير الذي بذله ، ان يرث هذا الملك الواسع احد غير ابنائه ، لشعوره بأن مآثر الابناء ، تكملة وامتداد لحياة الآباء .

---

(١) ابن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٩٦ . وذكر الخطيب البغدادي نصا اخرا لا يختلف عن هذا المعنى وكالآتي : « من عبد الله امير المؤمنين الى الاولياء وجماعة المسلمين ، سلام عليكم : اما بعد ، فقد قلد امير المؤمنين الخلافة من بعد عبد الله عيسى بن موسى ان كان » تاريخ بغداد ٥٣/١٠ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٣٦/٤ هـ .

وانطلاقا من هذه النظرة ، بدأ المنصور بالفعل في نقض العهد السابق ، بكل وسيلة ، ليهيىء المناخ الطبيعي لتولي ابنه المهدي بالذات الخلافة من بعده رغم انه لم يكن ولده الوحيد ، ولكنه كان شغوفا به ، شديد الحب له[٢] ، دون اخوته[٣] .

ولو رجعنا الى الاحداث قبل سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م ، فاننا نجد المنصور قد بدأ باعداد ابنه المهدي ، لتحمل المسؤولية الجسيمة من بعده ، منذ وقت مبكر من خلافته ، فحين تولى المنصور الخلافة ، لم يكن المهدي يتجاوز العاشرة من عمره ، لكن ما ان حلت سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م[٤] ، حتى دفعه في خضم الاحداث السياسية ، فارسله الى خراسان على رأس حملة عسكرية ، لقمع ثورة عبد الجبار الازدي ، وضم اليه القائد خازم بن خزيمة ، وأمره بنزول الري ، وبعد القضاء على الثورة . امره بغزو طبرستان ، فتم له ذلك ، واستمر في الاقامة بالري حتى ان مدينتها سميت « بالمحمدية » نسبة اليه ، لنزوله فيها[٥] ، ولما قرر المجيء الى العراق سنة ١٤٤ هـ/٧٦١ م ، احتفل ابوه بمقدمه ، وامر كبار البيت الهاشمي والقواد بتلقيه والترحاب به . وزوجه بريطة بنت ابي العباس[٦] .

ومما لا شك فيه ان هذه الاحداث قد اكسبته خبرة وتجربة في مجال السياسة والحرب . فحظي باحترام البيت العباسي ، وثقة من حوله من القواد ، وهو لم يزل في ربيعه الخامس عشر ، فصار ابوه يجلسه عن يساره في مجلسه العام تقديرا واكراما له[٧] .

---

(٢) انظر : ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٦ ، ١٣٧ .

(٣) اولاد المنصور هم : ثمانية اولاد وبنت واحدة ، اكبرهم كان جعفر الاكبر ويليه المهدي انظر : اليعقوبي : تاريخ ١٢٧/٣ ، الطبري ١٠٢/٨ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٢١ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ١١٠/٣ .

(٥) اليعقوبي : البلدان ص ٤٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨٢/١ .

(٦) اليعقوبي : تاريخ ١١٣/٣ . الطبري ٥١٧/٧ .

(٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

اما عيسى بن موسى ، فلم ينكر احد خدماته الجليلة التي اسداها للدولة العباسية ، فقد قلده ابو العباس الكوفة تكريما له ، وقام بدور بارز ومهم في اخذ البيعة للمنصور وهو بمكة ، وكان موقفه سليما حين نهى ابا مسلم الذي حرضه على خلع ابي جعفر وتنصيبه محله . قائلا له « ويحك يا ابا مسلم ، انما نحن بني عم فأينا صار اليه الأمر فهو محل . . او يجوز هذا ان اتقدم على عمي وهو شيخ كبير . . والله لو قدمني عليه امير المؤمنين الماضي ، لكرهت ذلك . .[٨] » .

اما الخليفة المنصور ، فانه رغم اعترافه بجهود عيسى بن موسى الكبيرة ، لكن رغبته في خلعه من ولاية العهد ، طغت على هذه الجهود ، وقد بدأت بوادر هذه الرغبة عند الخليفة ، تظهر الى الوجود ، منذ ارسال عيسى لقمع ثورة النفس الزكية بالمدينة سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ م . يدل عليها قوله « لا ابالي ايهما قتل صاحبه[٩] » فاراد ان يتخلص من عيسى او من النفس الزكية ، وهذه الخطة القائمة على اساس ضرب خصومه بعضهم ببعض ، تعيد الى الاذهان ، خطته السابقة في ارسال ابي مسلم لقمع ثورة عمه عبد الله بن علي . للتخلص من احدهما ومن ثم التفرغ للثاني .

فبعد ان قضى عيسى على النفس الزكية ، زجه المنصور في قمع ثورة ابراهيم التي اعلنها في البصرة على اثر فشل ثورة اخيه ، وتمكن عيسى من القضاء على هذه الثورة ايضا ، فلم يجد الخليفة ازاء هذين النصرين العظيمين ، بدا من الثناء على ولي عهده عيسى من خلال خطبة القاها في الكوفة وبغداد ، قال فيها « ان عيسى بن موسى لم يزل مصيبا في رأيه ، سديدا في امره ، ماضيا في عزمه كافيا فيما اسند اليه ، ميمون النقيبة فيما استكفيته ، مؤيدا بالنصر ، مستعملا

---

(٨) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، وانظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل ٤٦٩/٥ .

(٩) الطبري ٥٧٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل ٥٤٤/٥ ، الذهبي : العبر ١٩٨/١ ، ابن جابر الله : مخطوط مختصر مرأة الجنان حوادث ١٤٥ هـ .

للاناة والصبر ، وقد كفى الغائب وناب عن الحاضر ، فاحمدوا الله على ما وهب لكم من رأي امير المؤمنين واهل بيت نبيكم[١٠] » .

ويبدو ان خطبة المنصور هذه ، لم تكن تعبيرا صادقا عن ميوله نحو عيسى حيث لم يقف هذا الثناء ، ولا الخدمات الجليلة التي قدمها عيسى للدولة ، حائلاً دون تنفيذ المنصور رغبته في خلعه من ولاية العهد ، بعد ان وجد ان الوقت قد حان لأخذ البيعة لابنه المهدي بولاية العهد . فبدأ بالشروع في وضع خطته هذه موضع التنفيذ سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م[١١] ، وجاء تنفيذها على فترتين :

الأولى : الدور السياسي : وفيه بدأ المنصور بجس نبض عيسى بن موسى للتعرف على مدى تجاوبه وتقبله التنازل عن حقه في ولاية العهد ، فاستدعاه وفاتحه في هذا الموضوع ، وكلمه بألين الكلام وأرفقه ، فرد عليه عيسى قائلا « يا امير المؤمنين ، كيف بالايمان والعهود والمواثيق ، ولئن فعلت هذا لتكونن حجة لمن ترك الوفاء وخان العهد[١٢] » ، ورفض اجابة المنصور الى طلبه وقال له « ليس الى ذلك سبيل يا امير المؤمنين[١٣] » ، واصر على موقفه ولم تجد محاولات المنصور السلمية نفعا في تغيير موقف عيسى بن موسى للعدول عن رأيه . ومما يلاحظ في هذه المرحلة ان المنصور استعان بالخطباء والشعراء لمدح ابنه ، وتبيان فضائله لرفع مكانته بين الناس ، وتحبيبه الى قلوبهم ، كخطوة اولى تمهد الطريق للخطوة التالية ، وكان اكثر الشعراء مدحا للمهدي ، الشاعر ابو نخيلة بن جوز[١٤] ، ومطيع بن اياس ، الذي اسرف في المدح والثناء ، حتى انه وضع حديثا ونسبه الى

---

(١٠) الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٩٤ .

(١١) ابن خياط : تاريخ ٢/٤٥٢ ، اليعقوبي : تاريخ ٣/١١٩ ، الطبري ٨/٩ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٧ هـ .

(١٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب ، وانظر : الطبري ٨/١٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٧ ، هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٩٥ .

(١٣) الطبري ٨/١٠ ، وانظر : الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٠ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٥/٢٧٣ .

(١٤) للاطلاع انظر : ابن عساكر : التاريخ الكبير . مطبعة روضة الشام سنة ١٢٣٠ هـ ، ٢/٣١٨ وذكر الاصفهاني ، ان عيسى بن موسى قتله في طريق خراسان انتقاما لتعريضه به . الاغاني ١٨/١٣٩ .

النبي (ص) قال فيه « المهدي منا محمد بن عبد الله وامه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جورا[١٥] » .

الثانية : دور الترهيب : وفيه بدأ المنصور بتغيير موقفه الودي السابق المبني على تقدير واحترام عيسى بن موسى ، بعد ان وجد منه اصرارا وتعنتا في عدم تنازله عن حقه في ولاية العهد للمهدي . فلجأ اولا الى التقليل من مكانة عيسى السياسية ، فبعدما كان يجلسه عن يمينه في مجلسه العام ويستشيره في الامور الهامة ، اخذ يجلس ابنه المهدي مكانه ، ثم اخذ يأذن لأعيان البيت الهاشمي بالدخول عليه قبل عيسى . فكان يأذن لعيسى بن علي ثم لعبد الصمد بن علي .

وقد عمد الخليفة الى بعض المضايقات لعلها تأتي بنتيجة ، فكان يأمر من ينثر التراب على عيسى من سقف مجلسه[١٦] ، فازداد عيسى ازاء هذه المحاولات اصرارا على موقفه ، مما دعا المنصور لأن يستمر في محاولاته ، حتى انتشر الخبر بين الجند ، فطمع هؤلاء بعيسى ، لعلمهم ان ذلك سيرضي الخليفة « فكان اذا ركب عيسى عرض له بما يكره واسمع الكلام[١٧] » وفي رواية اخرى « ان المنصور حرض الجند على النيل من عيسى وشتمه[١٨] » ، فشكا ذلك الى المنصور ، من خلال رسالة بعثها اليه ، يشكو ما ناله من الجند الخراسانيين من اهانة وتهديد بالقتل ، قال له فيها « لو سامني غيرك ما سامتني لاستنصرتك عليه ، ولاستشفعت بك اليه ، حتى تقر الحرم مقرها ، وتنزل الوفاء منزلته ، ونحن اول دولة يستن بعملنا فيها ، وينظر الى ما اخذناه منها ، وقد استعنت بك على قوم لا يعرفون الحق معرفتك ، ولا يلحظون العواقب ، لحظتك ، فكن لي عليهم

---

(١٥) الاصفهاني : الاغاني ١٢/٨١ و ٩٦ . ١٨/١٣٩ و١٥٢ .

(١٦) الطبري ٨/١٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٧ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٩٥ .

(١٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

(١٨) الطبري : ٨/١٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٨ .

نصيرا ، ومنهم مجيرا ، يجزك الله خير جزائك عن صلة الرحم وقطع الظلم ، ان شاء الله[19] » .

فاجابه المنصور « لولا انك تسام النزول عن حق لك ، وواجب في يديك ، لزال الضرع اليك ، والتحمل عليك ، ولولا اني اخاف ان تسبق ايدي هذه العصبة من اهل الدولة اليك ، لما كلفتك شاقا ، ولا حملتك مكروها ، ولكني عندك بالنصح لك ، والاشفاق عليك في جنبة من لا يرضى منك الا بأرادته ، ولا يستمهل ايامك لسرعته ، وما الذي اسمو بك اليه بدون الذي يستنزلون عنه ، والله يوفقك ويحسن الاختيار لك[20] » .

ولكي يظهر المنصور انه غير راض عن تصرف هؤلاء الجند ، استدعى قائد شرطته المسيب بن زهير الضبي وقال له « تقدم الى القواد والجند في ان يمسكوا عن ابن اخي ولا يؤذوه فأنه ثمرة قلبي وجلدة ما بين عيني ، ودعا بقوم من الحرس فشتمهم ، فكفوا ، وكانوا محبين للمهدي لما نشأ عليه من العقل والفضل والسخاء[21] » ، ويبدو ان موقف المنصور هذا لم يكن سوى لعبة سياسية ذكية ، بدليل انه نفسه لم يكف عن محاولته في اجبار عيسى على التنازل ، فعاد اليها ، واستهلها بان ارسل الى عيسى كتابا طويلا[22] ، ذكر له فيه « ما قذفه الله في قلوب انصار الدعوة واهل المشايعة على الحق ، واشربها من محبة المهدي ومودته ، وفضله ، حتى صاروا له صاغين ، ولأعناقهم مادين ، لا يذكرون إلا فضله ، ولا يعرفون الا حقه ، ولا ينوهون الا باسمه ، وانه لما رأى ذلك ، علم انه امر تولاه الله له ، ليس للعباد فيه صنع ، وانه لا بد من استصلاحهم ومتابعتهم ، ويعلمه انه يرى له اذا اجتمع الناس على ابن عمه ان يكون اول ما يبدر الى البيعة له ،

---

(١٩) الصولي : كتاب الاوراق ٢/٣١٦ .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

(٢٢) انظر نص الكتاب في ملحق رقم (١٠) .

وان يعرف له ما عرفوه ، ويؤمل فيه ما أملوه[٢٣] » .

فلما وصل الكتاب الى عيسى بن موسى ، كتب اليه كتابا شديد اللهجة ، جوابا على ذلك[٢٤] ، « يذكره الوفاء ، ويعلمه ان كثيرا من الناس قد نازعتهم اهواءهم ودعتهم انفسهم الى مثل الذي هم به في ولده فآثروا الله وحقه وكرهوا الغدر وعاره وسوء عواقبه في الدنيا والآخرة ، فامسكوا عن ذلك وكرهوه[٢٥] » .

وحين وصل كتاب عيسى الى المنصور وقرأه ، غضب غضبا شديدا « فقرأه على الناس ، فعاد القواد والجند لاشد ما كانوا عليه ، وكان اشد الناس في ذلك قولا ، اسد بن المرزبان ونصر بن حرب وعقبة بن سلم ، فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من ان يدخل عليه احد ، ويسيرون اذا ركب ، ويقولون : انت البقرة التي قال الله « فذبحوها وما كادوا يفعلون» فشكاهم الى المنصور ، الذي قال له : ان هؤلاء قوم قد غلب عليهم حب هذا الفتى واجتمعت عليهم اراؤ هم ، وانا والله يا ابن اخي وحبيب قلبي ، اخافهم عليك وعلى نفسي ، فلو قدمته بين يديك ، حتى يكون بيني وبينك كفوا ، وانا لك ناصح وانت اعلم »[٢٦] .

وتشير بعض الروايات الى ان الخليفة ، استعان بعمه عيسى بن علي لاقناع عيسى بن موسى على التنازل والبيعة للمهدي ، فقام هذا بدس شربة سم لعيسى بن موسى فأفلت منها ، بعد ان شارف على الموت[٢٧] .

هذا وقد اختلف المؤ رخون في وصف الطريقة التي لجأ اليها المنصور لاجبار عيسى بن موسى على البيعة للمهدي . وعدها ابن الجوزي فقال : « اختلف في

---

(٢٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٩/٣ .

(٢٤) انظر نص الكتاب في ملحق رقم (١١) .

(٢٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٩/٣ .

(٢٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/ ٤ ب ، وانظر : الطبري ١٩/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٧٥/٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٨ .

(٢٧) المصدر السابق . وانظر : الطبري ١٤/٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ .

نزول عيسى عن الخلافة للمهدي على خمسة اقوال[٢٨] » :

احدها : انه قيل للمنصور انما يحب عيسى الخلافة لولده موسى فلو اوهمته قتله ، لنزل عن الخلافة ، فأخذ ولده بحضرته ، وقال للربيع : اخنقه فلف حمايل سيفه على حلقه يوهم انه يخنقه ، فلما رأى عيسى الجد ، قال : اشهدك ان نسائي طوالق ، ومماليكي احرار ، وكل ما املك في سبيل الله وهذه يدي بالبيعة للمهدي .

والثاني : ان الجند كانوا يؤذون عيسى اذا ركب ويسبونه فشكاهم الى المنصور فقال : انهم قد اشربوا حب هذا الفتى فبايع حينئذ للمهدي .

والثالث : انه ذهب اليه ثلاثون نفسا ، فسألوه ان ينزل عن الخلافة فلم يفعل ، فخرجوا ، فاخبروا المنصور انه قد نزل وشهدوا عليه بذلك ، فكتب بذلك الأخبار ، فلما انكر شهدوا عليه .

والرابع : ان سلم[٢٩] بن قتيبة اشار عليه بذلك فقبل منه .

والخامس : انه بذل له المال ، فخرج الى الناس ، فقال : قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من امير المؤمنين لأبنه المهدي بعشرة الاف الف درهم وثلثمائة الف بين يدي ولدي فلان وفلان وسبع مائة الف لفلانة امرأة من نسائه بطيب نفس مني لأنه اولى بها مني واحق ، فما ادعيه بعد يومي هذا فاني فيه مبطل ، وكساه ابو جعفر وكسا اولاده بقيمة الف الف درهم ومائتي الف درهم .

ولا يسعنا ازاء هذا الاختلاف في الروايات الى مناقشة كل رواية على حده لنصل حسب مقدورنا لأقربها الى المعقول :

فاما الرواية الأولى القائلة « ان المنصور امر بخنق موسى بن عيسى بحضرة

---

(٢٨) مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ .

(٢٩) في الاصل « سالم » والتصحيح من البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب ، الطبري ٢٤/٨ .

ابيه فخاف عيسى على ابنه وخلع »، فالطبري رواها لكنه شكك بصحتها فقال « وهذه القصة فيما قيل منسوبة الى آل عيسى انهم يقولونها[٣٠] » اما البلاذري فرواها بصورة مختلفة فقال : « وقال قوم من ولد موسى بن عيسى ، امر المنصور بعيسى فخنق بحمائل سيفه فخلع وضمن له المنصور رضاه فوفى له[٣١] » ، وهذا مما يجعلنا نشك بصحة الرواية للتضارب الوارد في احداثها واشخاصها . فضلا عن ان من ابرز سمات سياسة المنصور ، الوصول الى هدفه من غير ان يعطي للغير فرصة لأن يوجه اصابع الاتهام اليه ، وهذه الرواية تخالف هذه السياسة المعروفة عنه .

اما الرواية التي تذكر « انه ذهب الى عيسى بن موسى ثلاثون رجلا فسألوه ان ينزل عن الخلافة فأبى . . » فقد رواها كل من الطبري - في رواية [٣٢] - والأزدي[٣٣] عن ابي الاسواري ، فمصدر الرواية عند كليهما واحد ، اما رواية ابن الطقطقي[٣٤] والعيني[٣٥] فهما متأخران ومن المحتمل انهما اخذاها اما عن الطبري او الازدي . ومع هذا فان هذه الرواية تعارضها رواية البلاذري[٣٦] والطبري في رواية[٣٧] - اللذان ذكرا « ان سلم بن قتيبة دخل على عيسى ، فقال له : ايها الرجل بايع هذا الامير وقدمه ، فانك لن تخرج من الامر ، وارض عمك فقبل قوله وبايع » .

والروايتان احداهما تعارض الاخرى ، فكيف ان عيسى بن موسى لم يستجب لطلب خالد بن برمك ومن معه من كبار رجال الشيعة رغم الحاحهم

---

(٣٠) تاريخ ٨/١١ - ١٤ .
(٣١) مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .
(٣٢) تاريخ ٨/١٩ .
(٣٣) تاريخ الموصل ٢/٢٠٠ - ٢٠١ .
(٣٤) الفخري ص ١٣٨ .
(٣٥) مخطوط عقد الجمان ٧/١٩٥ .
(٣٦) مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .
(٣٧) تاريخ ٨/٢٤ .

عليه ، واستجاب لقول سلم بن قتيبة ؟ فضلا عن ان ابن الاثير ، ضعف هذه الرواية حين قال : وقيل ان ابا جعفر بعث الى خالد بن برمك ـ وارسله الى عيسى ليسأله التنازل عن حقه[٣٨] .

اما الرواية التي يمكن قبولها ، والاطمئنان اليها ، فهي التي ذكرت « بان الجند كانوا يؤذون عيسى اذا ركب . . فبايع » لأن الدلائل كلها تشير ، الى ان المنصور استعمل مع عيسى صنوف الاذى في بادىء الامر لرفضه الاستجابة لطلب التنازل ، حتى وصلت احداها الى دس السم له لغرض التخلص منه[٣٩] ، فلما باءت المحاولة بالفشل ، اضطر الخليفة لاستعمال اسلوب العنف المقرون « بالتهديد والوعيد[٤٠] » فسلط عليه بعض الجنود الخراسانين الذين اهانوه وشتموه ، وهددوه بالقتل[٤١] ، في محاولة لاجباره على التنازل ، فشكاهم اليه ، لكن الخليفة لم يتخذ اجراء صارما تجاههم لردعهم وايقافهم عند حدهم ، وكتب الى عيسى كتابا يطلب منه التنازل عن ولاية العهد لابنه ، معللا طلبه هذا ، بانه يخاف عليه من ان يقوم هؤلاء الجند بقتله ان هو استمر في رفضه[٤٢] « لولا اني اخاف ان تسبق ايدي هذه العصبة من اهل الدولة اليك ، لما كلفنك شاقا . .[٤٣] » .

وقد تيقن عيسى اخيرا ، ان الخليفة غير مستعد للوقوف بجانبه وحمايته ، وان هؤلاء الجند لو لم يكن مدفوعين من قبله ، وان عملهم هذا يلقى قبولا من لدنه ، لما اقدموا عليه ، وهم يعلمون انه ولي للعد ، وابن اخ المنصور . وربما

---

(٣٨) الكامل (ط ازهرية) ٢٧٥/٥ .

(٣٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب وانظر : الطبري ١٩/٨ .

(٤٠) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠٤/١٠ .

(٤١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب ، الطبري ١٤/٨ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٨ .

(٤٢) البلاذري مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١١٨/٣ ، الطبري ١١٩/٨ ، الصولي : الاوراق ٣١٦/٢ .

(٤٣) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

تمادى هؤلاء في غيهم ، فيغتالوه ، وهذه غاية الخليفة ومناه ، فخاف على نفسه منهم ، فرضي وسلم بالامر الواقع ، وبايع للمهدي ، وقد اكد اليعقوبي هذه الحقيقة فقال « وقدم عيسى بن موسى ـ بغداد ـ فوثب به الجند يوما بعد يوم وصاروا الى بابه حتى خاف على نفسه ، فلما رأى ذلك رضي وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدي سنة ١٤٧ هـ[٤٤] » .

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ايضا ، ان المنصور اراد التخلص من عيسى نهائيا في سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٨ م ، لخوفه منه على ابنه المهدي ، فدفع اليه عبد الله بن علي وطلب منه ان يقتله اثناء سفره الى الحج ، وكان هدف الخليفة من ذلك ان يقوم عيسى بن موسى بقتل عبد الله بن علي ، فيقتله به قصاصا ، وبذلك يتخلص منهما معا . لكن المحاولة لم يكتب لها النجاح ، ونجا عيسى من موت محقق[٤٥] .

هذا ولا مانع بعد ان استجاب عيسى بن موسى لخلع نفسه ، ان يغدق الخليفة عليه وعلى ولده الاموال والعطايا الجزيلة . فاعطاه على حد قول بعض الروايات احد عشر الف الف درهم[٤٦] ، خاصة وان هذه العطايا ـ برأينا ـ تحقق اغراض المنصور وتخدم مصلحته ، فهي بمثابة ترضية لعيسى واولاده ، لكسب ودهم ، وازالة ما علق في قلوبهم من كراهية وغيظ من جراء الاكراه في التنازل للمهدي ، وهي من الناحية الاخرى ، تظهر للناس ان عيسى قد تنازل عن حقه وباع نصيبه بالمال .

ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض الروايات قد ذكرت « ان المنصور اراد ان يبايع لصالح المسكين بعد المهدي ، ويجعل عيسى ثالثا ، فركب المهدي الى عيسى

---

(٤٤) تاريخ ٣/١١٩ .
(٤٥) انظر الرواية مفصلة في ثورة عبد الله بن علي في الفصل الاول من الباب الثاني .
(٤٦) الطبري ٨/٢٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٧ هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٥/٢٧٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٨ .

ابن علي ، فقال : يا عم قل لامير المؤمنين : انشدك الله ان تحملني على قطيعة اخي وعقوقه ، فانك ان فعلت فعلت ، وان كتب لا بد موليه ، فقدمه قبلي ، لتبقى الخلافة لعقبي . فأدى قوله اليه ، فاعفاه من ذلك ، وقال : صدق ابني لو فعلت ، لفعل[٤٧] » .

وأرى ان فكرة عزل عيسى بن موسى مجددا لم تظهر الى حيز التنفيذ في زمن المنصور ، لأن احداثها كفكرة دارت في الخفاء ، ثم صرف النظر عنها ، فتكون الرواية ليست بذات قيمة سياسية ، ولكنها من ناحية ثانية كشفت لنا مدى استعداد المنصور لعزل عيسى مجددا . وهناك رواية غير مشهورة ذكرت « ان المنصور حين اراد البيعة للمهدي » كان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك[٤٨] » ولم يكترث الخليفة لهذا الاعتراض ، فحسم الموقف وبايع للمهدي ، ثم تدخل القضاء والقدر بحسم الموقف نهائيا بوفاة جعفر الاكبر سنة ١٥٠/٧٦٧م[٤٩] .

٢ ـ اخذ البيعة للمهدي :

بعد ان خلع عيسى بن موسى نفسه وهو مكره من ولاية العهد ، وتنازل عن حقه للمهدي ، اخذ المنصور باعداد الترتيبات النهائية لهذه البيعة ، لتأخذ صفتها الشرعية والرسمية « فدعا الناس الى البيعة فيهم عيسى بن موسى[٥٠] » ، وفي هذا المجلس جرى تنازل عيسى بن موسى عن حقه في ولاية العهد للمهدي وقدمه على نفسه ، وبايع الناس بعده .

ثم خطب المنصور بعد ذلك ، فشكر عيسى على ما كان منه ، وذكر انه

---

(٤٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/ ٥ آ . وذكر العيني الرواية كالآتي « واراد المنصور ان يوليه الخلافة بعد المهدي ، فكتب اليه : يا امير المؤمنين نشدتك الله ان تحملني على العقوق وقطع الرحم ، فان كان ولا بد من تولية اخي فاجعله قبلي ، فان الامر اذا صار الى احببت ان لا يخرج من ولدي ، فقال ابو جعفر : ما كنا لندخل على عبد الله ما يكره واعرض عن تولية المسكين « مخطوط عقد الجمان ٢٢/٨ .

(٤٨) الاصفهاني : الاغاني ١٨/١٢ .

(٤٩) الطبري : ٣٢/٨ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢١١/٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٨/٧ .

(٥٠) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب .

التالي للمهدي عنده في موضعه من قلبه وحاله عنده[٥١] . وخطب بعده عيسى بن موسى فأكد للناس بأنه تنازل عن حقه للمهدي ، وقدمه على نفسه بطيب نفس منه ، لأنه اولى بالتقدم فيها ، واحق واقوم عليها ، واقوى على القيام بها[٥٢] .

وزيادة في الحيطة امر المنصور ان يكتب كتابا بذلك ، اشهد عليه الشهود ووضع عليه عيسى خطه وخاتمه[٥٣] .

وبعد ان تمت هذه الامور ، كتب الخليفة الى الافاق كتابا بالبيعة للمهدي[٥٤] ، اثني فيه على ابنه ، فبين فضائله ، وما هو عليه من ورع وتقوى ، وأكد انه المهدي ، الذي جاءت به الروايات ، واشارت اليه الاحاديث ، واوضح لهم انه واهل بيته وقواده وجنوده قد بايعوا للمهدي ولعيسى بن موسى بعده ، وطلب منهم المبايعة لابنه بيعة رضوان . فبايعت الأمصار للمهدي بولاية العهد ولعيسى بن موسى بعده .

وكتب « المنصور الى عمه اسماعيل بن علي وكان عامله على واسط ونواحيها في ذلك » فاجابه بكتاب يذكر له فيه بيعة عيسى بن موسى وما في عنقه منها . فكتب اليه المنصور في القدوم ، فأقبل حتى نزل كلواذي[٥٥] ، فلم يلقه احد من اهل بيته ، ثم ارسل اليه المنصور في الدخول ، فلما صار اليه بره وادنى مجلسه ، ثم قال : ما بالك تلويت وتثنيت في بيعة ابن اخيك : قال : ظننت ان الكتاب الذي اتاني كان اختيارا فان كان عزما بايعت . قال : فبايع فقد بايع اهل بيتك والناس ، وبسط له يده فبايعه ، وصار الى المهدي فبايعه[٥٦] » .

---

(٥١) المصدر السابق .

(٥٢) انظر : الطبري ٢٤/٨ ـ ٢٥ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٢٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٧/٨ هـ .

(٥٣) الطبري : ٢٥/٨ .

(٥٤) انظر نص الكتاب في محلق رقم ١٢ .

(٥٥) كلواذي : كانت بلدة قائمة على ضفة دجلة على شيء يسير تحت اقصى ابواب بغداد الشرقية الى الجنوب ، وتقع في طسوج يعرف باسمها لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٩ .

(٥٦) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٥/٤ آ .

وقام المنصور بعد ذلك بتتبع انصار عيسى بن موسى المقربين فحبس بعضهم . فتشير بعض الروايات « انه امر بالقاء القبض على عباد مولاه وهرثمة بن اعين ويوسف بن علوان وكانوا بخراسان ، فاحضروا مقيدين لتعصبهم لعيسى[٥٧] » .

وبذلك اطمئن المنصور على مصير الخلافة من بعده ، فضمن استمرارها في ذريته ، وهو الهدف الذي سعى اليه فحققه ، واكد هذا المفهوم في سنة ١٥١ هـ ٧٦٨م ، حين جدد البيعة لنفسه ولابنه المهدي ولعيسى بن موسى بعد المهدي ، على اهل بيته بمحضر منه في مجلسه « فكان كل من بايعه منهم يقبل يده ويد المهدي ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبل يده[٥٨] » .

اما ما ذكره ابن خلدون في هذا الصدد بانه « لا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك ، فشأنهم غير شأن اولئك الخلفاء . . وكان الوازع دينيا فعند كل واحد وازع من نفسه ، فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط واثروه على غيره . . . واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف . . فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح وكل واحد منها حكم يخصه[٥٩] » .

فأرى ان ابن حلدون لم يوفق فيما ذهب اليه ، وما ذكره بعيد عن الصواب ومخالف للنصوص والقواعد الشرعية ، مخالفة صريحة وواضحة ، لأن اساس

---

(٥٧) الطبري : ٤٢/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٨٩/٥ .

(٥٨) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٣٨/١ ، الطبري ٣٩/٨ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢٢١٤/٢ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٥١/٤ هـ .

(٥٩) المقدمة : الطبعة الازهرية سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م ص ١٨٧٦ .

الحكم في الاسلام في هذه المسألة بالذات ، مبني على الشورى ، لقوله تعالى « وامرهم شورى بينهم »[٦٠] وعلى هذا الاساس كانت بيعة الخلفاء الراشدين ، حسب مقتضى النص الشرعي ، فالنصوص الشرعية حجة على البشر ، وليس بالعكس ، وهي ملزمة وصالحة لكل عصر واوان ، ولا عبرة بالوازع السلطاني والعصباني ، وكل عذر او تبرير يلتمس في هذا الأمر ، ويخرج عن المعنى المقصود بالنص الشرعي فهو باطل ، ولا يعتد به .

وعليه فيمكنني ان اقرر ، ان تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد كان مخالفا لميثاق البيعة ، ولكن ما الذي كان بوسع عيسى ان يفعله تجاه محاولات المنصور وتهديده له المرة تلو الاخرى ، الا التنازل عن حقه حقنا لدماء المسلمين ويمكن ان نلمس بوضوح الاثر النفسي السيء الذي تركه هذا التنازل في نفسيته من قوله :

خيرت امرين ضاع الحزم بينهما   اما صغار واما فتنة عمم
وقد هممت مرارا ان اساقيهم   كأس المنية لولا الله والرحم[٦١]

* * *

اما المنصور ، فما كان يجدر به ، وهو خليفة المسلمين ، والقدوة الحسنة لهم ، ان يقدم على اكراه ولي عهده عيسى بن موسى ، واجباره بطرق ووسائل لا يقرها الشرع . للتنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي ، وكان عليه ان يترفع عن الاتيان بهذا العمل ، وكان الاولى به ان يحترم العهد الذي كتبه اخوه ابو العباس والذي بموجبه اخذت بيعة المسلمين له كخليفة لهم ، ولعيسى بن موسى بولاية العهد ، لكن حبه لابنه ، وشغفه به ، وحرصه على بقاء الخلافة في ذريته ، منعه من ان يرى الحق حقا ، والباطل باطلا ، فصير الباطل حقا ، وسن بذلك سنة غير حميدة لمن جاء من بعده فساروا على نهجها .

---

(٦٠) سورة الشورى (جزء من آية ٣٨) .

(٦١) الاصفهاني : الاغاني ١٥/٣٢ .

وأول من اتبع هذا المنهج ، المهدي نفسه ، فما ان تولى الخلافة ، حتى استدعى عيسى بن موسى وقال له « يا ابا موسى اني امرك بأمر ان اطعتني فيه سعدت ورشدت بطاعتي ، وان عصيتني استحللت منك ما يستحل من العاصي المخالف . قال : وما هو ؟ قال : اني عزمت تولية موسى وهرون العهد بعدي فاخلع العهد وانا أعوضك منه ما هو خير لك من الخلافة ، لا سيما مع كراهة القواد والجند لك . قال : فأني قد حفلت بصدقة جميع ما املك وبعتق غلماني وجواري ان لا أخلع هذا الامر حتى يوما على نفسي . قال له المهدي : فلك محل درهم اثنان ومحل مملوك مملوكان ، ومحل ضيعة ضيعتان ، فرضي وسلم وبايع المهدي لموسى وهارون بعد موسى ووفا لعيسى بما شرط له فأعطاه عشرين ألف ألف درهم ، واقطعه واقطع ولده[٦٢]» فأتى وصعد المنبر دون المهدي وخطب الناس فقال : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وانت المستعان ، اللهم انك تعلم اني لا اخلعها حيث خلعتها رغبة ولا رهبة ، وما اخلعها الا لحقن دماء المسلمين ، وقد خلعت البيعة عن عنقي ، وبايعت لموسى ، ثم ولى وجهه الى المهدي فمسح يده على يده »[٦٣]، وبذلك لقي عيسى الهوان والتهديد مرتين بسبب ولاية العهد ، أولهما زمن المنصور ، وثانيهما زمن المهدي[٦٤] ، وما كان عزل الامين لاخيه المأمون الا امتدادا لهذه السياسة .

ثم ان الخليفة بعد ان احكم ما اراد وحقق غرضه ، لم يشأ أن يترك ابنه دون توجيه وارشاد ، فزوده بتوصياته ، ليعده اعدادا كاملا للخلافة .

٣ ـ وصية المنصور السياسية لابنه المهدي :

بعد ان اطمئن المنصور الى ان الخلافة بعده صائرة الى ابنه المهدي ، كان لا بد له ان يوصيه بوصايا ، تكون بمثابة دستور ، يتضمن الخطوط الرئيسية

---

(٦٢) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٥ ا .

(٦٣) ابن بكار : الاخبار الموفقيات ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ

(٦٤) لقد توفي عيسى بن موسى سنة ١٦٧ هـ في خلافة المهدي . اليعقوبي : تاريخ ٣/١٣٧ .

والاساسية التي يرتكز عليها الحكم ، وتسير بموجبه الدولة ، ولهذه الوصايا اهمية بالغة ، لأنها تعتبر خلاصة خبرة المنصور وتجربته طوال سنوات حكمه .

وبالرجوع الى هذه الوصايا ، يمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام :

اولا : الوصية المتعلقة بمصير تركة المنصور وايفاء ديونه ، وتعتبر هذه الوصية الوصية الشرعية ، وقد ذكرها الطبري بدون اسناد(٦٥) ، وفي الواقع ليس لهذه الوصية اهمية سياسية كبيرة .

ثانيا : جملة وصايا تهدف الى النصح والارشاد والموعظة ، كقول المنصور لابنه « يا ابا عبد الله استدم النعمة بالشكر ، والمقدرة بالعفور ، والطاعة بالتالف والنصر بالتواضع ، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله(٦٦) » ، ومن الملاحظ ان هذه الوصايا الواردة في هذا الشأن كثيرة ، حيث لم يترك المنصور فرصة تمر الا وانتهزها بتوجيه النصح لابنه ، من ذلك قوله : « ولا تبرم امرا حتى تفكر فيه ، فان فكر العاقل مرآته ، تريه حسنه وسيئه » و « يا ابا عبد الله لا يصلح السلطان الا بالتقوى ، ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ، ولا تعمر البلاد بمثل العدل . . ولا تجلس مجلسا الا ومعك من اهل العلم من يحدثك ، فان محمد ابن شهاب الزهري قال : الحديث ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال ، ولا يبغضه الا مؤنثوهم ، وصدق اخو زهرة(٦٧) » ومثل هذه الوصايا وغيرها ، المقصود بها لفت نظر المهدي الى الخصال التي يجب ان يتحلى بها الخليفة لترتفع مكانته في اعين الناس ، فيكون مهابا مطاعا ، وهذه الوصايا كانت شفهية وهي غير الوصية السياسية .

---

(٦٥) تاريخ ٨/١٠٤ ، وهي رواية من جملة خمس روايات سنأتي على ذكرها ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٥٨ هـ بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤/١٥٨ العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/٢٠ .

(٦٦) الطبري ٨/٧١ ، رواها عن ابي عبيد الله الكاتب . الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٠٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٥٨ هـ .

(٦٧) الطبري ٨/٧١ ـ ٧٢ رواها عن الزبير بن بكار ، ومبارك الطبري ، ابن اعثم ، مخطوط الفتوح جـ ٢ ، =

ثالثا : الوصية السياسية ، وتختلف اراء المؤرخين في ذكر هذه الوصية ـ اي السياسية ـ ومحتوياتها .

فذكر الطبري عدة روايات لها :

أولها : الوصية التي ذكرها بسند عن الهيثم بن عدي دون ذكر سلسلة الرواة كاملة[٦٨] ، ويتضح لنا من خلال فقرات الوصية ، ان واضعيها كانوا ذوي ميول عباسية ، وفيها يدعي المنصور العلم السري الذي ورثه عن ابائه « وكان هذا الادعاء من جملة الاسس التي استند عليها العباسيون في اثبات حقهم في الخلافة باعتبارهم الورثة الروحيين للرسول صلى الله عليه وسلم[٦٩] » . يقول المنصور لابنه المهدي « انظر هذا السفط فاحتفظ به ، فان فيه علم ابائك ، ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة . فان أحزنك امر فأنظر في الدفتر الأكبر ، فان اصبت فيه ما تريد ، والا فالثاني والثالث ، حتى بلغ سبعة ، فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فانك واجد فيها ما تريد . . وانظر هذه المدينة ، فأياك ان تستبدل بها ، فانها بيتك وعزك ، قد جمعت لك فيها من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور ، فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا . . واوصيك باهل بيتك ، ان تظهر كرامتهم وتقدمهم . . . وانظر مواليك ، فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك . . واوصيك باهل خراسان خيرا ، فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك . . . واياك ان تبني مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها . . واياك ان تدخل

= الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٢/٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٨/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦/٨ .

(٦٨) الطبري ١٠٢/٨ ـ ١٠٤ .

(٦٩) انظر فاروق عمر : خصائص حكم الخليفة المنصور كما تعكسه وصيته السياسية لولي عهده محمد المهدي . مقال في مجلة الرسالة الاسلامية ، يصدرها ديوان الاوقاف ببغداد ، العدد ٦ السنة الاولى ، مطبعة دار البصري سنة ١٩٦٩ ص ٨١ وما بعدها .

النساء في شورتك في امرك . . [٧٠] » . .

ثانيها : الوصية التي ذكرها عن ابي يعقوب بن سليمان ، دون ذكر سلسلة الرواة ايضا[٧١] ولكنه نسبها الى عطارة ابي جعفر اي من حاشية البلاط العباسي ونستبعد هذه الرواية ، لخروجها على روح وجوهر الوصية السياسية التي نحن بصددها . فضلا عن ان الميول العلوية ظاهرة فيها . وربما حاول واضعوها تضليل القارىء فنسبوها الى احد الرجال المشتغلين في البلاط ليزيدوا من توثيقها ، فتقول الوصية ، ان المنصور امر ابنه بالا يفتح خزائنه الى حين يصح عنده موته ، فلما مات ، وصح ذلك عند المهدي فتحها « فاذا ازج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها انسابهم ، واذا فيهم اطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع ، وامر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها[٧٢] » . والمبالغة في الرواية واضحة .

ثالثها : الوصية التي ذكرها عن اسحق بن عيسى بن علي عن ابيه[٧٣] ، وهذه الوصية يمكن ان نطلق عليها « الوصية السياسية » نظرا لتوافر اركان وشروط مثل هذه الوصايا فيها . ويقوى ترجيحنا لهذه الرواية ، ان البلاذري رواها ، وهي الرواية الوحيدة له ـ بنص آخر ـ عن العمري عن ابراهيم بن السندي[٧٤] ويعترف العمري بان الوصية قد اضيف اليها نصوص ليس منها ، فقال « وقرأت الكتاب عند قوم من الكتاب قد كثروه[٧٥] » ، اما اليعقوبي ، فذكر الوصية بدون سند[٧٦] ، كعادته في الاختصار وجمع النصوص المختلفة المتعلقة بموضوع واحد ، لذلك اقتصر على صدر الوصية ، وعلل عمله هذا بقوله « وامره بعد ذلك بامور

---

(٧٠) انظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٨/٨ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩/٨ .

(٧١) الطبري ١٠٤/٨ ـ ١٠٥ .

(٧٢) انظر العيني : مخطوط عقد الجمان ٢٠/٨ .

(٧٣) الطبري ١٠٥/٨ ـ ١٠٦ .

(٧٤) مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب .

(٧٥) المصدر السابق .

(٧٦) تاريخ ١٣٠/٣ وما بعدها .

يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية[٧٧] » ، ولكن قدم المؤرخ يجعل من الضروري الاطلاع على ما اورده لمقارنته بالروايات الاخرى ، للوصول الى النص الحقيقي للوصية ، ومن ملاحظة فقرات الوصية التي اوردها نجد ان بعض نصوصها والمتعلقة مثلا ، باقامة العدل بين الناس وحفظ الاطراف وسد الثغور[٧٨] » ، مشابهة لما اورده البلاذري[٧٩] والطبري[٨٠] .

ويمكن القول ، بأن ، هذه الوصية ، تعبر بوضوح عن خلاصة تجارب المنصور وخبراته السياسية والادارية ، التي اكتسبها طيلة فترة حكمه ، مضافا اليها خبرته السابقة ، منذ بدء اشتغاله بالدعوة العباسية وحتى خلافته ، فجاءت هذه الخبرة على شكل وصية لابنه المهدي ، من خصائصها ، انها اوضحت موقف المنصور من الاحداث السياسية التي وقعت في عصره ، وطريقة معالجته لها ، وتظهر من ناحية اخرى مدى اهتمام الخليفة ، بالتبعة الجسيمة التي سيتحملها ابنه المهدي عند اعتلائه الخلافة بعده ، وما سيواجهه من مشاكل على الصعيدين الداخلي والخارجي ، فقدم له حلولا مسبقة لها ، جاءت على شكل نصائح وارشادات هامة ، ومن تحليلنا للوصية ، نصل الى نقاط مهمة ، يجدر الاشارة اليها وهي .

١ ـ تظهر الوصية مدى اهتمام المنصور بسلامة الدولة واستمرارها من بعده ، فلفت نظر ابنه الى ان من اهم واجباته المحافظة على كيانها ، بالقضاء على الخارجين عليه ، ولو ادى ذلك الى استعمال اقصى الاساليب « فالسلطان يا بني حبل الله المتين ، وعروته الوثقى . . . فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه ، وادفع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم . . » .

---

(٧٧) المصدر السابق .

(٧٨) المصدر السابق .

(٧٩) انظر نص الوصية بالملحق رقم (١٣) .

(٨٠) انظر نص الوصية بالملحق رقم (١٤) .

٢ ـ اوصى الخليفة ابنه ان « احكم بالعدل ولا تشطط ، فان ذلك اقطع للشغب . . » لكنه نفسه لم يتبع ما اوصى به ، فشدد في العقاب اكثر من الاستحقاق ، لكل العناصر المناوئة له ، او التي يشم منها رائحة الخطر عليه ، وربما تصور المنصور بان لهذه السياسية ما يبررها في عهده ، لكن بعد ان استقرت الأحوال ، نصح ابنه باقامة العدل لزوال الاسباب التي دعت لانتهاج تلك السياسة ، وقد علل الخليفة انتهاجه لهذه السياسة ، حين قال له عبد الصمد بن علي « لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو . فقال له المنصور : « لأن بني مروان لم تبل رممهم ، وآل ابي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا امس سوقة واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة[٨١] » .

٣ ـ نصح المنصور ابنه بالا يطالب اكثر من حقه من الفيء او يتنازل عنه اذا دعت الحاجة الى ذلك . خاصة وان مسألة الفيء كانت سببا في تذمر المقاتلة سواء في عهد الدولة الاموية ام في عهد الدولة العباسية . وقد واجهت هذه المسألة المنصور نفسه عندما ارسل من يحصي الاموال والغنائم التي حصل عليها الجند بعد القضاء على ثورة عبد الله بن علي ، فقالوا : ولماذا يسأل عما بأيدينا ، انما له الخمس من ذلك .

٤ ـ لم ينس المنصور تذكير ابنه « بشحن الثغور ، وضبط اطراف الدولة من غارات البيزنطيين وغيرهم ، وقد قام المهدي بتنفيذ هذه السياسة ، حين ارسل حملتين مهمتين لغزو الروم في سنة ١٦٣ هـ و ١٦٥ هـ[٨٢] .

٥ ـ اكد الخليفة في وصيته لابنه المهدي ، على اهمية المال ، وضرورة الحرص علبه ، وعدم التبذير فيه « واعذ الاموال واخزنها ، واياك والتبذير ، فان النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة » . وقد عرف المنصور قيمة المال

---

(٨١) الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧ .

(٨٢) ابن خياط ٤٦٨/٢ ـ ٤٦٩ ، اليعقوبي : تاريخ ١٣٤/٣ ، الطبري ١٤٤/٨ و ١٥٢ .

وأهميته ، وهو القائل : من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه[٨٣] ، « والله لولا ان المال حصن السلطان ودعامة الدين والدنيا وعزهما ، ما بت ليلة واحدة وانا احرز منه دينارا ولا درهما ، لما اجد لبذل المال من اللذاذة[٨٤] » .

٦ ـ وختم المنصور وصيته لابنه ، بان لفت نظره الى ضرورة اعداد الرجال وبث الجواسيس بين الناس لمعرفة احوالهم وامورهم « وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل » وامره بالتيقظ والحذر ، ومباشرة الاعمال بنفسه ، وان يسيء الظن بعماله وكتابه ، وان يراقبهم مراقبة شديدة . ولم ينس الخليفة ان ينصح ابنه بالرفق بالرعية ، وتوسيع المعاش عليهم ، والسهر على راحتهم ، وصرف المكاره عنهم .

* * *

ان هذه الوصية ، والتي جاءت على شكل كتاب مكتوب[٨٥] ، تعطي صورة واضحةً لشخصية المنصور وتعبر بصدق عن رأيه في الأحداث السياسية ومجرياتها ، والحلول المقترحة لمواجهتها ، وتبين الطريقة التي يجب ان تساس بها الدولة لتأمين سلامتها وأمنها .

هذا وقد اصبحت الوصية مثالا اقتدى به الخلفاء العباسيون في وصاياهم ، فكانت وصية الخليفة المأمون للمعتصم ولي عهده ، تحمل روح وصية المنصور خصائصها[٨٦] .

---

(٨٣) اليعقوبي : تاريخ ١٢٦/٣ .

(٨٤) الطبري ٨٧/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٦/١٠ .

(٨٥) وقد أكد البلاذري ذلك فقال « قال المنصور لابنه : يا ابا عبد الله اقرأ هذا الكتاب ، واعمل بما فيه ، فاذا فيه « وذكر الوصية . وجاء في اخرها قوله : « ولما قرأ ـ المنصور ـ الكتاب قال : افهمت يا بني ، قال: نعم ، قال : فاتخذه لك اماما ومثالا » مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب . انظر : ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٥٨/٨ هـ .

(٨٦) انظر : فاروق عمر : خصائص حكم الخليفة المنصور ، مقال في مجلة الرسالة الاسلامية عدد ٦، ٧، ٨ .

الباب الثالث
السياسة الخارجية

الفصل الأول : سياسته تجاه الدولة الاموية في الاندلس
الفصل الثاني : علاقته بالروم .
الفصل الثالث : سياسته نحو الترك والخزر .
الفصل الرابع : سياسته تجاه الأصبهبذ أمير طبرستان .

الفصل الأول

سياسته تجاه الدولة الاموية في الاندلس

بعد نجاح القوات العباسية بقيادة عبد الله بن علي ، في الحاق الهزيمة بالقوات الاموية ، واستيلائها على دمشق وسائر بلاد الشام ، انتهى حكم الامويين وأفل نجمهم في المشرق الى الابد .

ولم تكتف القوات العباسية بما حققته من انتصارات ساحقة ، بل اخذت تتبع فلول الامويين فراداً وجماعات ، فالقت القبض على بعضهم ، ونكلت بهم[١] . وتمكن البعض الآخر من الفرار ، وكان عبد الرحمن بن معاوية[٢] ممن افلت من قبضتهم بعد مطاردة عنيفة راح ضحيتها اخوه الصغير ، وتمكن هو من الفرار الى افريقية ، فنزل عند قبيلة نفزه احدى قبائل البربر ، وهم اخواله ، فاكرموه[٣] ، وكان معه مولاه بدر ، الذي لعب فيها بعد دورا سياسيا بارزا ،

---

(١) من ذلك إلقاء القبض على ابان بن معاوية ، فقطعت يده ورجله وطيف به في كور الشام ينادى على رأسه هذا ابان بن معاوية فارس بني أمية ، وقتل عبدة بنت هشام بن عبد الملك ، فضلاً عن مجزرة نهر أبي فطرس المشهورة ، أنظر : مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، مطبعة ريدنير في مجريط سنة ١٨٦٧ م ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، سمي بالداخل ، وبصقر قريش وقد لقبه المنصور بذلك ، ويكنى بأبي المطرف ولد بالشام سنة ١١٣ هـ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ / ٣٠٢ ، المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، طبع القاهرة ١٩٦٣ م ص ٤٠ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ١ / ٣٥ ، ابن عذاري : البيان المغرب ٢ / ٤٩ .

(٣) كانت أم عبد الرحمن بربرية من نفزه اسمها راح ، مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ص ٥٥ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ١ / ٣٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٤٩ ، دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ترجمة حسن حبشي ، طبع دار المعارف سنة ١٩٦٣ ، ١ / ١٨٨ .

لتمهيد الطريق لدخول عبد الرحمن الى اسبانيا ، فقام بعدة رحلات من اجل ذلك ، اتصل فيها بموالي المروانيين واشياعهم ، فاجتمع بهم ، فبثوا له بالاندلس دعوة ، ونشروا له ذكرا[٤] .

وقد ساعد الجو المضطرب الذي كان سائدا في الاندلس آنذاك بسبب التكالب على الولاية ، واشتعال روح العصبية بين قبائل مضر واليمن التي وصلت ذروتها سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م[٥] ، على نشر دعوته ، والتفاف المؤيدين حولها ، ومن الشخصيات المهمة التي ايدته ، ابو عثمان عبيد الله بن عثمان ، وصهره عبد ابن خالد من موالي المروانيين « وكانا يتواليان لواء بني امية[٦] » بساحل البيرة من كورة غرناطة[٧] وهو المكان الذي تجتمع عصبة الامويين فيه .

واخيرا استقر رأي عبد الرحمن على السفر الى الاندلس ، فأبحر مع بعض اتباعه بمركب ، فوصل المنكب[٨] غرة ربيع الأول سنة ١٣٨ هـ (١٤ آب اغسطس ٧٥٥م[٩] فاستقبله مؤيدوه وانصاره والتفوا حوله ، فبايعوه ، وبايعه اهل المناطق المجاورة ، فقوي امره ، وشاع خبره في البلاد ، وسار يريد قرطبة ، فعلم يوسف الفهري بخبره ، فجهز جيشا قويا بقيادته وسار لملاقاته ، وبدأت بينهما سلسلة من المناوشات انتهت بوقوع المعركة الفاصلة في العاشر من ذي الحجة

---

(٤) ابن خلدون : العبر ٣ / ١٢١ .

(٥) للإطلاع أنظر : المراكشي : المعجب ص ٣٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٤٩ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول ، القسم الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ ص ١١٢ وما بعدها .

(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٦٦ .

(٧) أنظر : ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، طبع القاهرة ١٩٥٦ م ١ / ٤٥٣ .

(٨) المنكب : من ثغور الأندلسي الجنوبية . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١ / ٤٥٣ . ويذكر دوزي : وكان بصحبة عبد الرحمن ١١ رجلاً، تاريخ مسلمي ، إسبانيا ١ / ١٩٤ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٢٣٥ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ١ / ٣٥ ، أحمد بدر دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ١ / ٧٠ .

سنة ١٣٨ هـ ـ ٧٥٦م ، ودخول عبد الرحمن قرطبة بقواته منتصرا[١٠] ، فاستوثقت له الخلافة[١١] » .

وبذلك دخلت الاندلس في مرحلة جديدة من تاريخها السياسي ، تحت قيادة عبد الرحمن الداخل ، والذي يمكن ملاحظته من سياسته الاولى للاندلس ، انه لم يتخذ لنفسه لقب «الخليفة»، وانما سمى « بالامام وبالامير[١٢] » ، واستمر يدعو للخليفة المنصور ، فذكرت بعض الروايات « انه استمر اشهرا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور ، الى ان افرد نفسه بالدعاء سنة ١٣٩ هـ[١٣] » ، ويبدو ان اقدامه على هذا العمل كان لضرورة سياسية ترجع اسبابها الى خوفه من اعلان عدائه السافر للخلافة العباسية ، الذي قد يؤدي به الى خلق نوع من المنافسة مع الخليفة المنصور ، لا يأمن عواقبها . لذلك اتخذ موقفا سياسيا اكثر مرونة من الخلافة العباسية ، خاصة وان احوال البلاد لا زالت غير مستقرة له .

اما المنصور ، فانه لم يرق له امر عبد الرحمن الداخل ، وما وصل اليه من استيلائه على بلاد الاندلس ، الا ان المشاكل السياسية المهمة التي واجهته ، صرفت ذهنه الى معالجتها ، مؤجلا امر عبد الرحمن الى الوقت المناسب ، فلما صفا له الجو ، بادر الى التطلع الى الاندلس ، ورغب ان يضمها الى مملكته ، لأن ترك عبد الرحمن وشأنه ، معناه قيام دولة اموية فيها ، وهذا ما لا يريده .

واخذ المنصور يتحين الوقت المناسب للقيام بعمل عسكري يقضي فيه على عبد الرحمن الداخل وينهي حكمه ، وقد واتته الفرصة ، حين وجد ضالته في العلاء بن مغيث اليحصبي ، وهو من خصوم بني امية ، واحد وجوه الاندلس ،

---

(١٠) أنظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، طبع مجريط سنة ١٨٦٨ م ص ٢٦ وما بعدها ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٨٦ وما بعدها ، دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ١ / ٢١١ .

(١١) أنظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ / ٣٠٢ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ١ / ٣٥ .

(١٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٣ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٥١ ـ ٦٠ ، الحميري : الروض المعطار (صفة جزيرة الأندلس) ص ١٨٦ .

(١٣) ابن الآبار : الحلة السيراء ١ / ٣٥ ، وانظر : ابن خلدون : العبر ٣ / ١٢٢ .

فقدم هذا افريقية ، وكاتب المنصور ، الذي رحب بذلك وارسل له سجلا بولايته للاندلس وارسل له بلواء اسود شعار العباسيين[١٤] . ليرفعه عند ثورته للدلالة على ان الثورة ذات صبغة عباسية ، لذلك لم يتردد المنصور في ارسال السجل واللواء للعلاء ، طالما ان في ارسالهما ، خدمة لاغراضه ، وتحقيقا لمطامحه السياسية ، دون ان يكلفه ذلك شيئا من الوجهة المادية والعسكرية سوى انه قدم عضدا معنويا للثورة المرتقبة ، قد يساعدها على النجاح ، وعندئذ ستغدو الاندلس احدى الولايات العباسية ، ولو اسميا على الاقل ، وهذا ما كان يهدف اليه المنصور من وراء تأييده للثورة .

اما العلاء ، فانه اراد هو الآخر ، ان يحقق مطامحه ، ويضفي على ثورته الصبغة الشرعية ، فاستظل بالخليفة العباسي ، الذي رحب بالمحاولة ، وبعد ان اطمأن العلاء الى وضعه وتأييد الخليفة له ، عاد الى الاندلس بقوة كبيرة ، فنزل باجة في الجنوب الغربي من البلاد سنة ١٤٦ هـ /٧٦٣[١٥] ، واعلن الثورة ، ورفع العلم الاسود ، « ولبس السواد وقام بالدولة العباسية وخطب للمنصور واجتمع اليه خلق كثير[١٦] » وانضم الى ثورته كافة اعداء عبد الرحمن الداخل ، خاصة الفهرية واليمانية وجند مصر[١٧] ، فاصبحت الثورة تشكل خطرا جسيما على حكم عبد الرحمن ، بعد ان انضوى تحت لوائها كل العناصر المناهضة لحكمه . فزادوا من حجمها واتساعها .

---

(١٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٢ وانظر : ابن الأثير . الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٥٤ ، المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ م ١ / ١٥٦ .

(١٥) ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٢ ، المقري : نفح الطيب ١ / ١٥٦ . عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١ / ١٦٢ . الدوري : العصر العباسي الأول ص ٩٤ ، أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس ١ / ٨٣ ، عبادة عبد الرحمن كحيلة : اعلام العرب عدد ٧٦ مارس ١٩٦٨ ص ٧٦ . وقد وهم فيليب حتي ، حين جعل الثورة سنة ٧٦١ م / ١٤٤ هـ ، تاريخ العرب (مطول) مطبعة دار الكشاف ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٥٣ ٣ / ٦٠٣ .

(١٦) ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٢ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٢ .

(١٧) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٢ .

اما عبد الرحمن ، فانه لما سمع بانباء الثورة ، ادرك خطورتها ، لذلك بادر الى حشد قواته ، واستعد للحرب ، فزحف بجيشه من قرطبة ونزل قرمونه بين قرطبة واشبيلية ، وتحصن بها لمناعتها ، فقصده العلاء بجيشه وحاصره فيها ، لكنه لم يتمكن من اقتحامها ، رغم هجومه عليها مرات عديدة .

واخيرا قرر عبد الرحمن اتخاذ موقف هجومي ، بعد ان وجد ان استمرار الحصار عليه ، يشكل خطورة على وضع قواته داخل المدينة ، والتي لاحت بوادر تذمرهم ونفاذ اقواتهم يظهر للعيان ، فاختار ٧٠٠ مقاتل من اشد مقاتليه[١٨] ، للقيام بعملية انتحارية ، اما يكتب له النصر فيها ، واما الهزيمة ، لذلك اسرع بشن هجوم مفاجىء على قوات خصمه ، وكان من شدة وقوة هذا الهجوم ، ان اختل نظام قوات العلاء ، فدارت بين الطرفين معركة ضارية ، قتل فيها من جيش العلاء ٧ الاف رجل[١٩] ، وكان العلاء نفسه من بين القتلى ، فأمر عبد الرحمن « بحمل رأس العلاء اليحصبي ورؤس جماعة من مشاهير اصحابه الى القيروان والقائها بالسوق سرا ، ثم حمل منها شيء الى مكة ، وكان المنصور بها يومئذ حاجا، وكان مع الرؤوس اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء[٢٠]»فلما رأى المنصور ذلك قال : « انا لله ، عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان ـ يعني عبد الرحمن[٢١] » .

وفي اوائل سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦م ، اشعل سعيد اليحصبي المعروف بالمطري ثورته ، بمدينة لبلة في الغرب من مدينة اشبيلية ، مطالبا بثأر اليمانية الذين قتلوا مع العلاء ، وايده اليمانية ، وقصد اشبيلية فتمكن من احتلالها ، وأنضمت اليه عناصر اخرى ، فكثر جمعه ، فقصده عبد الرحمن ، وخرج سعيد

---

(١٨) المقري : نفح الطيب ١ / ١٥٦ ، وانظر : ابن خلدون ٣ / ١٢٢ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل « ط أزهرية » ٥ / ٢٧٢ ، لسان الدين الخطيب : أعمال الاعلام ١ / ٩ .

(٢٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٣ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٢ ، ابن عذاري : البيان المغرب ٢ / ٥٤ ، المقري : نفح الطيب ١ / ١٥٦ .

(٢١) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ / ٥٤ وانظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٣ .

الى قلعة رعواق القريبة من المدينة ، فتحصن فيها ، وتمكن عبد الرحمن من ضرب الحصار عليه ، ومنع وصول الامدادات اليه ، من رؤساء القبائل الذين ارادوا مده بما يحتاج اليه من مؤن وغيرها ، وشدد عليه الحصار ، وتمكن اخيرا من قتله في المعركة التي جرت بين الطرفين ، ولو قدر لهذه الثورة النجاح ، لكانت امتدادا لثورة العلاء واهدافها ، لكنها باءت بالفشل ، وتمكن عبد الرحمن من تصفية العناصر التي اشتركت في هذه الثورة[٢٢] .

وبذلك انتهت اهم محاولة لاسترجاع الاندلس الى حضيرة الدولة العباسية ، لكن المحاولة لم يكتب لها النجاح .

ولنا ان نتسائل عن الاسباب التي حملت المنصور على ترك الاندلس لقمة سائغة لعبد الرحمن ، علما بان لها وزنها وثقلها في الدولة الاسلامية ، وربما تكون الاجابة على هذا التساؤل ، بان المشكلات التي احاطت بالمنصور ، وكانت اهمها معالجة امر العلويين ، وبناء بغداد ، وخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، يضاف الى ذلك ، ان القوات العباسية الضاربة ، كانت في ذلك الوقت مشغولة في العمليات الحربية مع الخوارج في شمال افريقية ، فحالت هذه الاحداث ، دون ارسال قوات لاخضاع الاندلس ، وضمها للدولة العباسية ، واكتفى بتقديم مساعدات لكل مبادرة مناهضة لعبد الرحمن ، كمبادرة العلاء اليحصبي . وهي اول وآخر محاولة لاسترداد الاندلس ، ولم يفكر المنصور بعد ذلك بالقيام بمحاولة جديدة ، سوى انه اقام علاقة ودية مع ملك الفرنجة بيبن (Pepin) الهدف منها قيام الاخير بمساعدته على عبد الرحمن الداخل ، وتبودلت السفراء والهدايا بين الطرفين ، لكن المفاوضات لم تأت بنتائج ايجابية ، سوى ما ولدته من مخاوف في نفس عبد الرحمن من هجوم الفرنجة على بلاده .

---

(٢٢) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ص ١٠٥ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥٤ / ٢٧٨ ، ابن خلدون : العبر ٣ / ١٢٢ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس ١ / ١٦٣ ، أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس ١ / ٨٣ .

ونستطيع القول ، ان المنصور نجح في اقامة علاقات سياسية طيبة مع الفرنج كانت بمثابة الاسس التي سار عليها احفاده من بعده[٢٣] .

* * *

(٢٣) ميور . I- Muir: The caliphate, P. P. 460 - 461.

وانظر : شلبي : التاريخ الإسلامي ٣/٢٥٥ ، عبد الجليل رضا : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس ، مطبعة مكتبة النهضة ، الرياض سنة ١٩٦٩ ، ص ٩٢ وما بعدها .

الفصل الثاني
علاقته بالروم

لقد كان من جملة المشاكل الرئيسة التي ورثتها الدولة العباسية ، عن الدولة الاموية ، العلاقات العسكرية مع دولة الروم البيزنطيين ، والمتمثلة بالعمليات الحربية المستمرة بين الدولتين ، ومن الطبيعي ان تستمر هذه الحروب ، نظرا لوجود حدوْد مشتركة بينهما ، فضلا عن رغبة كل منهما على فرض سيطرتها على المناطق المهمة الواقعة على حدود الدولة الاخرى ، لتأمن بذلك على سلامة اراضيها من كل غزو مرتقب .

وكانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم في ايام العباسيين كما كانت ايام الامويين ، تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية ـ انتي طوروس ـ وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع ، تعرف بالعربية بالثغور[١] ، ويمتد هذا الخط من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر الابيض المتوسط ، وكان هذا الخط محل صراع حربي بين الطرفين ، يحتله الروم تارة والمسلمون تارة اخرى . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى قسمين :

---

(١) الثغور : هي الحصون الشمالية الخارجية الملاصقة لحدود البيزنطيين ، سميت بذلك لمواجهتها للثغرات أو المنافذ التي في أرض العدو . أما الحصون الداخلية الجنوبية فتسمى بالعواصم ، لأنها تعصم الحدود وتعينها على صد غارات البيزينطيين .

أحدهما: في الشمال الشرقي ، يحمي الجزيرة ويسمى بالثغور الجزرية ، وهي التي تدافع عن شمال العراق ، ومن ثغوره الهامة ، ملطية وزبطرة وحصن منصور والحدث ومرعش وشمشاط .

وثانيهما : في الجنوب الغربي يحمي الشام ، ويسمى بالثغور الشامية ، ومن اهم ثغوره ، المصّيصة واذنة وطرسوس[٢] .

ويبدو ان الروم ،ارادوا استغلال الفرصة بعد قيام الدولة العباسية على انقاض الدولة الاموية ، فرغبوا ان يجربوا قوتهم مع الدولة الجديدة ، خاصة بعد ان اصبحت عاصمة العباسيين بعيدة عن مراكز الاحتكاك الحربي ، فكان هدفهم في هذه المرحلة التعرف على مدى ردود الفعل الذي تولده ، غاراتهم على الحدود الاسلامية ، فقام قسطنطين بن اليون ملك الروم سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م[٣] ، بشن حملة عسكرية على ملطية[٤] ، فتصدى له اهلها ، وبعد مقاومة شديدة ، لم يستطيعوا الاستمرار فيها ، قبلوا الامان الذي عرضه عليهم قسطنطين ، الذي امر « بهدم المدينة ومسجد الجامع ودار الامارة ، ووجه مع المسلمين خيلا بلغتهم مأمنهم[٥] » ، ولم يحدث رد فعل قوي من جانب الخليفة ابي العباس تجاه هذه الغزوة ، لأنه كان في شغل شاغل عنها ، فقد كان جل اهتمامه منصرفا الى تصفية المشاكل الداخلية ، لتثبيت اركان الدولة الفتية ، تاركا النظر في السياسة الخارجية الى الوقت المناسب ، وهذا مما شجع قسطنطين لأن يقوم بحملته السابقة ، يؤيد ذلك قوله لأهل ملطية حين حاصرها ، « يا اهل ملطية : اني لم آتكم الا على علم

---

(٢) أنظر : ابن رسته : الاعلاق النفسية ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٣٦٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابراهيم العدوي ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة (دون سنة طبع) ص ٧٢ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٣٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٢ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢١٣ .

(٤) ملطية : مدينة بارض الروم مشهورة : القزويني : آثار البلاد ص ٥٦٤ .

(٥) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٣٥ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢١٣ ، الذهبي : العبرص ١٧٩ .

بأمركم وتشاغل سلطانكم ، انزلوا على الامان ، واخلوا المدينة واخربها وامضي عنكم[٦] » .

ويبدو ان ابا العباس ، اراد في اواخر ايامه ان يوجه حملة عسكرية لغزو الروم ، فكلف عمه عبد الله بن علي للقيام بها ، الذي امتثل للامر ، وجمع جيوشه ، وسار بقواته لتنفيذ المهمة ، لكن وفاة الخليفة اجلت التنفيذ[٧] .

وقد تغير الحال باعتلاء المنصور الخلافة سنة **١٣٦** هـ / **٧٥٣**م ، حيث وجه بعض اهتمامه للثغور الاسلامية ، فأمر بتحصينها وشحنها بالمقاتلة ، ضمن خطة عسكرية شاملة ، اعدها لهذا الغرض ، لتكون قادرة على الوقوف بوجه غارات الروم ، الذين استمروا على سياستهم التقليدية في مهاجمة الحدود الاسلامية .

فشن قسطنطين بن اليون ملك الروم هجوما على ملطية سنة **١٣٨** هـ /**٧٥٥**م[٨] بجيش بلغ قوامه **١٠٠** مقاتل[٩] ، وتمكن من اقتحام البلد عنوة ، وهدم سورها ، وعفا عمن فيها من المقاتلة ، فارسل المنصور اخاه العباس ابن محمدبن علي بجند خراسان وصالح بن علي بجند الشام ، وخرج معهم عيسى ابن علي، فبلغ عدد الجيش **٤٠** الف مقاتل[١٠] ، فغزوا الصائفة ثم باشروا ببناء سور ملطية ، فأتموه سنة **١٣٩** هـ / **٧٥٦**م[١١] ، ثم غزوا الصائفة من درب

---

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٢ .

(٧) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٤١ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١١٧ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٠٤ ، الطبري ٧ / ٤٧٣ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٦٣ .

(٨) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٤٤ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٢٠ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٢٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٨ هـ اليافعي : مرآة الجنان ، حيدر آباد ، الدكن ، الطبعة الأولى ١٣٣٧ هـ ، ١ / ٢٩١ .

(٩) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٤٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ٢٢٠ .

(١٠) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣ / ٢٢٥ وانظر : المصادر السابقة .

(١١) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٣ ، الطبري ٧ / ٥٠٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٩ هـ .

الحدث[١٢] ، فوغلوا في ارض الروم ، وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبابة ، وكانتا نذرتا ان زال ملك بني امية ان تجاهدا في سبيل الله ، وغزا من درب ملطية ، جعفر بن حنظلة البهراني[١٣] .

وقد جرى في هذه السنة ، مفاوضات بين المنصور وملك الروم ، بشأن الاسرى من الطرفين ، فاتفق على تبادلها ، فاستفدى الخليفة اسرى المسلمين من أهالي قاليقلا[١٤] وغيرهم ، من الروم ، وبناها وعمرها ورد اليها اهلها وندب اليها جندا من اهل الجزيرة وغيرها ، فاقاموا بها وحموها[١٥] .

وعلى الرغم من المشاكل التي واجهت المنصور ، فانه عني عناية خاصة ببناء مدن الثغور الواقعة في الجبهة الشمالية ، والشمالية الغربية من الدولة فحصنها وشحنها بالسلاح ، واسكن المقاتلة في بعضها ، لأنها تشكل الخط الدفاعي الرئيسي عن البلاد ، ضد هجمات الروم ، الذين ما برحوا يرغبون في فرض سيطرتهم عليها . فكانت المنطقة بأسرها منطقة عمليات عسكرية بين الطرفين . ففي سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧م ، كتب المنصور الى صالح بن علي ، وكان على الشام ، يأمره ببناء مدينة المصيصة[١٦] ، فوجه جبريل بن يحيى ، فرابط بها حتى

---

(١٢) درب الحدث : ومعنى الحدث في العربية « الخبر » لا سيما «الخبر المحزن » وقد سمي بدرب السلامة بعد استيلاء المسلمين على حصنه « حصن الحدث » ويقع الدرب في الشمال الشرقي وكان من مرعش فشمالاً إلى ابلستين . وقد سلكه المسلمون في غزواتهم السنوية لبلاد الروم، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٤ و ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(١٣) الطبري ٧ / ٥٠٠ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٧١ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٩ هـ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ٢٢٠ .

(١٤) بلاد قاليقلا : هي منطقة الجبال ، ما بين نهر أرسناس ـ أحد الفرعين الذي يتكون منهما نهر الفرات ويسمى اليوم باسم مراد صو ـ والفرات الغربي وإلى غربها بلاد طرون . وتقع قاليقلا حالياً في الجمهورية التركية . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(١٥) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٣٦ ، الطبري ٧ / ٥٠٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٣٩ هـ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤ / ١٣٩ هـ .

(١٦) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، تقارب طرسوس ياقوت : معجم البلدان ٨ / ٨٠ . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٠ .

بناها ، وفرغ منها سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨م[١٧] ، وكان الاهتمام في البناء مركزا على الناحية الحربية ، وهذا واضح من الاستحكامات العسكرية التي انشئت فيها « فقد بنى عليها سورا ، وجعل عليها خندقا ، واسكنها المقاتلة[١٨] ، وقام صالح ابن علي ايضا ، ببناء مرعش[١٩] وحصنها ، وندب الناس اليها على زيادة العطاء[٢٠] .

ووجه المنصور ابن اخيه عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ، ومعه الحسن بن قحطبة سنة ١٤٠ هـ /٧٥٧م ، في ٧٠ الف مقاتل الى ملطية ، فعسكروا فيها ، وباشروا في بنائها ، فأتموها في ستة اشهر ، واسكنها الخليفة اربعة الاف مقاتل من اهل الجزيرة ، لأنها من ثغورهم ، ووضع فيها شحنتها من السلاح والذخائر ، واقطع الجند المزارع . كما قام ببناء حصن قلوذية القريب من ملطية . فلما علم قسطنطين بمسير عبد الوهاب ومن معه الى ملطية ، توجه في ١٠٠ الف مقاتل ، فنزل جيحان ، واتخذها مقرا عسكريا له ، فبلغه كثرة جيش المسلمين ، فخشي العاقبة ، وانسحب بقواته[٢١] . واستمرت القوات العباسية مرابطة فيها سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨م ، لئلا يطمع فيها العدو فرجع اليها بقية اهلها[٢٢] .

وقام المنصور سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨م بعد منصرفه من الحج ، بجولة استطلاعية في بلاد الشام ، ليقف بنفسه على وضعها ، ويتعرف عن كثب على

---

(١٧) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٤٥ ، الطبري ٧ / ٥٠٩ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٧٣ .

(١٨) اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٢٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٠ ـ ١٤١ هـ ، اليافعي : مرآة الجنان ١ / ٢٩١ . وذكر البلاذري . ان المنصور أسكنها ألفاً من المقاتلة وسماها المعمورة . فتوح البلدان ١ / ١٩٦ ، أنظر : ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٣٨ .

(١٩) مرعش : بلدة من الشام . أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٦٢ .

(٢٠) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٥ .

(٢١) المصدر السابق ١ / ٢٢٣ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٣٧ ، ابن العبري : مخطوط مختصر الدول ص ١١٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧٠ .

(٢٢) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٤ ، الطبري ٧ / ٥١٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤١ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧ / ١٧٢ ، فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، طبعة القاهرة ص ١٤٦ .

امورها . فزار بيت المقدس ، ودمشق ، والرقة ، واتخذ بعض الاجراءات في المنطقة الغربية من بلاد الشام ، والتي تعرف اليوم ببلاد لبنان . ذلك انه لما اقام في دمشق وفد عليه المنذر وارسلان وهما من امراء لخم ومسكنهم المعرة ، وجرت بين الطرفين مباحثات انتهت بموافقة الخليفة على ارسالهم وعشيرتهم الى لبنان ، وكان اول نزولهم بحصن وادي تيم الله بن ثعلبة بجبال بيروت ، ثم المغيثة قرب مصيف صوفر اليوم ، وكان هدف المنصور من ذلك ، اسكان هذه الجبال لقبائل عربية ، كقبيلة لخم ، لتقوم بالتصدي للعصابات الرومية ، ومنعها من تخطي هذه المنطقة الى الجنوب ، عكس ما كانت تفعل زمن بني امية . وكان لهذا الاجراء اثره في تقوية العنصر العربي في المنطقة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان اسناد مهمة الدفاع عنها الى قبيلة لخم الموالية للعباسيين ، اغنت الخليفة عن ارسال الجيوش النظامية اليها ، فضلا عن تكبد الخسائر . وبذلك حقق المنصور هدفه في منع الروم من شن هجماتهم عبر المنطقة(٢٣) .

هذا وقد قام صالح بن علي ، باجراءات ضد اهل لبنان بعد ان شكوا له عامل بعلبك ، فقتل بعضهم ونقل بعض اهلها عنها(٢٤) ، ويوضح بيليايف اسباب ذلك ، فيقول « ان اهل لبنان قد ثاروا سنة **٧٥٩ - ٧٦٠**م (**١٤٢ - ١٤٣** هـ) ، بسبب ازدياد الضرائب وابتزاز الاموال على ايدي الجباة ونزل الفلاحون الثائرون من جبالهم لينضموا الى الثائرين في البقاع ومن هناك اتجهوا الى بعلبك ، ولكن جيش الخليفة ردهم على اعقابهم ، فتفرقوا وعادوا الى قراهم الجبلية ، وبعث الخليفة بحملات تأديبية انتقمت بشدة منهم وحملت الفلاحين على النزوح عن قراهم والنزول في بعض سهول سوريا(٢٥) » .

---

(٢٣) أنظر عجاج نويهض : أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان ، مطبعة دار الصحافة بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ م ، نقلاً عن الأخبار التي دونها محسن بن حسين بن زيد الطائي في ٢ شعبان سنة ١٤١ هـ ، وعن الأخبار الواردة في السجل اللخمي والارسلاني .

(٢٤) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ١٩٢ .

(٢٥) العرب والإسلام والخلافة العربية ص ٣٠٦ .

ووجه صالح بن علي سنة « ١٤١ هـ او ١٤٢ هـ مسلمة بن يحيى البجلي في جنود من اهل خراسان ومالك بن ادهم الباهلي في جنود من اهل الشام ، فبنوا اذنة ورابطوا فيها[٢٦] » .

وولى المنصور سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩م اخاه العباس بن محمد ، الجزيرة والثغور والعواصم[٢٧] .

وقد اشارت بعض الروايات التاريخية الى ان العمليات العسكرية ، توقفت اعتبارا من سنة ١٣٩ هـ وحتى سنة ١٤٦ هـ (٧٥٦م - ٧٦٣م) ، وتعزى السبب في ذلك الى انشغال المنصور بامر ابني عبد الله بن حسن ، محمد النفس الزكية وابراهيم[٢٨] ، لكن خليفة ابن خياط ذكر « ان صالح بن علي وجه سنة ١٤٥ هـ /٧٦٢م عيسى بن كثير النقـاش ، فغزا سلوقية ، ثم اتى طوانة ، ثم اتى قرمة فقتل وسبى[٢٩] » ، في حين ذكر اليعقوبي : ان العباس بن محمد قام بغزوتين للروم في سنتي ١٤٢ هـ و١٤٣ هـ (٧٥٩م - ٧٦٠م) ، ثم ذكر غزوة اخرى لحميد بن قحطبة قام بها سنة ١٤٥ هـ /٧٦٢م[٣٠] ، ومعنى هذا ان الصوائف حسب هاتين الروايتين ، استمرت خلال تلك الفترة ، ولم تنقطع الا في سنوات ١٤٠ هـ و١٤١ هـ و١٤٤ هـ . وتعتبر هذه الغزوات ، غزوات خاطفة الغرض منها ارهاب العدو .

---

(٢٦) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ١٩٩ . اذنه : مدينة قرب المصيصة ، وتقع على نهر سيحان . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٣ .

(٢٧) الطبري : ٧ / ٥١٤ ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ١٧٧ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٤٢ .

(٢٨) البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ٥٩ وما بعدها ، الطبري ٧ / ٥٠٠ ، الأزدي تاريخ الموصل ٢ / ١٧٣ وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٣٢ .

(٢٩) تاريخ : ٢ / ٤٤٩ .

سلوقية : تقع مما يلي نهر اللامس على مرحلة من طرطوس من جهة الغرب ، وطوانة تقع شمال مدينة لؤلؤة الواقعة في النهاية الشرقية لدرب الأبواب ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٥ ، ١٧١ أما قرمة ، فكانت بالقرب من المدينتين السابقتين .

(٣٠) تاريخ ٣ / ١٢٩ .

وقد استؤنفت العمليات العسكرية في سنة ١٤٦ هـ/٧٦٣ م . بقيام جعفر ابن حنظلة البهراني بغزو الصائفة من بلاد الروم[٣١] . وذكر البلاذري غزوة اخرى في نفس السنة قام بها « مالك بن عبد الله الخثعمي ، الذي يقال له مالك الصوائف وهو من اهل فلسطين ، فغنم غنائم كثيرة ، ثم قفل ، فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلا بموضع يدعى الرهوة ، أقام فيها ثلاثا ، وباع الغنائم ، وقسم سهام الغنيمة ، فسميت تلك الرهوة برهوة مالك[٣٢] » .

وقام المنصور سنة ١٤٩ هـ /٧٦٦م بسفرة من بغداد فنزل حديثة الموصل ، ومنها أغزى الحسن بن قحطبة ، وبعده محمد بن الاشعث ، وجعل عليهما العباس بن محمد وامره ان يغزو بهم كمخ[٣٣] . فمات ابن الاشعث بآمد[٣٤] ، وسار العباس والحسن حتى صارا الى ملطية فحملا منها الميرة ، ثم اناخا على كمخ وضربا عليها الحصار ، وامر العباس بنصب المنجنيق عليها ، بعد ان رفض اهلها تسليم البلد ، وقاوموا القوات العباسية مقاومة شديدة ، فوضعوا على حصنهم خشب العرعر لئلا تضربه حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين ، فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل . فلجأ المسلمون الى اتخاذ الدبابات ، وقاتلوا قتالا عنيفا ، حتى تم لهم فتح الحصن[٣٥] . وقام عبد الوهاب بن ابراهيم الامام بغزو الصائفة سنة ١٥١ هـ /٧٦٨م[٣٦] .

---

(٣١) البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٣٠ ، الطبري ٧ / ٦٥٦ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٣ .

(٣٢) فتوح البلدان ١ / ٢٢٧ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٣ .

(٣٣) كمخ : تقع على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسفل من أرزنجان في يسار النهر أي في ضفته الجنوبية ـ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥١ .

(٣٤) آمد : مدينة حصينة ، دجلة محيط بها من جوانبها إلا من جهة على شكل هلال . القزويني : آثار البلاد ص ٤٩١ .

(٣٥) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢١٩ ، وانظر : البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٣٤ ، الطبري ٨ / ٢٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٤٩ هـ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٧٩ .

(٣٦) البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٣٨ ، الطبري ٨ / ٣٩ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٨١ .

ويؤخذ من الروايات التاريخية ، ان اول هجوم حقيقي على الروم ، كان بقيادة معيوف بن يحيى سنة **١٥٣ هـ / ٧٧٠ م** ، الذي اوغل في بلاد الروم ، فصار الى احد حصونهم ليلا ، واهله نيام ، فسبى واسر من كان فيه من المقاتلة ثم صار الى اللاذقية المحترقة[٣٧] ، ففتحها واخرج منها ستة الاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين وغنم اموالا جزيلة[٣٨] ، وفي سنة **١٥٤ هـ / ٧٧١م** ، اسند المنصور امر الصائفة الى زفر بن عاصم الهلالي ، فدخل المصيصة ، وبث السرايا ، فغنم وخرج من درب مرعش[٣٩] .

واستمرت الصوائف تتوالى من سنة **١٥٥ - ١٥٨ هـ (٧٧٢ - ٧٧٥م)** ولم تقع فيها حوادث ذات قيمة عسكرية مهمة ، وظهر فيها من القادة ، يزيد بن اسيد السلمي ، وزفر بن عاصم ، ومعيوف بن يحيى[٤٠] .
ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض الروايات ذكرت ، ان ملك الروم طلب الصلح من المنصور على ان يؤدي اليه الجزية وذلك سنة **١٥٥ هـ / ٧٧٢م**[٤١] في حين ان الحملات الاسلامية،لم تكن من القوة والعنف على الجبهة البيزنطية لكي تبلغ الى هذه النتيجة ، وربما كان السبب في ذلك ، يعود الى انشغال الروم بالحرب مع البلغار ، وهو الذي دفع ملك الروم لطلب الصلح من الخليفة المنصور ، لكي يتفرغ لجبهة واحدة . فضلا عن حالة عدم الاستقرار التي سادت الدولة آنذاك ، من بطش بالرهبان ، واقفال الاديار ، وانتشار الطاعون .

ونستطيع القول ، ان الحملات العسكرية ضد الروم البيزنطيين طوال عهد

---

(٣٧) اللاذقية المحترقة : تقع شمال قونية ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٢ .

(٣٨) الطبري ٨ / ٤٣ . ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٥٣ هـ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٨٩ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٧ .

(٣٩) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٥٦ ، الطبري ٨ / ٤٤ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٥ / ٢٨٩ .

(٤٠) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٥٧ وما بعدها ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٤٢ ، اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١٢٩ ، الطبري ٨/٤٦ وما بعدها ، الأزدي : تاريخ الموصل ٢ / ٢٢٥ وما بعدها .

(٤١) الطبري : ٨ / ٤٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٥٥ هـ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٦ / ٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ١٠ .

المنصور لم تكن حملات جدية ، وانما كان الهدف منها ، ادخال الرعب في قلوب العدو، حتى لا يطمع في البلاد الاسلامية، وهي بنفس الوقت تظهر بان العباسيين رغم نقل عاصمتهم بعيدا عن مراكز الاحتكاك الحربي مع الروم ، فانهم مستعدون للدفاع عن اراضيهم . والوقوف بوجه كل غزو من العدو ، وردعه بقوة السلاح .

ومن اللافت للنظر ، ان النشاط البحري ، المتمثل بارسال الحَملات العسكرية البحرية ، بغزو بلاد الروم ، كان مفقودا طوال عصر المنصور ، على عكس ما كان الحال عليه زمن الدولة الاموية . ولكن رغم ذلك ، فان الخليفة ، لم ينس ما لمدن السواحل من اهمية بالغة ، فقام بتحصينها وتعميرها ، وبنى ما احتاج الى البناء منها[٤٢] ، لتكون قادرة على الوقوف بوجه غارات الروم البحرية . كما اتبع سياسة اكثر مرونة مع اهل قبرص ، فردهم الى صلح معاوية بن ابي سفيان « ٧ الاف دينار ، وعلى النصيحة للمسلمين وانذارهم عدوهم من الروم[٤٣] » ، لذلك قال فنلي « ان المنصور هو الذي وضع اساس النظام الثغري الذي وصل الى حد الكمال زمن المعتصم ، فكان يقسم المرابطين الى جماعات صغيرة كل منها تتألف من ١٠ ـ ١٥ مقاتلا ، ويبني لهم البيوت والاصطبلات ، ويبني لهم حصنا على بعد ثلاثين ميلا من دار اقامتهم ، وحشد في ملطية عشرة الاف مقاتل وزاد عطاء المقاتل عشرة دنانير ، وخصص له معونة قدرها مائة دينار ، ودبر السلاح واقطع الجند المزارع فوضع حدا لمطامع قسطنطين[٤٤] » .

---

(٤٢) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ١٩٣ .

(٤٣) المصدر السابق ١ / ١٨٣ ، وذكر البلاذري : ان هشام بن عبد الملك زاد فيه فردهم المنصور إلى ما كان زمن معاوية .

(٤٤) History of the Byzantine Empire, London, 1856, P. 218.

وقد ذكر البلاذري ان المنصور أسكن ملطية ٤ آلاف مقاتل . . على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ، وقد يكون ما ذكره « فنلي » راجع الى زيادة عدد المقاتلة الذين سكنوا ملطية بعد أن قام محمد بن إبراهيم بغزوها سنة ١٤١ هـ ، فرجع اليها اهلها . فتوح البلدان ١/٢٢٣ ـ ٢٢٣ .

الفصل الثالث

سياسته نحو الترك والخزر

لقد سبق للمنصور حينما كان ولياً للعهد ان تولى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان في ذي القعدة سنة ١٣٢ هـ ، ان تعرف على وضع هذه البلاد ، وقاد عدة حملات بنفسه « إلى أرمينية سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ، فدوخها واستأمن إليه جماعة كانوا في قلعة الكلاب وقفل منها سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، بعد أن استخلف عليها الحسن بن قحطبة »[١] . فلما آلت الخلافة إليه ، كان من جملة المشاكل التي واجهها على صعيد العلاقات الخارجية ، خطر هجمات الترك والخزر على دولته في أرمينية[٢] .

ومما لا شك فيه أن الروم استفادوا من هذه الهجمات على حدود الدولة العباسية ، وبالرغم من قلتها ، فإنها أشغلت السلطة ، والهت القوات العباسية عن اداء دورها كاملاً على الحدود الرومية العباسية المشتركة .

فقد قام الترك بشن هجوم سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م بالأبواب[٣] ، فأوقعوا خسائر فادحة بالمسلمين[٤] . واستأنف الترك نشاطهم الحربي بمساعدة الخزر ،

---

(١) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٥ ب . وذكر البلاذري انه عين عليها يزيد بن اسيد ثم عزله وعين مكانه الحسن بن قحطبة .

(٢) ارمينية : ناحية بين اذربيجان والروم اكثر اهلها نصارى ، القزويوني : اثار البلاد ص ٤٩٥ .

(٣) الابواب او باب الابواب : مدينة عجيبة على ضفة بحر الخزر . القزويني : اثار البلاد ص ٥٠٦ ويقول لسترنج ان باب الابواب هي تسمية العرب لدريند اجل موانىء بحر قزوين . بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٦ .

(٤) البسوي : المعرفة والتاريخ ١/١٢٧ .

فشنوا هجوماً سنة ١٤٥ هـ ، على باب الأبواب ، فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وقد يكون عزل مالك بن الهيثم عن الموصل في نفس السنة ،وتعيين المنصور لابنه جعفر بدلاً منه ، وإرسال حرب بن عبد الله معه وهو من أكابر القواد ، من النتائج التي ترتبت على هذا الهجوم ، وكإجراء دفاعي عن المنطقة ، خاصة بعد إرسال قوة عسكرية قوامها ٢٠٠٠ مقاتل لتقيم في الموصل تحت قيادة حرب بن عبد الله(٥) .

وقد اكتفى المنصور بهذا الإجراء في ذلك الوقت ، لأن انشغاله في إخماد ثورتي النفس الزكية وأخيه إبراهيم ، حالتا دون أن يتخذ أي إجراء عسكري مهم ، تجاه هجوم الترك والخزر المشترك ، وهذا مما شجع الترك على حشد جموعهم في سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م بقيادة استرخان الخوارزمي ، وعزموا على شن هجوم واسع النطاق على المسلمين في المنطقة ، فوصلت أخبار هذا الحشد إلى المنصور ، فوجه إليهم حملة عسكرية بقيادة جبريل بن يحيى البجلي،وأمر حرب بن عبد الله الراوندي ، بالإنضمام إلى هذه الحملة ، فتوجه حرب الراوندي بمن معه واحتل مدينة تفليس(٦) ، لكن الترك لم تترك له الفرصة لتثبيت أقدامه في المدينة ، فشنوا عليه هجوماً عنيفاً ، وتمكنوا من قتله ، ثم اشتبكوا مع جبريل البجلي وألحقوا بقواته الهزيمة ، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة خلقاً كثيراً ، ودخلوا تفليس واحتلوها(٧) .

ولما سمع المنصور بمقتل حرب الراوندي ، وما حل بقواته وبالمسلمين ، وجه حملة عسكرية بقيادة القائد حميد بن قحطبة سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م ، وأمره بالتوجه إلى أرمينية للقضاء على الترك وإعادة الهدوء والأمن إلى ربوع البلاد ، فسار بقواته إلى أرمينية ، لكن الترك حين علموا بمقدم القوات العباسية ، انسحبوا إلى

---

(٥) الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٩٤ ـ ١٩٥ ، ابن الاثير : الكامل ط ازهرية ٥/٢٧١

(٦) تفليس : قصبة كرجستان وهي في اعالي نهر الكر . لسترنج : بلدان ـ الخلافة الشرقية ص ٢١٦ .

(٧) البسوي : المعرفة والتاريخ ١/١٣٢ ، الطبري ٨/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل : ٢/٢٠١ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/٧ ١٤ هـ .

مواطنهم ، فلما وصل حميد بن قحطبة لم يجد أحد منهم ، فكر راجعاً[8] .

أما علاقة الدولة مع الخزر في أرمينية ، فكانت متوترة ، يسودها الحرب في أغلب الأحيان ، وقد مرت هذه العلاقة بفترة هدوء نسبي زمن ولاية يزيد بن أسيد السلمي عليها ، فذكرت بعض المصادر التاريخية « أن المنصور حين استخلف ولي يزيد السلمي على أرمينية ، ففتح باب اللان[9] ، ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ، ودوخ الصنارية ـ وهم قوم من الكفار ـ حتى أدوا الخراج »[10] ، ثم استقر ببرذعة[11] ، وفرق عماله على البلاد[12] . فكتب إليه المنصور « أما بعد فإن بلاد أرمينية لا تستقيم ولا تصلح إلا بمصاهرة الخزر ، والرأي عندي أن تصاهر القوم حتى تستقيم البلاد ، وإلا فإني خائف عليك وعلى جميع عمالك ، من الخزر فإنهم إذا أرادوا واجتمعوا غلبوا ، فانظر ولا تخالف أمري ، واجتهد في مصاهرة الخزر والسلام[13] .

فلما وصل كتاب الخليفة إليه ، أرسل يزيد إلى خاقان[14] ملك الخزر واسمه تعاطر ، وخطب إليه ابنته خاتون ، فأجابه إلى ذلك فتزوجها يزيد على ماية ألف درهم ، فزفت إليه من بلاد الخزر ومعها عشرة آلاف من أهل بيت من الخزر وأموال وهدايا كثيرة ، فتزوجها وبقيت عنده سنتين ، وولدت له إبناً فمات وماتت في نفاسها ببرذعة[15] ، فعلمت الخزر بذلك ، فتحركوا على المسلمين ، واجتمعوا

---

(8) الطبري ٢٧/٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٨/٨ هـ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ١٤٨/٤ هـ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٩٦/٧ .

(9) اللان : وهي احدى الولايتين التي يتكون منها بلاد الخزر ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٣ .

(10) البلاذري : فتوح البلدان ٢٤٦/١ وانظر : ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(11) برذعة أو بردعة : بلد في اقصى أذربيجان . ياقوت : معجم البلدان ١١٩/٢ .

(12) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(13) المصدر السابق . انظر : البلاذري : فتوح البلدان ٢٤٦/١ .

(14) ذكر البيروني ان ملوك الترك والخزر كان يطلق عليهم خاقان . الآثار الباقية عن القرون الخالية ، طبع سنة ١٨٧٨ م . ص ١٠١ .

(15) البلاذري : فتوح البلدان ٢٤٦/١ ، وذكر ابن اعثم . انها ولدت له ولدين ، مخطوط الفتوح جـ ٢ .

في جيش عظيم ، وساروا حتى افترقوا من الباب الأبواب ، فسار إليهم يزيد في سبعة آلاف مقاتل فلم يتمكن من الصمود أمامهم . فكتب إلى المنصور يستنجد به ، ويعلمه أن الوضع في البلاد أصبح خطيراً للغاية وطلب منه أن يرسل له إمدادات عسكرية سريعة ، ليتمكن من الوقوف أمام الخزر[١٦] .

وقد شعر الخليفة من خلال كتاب يزيد ، مدى خطورة الوضع على المسلمين هناك ، فبادر وأرسل « إلى أهل الشام يطلب منهم أن يلحقوا بيزيد بأرمينية فقدم عليه نيف عن عشرة آلاف مقاتل »[١٧] ، ثم واتته عساكر العراق عسكراً بعد عسكر ، فأول من وافاه من العراق جبريل بن يحيى في عشرة آلاف مقاتل[١٨] وأرسل المنصور إمدادات عسكرية أخرى ، فوصل حرب المروزي[١٩] في خمسة آلاف ، وحميد بن قحطبة في عشرة آلاف ، ومخلد بن الحسن في عشرة آلاف ، فاجتمع لدى يزيد السلمي من الجيوش القادمة إضافة لما معه (٦٠) ألف مقاتل[٢٠] فسار بهم حتى دخل نهر الكرم[٢١] ، وصار إلى بلد الشروان[٢٢] ، وجاء الخزر في ٢٠٠ ألف مقاتل . ودارت بين الفريقين معركة طاحنة ، تمكن الخزر فيها من إلحاق خسائر فادحة بالقوات العباسية ، بالأموال والرجال ، فقتلوا منهم مقتله عظيمة ، وانهزم يزيد حتى دخل برذعة ، أما خاقان ملك الخزر ، فإنه

---

(١٦) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) المصدر السابق . وذكر البعقوني (تاريخ ٣/١١١) ان المنصور أرسل جبريل بن يحيى البجلي في عشرين الفا من اهل الشام واهل الجزيرة واهل الموصل ، فجمع اهل الشام واهل العراق ، وهو موافق لما ذكره ابن اعثم ، الذي قال ان الخليفة ارسل عشرة الاف من اهل الشام واتبعهم بعشرة الاف من اهل العراق .

(١٩) وحرب المروزي ، هو غير حرب الراوندي الذي قتله الترك بمدينة تفليس .

(٢٠) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢١) نهر الكرم : يقع في بلاد الكرم ، وهي على بضعة أميال شمال فسافي الطريق الى سروستان . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٨ .

(٢٢) بلد الشروان : تقع شمال نهر أرس ، مما يلي نهر الكر على بحر قزوين وقصبته مدينة الشماخية . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١١ و٢١٤ .

اكتفى بالنصر الذي حققه ، وانسحب بقواته ، بعد أن أصاب غنائم لم ير مثلها[٢٣] .

ورحل يزيد بعد ذلك إلى العراق ، فأخبر المنصور بما حل بالمسلمين هناك فاستشاره الخليفة في الخطة التي يتخذها لاتقاء شر هجمات الخزر على البلاد، فاستقر الرأي على « أن يقوم المنصور بتحصين المدن هناك وإسكانها المقاتلة لتكون درءاً للخزر وحرزاً للإسلام ، فأرسل أبو جعفر إلى جميع الكور الذي بالشام والجزيرة والعراق ، وانتخب من أهل النجدة سبعة آلاف رجل ، ثم دعا إبراهيم ابن أبي عون ، والهيثم بن سعد وضم الكل إلى يزيد وأمره بالمسير إلى أرمينية »[٢٤] ، وذكر اليعقوبي « أن المنصور أخرج سبعة آلاف من أهل السجون وبعث فجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ، ووجه بهم وبفعلة وبنائين ، فبنى مدينة كمخ . . . ومدينة باب واق ، وعدة مدن جعلها رداء للمسلمين وأنزلها المقاتلة . . فقوى المسلمين بتلك المدن وأقام بالبلد ساكناً »[٢٥] .

ثم أن المنصور عين على أرمينية بكار بن مسلم العقيلي بعد عزل يزيد عنها سنة **١٥٣** هـ / ٧٧٠ م ، ثم عزله بعد مرور سنة وأربعة أشهر ، وعين مكانه الحسن بن قحطبة الطائي ، فثارت عليه الصنارية بعد حين ، فحاربهم ، فلم يتمكن من كسر شوكتهم ، فكتب إلى الخليفة يخبره بأمرهم ، وكثرتهم ، وانه لا يتمكن من الوقوف بوجههم ، ويطلب منه إمداده بالجيوش ، فوجه إليه عامر بن إسماعيل الحارثي في عشرين ألفاً[٢٦] « فلقى الصنارية فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأقام أياماً يحاربهم ، ثم رزقهم الله الظفر عليهم ، فقتل منهم في يوم واحد ستة عشر ألف إنسان ، ثم انصرف إلى تفليس ، فقتل من كان معه من الاسرى ، ووجه

---

(٢٣) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٤) المصدر السابق .

(٢٥) تاريخ ١١١/٣ . وباب واق : ذكرها ابن اعثم من ضمن مدينة باب الابواب مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٦) اليعقوبي : تاريخ ١١/٣ ، ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ص ١٤٩ .

في طلب الصنارية حيث كانوا[٢٧] » .

وقد أشارت بعض الروايات إلى أن «الحسن بن قحطبة ، سار بعد انتصاره إلى برذعة فنزلها ، ودعا بابنه قحطبة فولاه الباب والأبواب ، ودعا بابنه إبراهيم فولاه بلاد الخزر من تفليس وما والاها ، ودعا بابنه محمد فولاه أرمينية الرابعة من بلاد اخلاط[٢٨] . ثم أن محمد بن الحسن أساء إلى بطريق موشابذ ، فكتب هذا إلى البطارقة الذين حوله واستعان بهم على حرب محمد بن الحسن ، وكان بأرمينية الرابعة[٢٩] ، فأجابوه إلى ذلك ، فجمع جوشابذ البطارقة وجعل يحاربه ، وسمع بذلك حمزة بن جرجيق بطريق بلاد خزران[٣٠] فجمع الجموع ، وجعل يقاتل إبراهيم بن الحسن بن قحطبة ، وهو يومئذ بمدينة برذعة ، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع ، واجتمع الكفار من كل ناحية غضباً منهم لموشابذ ، فلم يكن للحسن بهم طاقة ، فكتب إلى المنصور بذلك ، فأمده بعشرة آلاف من أهل العراق ، فساروا حتى نزلوا مدينة اخلاط ، وسار إليهم الحسن بن قحطبة من برذعة في جيش عرمرم ، والتقى القوم على شاطىء بحيرة اخلاط ، فاقتتلوا فقتل موشابذ البطريق ، وقتل معه نيف من ثلاثة آلاف ، وانهزم الباقون على وجوهم والسيف يأخذهم ، إلى أن صار المسلمون إلى كنيسة موشابذ ، فأصابوا فيها مالاً كثيراً وسلاحاً ومتاعاً ، فأخذوه ثم رجعوا إلى موشابذ فأخذوا رأسه ورؤوس أصحابه من البطارقة والعلوج إلى المنصور[٣١] .

---

(٢٧) اليعقوبي : تاريخ ٣/١١١ ، وانظر : ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٢٨) اخلاط او خلاط : قصبة ارمينية الوسطى . ياقوت : معجم البلدان ١/١٩٠ ، وانظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٨ .

(٢٩) ارمينية الرابعة تشمل على قاليقلا وخلاط وشمشاط وما بين ذلك ، انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣١٤ .

(٣٠) خزران اوجزران : وهي من كور ارمينية . انظر : اليعقوبي : البلدان ص ٣١٤ ، ابن رسته : الاعلاق النفيسة ٩٨ ، ١٠٦ .

(٣١) ابن اعثم : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، وانظر : البلاذري : فتوح البلدان ١/٢٤٧ .

وقام يزيد بن أسيد السلمي في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م بغزو الخزر بناحية بحر الخزر[٣٢] . وكانت هذه الغزوة آخر الغزوات ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ، غزوة بعدها .

هذا وقد نالت أرمينية اهتمام المنصور ، فولاها واضحاً مولاه ، فلم يزل عليها وعلى أذربيجان خلافته كلها[٣٣] .

---

(٣٢) ابن خياط : تاريخ ٢/٤٥٦ .
(٣٣) اليعقوبي : تاريخ ٢/١١١ .

الفصل الرابع
سياسته تجاه الاصبهبذ امير طبرستان

تقع بلاد طبرستان على امتداد الساحل الجنوبي لبحر قزوين ، مما في شرق قومس وشمالها ، ويطلق عليها « بلاد الجبل »[1] لكثرة جبالها ، ووعورة مسالكها ، فكانت ملوك فارس توليها رجلاً يسمونه « الأصبهبذ »[2] ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الإسلام وافتتحت الممالك المتصلة بطبرستان . فكان صاحب طبرستان يصالح على الشيء اليسير ، فيقبل منه لصعوبة المسالك إليها وخشونتها . ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون أخرى ، حتى كانت أيام مروان بن محمد ، فغدروا ونقضوا ، حتى استخلف أبو العباس فوجه إليهم عامله فصالحوه[3] .

ولما ولي المنصور الخلافة ، أقر هذا الوضع من العلاقات ، بعد أن أعلن الأصبهبذ طاعته له . فقد ذكر ابن الفقيه « ان صاحب طبرستان ، إذا أحس من

---

(١) يقول لسترنج : « طبر » في لغة تلك البلاد معناها « الجبل » فطبرستان تعني « بلاد الجبل » وان اسم طبرستان بطل استعماله في المئة السابعة (الثالثة عشرة) وحل محله مازندران ، ومنذ ذلك اصبح هذا الاسم الشائع لهذا الاقليم . بلدان الخلافة الشرقية صم ٤٠٩ . وذكر ابن رسته انه بلد كثير الحصون ، منيع بأوديته. الاعلاق النفيسة ص ١٤٩ .

(٢) الاصبهبذ : لفظ فارسي بمعنى قائد ، وكان لقبا عاما على ملوك طبرستان،حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ١٣٩ ، وانظر البيروني : الآثار الباقية ، طبعة لايبزك سنة ١٩٢٣ م ، ص ١٠١ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢ هـ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، وانظر البلاذري : فتوح البلدان ٤١٥/١ .

عامل خراسان في وقته بضعف لم يعطه الطاعة ، فلما ولي المنصور الخلافة ، وقتل أبا مسلم وفعل تلك الأفعال ، هابه أصبهبذ طبرستان ، فكتب إليه ، ووجه إليه رسولاً ، وأعطاه الطاعة وبعث إليه بالألطاف[٤] » ويزيد هذه المسألة تفصيلاً ابن اسفنديار ، حين قال : « ان الأصبهبذ أرسل خراج طبرستان إلى الخليفة على قرار عهد الأكاسرة ، مبلغ ٧٠٠ ألف درهم بعدد كل درهم أربعة دوانيق من الفضة البيضاء ، وثياب خضر من الابريسم من البساط ٣٠٠ ، وكتان ملون حسن ٣٠٠ ، وأغشية ذهبية ٣٠٠ ، وزعفران ليس له في الدنيا نظير عشرة أحمال ، وحب الرمان الأحمر عشرة أحمال ، وسمك مملح عشرة أحمال ، وحمل ذلك على أربعين بغلاً ، على كل بغل غلام تركي مع جارية[٥] .

وقد ظلت العلاقات على هذا النحو ، حتى سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، إذ تطورت الأمور ، فدخلت مرحلة جديدة ، ذلك أنه لما تمكن الخليفة من القضاء على ثورة عبد الجبار الأزدي في خراسان على يد ابنه المهدي ، من غير أن تتكبد القوات العباسية خسائر في العدة والعدد ، لعدم اشتراكها في القتال ، كره أن تبطل النفقات التي صرفت على هذا الجيش . فطلب المنصور من ابنه المهدي سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، بغزو طبرستان ، على أن ينزل الري ، ويوجه أبا الخصيب مرزوق بن روقاء ـ مولى الخليفة ـ وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ[٦] .

ومما يثير الإنتباه ، سبب إقدام المنصور على هذا الإجراء . فهل كان الدافع على هذا العمل ، رغبته في ضم هذه البلاد وإخضاعها لدولته ، أم هناك أسباب أخرى أدت بالخليفة إلى أن يستعمل القوة في إخضاع البلاد ؟ فذكر ابن الفقيه ، أن قطع الأصبهبذ للخراج الذي كان يؤديه للمنصور ، والذي يعتبر بمثابة إقرار

---

(٤) مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٩ .

(٥) تاريخ طبرستان (بالفارسية) ص ١٧٥ .

(٦) الطبري ٥١٠/٧ ، ابن الجوزي : مخطط المنتظم ١٤١/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٤٠/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧١/٧ .

منه على الطاعة هو السبب في ذلك ، فقال « ان الأصبهبذ كتب إلى المنصور ، ووجه إليه رسولاً وأعطاه الطاعة ، وبعث إليه بالألطاف ، ثم أن الأصبهبذ استطال أيام المنصور ، فأمر رسوله بالإنصراف من باب المنصور ، وأمسك أن يبعث إليه بشيء[٧] ، ومعنى هذا ، أن المنصور شعر بأن هذا العمل من جانب الأصبهبذ هو بداية لخلعه الطاعة ، فأمر ابنه المهدي بغزو بلاده .

أما ابن اسفنديار ، فذكر سبباً آخر لذلك ، فقال « لما طلب سنباذ اللجوء إلى الأصبهبذ خورشيد ، أرسل هذا ابن عمه طوز لاستقباله لكن سنباذ استهزأ به ولم يحترمه كما يجب ، مما حدى بطوز أن يضرب عنقه ويحمل ما معه من الأموال والخزائن إلى الأصبهبذ خورشيد ، فعلم جهور بذلك ، فكتب إلى المنصور ، فأتى الجواب : بأنه يريد الأموال من الأصبهبذ فإنها لنا . ثم حدثت الإضطرابات بخراسان ، فعصى جهور بن مرار ، ثم أعلن عبد الجبار الأزدي ثورته ، فأراد الأصبهبذ أن يصلح الموقف ، فأرسل برأس سنباذ إلى المنصور بصحبة فيروز الحاجب ، فأكرمه الخليفة واستماله ، وأمر بإعادته ، فلما وصل إلى الأصبهبذ ، قال له : إن الخليفة استحسن خدمتك وانها وقعت بموقعها عنده ، فأرسل فيروز بالجواهر إلى الحضرة ، فقبلها المنصور وأعاد فيروز ، وكتب أن ينفذ مال أبي مسلم وسنباذ إلى الديوان ، فأصر الأصبهبذ،وقال : ليس عندي ما لهم ، وخلع الطاعة وعصى[٨] .

وقد يكون السبب الذي ذكره ابن اسفنديار مقبولاً إلى حد ما ، فتكون الأموال التي استحوذ عليها الأصبهبذ خورشيد بعد قتل سنباذ ، هي مدار الخلاف بين المنصور والأصبهبذ ، كما كانت الأموال سبباً في الخلاف بين الخليفة وكل من أبي مسلم وجهور العجلي . فأصر الخليفة على أن هذه الأموال هي ملك الدولة ، وليس من حق الأصبهبذ الإستحواذ عليها ، بينما أنكر الأصبهبذ وجود شيء منها

---

(٧) مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٩ .

(٨) تاريخ طبرستان (بالفارسية) ص ١٧٤ .

عنده ، وإزاء تمسك كل طرف منهما بموقفه ، قرر الأصبهبذ خلع الطاعة ، فأعلن عصيانه سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، لذلك أمر «المنصور» ابنه المهدي بغزو البلاد.

وبناء على طلب المنصور ، قام المهدي بتجهيز حملة عسكرية ، أسند أمرها إلى أبي الخصيب مرزوق بن روقاء ، وخازم بن خزيمة ، حسب طلب الخليفة ، وجهها إلى طبرستان ، فسارت الحملة ، ودخلت البلاد ، ووصل أبو الخصيب بقواته إلى سارية[٩] .

ولما بلغت الأخبار إلى الأصبهبذ ، وكان يومئذٍ على وشك الدخول في حرب مع المصمغان ملك دنباوند[١٠] ، الذي ساءه ذلك ، فقال للأصبهبذ : متى صاروا إليك صاروا إليَّ ، فعقدا صلحاً بينهما ، واجتمعا على محاربة المسلمين . فانصرف الأصبهبذ بقواته إلى بلاده ، وتصدى للقوات العباسية الغازية ، واشتبك معها في حرب طالت أيامها ، فوجه أبو جعفر إمدادات عسكرية بقيادة عمر بن العلاء ، وكان أعلم الناس ببلاد طبرستان ، فزحف بقواته واحتل الرويان[١١] ، وأخذ قلعة الطاق[١٢] وما فيها ، وألح خازم على القتال ، فتمكن من فتح طبرستان ، بعد أن أنزل خسائر فاجدة بالأرواح ، وانسحب الأصبهبذ إلى قلعته ، فاعتصم بها ، فحاصرته القوات العباسية ، وتحت وطأة حصارها المحكم ، طلب

---

(٩) سارية : كانت قصبة طبرستان ، يقال لها اليوم ساري في شرق آمل . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١١ ، وانظر : ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٤٩ .

(١٠) ناحية دنباوند وتسمى (دماوند) : نسبة الى الجبل العظيم المهيمن على انحاء طبرستان كلها ، ومدينة دنباوند تقوم على قلله الجنوبية ، كما سميت به الناحية الخصبة العريضة الشقة الممتدة حول سفوحه . لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٧و٤١١ .

وذكر البيروني ان ملوك هذه البلاد يُطلق عليهم مصمغان . الآثار الباقية ص ١٠١ ومعنى المصمغان : مس مغان ، والمس : الكبير ، ومغان المجوس فمعناه كبير المجوس . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية حاشية ـ ص ٤١٢ .

(١١) الرويان : اسم رستاق من رساتيق البلاد الجبلية عند الحد الغربي لطبرستان لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٤ ، وانظر : ابن رسته : ـ الاعلاق النفيسة ص ١٥٠ .

(١٢) قلعة الطاق : وتسمى حصن الطاق العظيم عند حدود الديلم ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٤ .

الأصبهبذ الأمان ، على أن يسلم القلعة وما فيها من ذخائر ، فكتب المهدي بذلك إلى أبيه ، فوجه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدة معه ، فأحصوا ما في الحصن ، وانصرفوا(١٣) .

أما الأصبهبذ خورشيد ، فإنه توجه إلى بلاد جيلان من الديلم ، فمات بها ، ثم قصدت القوات العباسية بعد ذلك إلى بلد المصمغان ، وتمكنت من الظفر به . وبذلك فتحت بلاد طبرستان ، وهذا الفتح الأول لها(١٤) .

ولما مات خورشيد أصبهبذ طبرستان ، خلفه في الأصبهبذية قارن(١٥) الذي هادن العباسيين وأعلن طاعته لهم ، ولكنه نكث العهد سنة **١٤٢** هـ / **٧٥٩** م فأعلن تمرده ، وجمع جموعه ، فقتل من كان في بلاده من المسلمين فوصلت أخباره إلى المنصور ، الذي أرسل إليه جيشاً بقيادة خازم بن خزيمة التميمي ، وروح بن حاتم المهلبي ومعهما مولاه أبا الخصيب(١٦) ، فسار الجيش إلى طبرستان .

أما الأصبهبذ قارن فإنه لما علم بتوجه القوات العباسية إلى بلاده « نقل سكان السهول إلى الجبال وأحكمها »(١٧) ، فقدم الجيش العباسي ، وضرب الحصار على الحصن ، وحاصروا الأصبهبذ ومن معه فيه ، ولم يتيسر لهم اقتحامه ، ووقعت بعض الإشتباكات الحربية بين الطرفين ، لكنها لم تغير الحال فلما طال أمد الحصار ، تشاور القواد في الخطة التي يمكن بواسطتها فتح الحصن ، واستقر رأيهم على خدعة حربية ، اقترحها عليهم أبو الخصيب ، ووافقوا عليها ، عندئذٍ طلب أبو الخصيب منهما أن يضربوه ويحلقوا رأسه ولحيته ففعلوا ذلك به ، ولحق

---

(١٣) الطبري : ٥١١/٧ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢٢٩/٣ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤١/٨ هـ . ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٢٤٠/٥ .

(١٤) المصادر السابقة .

(١٥) اليعقوبي : البلدان ص ٣٠٣ .

(١٦) البسوي : المعرفة والتاريخ ١٢٥/١ ، البلاذري : فتوح البلدان ٤١٥/١ ، اليعقوبي : تاريخ ١١١/٣ والبلدان ص ٣٠٣ ، الطبري ٥١٢/٧ ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٨ ، ابن اسفنديار تاريخ طبرستان ص ١٧٥ .

بالأصبهبذ ، وقال له « إن هذين الرجلين استغشاني وفعلا بي ما ترى وقد هربت إليك ، فإن قبلت انقطاعي وأنزلتني المنزلة التي أستحقها منك ، دللتك على عورات العرب ، وكنت يداً معك عليهم »[١٨] فقبل الأصبهبذ ذلك منه ، وكساه وأعطاه وأظهر الثقة به ، والمشاورة له ، فكان يريه أنه له ناصح ، وعليه مشفق ، فلما اطلع أبو الخصيب على أموره ، وعوراته ، كتب إلى خازم وروح بما احتاجا إلى معرفته من الأسرار الحربية ، واحتال للباب حتى فتحه في الليلة التي ضربها لهما ، فدخل المسلمون إلى الحصن فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذراري ، أما الأصبهبذ ، فإنه مص خاتما له فيه سم فمات[١٩] .

وقد تمكنت القوات العباسية بعد ذلك من فرض سيطرتها على البلاد ، فعين المنصور عليها عمر بن العلاء[٢٠] ، الذي تمكن من ضبط المنطقة ، وأعاد الهدوء إلى ربوعها ، وبذلك نجح الخليفة أخيراً في ضم هذه المنطقة إلى دولته .

وكان من أثر هذه العلاقات ، أنها شغلت الدولة العباسية وصرفتها عن اداء دورها كاملاً ، مع أعدائها الأصليين من الروم والدولة الأموية بالأندلس ، كما أنها وما صاحبها من حروب ، قد كلفت الدولة كثيراً من الأموال والرجال وربما لو لم تكن هذه الحروب وهذه الثورات ، لكان للدولة العباسية في زمن المنصور شأن آخر .

---

(١٧) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٧٦ .

(١٨) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٥/١ ، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٨ .

(١٩) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٥/١ ، ايعقوبي : تاريخ ١١٢/٣ والبلدان ص ٣٠٣ ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٨ ، الطبري ٥١٣/٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٤٢/٨ هـ ، ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢٠) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٦/١ ، ومخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٠٨ .

الباب الرابع
حكومة المنصور

الفصل الأول : السياسة الادارية

الفصل الثاني : السياسة المالية

الفصل الثالث : السياسة الحربية

الفصل الرابع : تقدير لسياسة المنصور ونهايته

الفصل الأول

السياسة الادارية

لقد كان من حسن حظ الدولة العباسية ، وهي لا زالت بكرا ، ان يتولى قيادتها رجل مثل ابي جعفر المنصور ، الذي ولي امرها سنة **١٣٦ هـ/٧٥٣م** ، وهو يومئذ في الحادي والاربعين من عمره ، فاعتبر بحق فاتحة لبني العباس[١]

ولم يكن المنصور حين أفضى اليه الأمر ، خالي الوفاض من التجارب السياسية والادارية بل بالعكس ، فان له رصيدا ضخما منها ، نتيجة لممارسته الحياة السياسية ، منذ عهد مبكر من حياته ، فقد لعب دورا مهما في الدعوة العباسية وكان احد اركانها البارزين ، وقام بالدور الرئيسي في اخذ البيعة لأخيه ابي العباس ، وتولى محاربة اكبر جيب عسكري للامويين بواسط بقيادة ابن هبيرة ، وقضى على ثورات الجزيرة ، واخمد الفتن التي قامت في ارمينية وغيرها ، اثناء توليه ولاية هذه المناطق . وهو بالاضافة الى هذا كله ، كان الساعد الأيمن لأخيه ، ومستشاره الخاص ، يستدعيه اذا الم به خطب ، ويستشيره اذا اشكل عليه امر .

وهو فوق ذلك قد « عركته الأيام ايما عرك ، وحكته بتقلبه فيها ، قبل افضاء الامر اليه بكل محك[٢] » فاستفاضت تجاربه ، واتسعت خبرته ، ونضجت

---

(١) قال الثعالبي : ان لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة ، فالفاتحة المنصور ، والواسطة المأمون ، والخاتمة المعتضد ، ، لطائف المعارف ص ١١٧ .

(٢) ابن دحية : النبراس ص ٢٥ ، وانظر القلقشندي : مآثر الانافة في معالم الخلافة ١/١٧٥ .

شخصيته ، واستكمل هيبته ، فصقلته الأيام ، واهلته لأن يكون قائدا قديراً للدولة الجديدة في مسيرتها الطويلة . لذلك يؤثر عنه قوله عن نفسه « ان هذا الملك افضى الي وانا حنيك السن ، قد حلبت هذا الدهر اشطره ، وزاحمت المشاة في الأسواق ، وشاهدتهم في المواسم وغازيتهم في المغازي ، فوالله ما احب ان ازداد بهم خيرا على اني احب ان اعلم ما احدثوا بعدي منذ تواريت عنهم بهذه الجدران وتشاغلت عنهم بامورهم مع اني والله ما لمت نفسي ان اكون قد اذكيت العيون عليهم حتى اتتنى اخبارهم وهم في منازلهم[3] » .

هذا وقد اجمع المؤرخون ، على ان المنصور يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وباني مجدها ، ومشيد عظمتها ، ومثبت اركانها « فكان من عظماء الملوك وهزمائهم وعقلائهم وعلمائهم ، وذوى الاراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة[4] ، يسوس سياسة الملك ويثب وثوب الاسد العادي ، لا يبالي ان يحرس ملكه بهلاك غيره[5] » .

فتمكن بفضل ما اوتيه من حزم ، وصواب رأي ، وحسن سياسة ، من ارساء قواعد حكمه على اسس قوية ومتينة ، فقدر لدولته الاستمرار لقرون عدة بعده .

واذا كان قد أتينا فيما سبق من فصول على بيان سياسته في الميدانين الداخلي والخارجي ، فلا بد من القاء الضوء على الجوانب المهمة الاخرى من شخصيته ، والمتمثلة في افعاله واقواله ، لنصل في النهاية الى تقويم شامل لها .

ومن اهم الجوانب التي اشتهر بها المنصور ، سياسته الادارية الحازمة في الحكم ، والتي فسرها من وجهة نظره بقوله « ما كان احوجني الى ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون اعف منهم ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، من هم ؟ قال : هم

---

(٣) اليعقوبي : تاريخ ١٢٦/٣ .
(٤) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٥ ، وانظر : القلقشندي : مآثر الانافة ١٧٥/١ .
(٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٤٣٢ ، وانظر : ابن دحية : النبراس ص ٢٥ .

اركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم ، كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ، اذا نقصت واحدة وهى ، اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني ، والرابع ـ ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول في كل مرة : آه آه ـ قيل له : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب الي بخبر هؤلاء على الصحة(٦) » .

وقول المنصور هذا، بين لنا اسس الادارة الصحيحة التي كان يراها ، اذ وضح فيه ، اهتمامه باقامة العدل بين الرعية ، ولا غرابة في ذلك ، وهو القائل « ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا العدل(٧) » ويؤكد هذه النظرة ، قوله للربيع ، حين اعلمه بان العامة اشاعت بأنه عليل لاحتجابه عنهم مدة : « يا ربيع ، ما لنا وللعامة ! انما تحتاج العامة الى ثلاث خلال ، فاذا فعل ذلك بها فما حاجتهم ! اذا اقيم لهم من ينظر في احكامهم ، فينصف بعضهم من بعض ، ويؤمن سبيلهم حتى لا يخافوا في ليلهم ولا نهارهم ، ويسد ثغورهم واطرافهم حتى لا يجيئهم عدوهم ، وقد فعلنا ذلك بهم(٨) » .

وبناء على ما تقدم ، يمكن القول ، ان نظرة المنصور العامة للاسس والدعائم التي يرتكز عليها الحكم ، مستندة الى اقواله السابقة ، ونستطيع ان نلمس اثر هذه السياسة ، بصورة اوضح من خلال شخصيته وممارسته الفعلية للسلطة .

هذا ولما كانت صفات الرجل واخلاقه وعلمه ، مرآة تعكس هذه المعاني على

---

(٦) الطبري : ٦٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ١١/٦ ، العيني مخطوط عقد الجمان ١٧/٨ .

(٧) الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٢/٢ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٦ ، وانظر : الطبري ٧١/٨ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥٦/١٠ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٥١/٨ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ .

(٨) الطبري ٨٦/٨ .

واقعه السياسي ، مما له اثر كبير في توجيه سياسة الدولة . فقد رأيت من واجبي ان ابدأ الكلام عن صفات المنصور واخلاقه وثقافته ، ثم اتبع ذلك بالحديث عن ادارة الدولة في عهده .

١ ـ صفاته واخلاقه :

وهي من اهم المميزات التي ميزت المنصور عن غيره من الخلفاء ، فجعلت له شخصية مستقلة ذات ملامح خاصة به ، فقد جاء في وصفه «انه كان اسمر طويلا ، نحيفا ، خفيف العارضين ، معرق الوجه ، رحب الجبهة ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، يخالطه ابهة الملك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون[٩] » ، وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما ودهاء وجبروتا[١٠] ، روى العلم وعرف الحلال والحرام ولا يدخله فتور عند حادثة ولا تعرض له ونيه عند مخوفة[١١] ، وقورا شديد الوقار ، حسن الخلق في الخلوة ، من اشد الناس احتمالا لما يكون من عبث او مزاح ، فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام ، تغير لونه ، واحمرت عيناه ، وانقلبت جميع اوصافه ، قال يوما لبنيه يا بني : اذا رأيتموني قد لبست ثيابي وخرجت الى المجلس ، فلا يدنون احد مني مخافة ان أعره بشيء[١٢] .

وكان في الشدائد ، رابط الجأش ، قوي العزيمة ، لا يدع لمشكلة ان تنال من عزيمته او توهنها ، قال عنه اسحق بن مسلم « والله قد سبرته ولمست عوده ، فوجدته خشنا ، وغمزته فوجدته صليبا ، وذقته فوجدته مراً[١٣] » .

---

(٩) الطبري ٦٢/٨ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ٣٤١ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ٢٩٦/١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٥/٨ .

(١٠) الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٢٩٧/١ ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ .

(١١) المسعودي : التنبيه والاشراف ٣٤١ .

(١٢) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٥ وانظر : الطبري ٦٣/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ١٠/٦ .

(١٣) الطبري ٦٢١/٧ .

وكان بفضل ما اوتي من قوة العود ، وصلابة الرأي ، ان استطاع تصفية خصومه السياسيين الواحد تلو الآخر ، فصفا له الجو ، ومهد له الخلافة فدانت له الممالك . وكان مع هذا كله يتحمل شديد الكلام ويصفح عنه ، ويلبس خشن الثياب ، وربما رقع ثوبه بيده[١٤] .

٢ ـ ثقافته وعلمه :

كان لتجوال المنصور في البلدان قبل خلافته ، ومخالطته الناس ، وتقلبه في الاعمال ، ومصاحبته العلماء ، وجلوسه في حلقات الذكر والحديث[١٥] ، أثر في انماء مداركه ، وزيادة معارفه واطلاعه ، فاكتسب بذلك خبرة وثقافة واسعتين . « فكان حافظا لكتاب الله العظيم متبعا لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيها كاتبا بلغيا[١٦] » « اعلم الناس بالحديث والانساب مشهورا بطلبه[١٧] » « فعرف بالزهد والفضل وطلب العلم[١٨] ، قال عنه الجاحظ « وكان اكثر الامور عنده معرفة احوال الناس ، حتى عرف الولي من العدو ، والمداجي من المسالم ، فساس الرعية ولبسها وهو من معرفتها على مثل وضح النهار[١٩] » . وهو بالاضافة الى ذلك كله كان « كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب ، فقيه النفس . . . فصيحا بليغا مفوها ، خليقا للامارة[٢٠] » .

---

(١٤) المصدر السابق ٨/٨١ .

(١٥) انظر : اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٢ ، الازدي : تاريخ الموصل : ٢/٢٣١ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/١٢١ ، المقريزي : السلوك ١/١٥ ، انسيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣ .

(١٦) ابن دحية : النبراس ص ٣٠ .

(١٧) العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/١٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ ، وانظر : اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٢ .

(١٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٩ ب ، وانظر : الصنعاني : مخطوط نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، ص ٢٨

(١٩) التاج ص ١٦٩ . ولبسها : اي غلى بها دهرا طويلا .

(٢٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ ، وانظر الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/١١٣ .

ومن هذا نستنتج ان المنصور كان واسع الثقافة ، بصيرا بفنون عدة ، عرف بالفصاحة والبلاغة في القول ، والابانة عن مقصده اشد ابانة ، وقد أعانته ملكه الخطابة على توطيد ملكة ، خطب مرة بعرفة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧م فقال : « ايها الناس ، انما انا سلطان الله في ارضه ، اسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وانا خازنه على فيئه ، اعمل بمشيئته ، واقسمه بارادته ، واعطيه بأذنه ، قد جعلني الله عليه قفلا ، اذا شاء ان يفتحني لأعطياتكم وقسم فيئكم وارزاقكم فتحني ، واذا شاء ان يقفلني اقفلني ، فارغبوا الى الله ايها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما اعلمكم به في كتابه ، اذ يقول تبارك وتعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا[٢١] » ان يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم ، ويفتحني لاعطيكم وقسم ارزاقكم بالعدل عليكم ، انه سميع قريب[٢٢] .

وفي تصوري ، ان المنصور ما كان يهدف من قوله : « انما انا سلطان الله في ارضه . . » الى نظرية الحق الالهي المقدس - كما تصور البعض[٢٣] التي كانت سائدة في النظام الفارسي وغيره من نظم الحكم التي تدين بهذا المبدأ في حكم الشعوب . لأن نص الخطبة الكامل ، يشير بوضوح خلاف ذلك ، فقد اكد الخليفة فيها على اقامة العدل بين الرعية ، وتوزيع الاموال حسب هذا المبدأ ، وقد اكد المنصور على العدل في مناسبات كثيرة منها قوله :«لا تعمر البلاد بمثل العدل» ووقوله في نص سابق ، ان الملك لا يصلح الا بأربعة نفر، قاض عادل ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم ، وصاحب بريد يكتب بأخبار هؤلاء على الصحة ، والحادثة التالية التي وقعت

---

(٢١) سورة المائدة ٣ .

(٢٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٥١/٢ ، الطبري ٨٩/٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٥/٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧٠/٧ .

(٢٣) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٦٣ - ٦٥ ،براون
Browne, Aliterary History of Persia , Vol I: P. 130.

للمنصور نفسه تؤيد هذا الاتجاه بصورة عملية ، ذلك « ان الحمالين الذين نقلوا متاعه واحماله في طريقه الحج ، اشتكوا الى قاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي ، يشتكون المنصور اليه لعدم اعطائه اجورا ترضيهم ، فكتب القاضي الى الخليفة للحضور في مجلس الحكم ، فلما حضر حكم القاضي لهم على الخليفة وطلب منه انصافهم ، ففرح المنصور بذلك وقال : جزاك الله عن دينك احسن جزاء ، وقد امرت لك بعشرة الاف دينار[٢٤] » .

ومهما يكن من امر ، فقد عرف عن المنصور سرعة البديهة ، وجزالة في القول ، وغزارة في اللفظ ، فمكنه ذلك من تفادي المواقف الحرجة ، خطب مرة فقال : « الحمد لله ، احمده واستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . فقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين ، اذكر من انت في ذكره . فقال : مرحبا مرحبا . لقد ذكرت جليلا ، وخوفت عظيما ، واعوذ بالله ان اكون ممن اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم ، والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت ، وانت يا قائلها فاحلف بالله ما الله اردت بها ، وانما اردت ان يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، واهون بها من قائلها ، واهتبلها من الله ، ويلك : اني قد غفرتها ، واياكم يا معشر الناس وامثالها ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، فعاد الى خطبته فكانما يقرؤها من قرطاس[٢٥] » .

اما اقواله وحكمه فكثيرة ، منها ، قوله « من فعل بغير تدبير ، وقال عن غير تقدير ، لم يعدم من الناس هازئا او لاحيا[٢٦] » وقوله « عقوبة الحليم التعريض وعقوبة السفيه التصريح[٢٧] » وقوله « الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاث خلال ،

---

(٢٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٧ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٦ .

(٢٥) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٤٠ آ ، الدينوري : الاخبار الطوال ٢/١٣٦ ، اليعقوبي : تاريخ ٣/١٢٦ ، الطبري ٨/٩٠ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/٦ ، وهناك خطب كثيرة ، فمن اراد الاطلاع فليرجع الى المصادر السابقة .

(٢٦) الطبري ٨/٨٨ .

(٢٧) المصدر السابق ٨/٨٩ .

افشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك[٢٨] » وقوله : « اذا مد عدوك اليك يده فان امكنك ان تقطعها والا فقبلها[٢٩] » .

وهذه الصفات ان اجتمعت في رجل فانه لجدير ان يتولى رئاسة الدولة وقد كان المنصور .

وكان من اثر ثقافته وتشجيعه للعلم والعلماء ، ان ترجمت له الكتب من اللغات السريانية والاعجمية بالعربية . وهو اول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم[٣٠] .

هذا وقد كان لشخصية المنصور تأثير واضح في احفاده من بعده ، فامتثلوها وساروا على هديها في سياستهم وادارتهم للمملكة « فكان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء ، متشبها بالمنصور[٣١] » « وكان الرشيد في اخلاق ابي جعفر المنصور يمتثلها كلها الا في العطايا والصِّلات والخلع فانه كان يقفو فعل ابي العباس والمهدي[٣٢] » .

٣ ـ ادارة الدولة في عهده :

لقد عرف المنصور بالجد في اموره ، وانصرافه بصورة كلية الى تدبير شؤون دولته ، وقد اكدت الروايات التاريخية هذه الحقيقة فذكرت انه « لم ير في داره لهو ولعب او ما يشبه اللهو واللعب[٣٣] » .

---

(٢٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٩ ب ، الطبري ٨/٨٨ .

(٢٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/٣٩ ب و ٤٠آ . العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/١٧ . زيادة في الاطلاع انظر : الجاحظ : التاج ص ٣٤ ، ابن بكار : الاخبار الموفقيات ١٩٩ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/٥٥ وما بعدها . وذكر السيوطي : وكان المنصور يقول الشعر ولكن شعره قليل . تاريخ الخلفاء ص ٢٦٨ .

(٣٠) المقريزي : السلوك ١/١٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٩ .

(٣١) الجاحظ : التاج ص ٣٤ .

(٣٢) المصدر السابق ص ٣٧ .

(٣٣) الجاحظ : التاج ص ٣٤ ، الطبري ٨/٦٣ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٦/١١ ، ابن

فقد باشر المنصور الحكم بنفسه ، وركز جميع السلطات بيده ، كصورة من صور مركزية الحكم ، المتمثلة في شخصه فقط . فكان لا يترك امرا سواء اكان كبيرا ام صغيرا ، الا واطلع عليه ، واصدر حكمه فيه . وهو مع هذا كان يستشير اهل العلم والمعرفة، والتجربة والخبرة، في الامور الهامة، فأدى به هذا الإشراف الدائم والمستمر في مختلف الشؤون إلى مواصلة العمل ليل نهار بصورة منظمة « فكان شغله في صدر نهاره بالامر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدوئهم ، فاذا صلى العصر جلس لأهل بيته الا من احب ان يسامره ، فاذا صلى العشاء الاخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والافاق ، وشاور سماره من ذلك فيما أرب ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره ، فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه ، فأسبغ وضوءه ، وصف في محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إيوانه(٣٤) » ، وكان هذا دأبة طوال خلافته(٣٥) .

وقد أدخل المنصور تعديلات على بعض النظم الادارية التي كانت متبعة زمن الأمويين ، فهو أول من رتب المراتب من الخلفاء وكان بنو امية لهم بيوت بلا منعة ولا أذن ، وإنما كان الناس يقفون على ابوابهم حتى يؤذن لهم او يصرفوا ، فلما بنى المنصور مدينته بغداد اتخذ في قصره بيوتا للاذن(٣٦) .

٤ ـ الولاة والعمال في عهده :

اعتمد المنصور على ادارته لاقاليم دولته على اهل بيته وعلى المشهورين من

الطقطقي : الفخري ص ١٢٦ ، الذهبي : مخطوطة سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ٢٩٧/١ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦/٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ .

(٣٤) الطبري : ٧٠/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ١١/٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢٥/١٠ ، العيني : مخطوطة عقد الجمان ١٥/٨ .

(٣٥) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٥/٨ .

(٣٦) الثعالبي : لطائف المعارف ص ١٩ . وانظر بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٩/٢ .

العرب ، فولى من اهل بيته ، اسماعيل بن علي فارس ، وسليمان بن علي البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة ، وصالح بن علي قنسرين والعواصم ، ومحمد ابن ابراهيم الاردن ، وعبد الوهاب بن ابراهيم الامام فلسطين ، وجعفر بن سليمان المدينة ، والسري بن عبد الله بن العباس مكة .

وكان من عماله العرب ، يزيد بن حاتم المهلبي ، ومحمد بن الأشعث الخزاعي ، وزياد بن عبيد الله الحارثي ، ومعن بن زائدة الشيباني ، وخازم بن خزيمة التميمي ، والحسن بن قحطبة الطائي ، فكان ينقل هؤلاء وغيرهم في اعماله لثقته بهم واعتماده عليهم .

اما عماله من مواليه ، فكان منهم ، مرزوق بن روقاء ، وواضح ، وعمارة ابن حمزة ، والربيع(٣٧) .

ومن منهجه في هذا المجال ، انه كان لا يترك لوال الفرصة في تثبيت اقدامه في الولاية ، لمدة طويلة خشية ان تحدثه نفسه بالاستقلال عن الدولة . فكان دائم التغيير لهم ، خاصة في الاقاليم البعيدة مثل خراسان وأفريقية ، وقد أنعكست هذه السياسة بصورة واضحة في وصيته لابنه المهدي حين قال له : « . . واسىء الظن بعمالك وكتابك ، وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من يبيت على بابك(٣٨) » .

وهو مع هذا كان دائم المراقبة لولاته وعماله ، شديد المحاسبة لهم ، لا يتوانى عن عزل اي وال يشتبه بامره ، او يشم منه انحرافا عما ينبغي ان يكون عليه الحكم الصالح ، فعزل عمه صالح بن علي عن قنسرين والعواصم حين بلغه كثرة عدده ومواليه(٣٩) ، وهم بقتل عيسى بن موسى ، لأنه قتل رجلا من ولد نصر بن سيار بالكوفة دون الرجوع اليه ، لكنه عدل عن رأيه ، لجهل عيسى بما فعل ،

---

(٣٧) انظر : ابن خياط : تاريخ ٢/٤٦٠ ـ ٤٦٥ ، اليعقوبي ٣/١٢٢ ـ ١٢٣ ، الطبري احداث سنوات حكمه .

(٣٨) الطبري : ٨/١٠٦ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٦/٨ .

(٣٩) اليعقوبي : تاريخ ٣/١٢ .

فكتب اليه يلومه : « اما بعد ، فأنه لولا نظر امير المؤمنين ، واستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع اطماع العمال في مثله ، فامسك عمن ولاك امير المؤمنين امره ، من عربي واعجمي واحمر وأسود ، ولا تستبدن على امير المؤمنين بامضاء عقوبة في احد قبله تباعة ، فانه لا يرى ان يأخذ احد بظنه قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولا بحدث كان منه في حرب اعقبه الله منها سلما ستر به عن ذي غلة ، وحجز به عن محنة ما في الصدر ، وليس ييأس امير المؤمنين لاحد ولا لنفسه من الله من اقبال مدبر كما انه لا يأمن من ادبار مقبل . ان شاء الله والسلام[٤٠] » .

وكان المنصور قد ولى ابن اخيه عبد الوهاب بن ابراهيم الامام فلسطين ، فعسف اهلها ، فاستدعى الخليفة « ابراهيم بن ابي عبلة ، كاتب هشام ، وكان مقيما بها ، فلما وصل اليه سأله عن اخبار واليهم ، فقال له : يا امير المؤمنين . . ان جميع ما امرته به اجتنبه ، وما نهيته من شيء ارتكبه . وكان ابن مجير من اهل فلسطين قد حضر مع ابن ابي عبلة ، فقال له المنصور : ما وراءك يا ابن مجير ؟ فاخرج له طائرا من كمه ، قد نتفه حتى لم تبق عليه ريشة واحدة ، فقال له : فارقت البلد يا امير المؤمنين ، وقد نتفه ابن اخيك ، حتى تركه كما تركت هذا الطائر ، فاظهر انكارا شديدا وعزله[٤١] » ، كما غضب على ابن اخيه العباس بن محمد سنة **١٥٥ هـ / ٧٧٢** م ، فعزله عن الجزيرة واغرمه مالا وحبسه ، ثم شفع له بعض اهله ، فرضي عنه[٤٢] .

اما سياسته تجاه الولاة الآخرين ، ممن ليس من اهل بيته ، فكان يطبق نفس النهج عليهم ، فقد شك في خالد بن برمك ، واغرمه ثلاثة الاف الف درهم ونذر دمه فيها ، وأجله ثلاثة أيام ، فدفع اكثرها ، وعفى الخليفة عما تبقى بذمته منها ،

---

(٤٠) الطبري ٨/٦٢ - ٦٣ .

(٤١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٤٢) الطبري ٨/٤٦ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٥٥ هـ .

ثم استصلحه وعينه واليا على الموصل سنة ١٥٨ هـ /٧٧٥ م[٤٣] . كما قبض على محمد بن ابي عيينة والي الري وحبسه واغرمه[٤٤] . وسخط على المسيب بن زهير الضبي صاحب شرطته سنة ١٥٨ هـ /٧٧٥ م ، وامر بحبسه وتقييده ، لأنه قتل ابان بن بشير الكاتب بالسياط، دون الرجوع اليه ثم شفع فيه المهدي فعفا عنه[٤٥] .

وكتب اليه صاحب ارمينية « ان الجند شغبوا علي وطلبوا ارزاقهم وكسروا اقفال بيت المال وانتهبوه » فأمر بعزله وكتب اليه : « لو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا[٤٦] » . وكتب اليه اهل البصرة يشكون عاملهم ، فكتب اليه : كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فاما عـدلت، واما اعتزلت[٤٧] » .

وكان من شدة حرصه في محاسبته لولاته وعماله ، وتقصي اخبارهم ، ان طلب من اصحاب البريد في الولايات ، ان يكونوا عيونا على ولاتها ، وان يكتبوا له عن اعمالهم وتصرفاتهم ، فكتب اليه صاحب بريد حضر موت ، يعلمه بأن واليهم يكثر من الخروج في طلب الصيد ، فكتب المنصور اليه : « ثكلتك امك ، وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العدة التي اعددتها للنكاية في الوحوش ، انا انما استكفيناك امور المسلمين ، ولم نستكفك امور الوحوش ، سلم ما كنت تلي من عملنا الى فلان بن فلان ، والحق باهلك مذموما مدحورا[٤٨] » .

ويستفاد من هذا ، ان المنصور زاد من ارتباط عمال البريد بالعاصمة

---

(٤٣) الطبري : ٥٤/٨ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢٠٧/٢ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٦/٦ .

(٤٤) الاصفهاني : الاغاني ٩/١٨ .

(٤٥) الطبري ٥٦/٨ - ٥٧ .

(٤٦) المصدر السابق ٩٧/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ١٢/٦ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧/٨ .

(٤٧) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧/٨ .

(٤٨) الطبري : ٦٨/٨ . وللمنصور اخبار كثيرة مع عماله وولاته ، وزيادة في الاطلاع . انظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٣ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥٦/١٠ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧/٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ٢٦٧ .

راسا ، وجعلهم غير خاضعين لنفوذ الولاة ، فاحكم بذلك الرقابة على اقاليم دولته ، لذا فاننا لا نعجب اذا علمنا ان المهدي كان خاضعا لرقابتهم ، عندما كان واليا على الري[٤٩] .

ولم يقتصر الحال على هذا فقط ، بل تعداه الى ان رفع المنصور من كفاءة البريد باعتباره عينا لنقل اخبار الولايات اليه ، ليكون دائم الاطلاع على ما يجري في دولته من امور ، يؤيده قوله لابنه « .. ولا تقدم في الحياطة بمثل نقل الأخبار[٥٠] » . لذلك طلب من ولاة البريد قاطبة ، ان يكتبوا له عن امور ولاياتهم من كافة النواحي ، « فكان هؤلاء يكتبون له ايام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم ، وبسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال ، وكل حدث وكانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه بما كان في كل ليلة اذا صلوا الغداة ، فاذا وردت كتبهم نظر فيها ، فاذا رأى الأسعار على حالها امسك ، وان تغير شيء منها عن حاله كتب الى الوالي والعامل هناك ، وسأل عن العلة التي نقلت ذاك عن سعره ، فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقة حتى يعود سعره ذلك الى حاله ، وان شك في شيء مما قضى به القاضي كتب اليه بذلك ، وسأل من بحضرته عن عمله ، فان انكر شيئا عمل به كتب اليه ، يوبخه ويلومه[٥١] » .

والمنصور هو اول من ولى القضاء على الامصار من قبله رأسا ، وكان يوليهم قبل ذلك الوالي . وكان قضاته عثمان بن عمر التميمي ، وشريك بن عبد الله النخعي على الكوفة ، وسوار بن عبد الله على البصرة ، وعبد الله بن لهيعة

---

(٤٩) الاصفهاني : الاغاني ١٤٧/١٩ ، القالي : كتاب الامالي ص ٦٠ .

نولدكه ، .Noldecke, sketches from Easten History P. 131 وللدلالة على ذلك ، ان صاحب بريد الري كتب الى الخليفة يعلمه بان المهدي اعطى ٢٠ الف دينار لمؤمل الشاعر لمدحه اياه ، فأمر المنصور بالقاء القبض على مؤمل .

(٥٠) الطبري ٧١/٨ .

(٥١) المصدر السابق ٩٦/٨ ، وانظر : بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١٠/٢ - ١١ .

الحضرمي على مصر[٥٢] ، وكان له معهم مكاتبات ومناقشات ، فقد كتب الى سوار بن عبد الله قاضي البصرة : « انظر الارض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها الى القائد ، فكتب اليه سوار : ان البينة قد قامت عندي انها للتاجر ، فلست اخرجها من يده الا ببينة ، فكتب اليه المنصور ، والله الذي لا اله الا هو لتدفعنها الى القائد ، فكتب اليه سوار : والله الذي لا اله الا هو لا اخرجها من يد التاجر الا بحق ، فلما جاءه الكتاب قال : ملأتها والله عدلا ، وصار قضاتي تردني الى الحق » وروى ايضا « ان المنصور وشى اليه بسوار، فاستقدمه ، فعطس المنصور : فلم يشمته سوار ، فقال : ما يمنعك من التشميت ؟ قال لأنك لم تحمد الله ، فقال : قد حمدت في نفسي ، قال : شمتك في نفسي : قال : ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابني لم تحاب غيري[٥٣] » .

هذا وقد جعل المنصور للولاة والكتاب رزقا ثابتا ، ينفقون منه على حياتهم فكانت مرتباتهم على ايامه ٣٠٠ درهم شهريا[٥٤] ، ورفض ان يزيد فيه شيئا ، فيروى ان زياد بن عبيد الحارثي كتب اليه يسأله الزيادة في عطائه وارزاقه وابلغ في الكتابة ، فكتب اليه المنصور كتابا جاء فيه « ان الغنى والبلاغة اذا اجتمعا في رجل ابطراه وامير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فاكتف بالبلاغة[٥٥] » ، واستمر هذا الراتب على ما هو عليه ، الى ان تولى المأمون الخلافة فزاد فيه[٥٦] .

وأنشأ المنصور بيتاً سماه بيت مال المظالم ، وقد اجتمع في هذا البيت اموال كثيرة ، ذلك انه كان اذا عزل واليا وعلم بأخذه المال على غير حق ، حبسه في دار

---

(٥٢) ابن خياط : تاريخ ٢/٤٦٥ ، اليعوقبي : تاريخ ٣/١٢٧ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٤٣٢ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص ١١٧ .

(٥٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، زيادة في الاطلاع انظر : الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٣ .

(٥٤) الطبري ٨/٩٥ .

(٥٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/٥٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧ .

(٥٦) الطبري ٨/٥٩ .

خالد البطين على دجلة ، فكان لا يتركه الا بعد ان يستخرج منه مالا ، ثم يكتب على المال اسم من اخذ منه ، فيضعه في هذا البيت ، فكثر ما فيه من المال والمتاع ، فأمر المنصور ابنه المهدي ان يرد هذه الأموال الى اصحابها من بعده[٥٧] .

وكان من نتيجة هذه السياسة الشديـدة ، والمحاسبـة الدقيقـة للولاة والعمال ، ان هابوه ، فاستقاموا في اعمالهم ، فضبطت البلاد ، وآمن الناس على حياتهم وممتلكاتهم .

وهناك نقطة جديرة بالمناقشة ، آشار اليها بعض المؤ رخين ، حين قالوا « ان المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها[٥٨] » . وارى ان هذا الرأي مبالغ فيه جدا ، وبعيد عن الحقيقة والواقع ، وبالتالي فانه حكم غير منصف مطلقا ، لأن الثابت تاريخا ، ان جل ولاة الاقاليم في زمان المنصور ، كانوا عربا ، سواء من اهل بيته ام من غيرهم ، وقيادة الجيوش كانت لهم ، والقضاة على الامصار منهم[٥٩] ، ومع هذا فاننا لا ننكر ان المنصور استعمل مواليه ، ولكن بنسبة محدودة جدا وفي بعض الاعمال التي هي ارفع من ان يوليها لعربي من وجهة نظره ، كالحجابة وامور التجسس ، يؤ يده ما رواه الطبري « ان المنصور اراد ان يستعين في الاخبار بأهل بيته ، ثم قال : اضع من اقدارهم فاستعان بمواليه[٦٠] » .

اما اذا قيل والوزارة وهي اخطر منصب سياسي بعد الخلافة ، فأنه ولاها

---

(٥٧) المصدر السابق ٨/٨١ .

(٥٨) انظر : اليعقوبي : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٢ ، التنوخي : نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي المحامي سنة ١٩٧١ م ، ٢/٤١ ، المقريزي : السلوك ١/٥١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٥٩) انظر : ابن خياط : تاريخ ٢/٤٦٠ وما بعدها ، البسوي : المعرفة والتاريخ ـ سنوات حكم المنصور جـ ١ ـ ٢ ، البلاذري ، مخطوط انساب الاشراف جـ ٣ ـ ٤ ، اليعقوبي : تاريخ ٢/١٢٢ ، الطبري جـ ٧ ـ ٨ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم جـ ٧ ـ ٨ .

(٦٠) ٨/٨٠ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ٦/١٣ .

لغير العرب ، فأقول : ان الوزراء لم تكن لهم شخصية سياسية مستقلة عن شخصية الخليفة ، لأن زمام الامور كانت بيده ، وهو صاحب الحل والربط ، فكان الوزير في عهده بالاسم فقط ، وليس له من الأمر شيء .

اما ان رئاسة وقيادة العرب زالت بعده بسبب كثرة الموالي ، فهذا قول ان صح فانه ينطبق على العصر الذي بعده ، ولا ينطبق على عهده ، لأن قيادة العرب ورئاستها في الأمور ، كانت لهم طوال خلافته ، لذلك كان جل اعتماده عليهم ، ومن يتصفح عصر المنصور ، ويطلع على اسماء الولاة ، والعمال ، والقضاة ، والقادة ، في زمانه ، يدرك هذه الحقيقة ، ويقرر من غير تردد ، ان قيادة العرب ورئاستها ، كانت واضحة المعالم في عصره ، وان السلطات الرئيسية كانت بيدها ، تستمدها من قوة الخليفة وسيطرته على امور الدولة سيطرة تامة ومحكمة .

وكان من نتيجة مثل هذه الدعاوى الباطلة ، ان اعتبرها بعض المستشرقين حقائق مسلما بها ، فبنوا عليها احكامهم ، بشكل مطلق ، ناعتين الدولة العباسية ، بانها اعجمية خراسانية تارة[٦١] ، وان قيادة العرب ورئاستها زالت فيها تارة اخرى ، فاعطوا بذلك صورة مشوهة للتاريخ العربي الاسلامي في تلك الفترة الزمنية ، ناكرين جهود العرب في قيام الدولة العباسية ، لذلك يقول بالمر « ان العباسيين لما كانوا يدينون بقيام دولتهم للنفوذ الفارسي كان من الطبيعي ان تسيطر عليهم الآراء الفارسية ، فلذا نجد وزيرا من اصل فارسي ، كما نجد ان الحكومة كانت تدار بنفس النظام الذي تدار به الامبراطورية الساسانية[٦٢] » ، وهذه دعوى باطلة لا تستند الى دليل يؤيدها ، لعصر المنصور على الأقل .

---

(٦١) Browne , Aliterarary History of Persia, Vol. I, P. 251. Sykes : History of persia, London 1921, Vol I. p, 536.

(٦٢) Haroun al- Rachid, London, 1881, P. 37.

٥ ـ الوزارة في عصره :

لقد كان لقوة شخصية المنصور وحزمه ودهائه ، أثر في تضاؤ ل شخصية الوزراء امامه ، لذلك « لم تكن الوزارة في ايامه طائلة ، لاستبداده، واستغنائه برأيه وكفاءته . مع انه كان يشاور في الامور دائما ، وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف ، فلا يظهر لهم ابهة ولا رونق[٦٣] » . يؤكد هذا الرأي ما رواه الجاحظ الذي قال : « وكان ابو ايوب المورياني وهو وزير المنصور ، اذا دعاه يصفر ويرعد ، فاذا خرج من عنده عاد لونه ، فقالوا له : انا نراك مع كثرة دخولك على امير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت عليه . . فقال : لو عرفتم من المنصور ما اعرف لكنتم اسوأ حالا مني عند طلبه أياكم[٦٤] » ونلمس من هذا ، مدى تخوف الوزراء من المنصور وشخصيته القوية ، وسيطرته على الدولة .

هذا وقد وزر للمنصور مدة خلافته ثلاثة وزراء هم :

أولا : وزارة خالد بن برمك : وكان خالد أول وزراء المنصور ، وقبل ذلك كان قد وزر للخليفة ابي العباس بعد مقتل ابي سلمة الخلال ، فلما تولى ابو جعفر الخلافة اقره على ما كان يقوم باعمال الوزارة ، لكنه لم يستمر في الوزارة طويلا ، حيث عزله سنة ١٣٨ هـ ، واسند اليه ديوان الخراج فقط[٦٥]

ثانيا : وزارة أبي أيوب المورياني : وقام المنصور باسناد الوزارة لأبي أيوب سليمان بن مخلد المورياني ، خلفاً لخالد البرمكي ، وذلك في جمادي الاخرة سنة

---

(٦٣) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٣٩ .

(٦٤) الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ٣٦٢/١ ، وانظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٠٢ ، ابن الجوزي : اخبار الاذكياء ص ٢٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢١٦/١ .

(٦٥) ابن الابار : اعتاب الكتاب ص ٦٦ ، الذهبي : ومخطوط سير اعلام النبلاء ١٣٧/٥ ، زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ اخرجه زكي محمد حسن وحسن احمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١ م ، ٥/١ .

١٣٨هـ(٦٦) ، وكان سبب استيزاره ، ان سليمان بن حبيب والي البصرة من قبل الأمويين ، كان قد القى القبض على أبي جعفر ، فضربه بالسياط ، واراد قتله ، لكن ابا ايوب كاتب سليمان يومئذ انقذه(٦٧) ، فحفظ المنصور لأبي ايوب موقفه هذا ، وكافأه على صنيعه ، فاستوزره . واستمر في الوزارة حتى سنة ١٥٣هـ ، « وكان المنصور قد اتهمه باشياء منها ، احتجان الاموال وسوء النية ، فكان على الايقاع به ، وتطاول ذلك ، فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به ، ثم يخرج سالما . . ثم أوقع به(٦٨) » سنة ١٥٢هـ ، فأصدر أمره بالقاء القبض على ابن ايوب وعلى اخيه وبني اخيه سعيد ومسعود ومخلد ومحمد وطالبهم بالاموال ، وبسط عليهم العذاب ، فمات ابو ايوب واخوه خالد في السجن سنة ١٥٤هـ ، وامر المنصور بقتل من بقي منهم ، واستصفى اموالهم(٦٩) .

ثالثاً : وزارة الربيع بن يونس : وكان الربيع مولى المنصور وحاجبه ، ثم استوزره بعد قضائه على ابي ايوب المورياني ، فذكر ابن الطقطقي « بان الربيع لم يزل وزيرا للمنصور الى ان مات المنصور . . وهو آخر وزراء المنصور(٧٠) » اما المسعودي فقال « ان المنصور ـ بعد قضائه على ابي ايوب المورياني ـ استكتب ابان

---

(٦٦) زامباور : معجم الانساب ١/٥ .

(٦٧) اما مصير سليمان بن حبيب فان المنصور قتله لما استخلف ، لهذا يؤثر عنه قوله : ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب ابي مسلم وانا خليفة،عافانا الله واياك من السوء ، ودخول رسوله علينا وقوله : ايكم ابن الحارثية ؟ وضرب سليمان بن جيب ظهري بالسساط ، ابن قتيبة : عيون الاخبار ١/٦٦ ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٥٣ هـ .

(٦٨) المسعودي : مروج الذهب ٣/٢٩٨ ، وذكر بعض المؤرخين ان سبب الايقاع به ، كان لغشه المنصور في امر ضيعة ابنه صالح المسكين فاطلع الخليفة على غشه ، وقيل بل كان ذلك بسبب ان ابا ايوب قتل ابن المنصور وهو جعفر ابن الكردية ، دون ان يعلم انه ابنه . انظر الطبري ٨/٤٢ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٧ ـ ١٢١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٤١١ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٤٠ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/٢٢ .

(٦٩) الطبري ٨/٤٤ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٥٤ هـ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٤١١ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٧٠) الفخري ص ١٤٢ .

ابن صدقة الى ان مات [71] » وبفهم من الرواية هذه ، ان المنصور استغنى عن الوزير في آخر ايامه ، ولكن الرواية بحد ذاتها تبدو ضعيفة ، لأن المسعودي نفسه نقض رأيه السابق بقوله « استوزر المنصور ابا ايوب ثم استوزر الربيع مولاه . . وحجابه عيسى بن روضة وابو الخصيب مرزوق مولاه ، والربيع مولاه قبل ان يستوزره[72] يؤيد ذلك ما ذكره البلاذري » وكان حجابه عيسى بن روضة مولاه ومعه مرزوق ابو الخصيب ، فلما نحى ابن روضة صار ابو الخصيب مكانه ، وكان الربيع مع ابي الخصيب ، فلما مات الاخير صار الربيع مكانه ثم استوزره[73] » فيكون الربيع هو الوزير التالي لابي ايوب[74] ، واستمر في الوزارة حتى وفاة المنصور ، وكان حاضرا وفاته ، ولعب دورا بارزا في اخذ البيعة للمهدي .

---

(71) مروج الذهب ٢٩٨/٣ .

(72) التنبيه والاشراف ص ٣٤٢ .

(73) مخطوط انساب الاشراف ٤٢/٣ آ ، وانظر : اليعقوبي : تاريخ ١٢٨/٣

(74) المصدران السابقان ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٤٢ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٤٢ ، زامباور : معجم الانساب ٥/١ ، وقد وهم بعض المؤرخين المحدثين حين ذكروا ان المنصور لم يستوزر احدا بعد مقتل ابي ايوب ، انظر : الدوري : العصر العباسي الاول ص ٩٩ .

الفصل الثاني

السياسة المالية

لما كان المال الركن الأصيل الذي ترتكز عليه الدول ، لضمان قيامها واستمرارها ، فقد ادرك المنصور خطورته واهميته من هذه الناحية ، فعني عناية خاصة به ، حتى لقبه الناس « بالدوانيقي » لشدة محاسبته العمال والصناع على الحبات والدوانيق[1] . فكان حريصا عليه ، يجمعه لا حبا بجمعه ، ولا للتلذذ به ، وانما حماية لسلطانه واستمراره يوضحه قوله « والله لولا ان الاموال حصن السلطان ودعامة للدين وآلدنيا وعزهما وزينتهما ما بت ليلة وانا احرز منه دينارا ولا درهما ، لما اجد لبذل المال من اللـذاذة ، ولما اعلم في عطائه من جزيل المثوبة »[2] ، وجاء في احدى وصاياه لابنه المهدي قوله « . . ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته الا بالمال . . [3] » .

ونستطيع تصوير سياسة المنصور المالية من قوله « من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه ، ومن قوي عليه عدوه اتضح ملكه ، ومن اتضح ملكه استبيح حماه[4] » ، وقوله كذلك في وصية لأبنه المهدي جاء فيها « . . وقد جمعت لك في بغداد من الاموال ما ان يكسر عليك خراج عشر سنين ، كان عندك كفاية لا رزاق

---

(١) الدانق : $\frac{1}{6}$ الدرهم .

(٢) الطبري ٨/٨٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/١٢٦ .

(٣) الطبري ٨/٧١ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٣/١٢٦ ، ابن دحية : النبراس ص ٣٠ .

الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور ، فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا(٥) » « واعد الاموال واخزنها ، وأياك والتبذير ، فان النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ، وهي من شيم الزمان(٦) » « وانظر الاموال فانها عدة الملوك ، وبها السلطان ونظام التدبير ، فوفرها بولاية اهل العفاف عنها والحيطة عليها ، ولا تبذلها الا في اصلاح امور السلطان والرعية وثواب اهل الطاعة والنصيحة(٧) » .

فسياسته المالية كانت قائمة على هذا الأساس ، فالمال من وجهة نظره ركن الدولة ، وحصنها المنيع ، يجب صونه ، والمحافظة عليه ، وصرفه في موضعه الذي يجب ان يصرف فيه ليعود بالنفع للصالح العام ، وهو بالتالي من اكبر الوسائل لكسب المؤيدين والانصار للحكم .

وتظهر لنا شخصية المنصور المالية القديرة ، من خلال ممارسته الفعلية لادارة الدولة طيلة مدة خلافته ، وقد يكون مرد ذلك الى تقلبه قبل خلافته في الفقر والغنى ، ومروره بسنين عجاف « حتى استجدى بعض الامراء(٨) » ، ليسد عوزه وفاقته ، فعرف قيمة المال في حياة البشر . يضاف الى ذلك ، انه تولى قبل الثورة العباسية وبعدها ، أعمالا ادارية تتطلب معرفة بالقضايا المالية ، فاكتسب من جراء ذلك خبرة واسعة في الشؤون المالية ، مكنته من سياسة الدولة سياسة مالية سليمة . مستندة على اسس من التخطيط والنظام الدقيقين .

فقد قام المنصور باسناد الامور المالية الى رجل يتولى امرها ، ويسمى صاحب بيت المال هو بمثابة وزير للمالية في ايامنا هذه ، ولكن المنصور لم يترك صاحب بيت

---

(٥) الطبري : ١٠٣/٨ .

(٦) المصدر السابق ١٠٦/٨ وانظر وصاياه لابنه .

(٧) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب .

(٨) انظر : ابن حزم : نقط العروس ص ٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤١١/٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/٨ .

المال ، يتصرف في اموال الدولة حسب رغبته وهواه ، بل وضعه تحت رقابته المستمرة ، خوفا من سوء استعماله لها . وكان ممن تولى له بيت المال ، ابو حارثة النهدي[٩] ، والفرج من فضاله التنوخي[١٠] .

وكانت من اهم موارد بيت المال : الخراج ، والجزية ، والزكاة والغنائم والعشور[١١] ، اما مصارف هذا البيت ، فكانت مقسمة على النحو التالي :

١ ـ قسم يعطى الى دواوين الدولة قاطبة حسب الحاجة ، ويصرف من هذا القسم رواتب الوزير والحاجب ، ورجال البلاط ، والقضاة والعمال والولاة والجند والشرطة ، وينفق منه ايضا اموال ضخمة لشراء الاسلحة والمعدات الحربية لتسليح الجيش وزيادة كفاءته القتالية .

وفي مقدمة خزائن هذه الدواوين ، الديوان الخاص بالخلافة وما يتبعها من نفقات ، كمصاريف الخليفة الخاصة ، واعطياته ، وهباته ، ورواتب حرسه الخاص وكتابه وغير ذلك .

٢ ـ وقسم خصص ليصرف على البناء والتعمير ، وفي الامور ذات النفع العام ، كأنشاء المدن ، وبناء القلاع ، وتحصين الثغور ، وكرى الانهار ، وشق الترع .

٣ ـ وما تبقى من ذلك يترك للادخار ، كفائض مالي ، يستفاد منه وقت الحاجة[١٢] ، وقد اجرى المنصور بعد توليه الخلافة ، تعديلا هاما على نظام

---

(٩) الطبري ٧٦/٨ .

(١٠) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١١٢ ، وكان الفرج التنوخي ممن تولى بيت المال لعبد الملك بن مروان .

(١١) زيادة في الاطلاع انظر : الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١١٣ ـ ١٥٦ و ١٩٩ وما بعدها ، حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٦٥ ، جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي : مطبعة القاهرة ١٩٠٢م ، ٧٥/٢ .

(١٢) انظر : الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ٣٤٥ .

الدواوين ، الذي كان متبعا في عهد الامويين ، خاصة فيما يتعلق بالاموال ، وتسجيلها في سجلات خاصة بها ، « لأن دواوين الشام انما كانت في قراطيس ، وكذلك الكتب الى ملوك بني امية في حمل المال وغير ذلك . فلما ولى امير المؤمنين المنصور ، امر وزيره ابا ايوب المورياني ان يكتب الرسائل بحمل الاموال في صحف ، وان تصفر الصحف ، فجرى الامر على ذلك[١٣] » .

اما فيما يتعلق بنظام ضرائب الارض في السواد ، فقد قام المنصور باصلاح مهم فيه ، ذلك ان الخراج كان يؤخذ بالنقد وعلى مساحة الارض زرعت ام لم تزرع حسب النظام الذي سنه عمر بن الخطاب (رضي)[١٤] ، وقد جعل تغير الظروف مضرا باحوال الزراع ، لأن السعر نقص فلم تف الغلات بخراجها ، يضاف الى ذلك ، اهمال الامويين وضغطهم المالي ادى الى خراب السواد ، فعدل المنصور عن الخراج الى المقاسمة ، وهو ان يدفع الزارع جزءا معينا من محصوله كضريبة[١٥] . فذكر البلاذري « ان المنصور توفى قبل ان يتقاسم الناس حسب هذا الاصلاح ، فأمر المهدي ، فقوسموا فيها دون عقبة حلوان[١٦] » .

وكان المنصور لا يقبل من دافعي الضريبة الا النقود الجيدة ، فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية اجمل نقود بني امية ، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها[١٧] .

اما سياسته في الاملاك التي تملكها الدولة ، فكانت قائمة على الحرص عليها ، لضمان حق الدولة فيها « فقد كتب الى عامله بالمدينة ، ان بع ثمار

---

(١٣) البلاذري : فتوح البلدان ٣/ ٥٧٠ .

(١٤) كان خراج السواد على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ١٠٠ الف الف درهم . البلاذري : فتوح البلدان ٢/ ٣٣٢ .

(١٥) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٧٦ ، وانظر : الدوري : العصر العباسي الاول ص ١٠١ - ١٠٢ .

(١٦) فتوح البلدان ٢/ ٣٢٣ .

(١٧) الدوري : العصر العباسي الاول ص ١٠٢ .

الضياع ، ولا تبعها الا ممن نغلبه ولا يغلبنا ، فانما يغلبنا المفلس الذي لا مال له ، ولا رأى لنا في عذابه ، فيذهب بما لنا قبله ولو اعطاك جزيلا ، وبعها من الممكن بدون ذلك ممن ينصفك ويوفيك[١٨] » ، ويستفاد من ذلك ، ان المنصور حرصا منه على اموال الدولة من الضياع ، فانه لفت نظر عامله الى بيع غلة العين المملوكة للدولة الى القادرين على دفع ثمنها وان كان اقل مما يدفعه من لا مال له ، لأن في الوجه الأول ضمان لأموال الدولة ، وفي الثاني ضياع لها .

وأنشأ المنصور ديوانا خاصا يدعى « ديوان بيت المظالم » فكان يودع هذا الديوان اموال وممتلكات العمال والولاة ، على وجه المصادرة ، من الذين يشك في تلاعبهم باموال الدولة ، لكنه لم يتصرف في هذه الاموال بحياته ، وامر ابنه المهدي باعادتها الى اصحابها بعد موته ، لتكون له منّة عليهم[١٩] .

اما في النفقات الخاصة والعامة منها ، فانه اقتصد فيها اشد الاقتصاد ، حتى « لقب بالدوانيقي ، وبأبي الدوانيق »[٢٠] لشدة محاسبته الصناع والعمال . فيروي عنه انه « رأى يوما قنديلا مضيئا معلقا في مكان لا يحتاج اليه ، فأمر باطفائه ، على ان لا ينار الا في وقت الحاجة اليه من الليل او من آخر النهار ، فلما رأى كاتبه ذلك ، عمد الى فضول الموائد ، فباعها ، فاجتمع عنده في آخر الشهر مال من هذا الوفر ، فعرضه عليه فسأله المنصور مصدره ، فاخبره به ، فسأله : وما كان يصنع بالطعام سابقا ؟ فقال له : كان يأكله خدمك وغلمانك وحشمك ، وما فضل يتصدق به على الفقراء والمساكين . فقال المنصور : هذا لم يكن يضيع منه شيء ، فأجر الامر على ما كان جاريا عليه فيه ، وليس سبيل القنديل سبيل ذلك ، في ذلك الموضع ، لأن ذلك الموضع الذي كان فيه كان مضيئا بالنهار ، وكان الزيت يذهب ضياعا ، ولا وجه

---

(١٨) الطبري ٨٧/٨ .

(١٩) الطبري ٨١/٨ ، ابن الاثير : الكامل (ط ازهرية) ١٣/٦ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٦ .

(٢٠) الطبري ٦١٩/٧ ، الثعالبي : لطائف المعارف ص ٢٢ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦١/٧ و ١٥/٨ .

للتضييع في شيء وان قل[٢١] » .

وروى واضح مولى المنصور ، ان الخليفة ارسله لشراء ثوبين ، فاشتراهما له بعشرين ومائة درهم ، واخبره بأنه اشتراهما بثمانين درهما ، فقال المنصور له بعد ان وافق عليهما ، استحطه ، فان المتاع اذا دخل علينا ثم رد على صاحبه كسره ذلك ، فأخذ الثوبين الى صاحبهما ، وأخبر المنصور بأنه ردهما فحط له صاحبهما عشرين درهما ، فقال : احسنت ، اقطع احدهما قميصا ، واجعل الآخر رداء لي ، ففعل ، فلبس القميص خمسة عشر يوما لم يلبس غيره[٢٢] .

اما اقتصاده في النفقات العامة فكثيرة ، ولكن اقتصاده يظهر جليا وواضحا عند بنائه لمدينته بغداد ، فعند المباشرة بالبناء ، احتاج الى بعض مواد البناء ، فأمر بنقض ايوان كسرى ، فنقض منه قسم ، فلما وجد ان مصاريف النقض والشحن اغلى من الجديد لو عمل ، امر بوقف العمل ، وصرف النظر عن تكملة نقضه[٢٣] . كما حاسب المشرفين على العمل محاسبة شديدة ، فحبس خالدا بن الصلت لأنه بقي بذمته من الحساب خمسة عشر درهما ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان اداها له[٢٤] . واعتقل المسيب بن زهير الضبي ، لأنه حاسبه عند اكمال بناء القصر الخاص به ، فاستخرج من يده ستة الاف درهم ونيفا[٢٥] ، وامر بالقاء القبض على المؤمل بن اميل الشاعر ، لأن صاحب بريد الري اخبره ، ان المهدي اجازه بعشرين الف درهم ، لمدحه اياه ، فلما مثل بين يديه ، امر الربيع ان يعطه اربعة الاف درهم ، وبأخذ الباقي ، لأن القصيدة من وجهة نظره لا تساوي اكثر من ذلك[٢٦] .

---

(٢١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٣٩ ، وانظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٥٦/١٠ .
(٢٢) الطبري ٩٨/٨ .
(٢٣) انظر الفصل الخامس من الباب الثاني عن بناء بغداد .
(٢٤) الطبري ٦٥٢/٧ .
(٢٥) المصدر السابق ٦٥٥/٧ .
(٢٦) الاصفهاني : الاغاني ١٤٧/١٩ ، الطبري ، ٧٣/٨ ، الزجاجي : الامالي ص ٦٠ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ١٧/٨ .

وقبل الانتقال الى نقطة اخرى ، لا بد من وقفة امام ما اتهم به المنصور من البخل الشديد حتى لقب بابي الدوانيق[٢٧] . وارى ان هذا الوصف مبالغ فيه ، ولا اعدو الصواب ان قلت انه غير صحيح ، وقد يكون هذا من باب دعايات رجال البلاط ، الذين يرغبون ان يكون الخليفة سخيا مبذرا ليستفيدوا منه ، او اشاعة اطلقها الشعراء ، لامساك المنصور عن اغداق الاموال عليهم كما كان يفعل غيره من الخلفاء[٢٨] ، ولم يقتصر هذا الاتهام على المنصور ، بل اتهم به ايضا عبد الملك بن مروان وابنه هشام ، ومروان بن محمد ، وهم من عظماء خلفاء بني امية[٢٩] .

والحق ان المنصور ، كان خلاف ما اتهم به ، وآية ذلك اعماله وتصرفاته في هذا المجال . هذا وقد دافع الجاحظ بشدة عن المنصور ، فوصفه بالكرم وساق شواهد كثيرة ، ورد على من وصفه بالبخل ، فقال « فهل سمع هذا الجاهل الخائن بمثل هذه المكارم لعربي او اعجمي ؟ ولو اردنا ان نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار[٣٠] ، وربما يؤخذ على الجاحظ في دفاعه هذا ميوله العباسية ، ولكنه في رأيي ، لم يجانب الصواب فيما قال لأن المنصور كان يجود بالاموال اذا دعت الضرورة ، ويمنع اذا اقتضت مصلحة الدولة ، خاصة وان الدولة لا زالت حديثة العهد ، والمتربصون بها كثيرون ، وهي بحاجة الى كسب المؤيدين والأنصار ، لتثبت اقدامها ، لذلك فانه تحرى الحرص فيه ، ليلائم بين نفسه وبين الظروف المحدقة به ، لأن المال من وجهة نظره ، وسيلة الى القوة والنفوذ لحماية دولته ، ورد غائلة الاعداء عنها ، وليس وسيلة الى اللهو وطلب المتعة ، ولا مدرجة للتبذير والاسراف ، ولهذا اوصى ابنه قائلا « الله الله في انفسكم ، وفي اموالكم فاحتفظوا بها واياكم والاسراف[٣١] » ، فكان جمعه للمال حرصا منه

---

(٢٧) المقدسي : البدء والتاريخ ٩٠/٦ ، الثعالبي : لطائف المعارف ص ٢٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣ ، الصنعاني : مخطوط نسمة السحر ٢٨ .

(٢٨) الاصفهاني : الاغاني ١١٦/٢ .

(٢٩) الجاحظ : التاج ص ١٤٠ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٠٤ .

(٣٠) الجاحظ : التاج ص ٤٣ و ١٤١ .

(٣١) اليعقوبي : تاريخ ١٢٥/٣ ـ ١٢٦ .

عليه ، لا بخلا بانفاقه او احتجانه لنفسه[٣٢] . فذكر ابن شاكر « ان المنصور كان حريصا على جمع المال . . [٣٣] » والحرص غير البخل . اما المسعودي فأشار الى هذه المسألة بصراحة فقال « وكان المنصور يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤ ه حزما ، ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤ ه تضييعا[٣٤] » وأيد هذا الرأي ابن الطقطقي الذي قال « الصحيح ان المنصور كان رجلا حازما يعطي في موضع العطاء ، ويمنع في موضع المنع . . »[٣٥] . والعطاء عن دارية في موضعه ، حزم ، وحسن تدبير .

واذا اردنا ان نستدل على كرم المنصور ، فالأمثلة على ذلك كثيرة ، نورد بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، فيروى انه لم يعرف خليفة قبل المنصور اعطى عشرة الاف الف درهم وادت بها الصكاك وثبتت في الدواوين[٣٦] ، ذلك انه فرق على جماعة من اهل بيته في يوم واحد ، عشرة الاف الف درهم ، وامر للرجل من اعمامه بالف الف ، ثم امر لعيسى بن موسى بالف الف درهم فالحقه بهم[٣٧] . « فكان اول خليفة اعطى الف الف بصك الى بيت المال[٣٨] » وقد لا تخلو هذه الرواية من مبالغة ، ولكن جوهرها يكشف لنا سياسة المنصور التي اتبعها في استمالة اهل بيته بالمال ، ليضمن ولاءهم ، ويحتفظ بالعصبية التي تؤ يده ، وتشد ازره ، وكان يتبع مثل هذه السياسة مع غيرهم ممن تثبت عنده حسن نيتهم ، وسلامة موقفهم من الحكم ، لذلك اوصى ابنه باتباع مثل هذه السياسة فقال له « وعليك باكرام اهل بيتك واعظامهم ، فان اقرب الوسائل المودة وابعد الطيب البغضة . . .

---

(٣٢) وقد اشرت الى بعض اقواله في هذا الشأن باول الفصل .

(٣٣) فوات الوفيات ٣٩٦/١ .

(٣٤) مروج الذهب ٣١٨/٣ .

(٣٥) الفخري ص ١٢٧ .

(٣٦) الثعالبي : لطائف المعارف ص ٢٢ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ١١٣/٥ .

(٣٧) الجاحظ : التاج ص ١٤٠ ، البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣/ ٣١ آ الطبري ٨٤/٨ ، المسعودي : مروج الذهب ٣١٨/٣ ، الثعالبي : لطائف المعارف ص ٢٢ ـ وذكر البلاذري ان هذه الواقعة كانت سنة ١٣٧ هـ .

(٣٨) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٣١/٣ آ .

وأجزل لهم العطاء ، ووسع عليهم في الأرزاق . . ثم ليكن معروفك لغيرهم بعدهم فان الصلة تزيد الالفة . . [٣٩] » .

وقد انتهج المنصور مثل هذه السياسة مع غير اهل بيته ، فوزع اموالا طائلة على اهل الحجاز في حجته سنة ١٤٠ هـ « فاعطى الاشراف القرشيين الف دينار لكل منهم ، ولم يترك احدا من اهل المدينة الا اعطاه ، الا انه لم يبلغ واحد ما بلغ بالاشراف ، فكان ممن اعطاه الالف دينار مسلم بن عروة ، واعطى بالمدينة عطايا لم يعطها احد[٤٠] » . « فكان يسمون عامه هذا بعام الخصب[٤١] » .

وقد سأله هشام بن عروة بن الزبير المحدث سنة ١٤٦ هـ ، ان يقضي عليه دينه ومقداره ١٠٠ الف درهم ، فاجابه الى ذلك ، فهوى هشام على يد المنصور يقبلها ، فمنعه ، وقال : يا بن عروة انا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك[٤٢] .

وكان للمنصور اساليب مبتكرة في التخلص ممن يحس منهم بطمع في كرمه ، من ذلك « انه كان على علاقة بازهر السمان قبل خلافته ، فلما ولى الخلافة ، قصده ازهر في بغداد ، فلما مثل بين يديه ، قال له المنصور : حاجتك ؟ قال : يا امير المؤمنين علي دين اربعة الاف درهم ، وداري مستهدمه ، وابني محمد يريد البناء بأهله ، فأمر له باثني عشر الف درهم ، ثم قال : يا أزهر ، لا تأتنا طالب حاجة ، قال : افعل . فلما كان بعد قليل عاد ، فقال : يا ازهر ، ما جاء بك ؟ قال : جئت مسلما يا امير المؤمنين ، قال : انه ليقع في نفسي اشياء منها انك اتيتنا لما اتيتنا له في المرة الاولى ، فأمر له باثني عشر الف درهم اخرى ، ثم قال : يا أزهر ، لا تأتنا

---

(٣٩) البلاذري : مخطوط انساب الاشراف ٤/٦ ب .

(٤٠) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٠ هـ .

(٤١) ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٧ .

(٤٢) ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٦ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/١١٣ ، زيادة في الاطلاع انظر : الجاحظ : التاج ص ١٤٢ هـ الطبري ٨/٨٤ ، الاصفهاني : الاغاني ٤/١٠٤ و ٥/١٧٣ ، الحصري : زهر الاداب ١ /١٨٢ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/١٦ ، الصنعاني مخطوط نسمة السحر ص ٣٣ .

طالب حاجة ولا ملسما ، قال : نعم يا امير المؤمنين ثم لم يلبث ان عاد ، فقال : يا ازهر ، ما جاء بك ؟ قال : دعاء سمعته منك احببت ان آخذه عنك ، قال : لا تردده ، فانه غير مستجاب ، لأني قد دعوت الله به ان يريحني من خلقتك فلم يفعل . وصرفه ولم يعطه شيئاً[٤٣] » .

ومما تقدم ، استطيع ان اقرر ، بأن المنصور اظهر كفاءة عالية ، ومقدرة فائقة في سياسته المالية للدولة ، وهذا بلا شك راجع الى خبرته وسعة علمه في هذه الناحية ، وادراكه ما للمال من قيمة عظيمة في قيام الدولة واستمرارها ، فاهتم به اهتماما شديدا ، لا طمعا فيه ، ولا حبا فيه ، ولكن حرصا منه عليه ، فانفقه في المواضع التي تستحق الانفاق ، ومنعه في المواضع التي تستحق المنع ، فساس بذلك الدولة بموجب تخطيط مالي سليم ومدروس ، واضعا الامور في نصابها السليم ، فكان في سياسته يعنى بالقليل من المال ، كما يعنى بالكثير منه ، وكان لا يني يحاسب عماله على المبلغ الزهيد الحقير ، كما يحاسبهم على المبلغ الضخم الوفير ، فتجمع له من جراء هذه السياسة سيولة نقدية كبيرة ، كانت تعتبر كفائض احتياطي ، يتصرف فيه وقت الحاجة اليه ، وقد قدر المنصور قبل وفاته هذا الفائض بصورة اجمالية لا عددية حين قال لابنه « وقد جمعت لك في بغداد من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين ، كان عندك كفاية لا رزاق الجند ، والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور ، فاحتفظ بها . .[٤٤] » ، وقدرت بعض الروايات التاريخية الفائض الذي تركه المنصور في خزائنه بعد وفاته بمقدار « ٩٠٠ » مليون دينار و « ٦٠ » الف الف درهم[٤٥] .

---

(٤٣) الطبري ٨/٧٧ ـ ٧٨ زيادة في الاطلاع انظر : المصدر السابق ٨/٧٦ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٦٩ .

(٤٤) الطبري ٨/١٠٣ .

(٤٥) انظر : الازدي : تاريخ الموصل ٢/٢٣٠ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٤٣٢ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٣/٢٦٧ ، ابن دحية : النبراس ص ٣٠ . وذكرت روايات اخرى غير ذلك . انظر : المسعودي : مروج الذهب ٣/٣١٨ ، بيبرس : مخطوط زبدة الفكرة ٤/١٥٨ هـ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥/١١٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨/٢١ .

الفصل الثالث
السياسة الحربية

لقد اهتم المنصور بالجيش اهتماما بالغا ، لأنه المصدر الذي يستمد منه قوته ، والأساس الذي يرتكز عليه حكمه ، لهذا عني بتسليحه بالمعدات الحربية ، واشرف بنفسه على اعداده اعدادا كاملا ، ليكون على اهبة الاستعداد لكل طارىء يستدعي زجه فيه . فضلا عن ان الدولة لا يتيسر لها المحافظة على استقلالها ووحدة اراضيها ، وفرض هيبتها واحترامها على الامم المجاورة ، الا بوجود جيش قوى قادر على حماية هذه المعاني ، ولهذا سعى المنصور طوال خلافته ، ان يكون جيشه من القوة بمكان ، حتى يكون جديرا بتحمل المسؤولية الشاقة الملقاة على كاهله ، في حماية الدولة ، والمحافظة على كيانها .

وتظهر شخصية المنصور العسكرية الفذة واضحة من خلال شهادة القائد الاموي الكبير يزيد بن عمر بن هبيرة ، الذي قال فيه « ما رأيت رجلا قط في حرب ولا سمعت به في سلم ، امكر ولا ابدع ، ولا اشد تيقظا من المنصور ، لقد حصرني في مدينتي تسعة اشهر ، ومعي فرسان العرب ، فجهدنا كل الجهد ان ننال من عسكره شيئا نكسره به ، فما تهيأ ، ولقد حصرني وما في رأسي بيضاء ، فخرجت اليه وما في رأسي سوداء[1] » . وهذه شهادة من خصم على خصمه ، لها قيمتها ووزنها

(١) الطبري ٧ / ٧٧ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ١٢٦ ، وانظر : البلاذري مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب .

من الناحية العسكرية . حيث اعطت لنا صورة واضحة وحقيقية لشخصية المنصور الحربية العظيمة . فبينت قدرته الفائقة على قيادة الجيش وضبطه له ، ومعرفته الدقيقة بفنون القتال ، وما يتمتع به من صفات القائد العسكري المحنك الناجح .

هذا ولم يكن حكمنا على المنصور كقائد عسكري ناجح ، مستنداً على قول ابن هبيرة فقط ، رغم اهميته البالغة ، بل ان هناك شواهد كثيرة ، جعلت هذا الحكم حقيقة ثابتة ومسلما بها . نظرا للخبرة الواسعة والكفاءة العالية ، التي اكتسبها قبل خلافته ، نتيجة لممارسته العمل العسكري بصورة فعلية ، منذ وقت مبكر من حياته ، فقد شغل وظيفة شرطي في شرطة خالد بن عبد الله القسري بستين درهما في الشهر[٢] ، تركها بعد حين ، ليشترك في ثورة عبد الله بن معاوية ثم تقلد بعد نجاح الثورة العباسية ، الجزيرة واذربيجان وارمينية ، فتمكن من القضاء على الثورات التي قامت في الجزيرة ، وقاد حملات ناجحة الى ارمينية ، فأخمد الفتن التي نشبت فيها[٣] ، وتم له بفضل مقدرته العسكرية من السيطرة على المنطقة بأسرها . ومما لا شك فيه ، ان هذه الخلفيات الوفيرة من التجارب الحربية ، جعلته من اعظم القادة العسكريين في عصره ، وساعدته بعد استلام الخلافة على سياسة الدولة سياسة حربية ناجحة ، فقادها الى شاطىء السلام ، رغم الحوادث الجسيمة ، والثورات الخطيرة ، التي كادت تعصف بدولته .

ومن خلال ملاحظتنا لجيش الدولة آنذاك ، نجده مقسما الى قسمين رئيسين ، عربي وفارسي ، والعربي مكون من فرق يمانية ومضرية ، وقد تمكن المنصور بفضل قدرته العسكرية ، وشدة تيقظه من حفظ التوازن بينهما ، فحرص ان يكون عنده في آن واحد اكثر من معسكر للجيش ، يستفيد من احدهما ، في ضرب الآخر ، ان هو اعلن تمرده وعصيانه ، فكان احد المعسكرين في بغداد تحت قيادته واشرافه ، والآخر بالرصافة تحت قيادة ابنه المهدي .

---

(٢) ابن حزم : نقط العروس ص ٨٨ .

(٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٣ / ٣٥ ب و ٣٩ ب .

وكان من سياسته الحربية ، ان اعتمد في قيادة جيوشه على قادة من العرب المعروفين بولائهم واخلاصهم للبيت العباسي ، من ابرزهم ، ابن اخيه عيسى بن موسى ، وخازم بن خزيمة التميمي ، وروح بن حاتم المهلبي ، والحسن بن قحطبة الطائي ، وعمر بن حفص بن ابي صفره ، وغيرهم . وكان لا يقبل من قائد عثرة ، ولا يغفر له زلة ، فقتل عمه عبد الله ، وهو احد القواد العباسيين المشهورين ، لأنه خالفه وثار عليه ، وقتل ابا مسلم وهو من اعظم القواد ، لأنه احس منه روح التعاظم والسيطرة ، وعدم اطاعة الاوامر . ونتيجة لهذه السياسة الشديدة ، تجاه اقرب الناس اليه ، جعلت قواده وافراد جيشه ، يطيعونه ويصدعون بأمره ، ويمتثلون لتعليماته وخططه الحربية ، التي كانت في غاية الدقة والروعة ، مما يدل على علمه التام ، بتعبئة الجيوش واعدادها وقيادتها ، وبالخطط والخدع الحربية التي يجب توفرها لتطبيقها اثناء القتال .

واذا اردنا ان نستدل على ذلك ، فالامثلة كثيرة[٤] ، منها انه ارسل عدة كتائب لتقيم في تكريت وبلد ، مهمتها التصدي لعبد الله بن علي ان هو فكر بشن هجوم مفاجيء على عاصمة الخلافة ، وبذلك سد منافذ الطرق الرئيسية بوجه عمه ، وفي ثورة النفس الزكية ، امر بقطع الميرة عن الحجاز ، لاجبار اهلها على التخلي عن تأييد الثورة ، تحت وطأة الحصار الاقتصادي الشديد ، ولجأ في ثورة ابراهيم الى اشعال النيران في اطراف الكوفة والمعروفة بميولها العلوية ، ليرهب اهلها ، ويوهم الخصم ، ان لديه قوات كبيرة قادرة على سحق اي تمرد بينما كان حاله عكس ذلك . وما حصل في خراسان ، والجزيرة ، وافريقية وغيرها ، ما هي الا شواهد على مقدرة المنصور العسكرية ، وقوة شكيمته ، وثباته في الشدائد والملمات « لا يدخله فتور عند حادثة ولا تعرض له ونية عند مخوفة يثب وثوب الاسد العادي ، لا يبالي ان يحرس ملكه بهلاك غيره[٥] » .

---

(٤) لقد تكلمنا عن خططه العسكرية بصورة موسعة في فصول سابقة ، ومن أراد أن يطلع عليها فليرجع إليها .

(٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

ولم ينس المنصور تفقده لقواته ، واستعراضهـا ، بين فترة واخرى ، ليتأكد من كفاءتها واستعدادها . ويطلاع بنفسه على احتياجاتها ، فكان احد عروضه الشهيرة سنة ١٥٧ هـ « وفيها عرض المنصور جنده في السلاح والخيل على عينه في مجلس اتخـذه على شط دجلة دون قطربل ، وامر اهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ ، بلبس السلاح وخرج وهو لابس درعا وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضربة[٦] » ، وذكر ابن الفقيه « ان المنصور خرج بعد قدوم المهدي من الري بشهور الى البردان[٧] ليعرض الجند ويسقط من لم يكن من اهل خراسان ، فاحكم ما اراد من ذلك وعاد الى بغداد[٨] » .

والمنصور هو « اول من مشى بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب وهو اول من لعب بالصولجان في الاسلام[٩] » .

وكان من سياسته العسكرية ، بناء المدن محصنة قوية ، وتشييد القلاع والحصون ، فبنى بغداد واتخذها عاصمة له ، وعنى بتحصينها اشد عناية وبنى الرافقة سنة ١٥٥ هـ ، على غرار بناء بغداد ورتب فيها جندا من اهل خراسان[١٠] ، وقام بتحصين مدن السواحل والثغور لتكون قادرة على الوقوف بوجه الغارات الرومية ، كما استخدم الجيش في البناء والتعمير بالاضافة لمهمته الرئيسية ، فوجه سبعين الف مقاتل بصحبة ابن اخيه عبد الوهاب لبناء مدينة ملطية ، بعد ان اخربها الروم ، فبنوها في ستة اشهر كما شجع المقاتلة على السكن في مناطق الثغور وغيرها من مراكز الاحتكاك الحربي مع العدو ، فزاد من اعطياتهم بمقدار عشرة دنانير لكل مقاتل ، ومعونة ١٠٠ دينار ، وشحنها بالسلاح[١١] ، لتكون درءاً للعدو، وحرزا للاسلام .

---

(٦) الطبري ٨ / ٥٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ٨٨ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٦ / ٥ .
(٧) البردان : بلدة تقع على ضفة دجلة الشرقية . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠ .
(٨) مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد ص ٧ .
(٩) القلقشندي : مآثر الأنافة ١ / ١٧٧ .
(١٠) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢١٣ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ١ / ١٧٨ .
(١١) البلاذري : فتوح البلدان ١ / ٢٢٣ .

وكان من جملة ما اخترعه في الامور العسكرية ، فرس النوبة ، وهي ان تعد فرس مسرجة ومهيئة بباب القصر لاستعمالها وقت الحاجة ، وهو اول من امر بذلك . ولم تكن معروفة قبله ، واتخذها الخلفاء من بعده .

اما ميزانية الدفاع ، فقد كانت تستحوذ على قسط كبير من موارد الدولة ، ذلك ان المنصور كان يصرف بسخاء على تسليح جيشه ومده بالسلاح والكراع بصورة مستمرة ، فقد صرف مثلا على الجيش المرسل لاخماد ثورات الخوارج في افريقية **٦٣** مليون درهم(١٢) .

ولم يغفل المنصور الشرطة ودورها ، فعنى بها ايضا ، لأنها اداة مهمة لحفظ الامن الداخلي ، فكان يختار لها المخلصين من العرب ، والموالين له ، فقد اسند امرها اول خلافته الى عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ، ثم عين عمر بن عبد الرحمن الازدي رئيسا للشرطة خلفا لأخيه عبد الجبار الذي ارسله واليا على خراسان سنة **١٣٩** هـ(١٣) ، فلما ثار الأخير ، عزل المنصور اخاه عمر من الشرطة ، وعين مكانه المسيب بن زهير الضبي(١٤) ، اما رئيس حرسه الخاص فكان عثمان بن نهيك ، فلما قتل يوم الراوندية ، استخلف مكانه اخاه عيسى بن نهيك ، فحين مات عيسى ، وضع مكانه إبا العباس الطوسي .

هذا ولم يترك الخليفة صاحب شرطه يعمل حسب هواه ، بل انه كان خاضعا لرقابته ومحاسبته ، فقد عزل المسيب بن زهير عن شرطه والقاه في السجن وعين مكانه الحكم بن يوسف لأنه قتل ابان بن بشير الكاتب بالسياط من غير ان يأخذ رأيه فيه ، لكن المهدي انقذه ، حين تشفع له عند ابيه ، الذي اطلق سراحه ، ورده الى عمله(١٥) .

---

(١٢) الطبري ٨ / ٤٤ .
(١٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ١ ب وانظر : اليعقوبي : تاريخ ٣ / ١١٠ .
(١٤) ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٦٦ .
(١٥) الطبري ٨ / ٥٦ ـ ٥٧ .

الفصل الرابع

تقدير لسياسة المنصور ونهايته

لقد شاءت الاقدار ان يلي امر الدولة العباسية وهي لا زالت ناشئة رجل حازم الرأي ، قوي الارادة ، صلب العود ، مثل أبي جعفر ، الذي تولى امرها ، في اصعب الظروف مراسا ، واشدها خطرا ، فقد خلف له اخوه ، تركة ثقيلة ، متمثلة في مشاكل معقدة ، لا زالت تنتظر حلا عاجلا ، كتزايد نفوذ ابي مسلم ، وموقف العلويين ومن الخلافة الجديدة ، وما الى ذلك من المشكلات ، فكان عليه ان يواجهها ويجد لها ولنفسه مخرجا منها ، يضمن به بقاء الدولة واستمرارها ولهذا انتهج سياسة جديدة ، قلب فيها موازين السياسة السابقة التي سار عليها ابو العباس ، والقائمة على اللين والمسالمة ، لاقتناعه ان مثل هذه السياسة لم تعد ملائمة لعصره ، فكان الاساس الذي ارتكزت عليه سياسته الجديدة ، هو اتباع اسلوب الشدة والعنف تجاه كافة العناصر المعارضة لحكمه سواء اكانوا من اهل بيته ، ام من غيرهم .

وقد نجح المنصور في سياسته هذه نجاحا باهرا ، فتمكن من تذليل المشاكل وتسهيل الصعاب . واستطاع اخماد الفتن ، والقضاء على الثورات التي تأجج نارها في اقاليم الدولة ، وصفى خصومه السياسيين الواحد تلو الاخر ، فصفا له الجو ، ومهد لنفسه الخلافة ، فدانت له البلاد ، واذعنت صاغرة لقيادته الحكيمة ، فقدر لدولته الاستمرار بعده لقرون عدة .

ويبدو ان السر في نجاحه العظيم هذا يعود الى ممارسته الحياة السياسية

والادارية والعسكرية ، قبل توليه الخلافة ، فاكسبته هذه الحياة تجارب واسعة زادته خبرة وذكاء ، ودهاء ، وحسن تقدير للامور ، ولهذا يؤثر عنه قوله « ان هذا الملك افضى الي وانا حنيك السن ، قد حلبت الدهر اشطره » فضلا عن اقترانها بشخصية قوية ، وارادة صلبة ، وعزم ثابت وهمة عالية ، فسهلت له هذه الصفات مجتمعة ، قيادة الدولة الى بر الامان رغم الاخطار الجسيمة التي كانت محدقة بها من كل حدب وصوب ، وبذلك أرسى قواعد حكمها على اسس قوية ، ثابتة البنان .

ومن اهم السمات البارزة في سياسة المنصور على الصعيد الداخلي انها كانت قائمة على ضرب خصومه السياسيين الواحد بالآخر ، للتخلص من احدهما ، ومن ثم يتفرغ للثاني . فضرب ابا مسلم بعمه عبدالله بن علي ، الذي قاد اخطر ثورة عليه بالشام ، مطالبا بالخلافة لنفسه . فلما تمكن ابو مسلم من القضاء عليها ، دارت الدائرة عليه ، فحاول المنصور الظفر به بكل طريقة ، قبل دخلوه خراسان معقله الحصين ، فنجح في تجريده من اعز اصدقائه واخلص مستشاريه ، وهما ابو داود خالد الذهلي خليفته على خراسان ، وابو اسحق مستشاره المعتمد ، فاغراهما بولاية خراسان ، ان هما تمكنا من اقناع ابي مسلم بمقابلته ؛ كما استعان بغيرهم امثال عيسى بن موسى وجرير البجلي ، حتى تمكن اخيرا من الظفر به وقتله، وبذلك تنفس المنصور الصعداء ، بعد ان ازاح الكابوس الذي ظل جاثما سنوات طويلة على صدره يهدد ملكه بجبروته وغطرسته ، ، ثم عاد لابي داود الذي انتفت الحاجة الى بقائه ، فحرض عليه صاحب شرطته ابا عصام بن عبد الرحمن بقتله ، مقابل ولاية خراسان ، ان هو فعل ذلك ، وبذلك تخلص من ابي دواد ايضا .

بعدها عاد لمعالجة امر العلويين ، فضرب ولي عهده عيسى بن موسى بمحمد النفس الزكية واخيه ابراهيم ، حين اعلنا الثورة فتمكن عيسى من القضاء عليهما الواحد تلو الاخر ، لكن جهود عيسى هذه، وخدماته الجليلة السابقة للدولة لم تشفع له عند المنصور ، الذي اكرهه على خلع نفسه من ولاية العهد وبالبيعة للمهدي .

ومن سياسته في هذا المجال ايضا ، اسعمال سلاح العصبية القبلية ، في تفتيت وحدة القبائل الربعية واليمانية ونقض تحالفهم ، فعين معن بن زائدة الشيباني الربعي واليا على اليمن ، ليكسر شوكة هذه القبائل وينقض حلفهم . فنفذ معن الشيباني المهمة بقوة السيف ؛ فلما استنفذ المنصور هدفه منه ، عزله عن اليمن وولاه سجستان ، فلقي حتفه هناك ، وفي مقابل هذا ، استعمل عقبة اليماني واليا على اليمامة والبحرين ، لينتقم من ربيعة ، اسوة لما فعله معن باليمانية من قومه .

اما على صعيد الثورات الخارجية والحركات الفارسية ، فانه واجهها بكل حزم وشدة فقضى عليها جميعا ، من غير ان يترك لها مجالا لتحقيق اهدافها ، ما عدا الدولة الاباضية الرستمية ، التي لم يتهيأ له القضاء عليها ، مكتفيا بالسيطرة على افريقية متمثلة بالمغرب الادنى ، تاركا المغربين الاوسط والاقصى وشأنهما ، لان ارسال قوات اضافية لاخضاع هذه البلاد لسلطانه سيكون على حساب وضعه العسكري ، الذي كان يستدعي تواجد قوات قوية قريبة منه ، تحمي ملكه ، وكيان دولته .

اما اصلاحاته الداخلية، فيبرز في مقدمتها ، اعظم اثر خلد اسمه على مر الاجيال والعصور ، وهو بناء بغداد ، واتخاذها عاصمة جديدة للدولة العباسية ، فحقق بذلك حلمه ، وحلم احفاده من بعده . يضاف الى ذلك ، ادخال تعديلات مهمة على النظم الادارية والمالية وغيرها ، ومن اهمها :

١ ـ انه اول من رتب المراتب بعد انتقاله الى بغداد ، فاصبح الناس لا يدخلون اليه الا بعد اذن خاص منه ، على خلاف ما كان متبعا في زمان الامويين ، الذين كانت لهم بيوت بلا منعة ولا اذن . وقد يكون السبب في هذا الاجراء ، راجعاً الى خوفه على حياته ، يؤيد ذلك ما جاء في خطبته التي القاها في بغداد سنة **١٥٢ هـ** « . . . لولا يد خاطئة ، وظلم ظالم، لمشيت

بين اظهركم في اسواقكم . . . »[1] هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان ادخال هذا التعديل ، يوفر للخليفة متسعا من الوقت ، يصرفه في تدبير شؤون مملكته ، بعيدا عن المقابلات التي تلهيه عن اداء واجباته بصورة كاملة .

٢ ـ زاد من كفاءة البريد ، ووسع دائرة عماله ، فجعل ارتباطهم به راسا ، وطلب منهم ان يكونوا له عيونا على الوالي والقاضي وغيرهما ، وان يكتبوا اليه بالاخبار التي تصدر عنهما . وبالاخبار المتصلة بولاياتهم من جميع جوانبها ، حتى ان ابنه المهدي خضع لرقابتهم ، وبذلك اصبح المنصور على علم تام بكل ما يجري في دولته من امور حسب التقارير الدورية التي تصله من هؤلاء .

٣ ـ هو اول من عين القضاة من قبله وكان قبل ذلك يوليهم الوالِي .

٤ ـ جعل للولاة والكتاب مرتبا شهريا ثابتا مقداره ٣٠٠ درهما .

٥ ـ هو اول من قام باصلاح نظام ضرائب ارض السواد ، حيث عدل به عن الخراج الى نظام المقاسمة ، وهو ان يدفع الزارع جزءاً معينا من محصوله كضريبة .

٦ ـ انشأ ديوانا خاصا سماه ديوان المظالم حوى فيه اموال العمال وغيرهم ممن يشك في تصرفاتهم المالية على سبيل الحجز والمصادرة المؤقتة .

٧ ـ اجرى تعديلا مهما على نظام الدواوين الذي كان متبعا في عهد الامويين خاصة فيما يتعلق بالاموال ، وتسجيلها في سجلات خاصة بها .

٨ ـ زاد من مرتبات افراد الجيش من (٦٠) درهما في الشهر الى (٨٠) درهما.

٩ ـ هو اول من استعمل فرس النوبة ، ولم تكن معروفة قبله ، فصارت سنة لمن

---

(١) الطبري ٨ / ٨٨ .

جاء بعده من الخلفاء .

ومع هذا كله ، فان المنصور بحكم منصبه كخليفة للمسلمين ، لم يكن نبيا معصوما من الخطأ ، بل انه كان يصيب احيانا ويخطىء اخرى ، خاصة في الحقبة الزمنية التي تولى فيها الحكم ، وهذه حقيقة لا جدال فيها ، وعليه فمن المآخذ التي تؤخذ عليه في مجال سياسته الداخلية ، ثلاثة امور ، اعتبرها من المثالب البارزة التي تحدد مسؤوليته التامة فيها وهي :

اولا : قتله لعمه عبدالله بن علي بعد اعطائه الامان ، مخالفا بذلك نصوص الشريعة الاسلامية .

ثانيا : قسوته الشديدة مع ابناء عمومته من العلويين ، التي خرج فيها عن المألوف في استعمال حقه ، واقل ما يقال فيها ، انها كانت بعيدة عن الرحمة والرأفة . اما اجراءاته في قمع ثورتي النفس الزكية وابراهيم ، فكان مصيبا فيها .

ثالثا : اكراه عيسى بن موسى بالتنازل عن حقه بولاية العهد ، وبالبيعة لابنه المهدي ، وبذلك سن سنة غير حميدة، سار عليها احفاده من بعده ، فاول من سار على نهجها المهدي ، الذي عزل عيسى مجددا من ولاية العهد ، وبايع لابنه الهادي .

اما على صعيد العلاقات الخارجية ، فانه فشل في اخضاع الاندلس الى سلطانه ، فظهرت لاول مرة في عصره ، خلافتان اسلاميتان ، واحدة في المشرق والاخرى في المغرب ، وفي مقابل ذلك نجح في اخضاع بلاد طبرستان الى دولته ، والتي ظلت طوال الفترة السابقة ، خاضعة اسمياً للدولة الاسلامية . كما نجح في وقف اطماع الروم التوسعية ، فاوقفهم عند حدهم بارسال عدة حملات عسكرية توغل بعضها في بلادهم ، مما اقنع الروم بان العباسيين مستعدون للدفاع عن اراضيهم بقوة السلاح . لكن هذه الحروب بصورة عامة لم يكن الهدف منها فتح القسطنطينية ؛ أو التوغل في بلادهم وانما كانت حربا دفاعية القصد منها ارهاب

العدو . كما نجح المنصور في تدمير تحالف الترك والخزر ، والقضاء على ثوراتهم في بلاد ارمينية .

واذا نظرنا الى سياسة المنصور الخارجية ، لوجدنا ان من ابرز ملامحها تنحصر في اهتمامه الشديد بمدن الثغور ، فقام بتعميرها وتحصينها ، وشحنها بالسلاح لتكون قادرة على التصدي لهجمات الروم ، وغيرهم ، فوضع بذلك اساس النظام الثغري الذي وصل الى حد الكمال زمن حفيده المعتصم ، كما شجع المقاتلة على السكن في هذه المناطق على زيادة عشره دنانير لكل مقاتل مع اعانة ١٠٠ دينار لكل منهم . اما مدن السواحل ، فانه قام بتتبعها ، فبنى ما احتاج منها الى البناء ، وحصنها ووضع فيها عدتها ، ونجح في اسكان بعض القبائل العربية المعروفة بولائها للعباسيين في جبال لبنان مثل قبيلة لخم ، مهمتها التصدي للعصابات الرومية القادمة من البر والبحر ، ومنعها من اختراق المنطقة جنوبا كما كانت تفعل زمن الدولة الاموية ، وقد اغنت هذه السياسة ، الدولة من ارسال الجيوش النظامية الى هذه المنطقة ، كما اقام علاقات ودية مع اهل قبرص ، بان ردهم الى صلح معاوية ، مقابل تزويده بتحركات الروم البحرية . ونجح ايضا في اقامة علاقات طيبة مع ملك الفرنجة بيبن ، كانت بمثابة الاسس التي سار عليها احفاده من بعده ، اما المآخذ التي تؤخذ عليه في سياسته هذه ، هو عدم اهتمامه بالاسطول البحري ، الذي لم يعد له نشاط يذكر طوال خلافته ، على عكس ما كان زمن الامويين . وقد يكون السبب في ذلك ، عائدا الى ان الروم انفسهم لم يكن لهم نشاط بحري واسع في تلك الفترة ، وهذا مما دعاه الى عدم التركيز على بنائه واعداده من جديد .

هذا وقد نجح المنصور في سياسته على الصعيدين الداخلي والخارجي . نجاحا منقطع النظير ، فتمكن من ارساء قواعد الحكم على اسس واضحة وقوية ، سكن الدولة من الاستمرار لقرون عدة بعده .

وكان من نتيجة سياسة الشدة التي اتبعها المنصور تجاه أعدائه ان صوره

بعض المؤرخين ، بسفاك دماء ، فذكروا « انه قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الامر له ولولده »[٢] .

وارى ان هذه صورة مشوهة لهذا الرجل ، وهذا بالتالي يقودنا الى التساؤل التالي : هل كان المنصور حقا متعطشا لسفك الدماء ؟ الجواب على ذلك بالنفي ، لان الدلائل والقرائن التاريخية اشارت عكس ذلك ، ومن هذه الادلة على سبيل المثال ، أنه عفا عن مالك بن الهيثم مستشار أبي مسلم الخاص ، عندما عرف سلامة موقفه من الدولة ، وعفا عن معن بن زائدة الشيباني لموقفه المشرف يوم الراوندية ، رغم انه كان من جملة من حاربه يوم واسط . وأُتي بخارجي قد هزم له جيوشا ، فاقامه ليضرب عنقه ، ثم اقتحمته عينه ، فقال يا بن الفاعلة ، مثلك يهزم الجيوش ، فقال له الخارجي : ويلك وسوءة لك ! بيني وبينك امس السيف والقتل ، واليوم القذف والسب ! وما كان يؤمنك ان أرد عليك ، وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها ابدا ! فاستحيا منه المنصور واطلقه[٣] وسواء صحت هذه الرواية ام لا ، فالروايات التاريخية تؤيد هذا الاتجاه وتبين ان المنصور لم يكن يقدم على قتل احد الا بالقدر الذي يحفظ ملكه من الضياع ، فقد عفا عن اهل الشام ، ممن اشترك بثورة عمه عبدالله لاعتذارهم منه ، واعترافهم بانجرافهم بتلك الفتنة التي شملت صغيرهم وكبيرهم على السواء . وأتى برجل اليه ليعاقبه ، فقال الاصمعي وكان حاضرا يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل والتجاوز فضل ، ونحن نعيذ امير المؤمنين بالله ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين ، دون ان يبلغ ارفع الدرجتين ، فعفا عنه[٤] .

لكن هذه السياسة لم تكن قاعدة ثابته له ، فقد خرج عنها في معاملته القاسية لال حسن كما اشرنا الى ذلك . الا ان سياسته بصورة عامة ، كانت ترتكز

---

(٢) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١ / ٢٩٧ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ .
(٣) الطبري ٨ / ٦٨ . ابن الجوزي : أخبار الأذكياء ص ١٤٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ١٢٥ .
(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

على قتل كل من تحوم حوله الشبهات لاعلان الثورة ، وتقويض بنيان الدولة ، ولم يرحم احدا في هذه المسألة بالذات ، يؤيده قوله « . . ان من نازعنا عروة هذا القميص اوطأناه ما في هذا الغمد[٥] » اما دون ذلك ، فكان يتسامح الى ابعد الحدود ، ولعل الظروف القاسية والاحوال الصعبة التي ولي فيها المنصور الخلافة ، فرضت عليه انتهاج سياسة القمع والارهاب ، من اجل تثبيت اركان الدولة التي لا زالت الاخطار محدقة بها ، فلما أحكم ما اراد ، نراه يوصي ابنه المهدي بالابتعاد عن هذه السياسة بعد زوال الأسباب المسببة لانتهاجها[٦] ومن هذا يتبين ان دعوى اتهامه بتعطشه لسفك الدماء ، دعوى قائمة على غير دليل .

واذا نحينا هذه الاتهامات جانبا ، فاننا نجد ان اغلب المؤرخين ، قد شادوا بحسن سياسة المنصور ورجاحة عقله[٧] ، فقال المسعودي « ان المنصور كان من الحزم وصواب الرأي وحسن السياسة علما تجاوز كل وصف[٨] » وذكر ابن الطقطقى « ان المنصور هو الذي أصل الدولة ، وضبط المملكة ، ورتب القواعد ، واقام الناموس ، واخترع اشياء كثيرة[٩] فهو اول خليفة اقترن اسمه ببناء حاضرة للدولة[١٠] ، وهو أول من لعب الصولجان في الاسلام[١١] ، وهو اول من امر بكتابة الرسائل بحمل الاموال بسجلات خاصة بها[١٢] ، وهو اول من اعطى الف الف بصك الى بيت المال[١٣] » .

لذلك فلا غرابة ان يكون المنصور قدوة لاحفاده من بعده ، ولم يبالغ

---

(٥) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣٠٥ وانظر خطبته بعد مقتل أبي مسلم .
(٦) أنظر وصاياه لابنه المهدي .
(٧) أنظر ما قاله المؤرخون في الباب الرابع .
(٨) مروج الذهب ٣ / ٣١٨ .
(٩) الفخري ص ١٢٦ .
(١٠) أنظر الفصل الخامس من الباب الثاني المتعلق ببناء بغداد .
(١١) القلقشندي : مآثر الأنافة ١ / ١٧٧ .
(١٢) البلاذري : فتوح البلدان ٣ / ٥٧٠ .
(١٣) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٦ ب . وانظر : الثعالبي : لطائف المعارف ص ٢٢ .

الفضل بن سهل وزير المأمون حين قال « ان هذه الدولة لم تكن قط اعز منها في ايام ابي جعفر[١٤] »، وقال ابن الطقطقى « وكان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم[١٥] » .وقال نولدكه « لقد راى الشرق حكاما كثيرين أربوا المنصور أو فاقوه في الخداع والاثرة ، ولكن قل من يوجد بينهم من يوازن به في قوة العقل المسيطر أو من كان له مثل تأثيره في انماء الصالح العام لامبراطوريته[١٦] » وذكر سيديو « ان المنصور كان يطلب رعاياه بالاحترام الشديد ، فنال ما اراد ، وشب الجيل الذي كان يحيط بالخلفاء على الطاعة[١٧] وذكرت المستشرقة البولونية يوجينا « ان استبداد المنصور ومباشرته صغيرة الامور وكبيرها ، كان ذلك يقلل من اهمية كل عامل[١٨] » وقال سيد امير علي « وكان المنصور مثالا صالحا للرعية في اطاعة القوانين والامتثال لحكم القضاة[١٩] » .

وعليه فيمكن القول اجمالا ، بان المنصور كان من الرجال البارزين ، الذين صنعوا التاريخ ، وأثروا في سير حوادثه ، بقوة شخصيتهم ، ورجاحة عقلهم ، وامضاء عزيمتهم ، وحسن ادراكهم وتقديرهم للاحوال التي جابهوها وبرعوا في حلها ، ونجحوا في التغلب عليها . فخلدت ذكراهم الايام ، على مر العصور والاجيال .

وفاة المنصور :

لقد عاش المنصور حياة شاقة متعبة ، كلها جهد متصل ، وكفاح مستمر ، لقى فيها الكثير من الاحداث الجسيمة ، والثورات الخطيرة ، والمشكلات

---

(١٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٧٧ .
(١٥) الفخري ص ١٢٥ .
(١٦) Sketches from eastern history, P. 145. —
(١٧) تاريخ العرب العام ص ٢١٠ .
(١٨) الدولة الإسلامية وتشريعها ص ٢١٣ .
(١٩) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ص ١٩٦ .

المعقدة سواء اكانت قبل خلافته ام بعدها ، واشد ما اتعبه وانهكه ، مسؤولية الحكم ، الذي امتد من سنة ١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ (٧٥٣ هـ ٧٧٥ م) . فكان عليه من واقع مسؤوليته كخليفة ، ان يواجه المشاكل ، ويخمد الفتن ، ويقضي على الخصوم ، ويرد كيد الكائدين ، للمحافظة على خلافته ، وتثبيت اركان دولته ، وهذا يتطلب بطبيعة الحال ، اليقظة والحذر ، ومواصلة العمل ليل نهار ، ونجح في ذلك نجاحا منقطع النظير ، لكن ذلك كان على حساب صحته وراحته ، مما ادى بالتالي الى انهاك قواه ، فبدت عليه علامات المرض ، فأشارت بعض الروايات « انه كان ممعودا ، لا يستمرىء طعامه ، ويشكو من ذلك الى المتطببين ويسألهم ان يتخذوا له الجوارشنات ، فكانوا يكرهون ذلك ، ويأمرونه ان يقل من الطعام . . فكان مرضه هذا سببا في وفاته[٢٠] » .

اما سبب مرضه ، فكان « من حر اصابه من ركوب الهواجر ، وكان رجلا محرورا على سنه ، يغلب عليه المرار الاحمر ، ثم هاض بطنه[٢١] » .

ويبدو ان المنصور ، شعر بقرب نهايته ، فقرر الحج سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ، لذلك استدعى ابنه المهدي ، فقال له : « يا ابا عبدالله ، اني ولدت في ذي الحجة ، ووليت في ذي الحجة ، وقد هجس في نفسي ان اموت في ذي الحجة من هذه السنة ، وانما حداني على الحج ذلك[٢٢] » .

وكان آخر لقاء تم بينه وبين ولي عهده المهدي ، في شهري رمضان وشوال من سنة ١٥٨ هـ ، حيث اسدى المنصور لابنه بجميع نصائحه وارشاداته ووصاياه[٢٣] .

---

(٢٠) الطبري ٨ / ٥٩ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ١١٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٢١ .

(٢١) الطبري ٨ / ٥٩ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٢١ .

(٢٢) الطبري ٨ / ١٠٥ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٥٨ هـ ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٦ / ٨ ، وانظر : المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣١٧ .

(٢٣) الطبري ٨ / ٥٧ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨ / ١٥٨ هـ ، ابن الأثير : الكامل (ط أزهرية) ٦ / ٧-٨ .

وبعد ان احكم المنصور ما اراد ، تحرك بركبه من بغداد في شوال سنة ١٥٨ هـ ، قاصدا الحجاز ، فنزل قصر عبدويه ، واقام فيه اياما ، تركه آخر هذا الشهر ، وسار قاصدا الكوفة ، فنزل رصافتها ، ثم « اهل منها بالحج والعمرة وساق معه الهدي واشعره وقلده ، لايام خلون من ذيّ القعدة ، فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذي توفي فيه »[٢٤] لاتفاق حجه في هذه السنة وكان الحر شديدا ، فمرض بالجوف[٢٥] ، ولم يمنعه مرضه من مواصلة السير ، فاتجه يريد مكة فلما نزل بستان أبي عامر ، على مرحلة من مكة ، اشتد عليه المرض ، فرحل الى بئر ميمون[٢٦] ، فبلغت به العلة اشد مبلغ ، وثقل عليه مرضه ، ومن جملة ما قاله في مرض موته هذا « اللهم ان كنت تعلم اني قد ارتكبت الامور العظام جرأة مني عليك ، فانك تعلم اني قد اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا أنت ، منّاً منك ، لا منّا عليك »[٢٧] ، فتوفي في صباح يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ (الموافق ٧ أكتوبر ـ تشرين الاول ـ سنة ٧٧٥ م)[٢٨] ، ولم يحضر وفاته سوى خدمه والربيع مولاه ، فكتم الربيع خبر موته ، حتى اخذ البيعة بالخلافة للمهدي على من حضر من اهل البيت العباسي ، ثم اعلن خبر وفاته على الحاضرين ، وكان ممن حضر وفاته من اهل بيته ، ابنه صالح وعمه عيسى بن علي وابن اخيه عيسى بن موسى ، فجهزوه ودفنوه عند صلاة العصر مكشوف الرأس لأجل الاحرام ، وصلى عليه ابراهيم بن يحيى بن محمد بوصية من عنده[٢٩] ووقف الربيع على قبره فقال : رحمك الله يا أمير

---

(٢٤) المصادر السابقة ، ٨ / ٥٩ ، ٨ / ١٥٨ هـ ، ٦ / ٨ .

(٢٥) العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٢١ .

(٢٦) بئر ميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي : ياقوت معجم البلدان ٢ / ٨ .

(٢٧) الدينوري : الأخبار الطوال ٢ / ٣١٠ ، الذهبي : مخطوط سير اعلام النبلاء ٥ / ١١٣ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٨ / ٢٣ .

(٢٨) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٧ ، البسوي : المعرفة والتاريخ ١ / ١٤٦ ، الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٦٤ ، الطبري ٨ / ٦٠ ، المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٣ / ٢٩٤ ـ ٣١٨ ، الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١٢٠ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣ / ٦١ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ١ / ٢٩٧ .

(٢٩) البلاذري : مخطوط أنساب الأشراف ٤ / ٦آ ، الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٦٤ ، الأزدي : =

المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الامر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره »[٣٠] .

وختمت بوفاته اهم مرحلة من مراحل بناء الدولة وتأسيسها ، فأسلمها لمن جاء بعده ، قوية البنيان ، مهيبة الجانب ، مما سهل لاحفاده قيادتها والسير بها على نهجه وخطاه .

* * *

= تاريخ الموصل ٢ / ٢٣١ ، وانظر : ابن خياط : تاريخ ٢ / ٤٥٨ ، الطبري ٨ / ٦١ ، ابن اعثم الكوفي : مخطوط الفتوح جـ ٢ ، العيني مخطوط عقد الجمان ٨ / ٢١ .

(٣٠) الحصري ، زهر الآداب ١ / ١٦٣ .

الخاتمه

الآن ، وقد فرغنا بعون الله وهديه وتوفيقه من بحثنا ، الذي توخينا فيه الوصول الى الحقيقة التاريخية ، بقدر ما هيأه الله لنا ، لعلنا بذلك قد اضفنا الى المكتبة العربية والتاريخية منها بوجه خاص ، ما يعتبر إضافة جديدة للعلم . وسأحاول في هٰذه الخاتمة تناول بعض ما تضمنه البحث من أمور جديدة ، على أن ما سأعرض له في هذه الخاتمة ، ليس كل ما توصلت اليه من جديد ، وانما هي شواهد على سبيل المثال لا الحصر ، وسيجد القارىء بين صفحات البحث من الجديد في الروايات والتعليقات والاستنتاجات الشيء الكثير .

فقد كشف البحث لاول مرة ، عن سبب تسمية المنصور بعبدالله ، رغم ان اخاه وعمه كانا يحملان نفس الاسم فبينت ان السبب في هذا ، راجع الى وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي « واعلم ان صاحب هذا الامر من ولدك عبدالله ابن الحارثية ، ثم عبدالله اخوه الذي اكبر منه » ، وفي رواية اخرى انه قال له : « انت صاحب هذا الامر ، وولدك القائم به ، ثم اخوه من بعده . والله ليتمن الله هذا الامر ، حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان . ثم قال له : واعلم ان صاحب هذا الامر من ولدك عبدالله بن الحارثية ، ثم عبدالله اخوه . ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبدالله » .

ولهذا اطلق محمد بن علي العباسي ، اسم « عبدالله » على ولدين من

أولاده ، ليضمن الخلافة في عقبه ، حسب ما تنبأت به الوصية ، فان لم تكن لكليهما فعلى الاقل لواحد منهما .

كما أظهر البحث ؛ الملابسات والخلط في الروايات ، التي شوهت الاحداث التاريخية ، والتي وقع فيها بعض المؤرخين ، امثال ابن أعثم الكوفي وابن عبد ربه ، نتيجة لاشتراك المنصور وابي العباس وعمهما بتسمية واحدة ، وزاد من وقوع هذا الوهم ، معاصرة هؤلاء بعضهم لبعض ، واشتراكهم في احداث فترة زمنية واحدة . فنبه البحث اليها ، ورد الحقائق الى وضعها ، والامور الى نصابها .

وفي تحقيق ولادته ، اثبت البحث بالادلة والبراهين ادق تاريخ لها ، بعد استعراض الروايات التاريخية ومناقشتها . ونبه على أخطاء المؤرخين القدامى والمحدثين فيها .

ومن الحقائق الجديدة التي توصلت اليها ، دور المنصور في الدعوة العباسية هذا الدور الذي ظل تحت طائلة النسيان لفترة طويلة ، متناثرا بين ثنايا الكتب المختلفة ، فلم يسلط عليه الضوء الذي يستحقه ، مثلما سلط الضوء على ادوار اشخاص اقل نشاطا ومقدرة منه ، فأوضحت ان المنصور كان الركن البارز في الدعوة العباسية ، بدوريها السري والعلني ، فحمل مبادئها بأمانة واخلاص ينشرها في البلدان والامصار ، معرضا حياته للخطر في سبيلها ومن أجلها . فنجده تارة في الكوفة ، يشغل وظيفة شرطي في شرط الامويين ، ليخفي نشاطه تحت ستار هذه الوظيفة ، تركها بعد حين ليشترك في ثورة عبدالله بن معاوية ، وعلى اثر فشل الثورة، القى عليه القبض والي الامويين في البصرة ، فضربه بالسياط وسجنه ، فأنقذه المضرية بالقوة . حين اقتحموا السجن واخرجوه . ولم يقف نشاطه عند هذه الواقعة ، لأن الذي يتعلم على حياة الكفاح والنضال في سبيل المبدأ لا يهدأ بغيرها . فعاود نشاطه الحزبي ، فنراه في الحجاز يجتمع بالنقباء في موسم الحج ، ليطلع على اعمالهم وتقاريرهم ، ويرشدهم الى العمل الجاد في المرحلة القادمة ، والتقى بهم أكثر من مرة تحت ستار الحج . كما قام بسفرات الى الموصل

والبصرة ودمشق وافريقية ، من أجل جمع الانصار والمؤيدين للدعوة العباسية وثورتها المرتقبة . وتمكن من الافلات من قبضة السلطة الاموية في الموصل وافريقية . حينما علمت بتحركاته العدائية ، ونشاطه الواسع .

وفي مجال البيعة لابي العباس ، اوضحت دوره الرئيسي فيها ، وبينت جهوده المهمة في التخلص من ابي سلمه الخلال ، الذي أراد نقض ولائه للعباسيين ، بتحويل الخلافة عنهم الى ابناء عمومتهم من العلويين . ودوره في اخذ البيعة على أبي مسلم واصحابه من أهل خراسان .

واثبت الباحث تبرئة المنصور من دم ابن هبيرة ، واوقع مسؤولية قتله على عاتق الخليفة ابي العباس ، وادانه ادانة شرعية . باعتباره المسؤول الاول والأخير في الغدر به بعد اعطائه الامان .

وعلى صعيد الثورات التي اندلعت في مناطق الجزيرة ، ابان حكم أبي العباس ، فقد سلط البحث الضوء على دور المنصور البارز في القضاء عليها ، وعلى مثيلاتها التي قامت في اذربيجان وارمينية ، حين قاد بنفسه عدة حملات عسكرية ناجحة لاخمادها ، فمهد للدولة بجهوده ، وحزمه ، وقيادته الجيدة ، استقرارا تاما في هذه المناطق الحساسة من الدولة.

كما توصل الباحث الى ان انتقال الخلافة للمنصور كانت بموجب كتاب عهد من الخليفة السابق ، فأورد صيغة العهد ، ونبه الى وجود صيغ اخرى ، تؤدي الى نفس المعنى والهدف المقصود منه . واوضح ان عيسى بن موسى قام بالدور الرئيسي في اخذ البيعة له ، وهو لم يزل في طريق مكة .

أما في ميدان السياسة الداخلية ، فقد بينت ان اول واخطر ثورة واجهت المنصور ، وهو لم يباشر سلطاته الدستورية بعد ، كانت ثورة عمه عبدالله بن علي في الشام . واوردت ادلة جديدة ، على ان مطالبة عبدالله بالخلافة ، مستندا الى وعد الخليفة السابق ان هو قضى على مروان بن محمد ، لم يكن له اساس من

الصحة وتوصلت لاول مرة الى رواية فريدة للزبير بن بكار ، عن عيسى بن علي وهو أخ لعبد الله ، القت ضوءا جديدا ، على ان ادعاء عبدالله بالعهد من الخليفة السابق ، لم يكن سوى تبرير لاعلان الثورة ليضفي عليها صبغة شرعية ، تظهره امام الجماهير ، انه انما ثار من اجل الدفاع عن حق مسلوب . ورددت على من قال خلاف ذلك . كما بينت أن تأييد اهل الشام لعبدالله ، لم يكن تأييداً صادق النية ، وانما المصلحة المشتركة للطرفين ، هي التي فرضت نفسها على تأييدهم له ، وعلى اعتماده عليهم ، من اجل ان يصل كل منهما الى هدفه بالآخر . وقد تجلت روعة خطط المنصور الحربية في القضاء عليها . باختيار خصمه اللدود أبي مسلم لمقارعة عمه ، وبتوجيه قوات اضافية لاحتلال المناطق المهمة كتكريت وبلد والاقامة فيها ، لسد منافذ الطرق بوجه عبدالله ان هو فكر بشن هجوم مفاجىء على مقر الخلافة .

وكشفت عن محاولة للمنصور ، الهدف منها اغتيال عمه ، حين كلف ابن صول بتنفيذها ، لكن المحاولة لم يكتب لها النجاح . وبينت ، ان من أهم اسباب فشل الثورة ، هو احجام عبدالله عن توجيه قوة تلقي القبض على المنصور وهو في طريق مكة ، كما توقع بعض اصحاب الخليفة المصاحبين له ، فضلا عن احجامه عن المسير الى العراق قبل استعداد المنصور ، فاشغل جميع قواته بأمور ، كان يمكن معالجتها ببعضها ، والاستفادة من الباقي في ضرب ضربته في الوقت المناسب .

واثبت بالادلة والشواهد ، ان مسؤولية قتل عبدالله بن علي بعد اعطائه الامان ، تقع على عاتق المنصور ، وهو وحده يتحمل الاثار الشرعية المترتبة على نقضه للامان بقتله عمه ، واعتبرت ان نقض المنصور لامان عمه ، احدى المثالب الثلاث البارزة في حكمه . وان يده لا تبرأ من دم عمه .

وناقش البحث ادعاء من قال ان الامان اسطورة من الاساطير لا وجود لها ، سوى بعض العبارات التي وردت في بعض المصادر ، فاوردت نسخة الامان كاملة

مؤيدة لهذا الاتجاه . واظهر البحث وجود خلافات بين افراد البيت العباسي لم تكن معروفة سابقا ، منشؤها الخلافة .

اما بخصوص مقتل أبي مسلم ، فاثبت البحث ان له جذورا تاريخية اساسها المنافسة بين الرجلين ، يعود تاريخها الى وقت مبكر من قيام الدولة العباسية ، وان تمادي أبو مسلم في جبروته وغطرسته وتقليله من قيمة المنصور وشخصيته ، هي التي قادته الى النهاية المحتومة . وان قتله على يد الخليفة سنة ١٣٧ هـ ، لم تكن أول محاولة ولا آخرها ، بل سبقتها اربع محاولات ، كان آخرها في طريق مكة سنة ١٣٦ هـ ، لكنه صرف النظر عنها، لتحذير بعض المرافقين للمنصور من تنفيذها ، خوفا من ثورة اصحابه عليهم ، وهم في قوة قليلة . وكشف ايضا ان أبا مسلم قد حرض عيسى بن موسى على الثورة ضد الخليفة ، لكن عيسى رفض بشدة ذلك ، وحذره من مغبة عمله هذا .

وأكد البحث ان الغنائم التي حصل عليها ابو مسلم على اثر انتصاره على عبدالله ، لم تكن السبب الرئيسي في قتله ، كما صورته بعض الروايات ، وانما كانت سببا في التعجيل بنهايته ، ونبه على بعض الكتب الضعيفة او الموضوعة التي تبودلت بينهما .

وتوصل الباحث الى نصوص جديدة ، للإتهامات التي وجهها المنصور لابي مسلم اثناء محاكمته ، وكشف ان بعض نصوص مخطوط انساب الاشراف في هذه المسألة قد فقدت ، ولكنها وصلت الينا كاملة عن طريق مخطوط عقد الجمان للعيني . واثبت ان بعض التهم ، التي ساقها المؤرخون ، كان كثير منها نسج خيالهم ، بل ان ان بعضها لا يخلو من الوضع ، كقول المنصور لابي مسلم : أنسيت نظرك الي شزراً ، وتزعم انك ابن بنت سليمان بن علي ، وانك ترفعت عن مناولة مداسي حتى ناولنيها معاذ بن سلم ، وان المنصور قد فتل شاربه وقفز الى عمود الخيمة وضرب به ابا مسلم . واوضح ان طبيعة المحاكمة لا تستدعي استجوابا طويلا ، وانما كانت التهم مقتضبة وذات قيمة سياسية مهمة ، لحرص

المنصور على انهاء الموضوع باسرع وقت ممكن .

وقد سقت الادلة القوية على انه لا صحة لما قيل ان المنصور قد اعطى الامان لابي مسلم ثم غدر به . اما ما أشار اليه النفس الزكية في رسائله حوله ، فبينت انه كان من قبيل الدعايات العلوية ، القصد منها النيل من المنصور.

وتناول البحث حركات بعض الدعاة العباسيين ومؤ يديهم ، كحركة جهور العجلي ، فبينت ان سبب حركته ، هو اساءته التصرف في الغنائم ، دون الرجوع الى الخليفة ، الذي اعتبر عمله هذا تجاوزا وتطاولا منه عليه ، فعزله وعين مكانه عاملا آخراً ، لكن جهور رفض هذا العزل ، والقى القبض على العامل وقتله ، واعلن الثورة ، وكان من اهم ما لوحظ فيها ، اشتراك العنصر الفارسي بصورة لافتة للنظر، مما يثبت ان الحكم العباسي، الجديد ، قد خيب اماهم التي كانوا يعلقونها عليه .

وفي حركة عبد الجبار الازدي ـ صاحب شرطة المنصور ـ في خراسان ، توصل الباحث لاول مرة « فيما اعلم » ان ثورة الجند على الوالي خالد الذهلي خليفة ابي مسلم على خراسان ، كانت من تدبير المنصور ، الذي اراد التخلص منه بعد انتفاء الغرض منه بمقتل أبي مسلم ، فحرض ابا عصام صاحب شرطة خالد على اثارة الجند عليه ، ثم يقوم بقتله بعد ذلك ، مقابل ولاية خراسان . وعلى اثر موت خالد عينه الخليفة مكانه ، ثم عزله ، وعين عبد الجبار خلفا له ، وبين ان ثورته كانت بسبب الوشاية التي قام بها المسيب الضبي ، وان عبد الجبار عمد الى الموالين للعباسيين فقتلهم، وفند رأي القائلين بانه قتل المتعاطفين مع العلويين .

أما في تمرد عيينة ، فاثبت ان الوشاية التي قام بها المسيب الضبى ، لم تكن السبب الرئيسي في تمرده ، وانما السبب كان لاقدامه على قتل قوم من ربيعة واليمن ، ممن اشترك في الثورة عليه .

اما فيما يتعلق بثورات الخوارج في الجزيرة وسجستان وعمان وافريقية

وغيرها فقد كشف البحث عن ثورات جديدة ، لم تتطرق اليها المصادر التاريخية الموجودة بين ايدينا ، وعثرت عليها في مخطوط انساب الاشراف للبلاذري . ومن هذه الثورات ، ثورة عطية بن بعثر التغلبي ، وحسان بن غسان ، وطي بن المسيب العبدي ، والضحضح الشيباني ، وغيرهم .

وكانت أقوى ثوراتهم في الجزيرة ، ثورة الملبد ، التي كانت أول ثورة تلحق هزائم متعددة بقوات الدولة ، لكن الخليفة تمكن اخيرا من القضاء عليها ، بعد جهد كبير .

وفي ثوراتهم بافريقية ، اثبت البحث انهم تمكنوا من اقامة ثلاث دول مستقلة عن الخلافة العباسية ، الاولى اباضية سنة ١٤٠ هـ برئاسة عبد الاعلى الاباضي لكنها لم تدم سوى اربع سنوات ، فقضت عليها السلطة العباسية ، اما الدولة الاباضية التي أقامها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤ هـ ، في تاهرت فأنها احتفظت بكيانها المستقل حتى سنة ٢٩٦ هـ ، ولم يتهيأ للعباسيين القضاء عليها . وما يقال عن هذه الدولة ، يقال عن الدولة الصفرية في سجلماسة . وناقش الباحث ، قول من قال : ان الخوارج لم يكن لهم شأن في الدولة العباسية ، أو انهم انتهوا بانتهاء الدولة الاموية حذو النعل بالنعل ، فاثبت بالادلة انه لا صحة لهذا القول ، وساق شواهد الى ما بعد عصر المنصور لتأييد هذا الاتجاه .

اما عن موقف آل حسن من العلويين تجاه الخلافة الجديدة ، فبينت انها كانت قائمة على طلب الخلافة ، والسعي اليها بكل الطرق ، متمثلة في استمرار رفض محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم في اعلان طاعتهما وبيعتهما لابي العباس ثم المنصور بعده ، واثبت انه لا صحة لما قيل بان ابا العباس والمنصور وغيرهما من افراد البيت العباسي ، قد بايعوا للنفس الزكية في اجتماع الأبواء .

وازاء استمرار رفض النفس الزكية واخيه ابراهيم ، البيعة للمنصور ، فانه احكم الرقابة عليهما ، وشدد في طلبهما ، وحاول حل المشكلة معهما بالطرق السلمية ، واستنفذ جميع الوسائل للوصول الى هذه الغاية ، الا ان النتيجة جاءت

مخيبة للامال ، باعلانهما الثورة المسلحة ضده ، فأرسل اليهما ولي عهده عيسى بن موسى ، فقضى عليهما الواحد تلو الآخر .

أما عن الكتب والرسائل التي تبودلت بينهما ، فقد توصل الباحث الى وجود رسالة جديدة للنفس الزكية ، أطلق عليها بعض المؤرخين ، « الرسالة الدامغة » وهي المتضمنة رد النفس الزكية على رسالة الخليفة الاخيرة ، وان المنصور ومحمدا لم يوفقا في معالجة أمرَ الخلافة ، حين ادعى كل واحد منهما حقه فيها ، على اساس الوراثة .

وفي مجال تقدير سياسة المنصور تجاه ال حسن ؛ فقد رأيت ان الحق كان معه في سياسته تجاههم من ناحية ، وأوقعت اللوم عليه من ناحية اخرى . فأما في الاولى ، فكان معه كل الحق في استعمال كافة الوسائل لاخماد الثورتين ، حفاظا على ملكه منهما ، لان هدفهما كان تقويض بنيان الدولة ، وهو من واقع مسؤوليته كخليفة للمسلمين ، مسؤول عن صونها ، ورد كيد الكائدين عنها ، بكل الوسائل التي تحقق له هذا المطلب . ثم ما كان يجدر بالنفس الزكية واخيه ان يستمرا في عنادهما ، ويرفضا كافة الحلول السلمية ، ويعرضا أرواح المسلمين لما تعرضت اليه من قتل وسجن وتشريد . وكان الاولى بهما حقنا للدماء التي ذهبت هدرا ، ان يدخلا في طاعة من دخل المسلمون في طاعته .

ويلام المنصور لوما شديدا ، بخروجه عن المألوف في استعمال حقه في سياسة الشدة والقسوة ، التي اتبعها ضد ابناء عمومته من آل حسن ، الذين القى القبض عليهم ، وحملهم الى العراق بطريقة مزرية ، أقل ما يقال عنها ، انها كانت بعيدة عن الرحمة والرأفة .

وفي الحركات الفارسية ، أوضح البحث ان حركة سنباذ واسحق الترك ، كانتا ردود فعل لمقتل أبي مسلم الخراساني . وتوصل الباحث الى أمر جديد عن النهاية التي ال اليها سنباذ ، من خلال لجوئه الى خورشيد اصبهبذ طبرستان ، وموقف الاخير منه ، ومن الخليفة ، فحددت هذه العلاقة فيما بعد ، موقف

المنصور من الاصبهبذ خورشيد ، ثم الاصبهبذ قارن .

وخرجت بنتيجة ، في ان ثورة الراوندية ، لم يكن هدفها الاخذ بثأر أبي مسلم ، فبينت ان هؤلاء كانوا شيعة لبني العباس ، وانهم غالوا في تقديسهم وتأليههم ، بما يتنافى وروح الاسلام ، مما دعى المنصور لقتلهم . وكشفت عن ناحية جديدة ، توضح ان الجماعة التي ثارت منهم على المنصور ، كان يطلق عليهم « السبعية » قولهم « ان الارض سبع ، والسموات سبع ، والاسبوع سبعة ، فدل على دور الأئمة تتم بسبعة ، فعدوا ، العباس ، ثم ابنه عبدالله ، ثم ابنه علي ، ثم ابنه محمد ، ثم ابنه ابراهيم الامام ، ثم السفاح ، ثم المنصور ، فقالوا : هو السابع » .

وكان من النتائج المهمة التي ترتبت على هذه الثورة ، ان تنبه الخليفة الى افتقار هاشمية الكوفة الى المنعة والقوة ، ففكر بانشاء حاضرة جديدة ، تتوفر فيها هذه الاهداف. كما اتخذ المنصور نظام« فرس النوبة»وهي ان تعد فرس مسرجة ملجمة امام قصره دائما ، لتكون جاهزة للاستعمال عند الطوارىء . وهو أول من اتخذ ذلك ، واستمرت للخلفاء من بعده .

وفي بناء بغداد ، اثبت البحث ان المدينة المدورة ، أكبر تجربة معمارية قام بها المنصور ، وان تخطيطها بهذا الشكل ، من بنات افكاره ، وابداعه وابتكاره ، وصادر عن خياله ، ذلك انه « لما عزم على بناء مدينته ، احضر اثنين من المهندسين هما الحجاج بن ارطأة وأبو حنيفة ، واحضر معهما من أهل المعرفة ، ومثل لهم صفة المدينة التي في نفسه » ، وناقشت من ادعى ان هذا التخطيط مقتبس من الفرس ، فاثبت انه تفكير عربي خالص .

واضفت سببا جديدا في بناء المنصور لمدينته ، لا يقل اهمية عما ذكره المؤرخون ، وهو اهتمام الخلفاء المسلمين بتشييد المدن والعمائر التي تخلد اسماءهم على مر التاريخ والعصور ، ولذلك قال اليعقوبي « ان المنصور أول خليفة بنى مدينة فنزلها وهي مدينة بغداد » ويؤثر عن المتوكل قوله . حين انتقل الى مدينته المتوكلية

« الان علمت اني ملك ، اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها » .

وفي تحقيق سنة البدء في بنائها، فقد نبه الباحث على الروايات الضعيفة والمضطربة ، وكشفت عن وجود تناقضات في آراء بعض المؤرخين ، ممن له أكثر من مؤلف ، كاليعقوبي في كتابيه التاريخ والبلدان وانتهيت من مناقشة الروايات الى تاريخ الشروع في البناء ، وارجعت اختيار المنصور لموضعها ، الى جملة اسباب سياسية وعسكرية وجغرافية واقتصادية .

أما فيما يتعلق بمساحتها ومقدار النفقات عليها ، فقد ناقش البحث الروايات المختلفة الواردة فيها ، ونبه الى ان بعضها غير جدير بالقبول ، وانتهى الى اقربها صحة ، وبلغ من اعجاب المنصور بمدينته ، ان قام ببناء مدينة الرافقة على غرارها ، ورتب فيها جندا من اهل خراسان من الموالين للدولة ، اما بناء الرصافة ، فقد اثبت ان سبب بنائها للمهدي يعود لامرين ، سياسي وعسكري ، يدل عليهما ، رغبة المنصور في اعلاء مكانة ابنه بين الجماهير ، وزيادة تأمين سلامة حاضرة الدولة ، بتواجد جيشين احدهما في الرصافة تحت امرة ابنه المهدي ، والاخر ببغداد تحت قيادته ، للافادة من احدهما في حالة تمرد الثاني .

أما ولاية العهد لمن بعده ، فقد كشفت عن وجود خمسة اقوال في اكراه عيسى بن موسى بالتنازل عن حقه في ولاية العهد ، اوردها ابن الجوزي في مخطوط المنتظم ، فناقشتها ، وقارنتها بالروايات الاخرى ، وانتهيت الى ان المنصور سلط على ولي عهده عيسى من لا يرحمه من الجنود الخراسانيين فضلا عن تهديده اياه بالقتل ، فتنازل مكرها .

واثبت ان مسؤولية اكراه عيسى بالتنازل للمهدي بولاية العهد ، تقع على عاتق الخليفة نفسه ، وهو وحده يتحمل اثارها الشرعية ، فضلا عن انها احدى المثالب الثلاث البارزة في حكمه ، وكان من نتائجها ، ان سار المهدي على نهجها ، فعزل عيسى مجددا عن ولاية العهد ، وبايع لابنه الهادي . وناقشت رأي ابن خلدون في هذا الصدد ، وانتهيت الى عدم توفيقه فيما أورده .

وتوصل الباحث الى وصية المنصور السياسية الحقيقية لابنه المهدي ، واستبعد الروايات ذات الميول العلوية والعباسية ، واعتمد في تحقيق ذلك الى بعض المصادر المخطوطة الموثوقة « كمخطوط انساب الاشراف » لتعضيد صحتها ، ثم حللها ، فأشار الى اهم اركانها ، وانتهى الى ان هذه الوصية تعبر بوضوح عن خلاصة تجارب المنصور وخبراته السياسية والادارية والعسكرية ، التي اكتسبها في حياته ، وانها تعطي صورة واضحة لشخصيته ورأيه في الاحداث السياسية ، والحلول المقترحة لمواجهتها ، وبين الطريقة التي تساس بها الدولة .

اما عن السياسة الخارجية ، فقد اثبت البحث ان المنصور لم تكن لديه القوة الكافية ، والعزيمة الثابتة في انهاء حكم عبد الرحمن الداخل ، وضم الاندلس الى حضيرة الدولة العباسية ، وانما اكتفى بتقديم العضد والعون المعنوي لكل ثورة تهدف الى اسقاط الحكم القائم فيها ، لذلك فانه لم يتوان في تقديم عونه هذا ، الى العلاء اليحصبي عندما وجد فيه هذا الطموح . لكن محاولته باءت بالفشل الذريع . وبذلك خسر العباسيون لاول مرة في عهده جزاء هاما من الدولة الاسلامية المتحدة ، له ثقله ومكانته .

اما عن سياسته مع الروم ، فأهم ما أثبته البحث ، ان العباسيين اعطوا انطباعا لدى الروم البيزنطيين ، بانهم قادرون على حماية اراضيهم والدفاع عن وحدتها بقوة السلاح ، مما كان له الاثر في تقليل الاحتكاك الحربي على الحدود الاسلامية الرومية المشتركة .

وبين البحث أن الاشتباكات مع الروم طيلة عهد المنصور ، لم يكن القصد منها فتح القسطنطينية، وانما كانت لارهاب العدو ، حتى لا يطمع في البلاد الاسلامية . كما اظهر مدى اهتمام الخليفة ، ببناء مدن الثغور وتحصينها ، وبناء ما احتاج اليها من البناء ، فضلا عن انتهاجه خطة جديدة في تشجيع المقاتلة على السكن في هذه المناطق ، بان زاد من اعطياتهم بمقدار عشرة دنانير لكل مقاتل مع معونة مقدارها مائة دينار .

وتوصل البحث الى ان المنصور نجح في اختيار بعض القبائل العربية الموالية للعباسيين ، للاقامة في مرتفعات وجبال لبنان ، لمنع العصابات ، الرومية من التسلل الى الجنوب ، كما كانت تفعل زمن الدولة الاموية ، فاغنته هذه السياسة من ارسال الجيوش النظامية لهذه المنطقة ، فضلا عن انه زاد من تواجد العنصر العربي فيها .

وقد نجح المنصور في اقامة علاقات حسنة مع اهل قبرص ، حين ردهم الى صلح معاوية ، مقابل تزويده ، بمعلومات عن تحركات الاسطول البحري الرومي في المنطقة ، ومن المآخذ التي تؤخذ على المنصور في مجال سياسته هذه ، اغفاله للاسطول البحري الاسلامي ، فلم يجد هذا الاسطول اهتماما من لدنه ، او بالاحرى ان المنصور صرف النظر عن بنائه والعنايه به ، لذلك لم نعد نسمع عنه اي نشاط بحري يذكر طيلة خلافته ، على عكس نشاطه الواسع زمن الامويين .

واثبت البحث . ان الخليفة تمكن من تفتيت وحدة الترك والخزر ، وقضى على ثوراتهم التي اشعلوها في ارمينية واذربيجان وجنوب بحر الخزر .

وفي علاقة المنصور بخورشيد اصبهبذ طبرستان ، وخلفه قارن ، توصل الباحث الى تفصيلات جديدة ، كان لها اثر في القاء الضوء ، على بداية العلاقات بينهما ، وما آلت اليه هذه العلاقات من حروب . واثبت ان المنصور نجح لاول مرة في ضم بلاد طبرستان الى الدولة العباسية .

اما في بحثنا لحكومة المنصور ، فقد عالجت سياسته الادارية ، متناولا اقوال المؤرخين فيه ، فبينت صفاته وعلمه واخلاقه ، وأوضحت اثر هذه الصفات على سياسته ، وعلى احفاده من بعده . وانتهيت الى انه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وباني مجدها ، ومشيد عظمتها ، ومثبت أركانها ، وانه « كان من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم ، وذوي الاراء الصائبة فيهم والتدبيرات السديدة ، وانه فحل بني العباس ، وفاتحة لهم » وان اساس سياسته كانت تعتمد على « قاض عادل ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، وصاحب خراج

يستقصي ولا يظلم ، وصاحب بريد يكتب باخبار هؤلاء على الصحة . وانه سار على هذا النهج طيلة مدة حكمه ، ساهراً على تدبير امور دولته .

وفي النظم الادارية ، اظهر البحث ان المنصور ، كان أول من رتب المراتب من الخلفاء ، بعد بنائه مدينة بغداد . وهو أول من زاد من كفاءة البريد ، واستخدمه في اعمال التجسس ، بعد ان فصل ارتباطه من الوالي ، وجعل ارتباطه به رأسا ، فطلب من عماله ان يكونوا عيونا على الوالي والقاضي وغيرهم ، وان يكتبوا له عن اعمالهم وتصرفاتهم وعن الامور التي لها صلة بالولايات من جميع النواحي ، حتى ان ابنه المهدي لم يسلم من رقابتهم .

وقد لاحظت ان جل الولاة والعمال والقادة في عصره كانوا عربا ، سواء أكانوا من أهل بيته ، ام من غيرهم ، وانه لا صحة لما قاله بعض المؤرخين ، من انه أول من استعمل مواليه وقدمهم على العرب .

وكان من أهم السمات البارزة لهذه السياسة ، انه لا يترك الفرصة لوال من تثبيت اقدامه في الولاية ، خوفا من ان تحدثه نفسه بالاستقلال . فكان دائم التغيير لهم ، كما اتبع تجاههم سياسة الحزم ، فكان شديد المحاسبة لهم ، لا يتوانى عن عزل أي وال يشم منه رائحة في فساد الحكم ، او انصرافه عن اداء اعمال بشكل لا يحقق المصلحة العامة للدولة ورعاياها . فعزل مثلا عمه صالح بن علي ، عن قنسرين والعواصم لأنه بلغه كثرة مواليه ، وعزل ابن اخيه عبد الوهاب عن فلسطين ، لأنه عسف اهلها ، وعزل مسلم بن قتيبة عن البصرة ، لأنه ماطل في تنفيذ ما امره به ، وقد انعكست هذه السياسة ، على وصيته لابنه المهدي .

واثبت البحث ان الوزراء في ايامه ، لم يكن لهم من الأمر شيء ، لأن شخصية المنصور كانت الغالبة على الامور ، وأنه وزر له ثلاثة وزراء مدة خلافته ، وكشف البحث عن وجود تناقض للمسعودي ، في هذه المسألة ، في كتابيه مروج الذهب ، والتنبيه والاشراف ، فنبه اليها .

واثبت البحث ، في مجال سياسته المالية للدولة ، انه كان حريصا على المال : وجمعه ، لا للتلذذ به ، ولا حبا باكتنازه ، وانما كان يجمعه ويدخره باعتباره وسيلة الى القوة والنفوذ لحماية دولته ، ورد غائلة الاعداء عنها ، وليس وسيلة إلى اللهو وطلب المتعة ، ولا مدرجة للتبذير والاسراف ، ولهذا كان ينفقه في المواضع التي تستحق الانفاق ، ويمنعه في المواضع التي تستحق المنع ، وناقش البحث ، ما اتهم به من البخل ، أو من وصفه ، « بالدوانيقي » لشدة بخله . وانتهى إلى أنه لا صحة لهذا الإتهام .

وكشف البحث ، أن المنصور هو أول من قام باصلاح مهم في نظام ضرائب الارض في السواد ، فعدل بها عن نظام الخراج الى المقاسمة ، وهو ان يدفع الزارع جزءا معينا من محصوله كضريبة ، كما اجرى تعديلات على نظام دواوين الشام الخاصة بالاموال ، فأمر ان تكتب بسجلات خاصة بها . وأنه أول من أنشأ ديوان بيت المظالم ، الذي كان يودع فيه على وجه المصادرة المؤقتة أموال وممتلكات العمال والولاة ، ممن كان يشك في تلاعبهم باموال الدولة ، وانه أول من اعطى الف الف بصك الى بيت المال .

وفي مجال السياسة العسكرية ، كشف البحث عن مدى اهتمام المنصور بالجيش ، واعداده وتسليحه وتدريبه ، وتفقده واستعراضه باستمرار ، ليقف بنفسه على كفاءته واستعداده ومقدرته القتالية ، فكان من أهم استعراضاته الشهيرة لجيشه ، في سنة ١٥٧ هـ ، اذ ظهر بلباسه العسكري المعروف انذاك ، وامر اهل بيته وقواده ان يحذوا حذوه .

وكان المنصور ، أول من مشى بين يديه بالسيوف المصلتة ، والقسي ، والنشاب . وهو أول من لعب الصولجان في الاسلام . وانه زاد من مرتبات أفراد جيشه من ستين درهما في الشهر الى ثمانين درهما .

واثبت البحث ، ان المنصور تمكن بفضل قدرته وبعد نظره من ان يحفظ التوازن بين جيشه ، الذي كان مقسما الى عربي وفارسي ، فأسند قيادته الى اهل

بيته ، والى قواد من العرب ممن عرفوا بولائهم للبيت العباسي .

ولم ينس الخليفة الشرطة باعتبارها اداة مهمة لحفظ الامن الداخلي ، فاهتم بها ، واسند امرها الى اشخاص يثق باخلاصهم ، وتفانيهم في خدمة الدولة ، وحفظ الامن .

وان من ابرز السمات لحكم المنصور ، انه ترك منذ بداية عصره ، سياسة اللين والمسالمة التي سار عليها سلفه أبو العباس ، واستبدلها بسياسة الشدة والحزم ، لأنه اعتبر تلك السياسة ، وان كانت صالحة للعصر الذي سبقه ، الا انها لم تعد صالحة لزمانه ، وبذلك قلب موازين سياسة الدولة ، ونجح فيها نجاحا باهرا . وسلك في تعامله مع خصومه السياسيين ، سياسة ضرب الواحد بالآخر ، ليتخلص من احدهما ، ثم يتفرغ للآخر واستعماله سلاح العصبية في تفتيت وحدة القبائل اليمانية والربيعية ، وانه كان لا يقبل لقائد عثرة ، ولا يغفر له زلة ، مهما بلغت مكانته ، وسمت منزلته ، وانه رغم استبداده بالحكم ، فانه كان كثير المشاورة في الامور الهامة . اما فيما دون ذلك ، مما لم يكن فيه وهن حكم ، او ثلم دين ، فانه تساهل فيه الى ابعد الحدود .

وبين البحث ان هذه السياسة ، كانت الغالبة على عصره ، واوضح ان الظروف السياسية التي مرت بها الدولة ، وكثرة المتربصين بها والاعداء ، هي التي حملته على ان ينتهج مثل هذه السياسة ، فلما احكم ما اراد ، اوصى ابنه المهدي بالابتعاد عنها ، لزوال اسبابها .

وناقش البحث ، التهم الموجهة للمنصور ، والتي صورته بسفاك للدماء ، فاثبت ، انه لم يكن بهذه الصورة البشعة ، وانما كان لا يقدم على قتل أحد ، الا بالقدر الذي يحفظ ملكه من الضياع ، وفيما عدا ذلك ، كان معتدلا في معاملته .

وتوصل الباحث ، الى ان المنصور ، رغم ما سجله عليه من اخطاء ، حدد مسؤوليته فيها ، واعتبرها من الثلمات البارزة في حكمه ، فان اصلاحاته ، ودوره

العظيم في بناء الدولة ، وما اسداه لها من خدمات جليلة ، قد وضعته بحق في مصاف القادة البارزين ، الذين صنعوا التاريخ ، واثروا في حوادثه ، فخلدت ذكراهم الايام على مر العصور والأجيال .

أسأل الله تعالى ، ان يوفقنا ويثبت اقدامنا لخدمة امتنا ، وتراثها الزاخر بالبطولات والتضحيات ، انه سميع الدعاء مجيب .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

والله ولي التوفيق

* * *

الملاحق

ملحق رقم (١)

نص امان ابن هبيرة كما ورد في كتاب الامامة والسياسة

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر ، ولي أمر المسلمين ، ليزيد بن هبيرة ، ومن معه من اهل الشام والعراق ، وغيرهم في مدينة واسط وأرضها ، من المسلمين والمعاهدين ، ومن معهم من وزرائهم : اني امنتكم بأمان الله الذي لا اله الا هو ، الذي يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، واليه الامر كله ، امانا صادقا لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل ، على أنفسكم وذراريكم وأموالكم ، وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن أمنته في اعلى كتابي هذا بالوفاء ، بما جعلت من عهد الله وميثاقه ، الذي واثق به الامم الماضية من خلقه ، وأخذ عليهم به أمره عهدا خالصا مؤكدا ، وذمة الله ، وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين ، واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها ، ولا الاحتقار بها ، وبها قامت السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، واشفقن منها ، تعظيما لها ، وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم ، وذمة ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل ، وأعطيتك ما جعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين ، واهل الذمة بعد استثماري فيما جعلت لك منة عبد الله بن محمد أمير المؤمنين اعز الله نصره ، وأمر بانفاذه لكم ، ورضي به ، وجعله لكم وعلى نفسه ، وتسليم ذلك من قبله من وزرائه وقواده ، وانصار الحق من شيعته ، من

أهل خراسان ، فأنت وهم آمنون بامان الله ، ليس عليك حد ، ولا تؤاخذ بذنب أتيته ، وكنت عليه في خلاف أو مناوأة ، أو قتل أو زلة ، أو جرم أو جناية ، أو سفك دماء خطأ أو عمدا ، أو أمر سلف منك أو منهم ، صغيرا أو كبيرا في سراء أو علانية ، ولا ناقض عليك ما جعلت من أماني هذا ، ولم اخنك فيه ، ولا ناكث عنه ، واذنت لك في المقام في المدينة الشرقية الى الأجل الذي سألت ، ثم أسلك حيث بدا لك من الأرض آمنا مطمئنامكلوءاً[1] أنت ومن سألته أن يؤذن له في المسير معك ، ومن تبعك ، وأهل بيتك ، والخمس مئة رجل على ما سألت ، من دوابهم وسلاحهم ، ولباس البياض لا يخافون غدرا ولا خفارا[2] بك حيث احببت ، من بر أو بحر ، وانزل حيث شئت من الأرض الى ان تنتهي الى منزلك من ارض الشام فأنت آمن بأمان الله ممن مررت بهم من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ، ليس عليك شيء تكرهه في سرولا علانية ، ولك الله الذي لا اله الا هو ، لا ينالك من أمر تكرهه في ساعة من ساعات الليل والنهار ، ولا ادخل لك في اماني الذي ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً . ولا يكون مني في ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ؟ ولا خديعة في مشرب ولا سطعم ولا لباس ، ولا أضمر لك عليه نفسي الى أرتحالك من مدينة واسط الى دخولك على عسكري ، والغدو والرواح اذا بدا لك ، والدخول اي ساعات من ساعات الليل والنهار احببت ، فاطمئن الى ما جعلت لك من الامان ، والعهود المواثيق وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ، ورضى به ، وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك علىَّ الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم ، أشد ما اخذه الله وحرمه ، وما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه جعله كتابا مبيناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونورا وحجة على العباد ، حتى القى الله وأنا عليه ، وأنا اشهد الله وملائكته ورسله ، ومن قرىء عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق ، واقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها ،

---

(١) مكلؤا : مرعياً ملحوظاً برعاية الله وبرعايتنا .

(٢) الأخفار : نقض العهد وعدم الوفاء به .

وعلى تسليمي لك ما سألت ولا يغادر منها شيء ، ولا ينكث عليك فيها ، وأدخلت في امانك هذا جميع من قبلي من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ، ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة ، وجعلت لك أن لا ترى مني انقباضا ولا مجانبة ولا ازورار ، ولا شيئا تكرهه في دخولك علي الى مفارقتك اياي ، ولا ينال احدا معك امر يكرهه ، واذنت لك ولهم في المسير والمقام ، وجعلت لهم امانا صحيحا ، وعهدا وثيقا ، وان عبد الله بن محمد ان نقض ما جعل لكم في امانكم هذا ، فنكث او غدر بكم او خالف الى امر تكرهه ، او تابع على خلافته احدا من المخلوقين في سر او علانية ، او اضمر لك في نفسه غير ما اظهر لك ، او ادخل عليك شيئا في امانه ، وما ذكر لك من تسليم امير المؤمنين او التماس الخديعة والمكر بك ، وادخال المكروه عليك ، او نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به ، فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلا ، وهو بريء من محمد بن علي وهو يخلع امير المؤمنين ويتبرأ من طاعته ، وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذي بمكة حافيا راجلا وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء او هبة احرار لوجه الله ، وكل امرأة له طالق ثلاثا ، وكل ما يملكه من ذهب او فضة او متاع او دابة او غير ذلك ، فهو صدقة على المساكين ، وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيها وكد وجعل على نفسه في هذه الإيمان راع وكفيل ، وكفى بالله شهيداً » .

* * * *

---

(٣) ابن قتيبة : ٢ / ١٢٦ وما بعدها .

ملحق رقم (٢)

نص أمان المنصور لعمه عبد الله بن علي ، كما ذكره الازدي عن أبي الحسن المدائني[١]

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس خليفة الله على من ولاه امره من المسلمين والمعاهدين لعبد الله ابن علي ابن عبد الله بن العباس انه قد أمنه واخلص له في ذلك النية ، وأشهد الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي بيده نواصي الأيام ، وهو يسمع جرس الكلام ، وعلمه فيما مضى كعلمه فيما بقي منها ، وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ومن يحف بالعرش والكروبين من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وعباده الصالحين ، وجعل له ـ فيما آمنه به عليه ـ عهد الله ، اعزه وأمنعه وأقدره وأرحمه ، وذمته التي لا يستحل المسلمون اخفارها ولا نقضها ولا اهمالها ، بها حقنت الدماء ، وبها قامت السموات والأرض ان تزولا ، ومن شدتها استكرهتها السماوات فصدفت عنها ، واستثقلتها الأرضون والجبال ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها ، وذمة المصطفى المنتخب المرتضى النبي الامي صلى الله عليه وسلم ، وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل ، وذمة ملك الموت ومن حف بالعرش من الملائكة والكروبين ، وذمة الخليل ابراهيم ، وذمة موسى وهارون ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم ، وذمة اسماعيل واسحاق ويعقوب ، وذمة خلفائه الباقين واسلافه الطيبين الماضيين ، وعاهد الله فيما ابتدأ به من ذلك ، وأعطاه عهداً مسؤولاً يلقى الله عليه غير خافر ولا ناقض ولا ناكث ثم جعل ـ بعد هذه العهود والذمم ـ حرم ما أدعم الله به خليفته وسدد به الدين الذي فضله فيما جعله في الأرض هدى للمسلمين وتبيانا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم اماما ومنبها ولنفسه به عليهم الحجة فيما عظم من ذلك ، ثم قبل هذه الايمان كلها

(١) تاريخ الموصل ٢/١٦٧ ـ ١٧٠ .

بحقوقها وحرمتها وتوكيدها وعظمها وثبوتها ومعرفتها واذاعتها في البلدان والخلق والإسلام والأفاق ، واذن له في القدوم عليه آمنا مطمئنا محفوظا مستوراً مكنوفاً من آفته وغشه وامره ونهيه ، بريئا مما يعتد به احد من خلق الله على احد بذنب او جرم او زلة او غيره او سقطة جليلة او حقيرة فيما مضى ، ولا بتهمة ، ولا بعلاقة فيما بقى ، وأمن له المسالك كلها من البصرة وما بعدها الى مدينة السلام الهاشمية وغيرها وما قبلها الى حيث تجري كتبه ، وينفذ امره من اهل الاسلام والمعاهدين واهل كل ملة وقبلة ، وجوز له ركوب السفن ومسالك البحور على ما اراد ، مؤمن من غشها ومكرها ، واذن له في النزول حيث احب من مدينة السلام الهاشمية وغيرها في الدور والزواريق والفساطيط والمنازل ، وحيث شاء ، امينه منها على ما امنه في اعلى كتابه ، وجعل له الا يسعى احد من خلق الله الى مكانه ومستقره وموضعه ومضجعه ومبيته ومقيله ، وحال خلوته وغير خلوته ، نائما ومنتبها وقائما وقاعدا بشيء مما يتخذه الادميون بحديدة ولا بشيء مما اطلعه الله عز وجل من نبات الأرض ولا وجهها من صخرة ولا مدرة ، ولا شيء مما يدفع به المحاربون عن أنفسهم ولا حار ، ولا تهدم ولا تبار ، ولا شيء يراد به الغش والنقـص ، وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله وكتبه على ما عاهد عليه وعقد واعطى من ذلك ، وجعل له الا يرى من مجالسته احتشاما ولا انقباضا ولا مباينة ولا ازورارا ، ولا ينقبض عن طعامه وشرابه ودهنه وعطره ولباسه وفراشه ، كل هذا بعدا من الذل والهوان والمكروه والتنقص والغيبة وسواء ذلك مما يتبعه ، فان لم يف عبد الله بن محمد امير المؤمنين بما اعطاه لله او نقض او خفر او نكث او غدر او خالف او هم او اضمر او جاوز الى غير ذلك مما جعل له ، او نوى قبل كتابه هذا امرا يبدو منه بأس ، فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلا وهو بريء من محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ، ويشهد الله ومن خلق واحاط به علمه وقدرته من الجن والانس ومن هو في السموات السبع والأرضين وما بينهما ، وكل شيء قال الله عز وجل« كن فكان » ويعلمه الله وخفي على العباد ، بريء من الله ورسله وملائكته وكتبه ، وما نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام بأذن الله عز وجل على رسوله

صلى الله عليه وسلم زور وبهتان ، وكفر بما انزل على ابراهيم واسماعيل وعيسى وموسى عليهم السلام ، ويقول مثل ما قالت اليهود « عزيرا بن الله » وقالت النصارى « المسيح ابن الله »[٢] مصر عليه معترف به ، يقبضه الله على ذلك ، ويحاسبه عليه ويسائله عنه حتى يخرج اليه منه ، والله عليه ثلاثون حجة يمشيها من مدينة السلام الهاشمية بالكوفة وأرض العراق الى بيته الحرام الذي بمكة حافيا راجلا ، حتى يستلم الحجر الأسود ولا يأجره الله على ذلك ، والله عليه بعد ذلك ثلاثون عمرة يأتي بها من اقاصي البلاد الى بيت الله الحرام الذي بمكة يوفيهن الله عز وجل عمرة عمرة وحجة حجة بمناسكها كما افترض الله عز وجل عليه فيهن ، وكل مال يملك من رقيق وثياب ومتاع وآنية ودابة وعقاره ـ فيما هو له او يلجئه غيره ـ صدقة على المساكين من القواصي في مشارق الأرض ومغاربها ، وكل مملوك او امة يملك رقابهم او صدقة او هبة او هدية او ميراث من جميع الاجناس احرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة له طالق ثلاثا محرمات ، طلاق الحرج وخلع الاسلام وسائر الأديان ، والمسلمون عامة من الاجماع مما في اعناقهم من بيعته في حل وسعة ، ومما اتخذ عليهم فيها من الإيمان بـراء ، لا يسعهم غيره ، وقد احل في هذه الايمان جيوش المسلمين وقوادهم وسراياهم وابطالهم ، ويسأل اهل الاسلام والبلاد ووجوه الامصار وغيرهم ممن يصلي للقبلة في بر او بحر او سهل او جبل في مشارق الأرض ومغاربها حيث كان منهم كائن ، وقلدهم توكيدها والقيام بها بأمان الله ما يكونون هم وأباؤ هم وابناؤ هم واهاليهم فيها بمنزلة واحدة ، والله عليه وعليهم بذلك راع كفيل ، وكفى بالله شهيداً .

---

(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .

ملحق رقم (٣)

نص رسالة الصحابة[١] التي كتبها ابن المقفع للخليفة المنصور

« أما بعد . اصلح الله أمير المؤمنين ، واتم عليه النعمة ، والبسه المعافاة والصحة . فان امير المؤمنين ـ حفظه الله ـ يجمع مع علمه ، المسألة والاستماع ، كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم ، العجب والاستغناء ، ويستوثق لنفسه بالحجة ، ويتخذها على رعيته فيما يلطف له من الفحص عن امورهم كما كان اولئك يكتفون بالدعة ويرضون بدحوض الحجة ، وانقطاع العذر في الامتناع ، ان يجتري عليهم احد برأي او خبر ، مع تسلط الديان .

وقد عصم الله امير المؤمنين ، حين اهلك عدوه ، وشفى غليله ، ومكن له في الأرض ، واتاه ملكها ، وخزائنها ، من أن يشغل نفسه بالتمنع والتفيّش[٢] ، والتأثل والاتلاد[٣] ، وان يرضى مما آوى بالمتاع به ، وقضاء حاجة النفس منه ، واكرم الله امير المؤمنين باستهانة ذلك واستصغاره اياه ، وذلك من أبين علامات السعادة ، وانجح الاعوان على الخير . وقد قص الله عز وجل علينا من نبأ يوسف ابن يعقوب ، انه لما تمت نعمة الله عليه ، وآتاه الملك وعلمه من تأويل الاحاديث ،

---

(١) ابن طيفور : مخطوط كتاب المنثور والمنظوم . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٨١ قسم علم الأدب جـ ١٣ .
وانظر : كرد على : رسائل البلغاء ، طبعة القاهرة الطبعة الثالث ١٩٤٦ م . احمد زكي : جمهرة رسائل العرب في عصور العربية المتجخرة مصر ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٧ م .
وقد وهم الدكتور علي حسني الخربوطلي ـ في كتابه رسالة الصحابة لابن المقنع المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٧٢ م ـ حين قال : « هناك طبعتان لهذه الرسالة ، الاولى في رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، والثانية فقد وفقنا الله عز وجل في الوصول اليها . . في مجلة المقتبس جـ ٤ م ٣ عدد ربيع الاول سنة ١٩٠٨ م ، وقد رجعت المجلة الى المنبع الاصلي دون الاعتماد على كتاب رسائل البلغاء . . أما المنبع فهو : المنظوم والمنثور لابن طيفور . أ . هـ » وقد فات على الدكتور الخربوطلي أن يقرأ مقدمة الطبعة الاولى من كتاب رسائل البلغاء سنة ١٩٠٨ ، حيث يذكر صاحبه محمد كرد علي بانه عثر على رسائل هذين الامامين ـ ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ـ في قسم المجاميع عدد ١١٩ بدار الكتب ، فنشرها في مجلة المقتبس . فيكون بهذا ، أن الناشر في مجلة المقتبس هو نفسه الاستاذ محمد كرد علي ناشر كتاب رسائل البلغاء ، لا كما يذكر الخربوطلي .

(٢) التفيش : الكبر والادلال . يقال فاش الرجل اذا افتخر .

(٣) التأثل : جمع المال واكتسابه ، واتلاده : تنميته .

وجمع له شمله ، وأقر عينه بأبويه واخوته ، اثنى على الله عز وجل بنعمته ، ثم سلا عما كان فيه ، وعرف ان الموت وما بعده هو أولى ، فقال : توفني مسلما والحقني بالصالحين .

وفي الذي قد عرفنا من طريقة امير المؤمنين وما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخير فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره ، وبالتذكير بما قد انتهى اليه ، ولا يزيد صاحب الرأي على أن يكون مخبراً او مذكراً ، وكل عند امير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد ذوي الالباب نشاطا الى اعمال الرأي ، فيما يصلح الله به الامة في يومها او غابر دهرها ، الذي اصبحوا قد طمعوا فيه . ولعل ذلك ان يكون على يدي امير المؤمنين ، فان مع الطمع الجد ، ومع اليأس القعود . وقلما ضعف الرجاء ، الا ذهب الرخاء . وطلب المؤيّس[٤] عجز ، وطلب الطامع حزم ، ولم ندرك الناس ممن ولا اباؤنا الا وهم يرون فيها خلالا تقطع الرأي وتمسك بالافواه ، من حال وال لم يهمه الاصلاح ، او اهمه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأي ، او كان ذا رأي وليس معه رأيه صول بصرامة او حزم ، او كان ذلك استئثارا منه على الناس بنشب ، او قلة تقدم لما يجمع او يقسّم ، او حال اعوان يبتلي بهم الولاة ليسوا على الخير باعوان ، وليس له الى اقتلاعهم سبيل ، لمكانهم من الأمر ، ومخافة الدول والفساد ان هو هاجهم او انتقص ما في ايديهم ، او حال رعية متزرة ليس من امرها النصف في نفسها ، فان اخذت بالشدة حميت ، وان أخذت باللين طغت .

وكل هذه الخلائق قد طهر الله منها امير المؤمنين فاتاه ما آتاه في نيته ومقدرته وعزمه ، ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منهم جهالهم فضلا عن علمائهم . وصنع الله لأمير المؤمنين الطف الصنع في اقتلاع من كان يشركه في امره على غير طريقته ورأيه ، حتى اراحه الله وآمنه منهم ، بما جعلوا من الحجة والسبيل على انفسهم ، وما قوى الله عليه امير المؤمنين في رأيه واتباعه مرضاته ،

---

(٤) المؤيس : اسم مفعول من آيسته اذا جعلته يقنط .

وأذل الله لأمير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعفو ، فان لان لأحد منهم ففي الالحان[٥] له شهيد ، على ان ذلك ليس بعنف ولا خرق ، مع امور سوى ذلك نكف عن ذكرها ، كراهة ان نكون كانا نصبنا للمدح . فما اخلق هذه الأشياء ان تكون عتادا لكل جسيم من الخير في الدنيا والآخرة ، واليوم والغد ، والخاصة والعامة ، وما ارجانا لأن يكون امير المؤمنين بما يصلح الله الأمة من بعده اشد اهتماما من بعض الولاة بما يصلح رعيته في سلطانه ، وما اشد ما قد استبان لنا ان امير المؤمنين اطول بأمر الأمة عناية ، ولها نظرا وتقديرا ، من الرجل منا بخاصة أهله ، ففي دون هذا ما يثبت الأمل ، وينشط للعمل ولا قوة الا بالله ، ولله الحمد ، وعلى الله التمام .

فمن الامور التي يذكّر بها امير المؤمنين ، امتع الله به ، امر هذا الجند من اهل خراسان ، فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام ، وفيهم صفة بها يتم فضلهم ان شاء الله ، اما هم فأهل بصر بالطاعة ، وفضل عند الناس ، وعفاف نفوس وفروج ، وكف عن الفساد ، وذل للولاة . فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم . واما ما يحتاجون فيه الى النفعة ، من ذلك تقويم ايديهم ورأيهم وكلامهم ، فان في ذلك القوم اخلاطا من رأس مفرط غال ، وتابع متحير شاك . ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة على الرأي والقول والسيرة ، فهو كراكب الاسد الذي يؤجل من رآه ، والراكب اشد وجلا ، فلو ان امير المؤمنين كتب امانا معروفا بليغا وجيزا محيطا لكل شيء يجب ان يعملوا فيه او يكف عنه ، بالغا في الحجة قاصدا على الغلو ، يحفظه رؤساؤهم ، حتى يقودوا به دهماءهم ويتعهدوا به منهم من دونهم من عرض الناس لكان ذلك ان شاء الله لرأيهم صلاحا ، وعلى من سواهم حجة ، وعند الله عذرا ، فان كثيرا من المتكلمين من قواد امير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم ، فيما يأمر الآمر ويزعم الزاعم ان امير المؤمنين لو امر الجبال ان تسير سارت ، ولو امر أن تستدبر القبلة

---

(٥) الالحان : الافهام .

بالصلاة فعل ذلك . وهذا كلام قل ان يسمعه ممن كان مخالفا ، وقلما يرد في سمع السامع الا احدث في قلبه ريبة وشك .

والذي يقول اهل القصد من المسلمين هو اقوى للأمر ، واعز للسلطان ، واقمع للمخالف ، وارضى للموافق ، واثبت للعذر عند الله عز وجل .

فانا قد سمعنا فريقا من الناس يقولون : لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ، بنوا قولهم هذا بناء معوجّا ، فقالوا : ان أمرنا الامام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى ، وان أمرنا الامام بطاعة الله فهو اهل ان يطاع ، فاذا كان الامام يعصى في المعصية ، وكان غير الامام يطاع في الطاعة ، فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواه . وهذا قول معلوم يجده الشيطان ذريعة الى خلع الطاعة والذي فيه امنيته ، لكي يكون الناس نظائر ، ولا يقوم بأمرهم امام ، ولا يكون على عدوهم منهم ثقل .

وسمعنا آخرين يقولون : بل نطيع الأئمة في كل امورنا ، ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته ، ولا يكون احد منا عليهم حسيبا ، هم ولاة الأمر . واهل العلم ، ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم .

وليس هذا القول بأقل ضررا في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول الذي قبله ، لأنه ينتهي الى الفظيع المتفاحش من الأمر ، في استحلال معصية الله جهاراً صراحاً .

وقال أهل الفضل والصواب : قد اصاب الذين قالوا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولم يصيبوا في تعطيلهم طاعة الأئمة وتسخيفهم اياها . وأصاب الذين أقروا بطاعة الأئمة لما حققوا منها ، ولم يصيبوا فيما ابهموا من ذلك في الامور كلها .

فاما اقرارنا بأنه لا يطاع الامام في معصية الله ، فان ذلك من عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليهم سلطانا ، ولو أن الامام نهى عن

الصلاة والصيام والحج ، او منع الحدود واباح ما حرم الله ، لم يكن له في ذلك الامر .

فاما اثباتنا للامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره، فان ذلك في الرأي والتدير والامر الذي جعل الله ازمته وعراه بايدي الائمة ، ليس لاحد فيه امر ولا طاعة ، من الغزو والقفول ، والجمع والقسم ، والاستعمال والعزل ، والحكم بالرأي ، فيما لم يكن فيه أثر ، وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومحاربة العدو ومهادنته ، والاخذ للمسلمين والاعطاء عنهم ، وهذه الامور كلها واشباهها من طاعة الله عزوجل الواجبة ، وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ، ومن عصى الامام فيها او خذله فقد اوتغ نفسه .

وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عزوجل ، وذلك أن الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين : الدين والعقل ، ولم تكن عقولهم ـ وان كانت نعمة اللهعزوجل عظمت عليهم فيهاـ بالغة معرفة الهدى ، ولا مبلغة اهلها رضوان الله ،! الا ما أكمل لهم النعمة بالدين الذي شرع لهم ، وشرح به صدر من أراد هداه منهم . ثم لو ان الدين جاء من الله ، لم يغادر حرفامن الاحكام والرأي والامر وجميع ما هو وارد على الناس وحادث فيهم ، مذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه ، الا جاء فيه بعزيمة ، لكانوا قد كلفوا غير وسعهم ، فضيّق عليهم في دينهم ، واتاهم ما لـم تتسع اسماعهم لاستماعه ، ولا قلوبهم لفهمه ، ولحارت عقولهم والبابهم التي امتن الله بهم عليهم، ولكانت لغوا لا يحتاجون إليـها في شيء ، ولا يعملونها إلا في امر قد اتاهم به تنزيل ، ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأيهم كما قال عباد الله المتقون : « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

ثم جعل ما سوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأي ، وجعل الرأي الى ولاة الامر ، ليس للناس في ذلك الامر شيء الا الاشارة عند المشورة ، والاجابةعند الدعوة ، والنصحية بظهر الغيب .

ولا يستحق الوالي هذه الطاعة إلا بإقامة العزائم والسنن ما هو في معنى ذلك . ثم ليس من وجوه القول وجه يلتمس فيه اثبات فضل اهل بيت امير المؤمنين ، على اهل كل بيت ، وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره ، الا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف ما هو ابلغ مما يغلو فيه الغالون ، فان الحجة ، ثابتة والامر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند الا يولى احدا منهم شيئا من الخراج ، فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة . ولم يزل الناس يتحامون ذلك منهم وينحّونه عنهم، لانهم اهل دالة ودعوى بلاء ، واذا كانوا جُلابا للدراهم والدنانير اجترؤوا عليهما . واذا وقعوا في الخيانة صار كل امرهم مدخولا نصيحتهم وطاعتهم ، فان حيل بينهم وبين وضعه اخرجتهم الحمية . مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وحقرية وهوان ، وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف .

ومما ينظر فيه من امرهم ان منهم من المجهولين من هو افضل من بعض قادتهم فلو التمسوا وصنعوا كانوا عدة وقوة ، وكان ذلك صلاحا لمن فوقهم من القادة ، ومن دونهم من العامة .

ومن ذلك تعهد ادبهم في تعلم الكتاب ، والتفقه في السنة ، والامانة والعصبة والمباينة لاهل الهوى ، وان يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب رأي المترفين وشكلهم مثل الذي يأخذ به امير المؤمنين في امر نفسه، ولا يزال يطلع عليه من امير المؤمنين ويخرج منه من القول ، مما يعرف به مقته للاتراف والاسراف وأهلهما ، ومحبته القصد والتواضع من اخذ بهما ، حتى يعلموا ان معروف امير المؤمنين محظور عمن يكنزه بخلا ، او ينفقه سرفا ، في العطر واللباس والمغالاة بالنساء والمراتب ، وان امير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهته المعروف والمواساة .

ومن ذلك امر أرزاقهم ، ان يوقّت لهم امير المؤمنين وقتا يعرفونه في كل ثلاثة اشهر او اربعة او ما بدا له ، وان يعلم عامتهم العذر الذي في ذلك ، من اقامة ديوانهم وجمل اسمائهم ، ويعلموا الوقت الذي يأخذون فيه ، فينقطع

الاستبطاء والشكوى ، فان الكلمة الواحدة تخرج من احدهم في ذلك اهل ان تستعظم ، وان باب ذلك جدير ان يحسم . مع ان امير المؤمنين قد علم كثرة أرزاقهم ، وكثرة المال الذي يخرج لهم ، وان هذا الخراج ان يكن رائجا لغلاء السعر ، فانه لا بد من الكساد والكسر ، وان لكل شيء درّه وغزاره ، وانما درور خراج العراق بارتفاع الاسعار . وانما يحتاج الجند اليوم الى ما يحتاجون اليه من كثرة الرزق لغلاء السعر ، فمن حسن التقدير ان شاء الله الا يدخل على الارض ضرر ، ولا بيت المال نقصان من قبل الرحمن الا دخل ذلك عليهم في ارزاقهم . مع أنه ليس عليهم في ذلك نقصان ، لأنهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير . فأقول لو أمير المؤمنين خلى شيئاً من الرزق فيجعل بعضه طعاماً ، ويجعل بعضه علفاً ، وأعطوه باعيانه ، فان قوّمت لهم قيمته فخرج ما خرج على حسابه قيمة الطعام والعلف ، لم يكن في ارزاقهم لذلك نقصان عاجل يستنكرونه ، وكان ذلك مدرجة لثباتهم في نزالهم على العدو ، وإنصاف بيت المال من أنفسهم فيما يستبطئون ، مع أنه إن زاد السعر أخذوا بحصتهم من فضل ذلك .

ومن جماع الامر وقوامه ، باذن الله ، ان لا يخفى على امير المؤمنين شيء من اخبارهم وحالاتهم وباطن امرهم بخراسان والعسكر والاطراف ، وان يحتقر في ذلك النفقة ، ولا يستعين فيه الا بالثقات النّصاح ، فان ترك ذلك واشباهه احزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير مغبته للجهالة والكذب .

ومما يذكر به أمير المؤمنين ، امتع الله به أمر هذين المصريين[٦] فإنهم بعد اهل خراسان اقرب الناس الى ان يكونوا شيعته وحقيبته ، مع اختلاطهم باهل خراسان وانهم منهم عامتهم ، وانما ينظر أمير المؤمنين منهم . . . [٧] ، صدق ، ولرابطتهم . وما اراد من امورهم معرفته استعان اهل خراسان على ذلك من

---

(٦) يعني البصرة والكوفة .

(٧) بياض في الاصل .

أمرهم ، مع الذي في ذلك من خبال [٨] الامر واختلاط الناس بالناس ، العرب بالعجم ، واهل خراسان بالمصرين .

ان في اهل العراق يا امير المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسنة شيئا لا يكاد يشك انه ليس في جميع من سواهم من أهل القبلة مثله ولا مثل نصفه ، فلو أراد أمير المؤمنين أن يكتفي في جميع ما يلتمس له بأهل (هذه) الطبقة من الناس رجونا ان يكون ذلك فيهم موجودا . وقد أزرى باهل العراق في تلك الطبقة ان ولاة العراق فيما مضى كانوا اشرار الولاة ، وان اعوانهم من اهل امصارهم (كانوا كذلك) ، فحمل جميع اهل العراق على ما ظهر من اولئك الفسول ، وتعلق بذلك اعداؤ هم من اهل الشام فنعوه عليهم ، ثم كانت هذه الدولة ، فلم يتعلق بن دونكم من الوزراء والعمال الا بالاقرب فالاقرب ممن دنا منهم ، أو وجدوه بسبيل شيء من الامر ، فوقع رجال مواقع شائنة لجميع اهل العراق حيثما وقعوا من صحابة الخليفة ، او ولاية عمل ، او موضع امانة ، أو سوطن جهاد . وكان من راى اهل الفضل ان يقصدوا حيث يلتمسون فابطأ ذلك بهم ان يعرفوا وينتفع بهم ، وان كان صاحب السلطان ممن لم يعرف الناس قبل ان يليهم ، ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ويستثبت في استقصائهم ، زالت الامور عن مراكزها ، ونزلت الرجال عن منازلها، لان الناس لا يلقونه الا متصنعين باحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام . غير ان اهل هذا النقص هم أشد تصنعا واحلى السنة ، وارفق تلطفا للوزراء او تمحلا لان يثنى عليهم من وراء وراء . فاذا آثر الوالي ان يستخلص رجلا واحدا ممن ليس لذلك اهلا دعا الى نفسه جمع ذلك الشرج[٩] ، واطمعوا فيه ، واجترؤ وا عليه ، وتواردوه وتزاحموا على ما عنده . واذا رأى ذلك اهل الفضل كفوا عنه ، وباعدوا منه ، كرهوا ان يروا في غير موضعهم ، او يزاحموا غير نظرائهم .

---

(٨) خبال الامر : اضطرابه واختلاطه . في الاصل جمال ولعلها محرفة .

(٩) الشرج : المثل والنوع .

ومما ينظر امير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها امرا عظيما في الدماء والفروج والاموال ، فيستحل الدم والفرج بالحيرة ، وهما يحرمان بالكوفة ، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة ، فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية اخرى . غير أنه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم ، يقضي به قضاء جائز امرهم وحكمهم . مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق ، واهل الحجاز فريق الا قد لج بهم العجب بما في ايدهم ، والاستخفاف بمن سواهم ، فأقحمهم ذلك في الامور التي يتبيغ بها[١٠] من سمعها من ذوي الألباب .

اما من يدعى لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس سنة سنة ، حتى يبلغ ذلك به الى ان يسفك الدم بغير بينة ولا حجة على الامر الذي يزعم انه سنة ، واذا سئل عن ذلك لم يستطع ان يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او أئمة الهدى من بعده ، واذا قيل له : اي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون ؟ قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان او أميرمن بعض اولئك الامراء . وانما يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام على رأيه أن يقول في الامر الجسيم من امر المسلمين قولا لا يوافقه عليه احد من المسلمين ، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وامضائه الحكم عليه وهو مقر أنه رأى منه لا يحتج بكتاب ولا سنة . فلو رأى أمير المؤمنين ان يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترجع اليه في كتاب ، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس ، ثم نظر في ذلك امير المؤمنين وامضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ، ويعزم عليه عزما وينهى عن القضاء بخلافه ، وكتب بذلك كتابا جامعا ، لرجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا ، لرجونا ان يكون اجتماع السير قرينة لاجماع الامر برأي

---

(١٠) يتبيغ بها : يهيج .

(أمير)[١١] المؤمنين وعلى لسانه ، ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر ان شاء الله .

فاما اختلاف الاحكام ، اما شيء مأثور عن السلف غير مجمع عليه ، يدبره قوم على وجه ويدبره آخرون على وجه آخر ، فينظر فيه الى أحق الفريقين بالتصديق ، واشبه الأمرين بالعدل ، وأما رأي أجراه أهله على القياس فاختلف وانتشر ، بغلط في اصل المقايسة ، وابتداء امر على غير مثاله ، واما لطول ملازمته القياس ، فان من اراد ان يلزم القياس ولا يفارقه ابدا في امر الدين والحكم ، وقع في الورطات ، ومضى على الشبهات ، وغمض على القبيح الذي يعرفه ويبصره ، فأبى ان يتركه كراهة ترك القياس وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن ، فاذا كان ما يقود اليه حسنا معروفا اخذ به ، واذا قاد الى القبيح المستنكر ترك ، لان المبتغى ليس عين القياس يبغى ولكن محاسن الامور ومعروفها ما الحق الحق باهله ، ولو أن شيئا مستقيما على الناس ومنقاداً حيث قيد لكان الصدق هو دلك ، ولا يعتبر بالمقاييس ، فانه لو أراد ان يقوده الصدق لم ينقذ له ، وذلك ان رجلا لو قال : اتأمرني ان اصدق فلا أكذب كذبة أبدا ؟ لكان جوابه ان تقول : نعم ، ثم لو التمس منه قود ذلك ، فقال : أأصدق في كذا وكذا ؟ حتى تبلغ به ان يقول الصدق في رجل هارب استدله عليه طالب ليظلمه فيقتله ، لكسر عليه قياده ، وكان الرأي له ان يترك ذلك وينصرف الى المجمع عليه المعروف المستحسن .

ومما يذكر به امير المؤمنين اهل الشام ، فانهم اشد الناس مؤنة واخوفهم عدواة وبائقة ، وليس يؤاخذهم امير المؤمنين بالعدواة ، ولا يطمع منهم في الاستجماع على المودة . فمن الرأي في امرهم ان يختص امير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحا او يعرف منه نصيحة او وفاء ، فان اولئك لا يلبثون ان ينفصلوا عن اصحابهم في الرأي والهوى ، ويدخلوا فيما حملوا عليه من أمرهم ،

(١١) ساقطة في الأصل .

فقد رأينا اشباه اولئك من اهل العزاق الذين استدخلهم اهل الشام . « ولكن اخذ في امر اهل الشام »[١٢] على القصاص حرموا كما كانوا يحرمون الناس ، وجعل فيئهم الى غيرهم كما كان فيئ غيرهم اليهم ، ونحوا عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينحوّن عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع ، ومنعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس أن ينالوا معهم آكلة من الطعام الذي يصنعه امراؤ هم للعامة .

فان رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما اشبهها ، فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط ، كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم ، فيجعل ما خرج من كور الشام فضلا من النفقات ، وما خرج من مصر فضلا من [١٣] حقوق اهل المدينة ومكة ، بان يجعل امير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم ، أو يزيد او ينقص ، غير أنه يأخذ القوة والغناء بخفة[١٤] المؤ نة والخفة في الطاعة ، ولا يفضل احدا منهم على احد الا على خاصة مغلومة ، ويكون الديوان كالغرض المستأنف ، ويأمر لكل جند من اجناد الشام بعدة من العيالة[١٥] يقترعون عليها ، ويسوى بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيما مان من عيالتهم[١٦] ، فلا يضيع احد من المسلمين . واما ما يتخوف المتخوفون من نزواتهم ، فلعمري لئن اخذوا بالحق - ولم يؤخذوا به - انهم لخلقاء الا تكون لهم نزوات ونزقات ، ولكنا على مثل اليقين ، بحمد الله ،من انهم لم يشغلوا[١٧] بذلك الا أنفسهم وان الدائرة لأمير المؤمنين عليهم آخر الدهر إن شاء الله . فإنه لم يخرج الملك من قوم إلا بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ، ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم وتدويخهم .

---

(١٢) في الاصل : وليس احدا في امر اهل السلم .
(١٣) في الاصل : فضلا عما .
(١٤) في الاصل : وخفة .
(١٥) في الاصل : العيال . والعيالة اي الكفاية والمؤ ن .
(١٦) في الاصل : فيمن مات من عيالاتهم . والمعنى هو ان يسوى بينهم فيما يكفيهم ويعولهم .
(١٧) في الاصل : يشركوا .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر اصحابه فان من أولى أمر الوالي بالتثبّت والتخير، امر اصحابه الذين هم بهاء فنائه، وزينة مجلسة، والسنة رعيته، والاعوان على رأيه، ومواضع كرامته، والخاصة من عامته. فان امر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزراء والكتاب مثل خلافة أمير المؤمنين عملاً قبيحا مفرط القبح، مفسدا للحسب والادب والسياسة، داعيا للاشرار، طاردا للاخيار، فصارت صحبة الخليفة امرا سخيفا فطمع فيه الاوغاد، وتزهد اليه من كان يرغب فيما دونه، حتى اذا لقينا [18] ابا العباس، رحمة الله عليه، وكنت في ناس من صلحاء اهل البصرة ووجوههم، فكنت في عصابة منهم أبوا ان يأتوه، فمنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيارا للمعصية على سوء الموضع، لا يعتذرون في ذلك الا بضياع المكتب والدعوة والمدخل، يقولون: هذه منزلة كان من هو أشرف من ابنائنا يرغبون فيما هو دونها عند من هو اصغر من امراء ولاتنا اليوم، ولكنها قد كانت مكرمة وحسبا، اذ الناس ينظرون ريسأل عنهم. فاما اليوم، ونحن نرى فلانا وفلانا ينفر باسمائهم، على غير قديم سلف، ولا بلاء حدث، فمن يرغب فينا ها هنا يا أمير المؤمنين أكرمك الله. الا أن[19] يصير العدل كله إلى تقوى الله عزّ وجل، وانزل الأمور منازلها، فإن الأول قال:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال:

هم سوّدوا نصرا وكل قبيلة * يبين عن احلامها من يسودا

وأمر امر هذه الصحابة قد كان فيه اعاجيب دخلت فيها مظالم. اما العجب، فقد سمعنا من الناس من يقول: ما رأينا اعجوبة قط اعجب من هذه

---

(١٨) في الاصل: التقينا.

(١٩) في الاصل: أما.

الصحابة ، ممن لا ينتهي الى أدب ذي نباهة ، ولا حسب معروف ، ثم هو مسخوط الرأي ، مشهور بالفجور في اهل مصره ، قد غبر عامة دهره صانعا يعمل بيده ، ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغ ، فانتهى[٢٠] الى حيث أحب ، فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من ابناء المهاجرين والانصار ، وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوتات العرب . ويجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيرهم من سروات قريش ، ويخرج له من المعونة على نحو ذلك . لم يضعه بهذا الموضوع رعاية رحم ، ولا فقه في الدين ، ولا بلاء في مجاهدة عدو معروفة ماضية شائعة[٢١] قديمة ، ولا غناء حديث ، ولا حاجة اليه في شيء من الاشياء ، ولا عدة يستعد بها ، وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة ، الا انه خدم كاتبا او حاجبا ، فاخبره ان الدين لا يقوم الا به ، حتى كتب كيف شاء ، ودخل حيث شاء .

وأما المظلمة التي دخلت في ذلك فعظيمة ، وقد خصت قريشا ، وعمت كثيرا من الناس ، وادخلت على الاحساب والمروآت محنة شديدة وضياعاً كثيراً ، فان في اذن الخليفة في المدخل عليه والمجلس عنده ، وما يجري على صحابته من الرزق والمعونة ، وتفضيل بعضهم على بعض في ذلك حكما عظيما على الناس في انسابهم واخطارهم وبلاء أهل البلاء منهم . وليس ذلك كخواص المعروف ولطيف المنازل أو الأعمال يختص بها من المولى من أحب ، ولكنه باب من القضاء جسيم عام ، ويقضي فيه للماضين من أهل السوابق ، والباقين من أهل المآثر ،[٢٢] وأهل البلاء والغناء ، بالعدل أو بما يخال فيه عليهم ، فإن أحق المظالم ، بتعجيل الرفع والتغيير ما كان ضده عائبا ، وكان للسلطان شائنا ، ثم لم يكن في رفعة مؤنة ولا شغب ولا توغير لصدور عامة ، ولا للقسوة[٢٣] والاضرار سبب .

---

(٢٠) في الاصل : فاحتوى .

(٢١) في الاصل : متتابعة .

(٢٢) في الاصل : والمآثر من اهل الباقين .

(٢٣) في الاصل : القوة .

ولصحابة امير المؤمنين ـ اكرمه الله ـ مزية وفضل ، وهي مكرمة سنية، حرية ان تكون شرفا لاهلها ، وحسبا لاعقابهم ، وحقيقة ان تصان وتحظر ، ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال ، او رجل له عند امير المؤمنين خاصة بقرابة أو بلاء ؛ أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله اهلا لمجلس امير المؤمنين وحديثه، ومشورته ، أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعد لها ، يجمع مع نجدته حسبا وعفافا ، فيرفع من الجند الى الصحابة ، او رجل فقيه مصلح يوضع بين اظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه ، أو رجل شريف لا يفسد نفسه او غيرها ، فأما من يتوسل بالشفاعات ، فانه يكتفي او يكتفى له بالمعروف والبر فيها لا يهجن رأيا ، ولا يزيل أمراً عن مرتبته، ثم تكون تلك الصحابة المخلصة على منازلها ومداخلها ، ولا يكون للكاتب فيها أمر في رفع رزق ولا وضعه ، ولا للحاجب في تقديم اذن ولا تأخيره .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر فتيان اهل بيته وبني ابيه وبني علي وبني العباس ، فان فيهم رجالا لو متعوا بجسام الامور والاعمال سدوا وجوها ، وكانوا عدة لاخرى .

ومما يذكر به امير المؤمنين امر الارض والخراج ، فان اجسم ذلك واعظمه خطرا ، واشده مؤنة ، واقربه من الضياع ، ما بين سهله وجبله ، ليس له تفسير على الرساتيق والقرى ، فليس للعمال امر ينتهون اليه ، ويحاسبون عليه، ويحول بينهم وبين الحكم على اهل الارض بعدما يتأنقون لها في العمارة، ويرجون لها فضل ما تعمل ايديهم ، فسيرة العمال فيهم احدى ثنتين : اما رجل اخذ بالخرق والعنف من حيث وجد ، وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد ، واما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع ويترك من لم يزرع ، فيغرم من عمر ويسلم من أخرب . مع ان اصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم ، وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مرارا ، فخفيت وظائف بعضها ، وبقيت وظائف بعض ، فلو أن امير المؤمنين اعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى

والارضين وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك ، واثبات الاصول ، حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ، ولا يجتهد في عمارة الا كان له فضلها ونفعها ، لرجونا ان يكون في ذلك صلاح للرعية ، وعمارة للأرض وحسم لابواب الخيانة وغشم العمال .

وهذا رأي مؤنته شديدة ، ورجاله قليل ، ونفعه متأخر ، وليس بعد هذا في أمر الخراج الا رأي قد راينا امير المؤمنين اخذ به ، ولم نره من احد قبله ، من تخير العمال وتفقدهم ، والاستعتاب لهم ، والاستبدال بهم .

ومما يذكر به امير المؤمنين جزيرة العرب في الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك ، أن يكون من راي امير المؤمنين ، اذا سخت نفسه عن اموالهم من الصدقات وغيرها ، ان يختار لولايتها الخيار من اهل بيته وغيرهم ، لان ذلك من تمام السيرة العادلة ، والكلمة الحسنة التي قد رزق الله أمير المؤمنين واكرمه بها ، من الرأي الذي هو بإذن الله حمى ونظام لهذه الامور كلها في الامصار والاجناد والثغور والكور .

ان بالناس من الاستجراح والفساد ما قد علم أمير المؤمنين ، وبهم من الحاجة الى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو اشد من حاجتهم الى أقواتهم التي يعيشون بها ، واهل كل مصر وجند او ثغر فقراء الى ان يكون لهم من اهل الفقه والسنة والسير والنصحية مؤدبون مقومون ، يذكرون ، ويبصرون الخطأ ، ويعظون عن الجهل ، ويمنعون عن البدع ويحذرون الفتن . ويتفقدون أمور عامة من هو بين أظهرهم ، حتى لا يخفى عليهم منها مهم ، ثم يستصلحون ذلك ، ويعالجون ما استنكروا منه بالرأي والرفق والنصح ، ويرفعون ما أعياهم الى ما يرجون قوّته عليهم ، مأمونين على سير ذلك وتحصينه ، بصراء بالرأي حين يبدو ، واطباء باستئصاله قبل أن يتمكن .

وفي كل قوم خواص رجال عندهم على هذا معونة اذا صنعوا لذلك ، وتلطف لهم ، واعينوا على رأيهم ،وقووا على معاشهم ، ببعض ما يفرغهم لذلك ،

ويبسطهم له . وخطر هذا جسيم في امرين : احدهما ، رجوع الفساد الى الصلاح ، واهل الفرقة الى الالفة ، والامر الآخر ان لا يتحرك في امر من امور العامة الا وعين ناصحه ترمقه ، ولا يهمس هامس الا واذن شفيقة تصيخ نحوه ، واذا كان ذلك لا يقدر اهل الفساد على تربص[٢٤] الامور وتلقحيها ، واذا لم تلقح كان نتاجها باذن الله مأمونا . وقد علمنا علما لا يخالطه شك ان عامة قط لم تصلح من قبل انفسها ، وانها لم يأتها الصلاح الا من قبل امامها ، وذلك لان عدد الناس في ضعفتهم وجهالهم الذين لا يستغنون برأي أنفسهم ، ولا يحملون العلم ، ولا يتقدمون في الامور . فاذا جعل الله فيهم خواص من اهل الدين والعقول ، ينظرون اليهم ويسمعون منهم ، واهتمت خواصهم بامور عوامهم ، واقبلوا عليها بجد ونصح ومثابرة وقوة ، جعل الله ذلك صلاحا لجماعتهم ، وسببا لاهل الصلاح من خواصهم ، وزيادة فيما انعم الله به عليهم ، وبلاغا الى الخير كله .

وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم واعظم من ذلك فبالامام يجمع الله امرهم ، ويكبت اهل الطعن عليهم ، ويجمع رأيهم وكلمتهم ويبين لهم عند العامة منزلتهم . ويجعل لهم الحجة والايد في المقال على من نكب عن سبيل حقهم .

فلما رأينا هذه الامور ينتظم بعضها ببعض ، وعرفنا من أمر امير المؤمنين ما بمثله جمع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم ، طمعنا لهم في ذلك يا أمير المؤمنين وطمعنا فيه لعامتهم ، ورجونا ان لا يعمل بهذا الامر احد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه ، فان الامر اذا اعان على نفسه جعل للقائل مقالا ، وهيأ للساعي نجاحا . ولا حول ولا قوة الا بالله . وهو رب الخلق ، وولي الامر ، يقضي في امورهم ، ويدبر امرهم بقدرة عزيزة ، وعلم سابق . فنسأله ان يعزم لامير المؤمنين على المراشد ، ويحصنه بالحفظ والثبات . والسلام ولله الحمد والشكر .

---

(٢٤) في الاصل : تربيض .

ملحق رقم (٤)

نص التهم التي وجهها المنصور أثناء محاكمته لابي مسلم كما رواها العيني عن البلاذري . بالشكل الآتي

قال المنصور : اخبرني عن نصلين اصبتهما في متاع عبدالله بن علي .

ابو مسلم : هذا احدهما الذي علي .

المنصور : ارنيه ، فناوله اياه ، فهزه ابو جعفر ، ثم وضعه تحت فراشه .

المنصور : اخبرني عن كتابك الى ابي العباس تنهاه عن الموات ، اردت ان تعلمنا الدين !

ابو مسلم : ظننت أخذه لا يحل ، فكتب الي ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين واهل بيته معدن العلم .

المنصور : اخبرني عن كتابك الى عاملك الري ، تقول : اذا قدم عليك عبدالله بن محمد فاشخصه الي ، اماكان فيما خاطبت إلا عبدالله بن محمد .

ابو مسلم : اني وجدت الله يقول محمد صلى الله وسلم في حق نبيه ، وقال في حق عدوه تبت يدا ابي لهب ، فسمى نبيه باسمه ، وكنى عدوه .

المنصور : أخبرني بهزأتك بنا حين قدمنا عليك ، واستخفافك بنا ؟

ابو مسلم : ما قصدت الا اقامة الهيبة لاذل اعداءكم .

المنصور : اخبرني عن ادعائك انك ابن سليط ، ومقصدك الخلافة .

ابو مسلم : والله ما فعلته ، فكيف انتسب الى غير أبي .

المنصور : اخبرني عن سبعمائة الف من المسلمين قتلتهم صبرا ؟

ابو مسلم : لتستقيم دولتكم .

المنصور : اخبرني عن تقدمك اياي في طريق مكة ؟

ابو مسلم : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس

المنصور : فلم ذهبت الى خراسان ؟

ابو مسلم : خفت أن يكون قد داخلك مني - شيء - فأردت المقام هناك واكتب اليك بعذري .

المنصور : فما تقول فيمن سل على مولاه سيفا ؟

ابو مسلم : يقتل

المنصور : فقد سللت

ابو مسلم: ما سللت عليك بل لك .

وأخذ المنصور يعدد عليه جناياته ، فقال له :

الست الكاتب الي تبدأ بنفسك ؛ وتخطب عمتي امنه بنت علي ،لقد ارتقيت لا ام لك مرتقا صعبا ، فلما الح عليه ، قال أبو مسلم : دع عنك هذا واذكر صنيعتي معكم فما أخاف إلا الله تعالى. فغضب المنصور وقال : يا ابن اللخناء انما عملت ما عملت بريحنا ، ولوكان ذلك اليك ما قطعت فتيلا ، ثم فتل - المنصور - بشاربه وفرك يده ، فلما رأى ابو مسلم فعله ، قال : يا أمير المؤمنين لا تدخلن على نفسك ، فان قدري أصغر من أن تبلغ شي من أمري منك هذا المبلغ . فصفق المنصور باحدى يديه على الاخرى ، فخرج اليه الحرس ، فضربه عثمان بن نهيك ضربة خفيفة ، فأخذ برجل ابي جعفر وقال له : أبقني لعدوك فدفعه وقال له : اي عدو اعدى اليّ منك ، الست الذي بايعتنا على من خرج علينا قتلته ، وانت خرجت علينا ، فحكمنا عليك حكمك على غيرك ، ثم صاح المنصور اذبحوه .

فقال أبو مسلم : العفو ،

قال المنصور : العفو ، والسيوف تعتريك (فضربه شبيب بن واج على عاتقه ضربة اسرعت فيه) .

فقال أبومسلم : وانفساه ، الا قوة الا مغيث .

قال المنصور : اضربوا ابن اللخناء ، فاعتوره القوم باسيافهم وامر به فلف في بساط أو عباءة[1] .

وقد رجعت الى مخطوط انساب الاشراف للبلاذري[2] ، فوجدت ان هناك بعض الاختلاف ـ من زيادة او نقصان ـ في النص الذي ذكره البلاذري عن النص الذي نقله العيني عنه ، ولعل مرجع ذلك يعود الى ان العيني ربما اطلع على مخطوط البلاذري بصورة كاملة، ثم وبمرور الزمن فقدت من المخطوط بعض النصوص واضيفت اليها نصوص جديدة ، فوصلتنا على هذا الشكل .

وللمقارنة بين النصين، نذكر نص المحاكمة كما رواها البلاذري الذي قال:

« ودخل أبو مسلم ـ على المنصور ـ وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها ، والقوم خلف ظهره ، فقال : يا أمير المؤمنين استخف بي واخذ سيفي .

قال المنصور : ومن فعل ذلك قبحه الله ! ثم قال : هيه قتلت اهل خراسان وفعلت وفعلت ثم جعلت تقول ايصلى هذا الغلام بالمداس ، والقيت نعلي من رجلي ، ورفعت نفسك عن مناولتي اياه ، حتى ناولنيها معاذ بن سلم وأعجب من هذا اخفاؤك اياي في دهليزك بخراسان مستخفا بحقي حتى اشير عليك بخلاف ذلك ، فتكارهت على تسهيل اذني وفتح الابواب لي ، ثم كتابك الي تبدأ بنفسك ، وخطبتك الي امينة بنت علي ، وقولك انك من سليط بن عبدالله ، لقد ارتقيت يا ابن اللخناء مرتقا صعبا ، ثم ذمك أخي وسيرته ، وقولك انه اوطأك العشوة وحملك

(1) العيني : مخطوط عقد الجمان ١٦٤/٧ .

(2) ٤١/٣ ب .

على الاثم ، ثم انت صاحبي بمكة تنادي من أكل طعام الامير فله درهم ، ثم كسوتك الاعراب وقولك لاتخذنكم دون اهل خراسان ، واعجب من هذا اني دفعت في صدر حاجبك بخراسان ، فقلت لي : ايضرب حاجبي ، ردوه عنا الى العراق .

فقال أبو مسلم : انه لا يقال لي هذا القول بعد بلائي .

فقال المنصور : يا ابن اللخناء ، انما عملت بدولتنا ، ولو كان الأمر اليك ما قطعت فتيلا .

« وأخذ المنصور يعدد عليه جناياته، فلما الح عليه ، قال أبو مسلم ، دع عنك هذا واذكر صنيعتي معكم ، فما اخاف إلا الله تعالى ، فغضب المنصور واخذ أبو مسلم يعتذر اليه . . فصفق المنصور بيديه ، فخرج اليه الحرس . . »[3] فقال لهم : اضربوا ابن اللخناء ، فاعتوره القوم باسيافهم وامر به فلف في مسح، واستطرد البلاذري فذكر ان من جملة ما عاتبه ايضا ، انه قال له : وقتلت سليمان بن كثير نقيب نقبائنا ورئيس شيعتنا. . وقتلت لاهزا ، وقتلت افلح بن مالك الغزاري »[4] .

أما ابن أعثم الكوفي فيذكر المحاكمة على النحو التالي :

« ودخل ابو مسلم على المنصور فسلم ، فلم يرد السلام، فأشار عليه فجلس ، فقال له المنصور : يا أبا مجرم اني اريد ان اذكر اشياء لا اراك تنكرها . اتنكر دخولك على امير المؤمنين الماضي ،رحمة الله عليه ، وتسليمك عليه وانا جالس

---

(٣) انظر العيني(مخطوط عقد الجمان ٧/١٦٤) الذي اورد ذلك عن البلاذري بصورة مفصلة وهي مشابهة لما موجود في المخطوط ، فاكتفينا بذكر معناها بصورة مختصرة .

(٤) مخطوط انساب الاشراف ٤١/٣ ب .

ولاهـز : المقصود لاهز بن قريظ بن سري احد النقباء أما افلح بن مالك ، فكان صديقا لابي مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤ انسه وكان ذا همة ، فلما ظهرت الدعوة قدم على ابي مسلم وكان أبو مسلم يبره ويكرمه ثم امر بقتله ، فقيل له صديقك وانيسك ، فقال : رايته ذا همة وابهة فقتلته مخافة ان يحدث حدثا . . . ولقد كان علي كريما وكنت له محبا .

في مجلسه ولا تراني اهلا للسلام ، اتذكر مقالتك لابن اخي عيسى بن موسى ان شئت خلعنا ابا جعفر وبايعناك ، اتذكر شتمك لي بالشام بين يدي يقطين بن موسى وقولك له : ومن ابن سلامة ؟ أكانت أبا مجرم امك افضل من سلامة وهي تحت محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ؟ وجعل المنصور يذكر شيئا بعد شيء .

فقال أبو مسلم : يا امير المؤمنين لاتذكر هذه الاقاويل واذكر حسن بلائي وقوامي لكم بهذه الدولة .

فقال المنصور له ـ بعد أن شتمه ـ يا عدو الله أنت ما فعلت الا بسمعتنا وقيام شيعتنا ولو كان الامر اليك لما قطعت فتيلاً ، الست الكاتب الي تبدأ نفسك قبل اسمي وتخطب آمنة بنت علي ، وتزعم أنك ابن بنت سليمان بن علي ، وانما انت عبد لعيسى بن معقل العجلى ، لقد ارتقيت يا عدو الله مرتقا صعبا .

فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يجب ان يبلغ منك الغضب كل هذا ، فان قدري اصغر من ذلك .

فقال المنصور : انسيت استخفافك بحقي وتهجمك علي بالكلام مرة بعد أخرى أنسيت نظرك الي شزرا .

ثم غمز المنصور من على رأسه فضربه عثمان بن نهيك ضربة بالسيف على حبل عاتقه فسقط ابومسلم عن الوسادة ، وهو يقول ؛ وانفساه . فقال المنصور : يا ابن الخبيثة تعال الجبارين وجزع الصبيان .[٥]

وهناك روايات اخرى تضيف او تحذف بعض النصوص حسب طبيعة كل راو[٦] .

---

(٥) مخطوط الفتوح جـ ٢ .

(٦) انظر : الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦١ ، اليعقوبي : تاريخ ١٠٧/٣ ، الطبري : ٤٩١/٧ ، الازدي : تاريخ الموصل ١٦٥/٢ ، الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٢١٠/١٠ ، الحصري : زهر الاداب ٨٨/٢ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ١٣٧/٨ هـ ، ابن الاثير : الكامل ٤٧٥/٥ .

ملحق رقم (٥)

خطبة المنصور بهاشمية الكوفة ، بعد حبسه لبني حسن سنه ١٤٤ هـ / ٦٧١ م

« يا اهل خراسان ، انتم شيعتنا وانصارنا ، واهل دعوتنا ، ولو بايعتم لم تبايعوا خيرا منا ، ان ولد ابن ابي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير ، فقام فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فما افلح ، وحكم الحكمين : فاختلفت عليه الامة ، وافترقت الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته وانصاره وثقاته فقتلوه ، ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ، ودس اليه معاوية اني اجعلك ولي عهدي ، فخلعه وانسلخ له مما كان فيه ، وسلمه اليه ، واقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا اخرى ، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ؛ ثم قام من بعده الحسين بن علي رضي الله عنه فخدعه اهل العراق واهل الكوفة ، اهل الشقاق والنفاق والاغراق في الفتن ، اهل هذه المدرة السوء ـ واشار الى الكوفة ـ فوالله ما هي لي بحرب فأحاربها ، ولا هي لي بسلم فأسالمها ، فرق الله بيني وبينها ! فخذلوه وابرؤ وا أنفسهم منه ، فاسلموه حتى قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه اهل الكوفة وغروه ،فلما أظهروه واخرجوه اسلموه ، وقد كان ابي محمد بن علي ناشده الله في الخروج ، وقال له : لا تقبل اقاويل اهل الكوفة فانا نجد في علمنا ان بعض اهل بيتنا يصلب بالكناسة ، وأخشى ان تكون ذلك المصلوب ، وناشده الله بذلك عمى داود وحذره رحمه الله غدر اهل الكوفة ، فلم يقبل ، وتم على خروجه ، فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو أمية علينا فابتزونا شرفنا ، وأذهبوا عزنا ، والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها ، وما كان ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم ، فنفونا عن البلاد ، فصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشراة ؛ حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وانصارا ، فأحيا الله شرفنا وعزنا بكم ، يا أهل خراسان ، ودفع بحقكم اهل الباطل ، واظهر لنا حقنا ، وأصار الينا امرنا وميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم ،

فقر الحق في قراره وأظهر الله مناره ، وأعز انصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا ، حسدا منهم لنا وبغيا علينا بما فضلنا الله به عليهم ، واكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه ، وجبنا من بني أمية ، وجراءة علينا ، اني والله يا اهل خراسان ما اتيت ما اتيت من هذا الامر من جهالة ولا عن ظنة ، ولقد كنت يبلغني عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجالا فقلت : قم انت يا فلان ، فخذ معك من المال كذا وكذا ، وقم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا ، وحذوت لهم مثالا يعملون عليه ، فخرجوا حتى أتوا المدينة فلقوهم فدسوا ذلك المال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لي ، فاستحللت به دماءهم ، وحلت عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي[1] ، ثم قرأ في درج المنبر « وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب »[2] .

* * *

(١) المسعودي : مروج الذهب ٣/٣٢١ - ٣١٢ وانظر : الطبري ٨/٩٣ - ٩٤ .
(٢) سورة سبأ ، آية ٥٤ .

ملحق رقم (٦)

نص رسالة الخليفة المنصور لمحمد النفس الزكية

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عبدالله أمير المؤمنين الى محمد بن عبدالله .

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا ويصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم »(١) .

ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ان تبت ورجعت من قبل ان اقدر عليك ان اؤمنك وجميع ولدك واخوتك واهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم واموالكم واسوغك ما أصبت من دم أو مال، واعطيك الف الف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وانزلك من البلاد حيث شئت ، وان اطلق من في حبسي من اهل بيتك ، وان أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك ، او دخل معك في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحدا منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من احببت ياخذ لك من الامان والعهد والميثاق ما تثق به »(٢) .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣ و ٣٤ .

(٢) المبرد : الكامل ٢ / ٣٢٠ ، الطبري ٧/٥٦٦ ، الازدي : تاريخ الموصل ٢/١٨٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٢٩ ، ابن الجوزي : مخطوط المنتظم ٨/١٤٥ ، مؤلف مجهول : مخطوط غرر السير ص ١٨٣ أ .

البراقي : مخطوط الحدائق الوردية ١/١٦٤ ، العيني : مخطوط عقد الجمان ٧/١٨٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، طبع القاهرة ١٩١٧ م ، ١/٢٣١ .

ملحق رقم (٧)

رد محمد النفس الزكيةعلى كتاب المنصور

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله الى عبدالله بن محمد .

« طسم ، تلك ايات الكتاب المبين ، نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبِّح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »[١] .

وانا اعرض عليك من الأمـان مثل الذي عرضت علي ، فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وأن ابانا علياً كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ! ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر احد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف ابائنا ، لسنا من ابناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء[٣] ، وليس يمت احد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وانا بنو ام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم .

ان الله اختارنا واختار لنا فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف اولهم اسلاما علي، ومن الازواج افضلهن خديجة الطاهرة ، واول من صلى

---

(١) سورة القصص : ١ ـ ٦ .

(٢) اللعناء والطرداء : الذين حاربوا الرسول (ص) ولم يدخلوا الاسلام الا بعد فتح مكة ، وكان آل الحكم بن العاص من الطرداء اما الطلقاء : فهم اهل مكة من الكفار ، اطلق الرسول (ص) عليهم هذه التسمية بعد فتحه مكة سنة ٨ هـ ، وكان العباس منهم .

القبلة . ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ، وأن هاشما ولد عليا مرتين[٣] ، وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين[٤] ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، واني اوسط بني هاشم نسبا ، واصرحهم أبا ، لم تعرق في العجم ، ولم تنازع في امهات الاولاد[٥] ، فما زال الله يختار لي الآباء والامهات في الجاهلية والاسلام حتى اختار لي في النار ، فأنا ابن ارفع الناس درجة في الجنة ، واهونهم عذابا في النار[٦] ، وأنا ابن خير الاخيار ، وابن خير الاشرار ، وابن خير اهل الجنة ، وابن خير اهل النار .

ولك الله علي ان دخلت في طاعتي ، واجبت دعوتي ان أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر احدثته ، الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم او معاهد ، فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا اولى بالامر منك وأوفى بالعهد ، لانك اعطيتني من العهد والامان ما أعطيته رجالا قبلي ، فاي الامانات تعطيني ، أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبدالله بن علي ، أم أمان ابي مسلم ![٧] .

---

(٣) يعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعليا زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب .

(٤) يعني جده وأبا جده ، فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب .

(٥) يقصد ام المنصور وهي سلامة بنت بشير ام ولد بربرية .

(٦) يقصد جده ابا طالب .

(٧) انظر المصادر الواردة في حاشية الملحق السابق .

ملحق رقم (٨)

نص جواب المنصور على كتاب محمد النفس الزكية

« بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فاذا جل فخرك بقرابة النساء، لتضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ، ولا كالعصبة والاولياء، لان الله جعل العم ابا ، وبدأ به في كتابه على (الوالد الادنى)[١] ، فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام « واتبعت ملة ابائي ، ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب »[٢] ، ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت امنة اقربهن رحما ، واعظمهن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة ام ابي طالب وولادتها ، فان الله لم يرزق احدا من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا[٣] ، ولو أن احدا رزق الاسلام بالقرابة رزقه عبدالله اولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء ، قال الله عزوجل : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين »[٤] ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عمومه اربعة ، فأنزل الله عزوجل : « وانذر عشيرتك الاقربين »[٥]، فانذرهم ودعاهم ، فاجاب اثنان[٦] احدهما ابي ، وابى اثنان احدهما ابوك ، [٧] ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه

---

(١) الزيادة من المبرد : الكامل ٣٢٢/٢ ، وفي بقية المصادر . الوالده الدنيا بدلا من الوالد الادنى .

(٢) سورة يوسف ٨ . وقد ذكر هذه الاية المبرد زيادة لما في المصادر الاخرى .

(٣) هي فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم وهي ام ابي طالب وام عبد الله والد الرسول (ص) والزبير وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبره ، واميمة ، وهم جميعا ولد عبد المطلب .

(٤) سورة القصص ٢٦ .

(٥) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٦) هما الحمزة والعباس .

(٧) هما ابو طالب وابو لهب .

وبينهما إلاّ[٨] ولا ذمة ولا ميراثا . وزعمت انك ابن اخف اهل النار عذابا وابن خير الاشرار ، وليس في الكفر بالله صغيراً ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغي لمرء من بالله ان يفخر بالنار ، وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون »[٩] .

وأما ما فخرت به من فاطمة ام علي[١٠] ، وان هاشما ولده مرتين ، ومن فاطمة ام حسن ، وان عبد المطلب ولده مرتين ، وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلده هاشم لا مرة ولا عبد المطلب الا مرة .

وزعمت انك اوسط بني هاشم نسبا ، واصرحهم اما وأبا ، وانه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك امهات الاولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً ، فانظرويحك اين انت من الله غدا ! فانك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هوخير منك نفسا وأبا وأولا وآخرا وابراهيم[١١] بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدة ولده ، وما خيار بني ابيك خاصة واهل الفضل منهم الا بنو امهات اولاد ، وما ولد فيكم بعد وفاةرسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من علي بن حسين[١٢] ، وهو لأم ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي ،[١٣] وجدته أم ولد ، ولهو خير من ابيك ، ولا مثل ابنه جعفر[١٤] ، وجدته ام ولد ، ولهو خير منك .

---

(٨) الا = عهدا .

(٩) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(١٠) هي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف .

(١١) ام ابراهيم مارية التي اهداها المقوقس عظيم القبط للرسول (ص) فتزوجها

(١٢) هو علي زين العابدين بن الحسين بن علي وامه سبية من بنات يزدجر .
انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/ ٧٢٠ .

(١٣) محمد بن علي الباقر امه ام عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي ، ولكن اخاه زيد كانت امه امة .

(١٤) يعني جعفر الصادق .

وأما قولك : انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى يقول في كتابه : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم »[١٥] ، ولكنكم بنو ابنته ، وأنها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث[١٦] ، ولا ترث الولايه ، ولا تجوز لها الامامة ، فكيف تورث بها ! ولقد طلبها ابوك بكل وجه فاخرجها نهارا ، ومرضها سرا ، ودفنها ليلا فأبى الناس الا الشيخين[١٧] وتفضيلهما ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ان الجد ابا الام والخال والخالة لا يرثون .

واما ما فخرت به من علي وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاه ، فأمر غيره بالصلاة . ثم اخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة[١٨] ، فتركوه كلهم دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها ، اما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحه والزبير ، وابى سعد بيعته واغلق دونه بابه ، ثم بايع معاويه بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه اصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضى بهما[١٩] ، واعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاويه بخرق ودراهم ولحق الحجاز ، واسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر الى غير اهله ، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله ، فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه واخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة[٢٠] ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه اليه ، ثم خرجتم على بني اميه ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، واحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم واسروا

---

(١٥) سورة الاحزاب ٤٠ .

(١٦) لانها من اصحاب الفروض فتأخذ فرضها فقط .

(١٧) هما ابو بكر وعمر (رض) .

(١٨) اصحاب الشورى هم (علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف) .

(١٩) هما ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص .

(٢٠) ابن مرجانة هو عبيد الله بن زياد ومرجانة امه .

الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطاء في المحافل كالسبي المجلوب الى الشام ، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وادركنا بدمائكم واورثناكم ارضهم وديارهم ، وسنينا سلفكم وفضلناه ، فاتخذت ذلك علينا حجه .

وظننت انا انما ذكرنا اباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر[٢١] وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم ، مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى ابوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفره في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقايه الحجيج الاعظم ، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين اخوته ، فنازعنا فيها ابوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام ، ولقد قحط اهل المدينة[٢٢] ، فلم يتوسل عمر الى ربه ولم يتقرب اليه الا بابينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمت انه لم يبق احد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده ، فالسقاية سقايته وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في الجاهلية ولا اسلام في دنيا ولا آخرة الا والعباس وارثه ومورثه .

وأما ما ذكرت من بدر ، فان الاسلام جاء والعباس يمون ابا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي اصابته ، ولولا ان العباس اخرج الى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة[٢٣] ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلا

---

(٢١) جعفر بن أبي طالب قتل في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ .
(٢٢) المقصود عام الرمادة سنة ١٨ هـ .
(٢٣) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وكانا من المطعمين لقريش يوم بدر .

يوم بدر[٢٤] ، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ! والسلام عليك ورحمة الله »[٢٥] .

* * *

---

(٢٤) العباس كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر ثم اسر وكذا عقيل .

(٢٥) انظر المصادر السابقة الواردة في حاشية ملحق رقم (٦) .

ملحق رقم (٩)

رد النفس الزكية على كتاب المنصور الأخير ، وهي الرسالة التي يطلق عليها الدامغة « . . . . . . وذكر مختصرها كالآتي : »

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ، وكذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكراً ، من اعرض عنه فأنه يحمل يوم القيامة وزرا ، خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً »[١] .

وبعد فأنك ذكرت ان فخري بالنساء فرأيت ان اوضح ما امر لهن ما جهلته ومن حق العم لأب وأم خلاف ما اوهمته وليس قرابتهن اقرب القرابة ، او ليس قد ذكر الله الآباء والأمهات والأخوات والبنات ولم يجعل بينهن وبين الآباء والقرابة فرقا فقال : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون »[٢] وقال : « يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن »[٣] . فقد ذكر الامهات والاخوات والبنات ولم يذكر العم ، ثم فرض على عباده البر بالنساء والرجال اذ قال : « اشكر لي ولوالديك »[٤] ، وقوله : « ووصينا الإنسان بوالديه »[٥] ، ثم ذكر فضل الأم على الأب فقال : « حملته امه كرها ووضعته كرها »[٦] ، وكذلك في ثواب ما عنده ، اذ يقول : « ان المسلمين والمسلمات

---

(١) سورة طه ٩٨ ـ ١٠١ .
والنص الاصلي كالآتي : انما الهكم الله الذي لا اله إلا هو وسع كل شيء علما الى قوله وساء لهم يوم القيامة » فرأيت من الافضل اكمال النص .

(٢) سورة النساء ٧ .

(٣) النساء ١٢٧ .

(٤) سورزة لقمان ١٤ .

(٥) سورة لقمان ١٤ .

(٦) الاحقاف ١٥ .

والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً »[٧] ، وقال : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم ، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم »[٨] ، وقال : « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً[٩] » وانما كانت خالته ، وقال النبي : « الخالة والدة والخال والد يرث ماله ويفك عانيه » .

وأما قولك لو كان الله اختار لهن لكانت آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم اقربهن رحماً ، فهل أنبأتك ان الله اختار لهن واحداً من خلقه ذكرا ، واني على قرابته فتحتج على به ! ما اختار الله احدا من خلقه ولا اختار له الا على السابقة والطاعة ، وكانت هذه حالة علي بن ابي طالب ، وامي فاطمة بنت محمد لم تكفر بالله قط ، ولذلك قال لابراهيم « اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين »[١٠] .

وأما فاطمة بنت عمرو ام ابي طالب وعبد الله والزبير وولادتها اياي ، فكيف انكرت ذلك وأنت تحتج بالعصبة والعمومة ، ولم يجعل الله للعباس من قرابة العمومة شيئا لم يجعله لأبي طالب .

واما قولك انكم حزتم بأبيكم وراثة رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ،

---

(٧) وفي الاصل أن المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات » وهو تصحيف والصحيح ما ذكرته انظر : سورة الاحزاب ٣٥ .

(٨) سورة النور ٦١ . وفي الاصل «ولا جناح عليكم ان تأكلوا » وهو تصحيف والصحيح ما ذكرته .

(٩) سورة يوسف ١٠٠ .

(١٠) سورة البقرة ١٢٤ . لم يذكر في الاصل تكملة الآية ، واكتفى بأن قال : اني جاعلك للناس اماما الى اخره فأكملت الاية .

فأخبرني اي الميراث حازه العباس لكم دون الخلافة ودون المال ، او المال دون الخلافة ، او الخلافة والمال معا . فان قلت الخلافة دون المال ، او الخلافة والمال معا ، فان قلت الخلافة دون المال ، فيجب على هذا القياس ان تقسم الخلافة على قسمة المواريث للذكر مثل حظ الانثيين ، فالولد احق بها من العم ، والعم اولى من ابن الأخ ، فان جاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك وهم اولى بالكبر منك ، ومن اخيك . ولم ورثت اخاك دون ابنه ؟ « الى كلام طويل وذكر في آخر هذا الجواب » وليس اراه يسعني إلا مجاهدتك فإن موعدك الساعة والساعة ادهى وأمر،واناعلى بصيرة من أمري ، وماضي على ما مضى عليه سلفي واشياعي الذين ذكرهم الله فقال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »[١١] وعلى الله فليتوكل المتوكلون »[١٢] .

* * * *

(١١) سورة الاحزاب ٢٣ .

(١٢) البراقي : مخطوط الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية ، المتحف العراقي رقم ١٨٦٧ ، ١/١٦٦ ، وأطلق عليها الرسالة الدامغة ، وذكرها على وجه الاختصار .

ملحق رقم (١٠)

كتاب المنصور لعيسى بن موسى ، حين اراده ان يخلع نفسه من ولاية العهد

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله المنصور امير المؤمنين الى عيسى بن موسى . سلام عليك ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد ، فالحمد لله ذي المن القديم ، والفضل العظيم ، والبلاء الحسن الجميل ، الذي ابتدأ الخلق بعمله ، وانفذ القضاء بامره ، فلا يبلغ مخلوق كنه حقه ، ولا ينال في عظمته كنه ذكره ، يدبر ما اراد من الامور بقدرته ، ويصدرها من مشيئته لا قاضي فيها غيره ، ولا نفاذ لها الا به ، يجريها على اذلالها ، لا يستامر فيها وزيرا ، ولا يشاور فيها معينا ، ولا يلتبس عليه شيء اراده ، يمضي قضاؤه فيما احب العباد وكرهوا ، لا يستطيعون منه امتناعا ، ولا عن انفسهم دفاعا ، رب الأرض ومن عليها ، له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين .

ثم انك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولاية الظلمة كيف كانت قوتنا وحيلتنا ، لما اجترأ عليه اهل بيت اللعنة فيما احببنا وكرهنا ، فصبرنا انفسنا على ما دعونا اليه من تسليم الامور الى من اسندوها اليه ، واجتمع رأيهم عليه ، نسام الخسف ونوطأ بالعسف ، لا ندفع ظلما ، ولا نمنع ضيما ، ولا نعطي حقا ، ولا ننكر منكرا ، ولا نستطيع لها ولا لانفسنا نفعا ، حتى اذا بلغ الكتاب أجله ، وانتهى الأمر الى مدته ، وأذن الله في هلاك عدوه ، وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فابتعث الله لهم انصارا يطلبون بثأرهم ، ويجاهدون عدوهم ، ويدعون الى حبهم ، وينصرون دولتهم ، من ارضين متفرقة ، واسباب مختلفة واهواء مؤتلفة ، فجمعهم الله على طاعتنا ، والف بين قلوبهم بمودتنا على نصرتنا ، واعزهم بنصرنا ، ولم تلق منهم رجلا ، ولم نشهر معهم الا ما قذف الله في قلوبهم ، حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ، ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ،

يلقون الظفر ، ويعودون بالنصر ، وينصرون بالرعب ، لا يلقون احدا الا هزموه ، ولا واترا الا قتلوه ، حتى بلغ الله بنا اقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى امالنا واظهار حقنا ، واهلاك عدونا ، كرامة من الله جل وعز لنا ، وفضلا منه علينا ، بغير حول منا ولا قوة ، ثم لم نزل من ذلك في نعمة الله وفضله علينا ، حتى نشأ هذا الغلام فقذف الله له في قلوب انصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا اول امرنا ، واشرب قلوبهم مودته ، وقسم في صدورهم محبته ، فصاروا لا يذكرون الا فضله ، ولا يفوهون الا باسمه ، ولا يعرفون الا حقه ، فلما رأى امير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته ، واجرى على السنتهم من ذكره ومعرفتهم اياه بعلاماته واسمه ، ودعاء العامة الى طاعته ، ايقنت نفس امير المؤمنين ان ذلك امر تولاه الله وصنعه لم يكن للعباد فيه امر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة ، للذي رأى امير المؤمنين من اجتماع الكلمة ، وتتابع العامة ، حتى ظن امير المؤمنين انه لولا معرفة المهدي بحق الأبوة ، لأفضت الأمور اليه ، وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة ، ولا يجد مناصا عن خلاص ما دعوا اليه ، وكان اشد الناس على امير المؤمنين في ذلك الاقرب فالاقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطه ، فلم يجد امير المؤمنين بدا من استصلاحهم ومتابعتهم ، وكان امير المؤمنين واهل بيته احق من سارع الى ذلك وحرص عليه ، ورغب فيه وعرف فضله ، ورجا بركته ، وصدق الرواية به ، وحمد الله اذ جعل في ذريته مثل ما سألت الأنبياء قبله ، اذ قال العبد الصالح[١] « فهب لي من لدنك وليا ، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا »[٢] ، فوهب الله لأمير المؤمنين وليا ثم جعله تقيا مباركا مهديا ، وللنبي صلى الله عليه وسلم سميا ، وسلب من انتحل هذا الاسم ، ودعا الى تلك الشبهة التي تحير فيها اهل تلك النية ، وافتتن بها اهل تلك الشقوة ، فانتزع ذلك منهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، واقر الحق قراره وأعلن للمهدي مناره ، وللدين انصاره ، فاحب امير

(١) المقصود به زكريا عليه السلام .

(٢) سورة مريم آية ٥ ـ ٦ .

المؤمنين ان يعلمك الذي اجتمع عليه رأي رعيته ، وكنت في نفسه بمنزلة ولده ، يحب من سترك ورشدك وزينك ما يحب لنفسه وولده ، ويرى لك اذا بلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه ، ان يكون ابتداء ذلك من قبلك ليعلم انصارنا من اهل خراسان وغيرهم انك اسرع الى ما احبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم الى ذلك من انفسهم ، وان ما كان عليه من فضل عرفوه للمهدي ، او املوه فيه ، كنت احظى الناس بذلك ، واسرهم به لمكانه وقرابته ، فاقبل نصح امير المؤمنين لك ، تصلح وترشد . . والسلام عليك ورحمة الله »[٣] .

* * * *

(٣) الطبري ٨/١٤ ـ ١٧ ، الصولي الاوراق ٢/ ٣٠٠ وما بعدها وقد اورد بعض فقراته البلاذري واليعقوبي ، مخطوط انساب الاشراف ٤/٤ ب . تاريخ ١١٩/٣ .

ملحق رقم (١١)

جواب عيسى بن موسى على كتاب المنصور

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الله امير المؤمنين من عيسى بن موسى . سلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما اجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الاثم في قطيعة الرحم ، ونقض ما اخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لي من بعدك ، لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله ، وتفرق بين ما الف الله جمعه ، وتجمع بين ما فرق الله امره ، مكابرة لله في سمائه ، وحولا على الله في قضائه ، ومتابعة للشيطان في هواه ، ومن كابر الله صرعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شيء خدعه ، ومن توكل على الله منعه ، ومن تواضع لله رفعه ، ان الذي أسس عليه البناء ، وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضي عهد لي من الله وامر نحن فيه سواء ، ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون احد ، فان وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر ، وان حل من الآخر شيء فما حرم ذلك من الأول ، بل الأول الذي تلا خبره وعرف اثره ، وكشف عما ظن به واحل فيه اسرع ، وكان الحق اولى بالذي اراد ان يصنع اولا ، فلا يدعوك الى الامن من البلاء اغترار بالله ، وترخيص للناس في ترك الوفاء ، فان من اجابك الى ترك شيء وجب لي واستحل ذلك مني لم يحرج اذا امكنته الفرصة وافتنته بالرخصة ان يكون الى مثل ذاك منك اسرع ، ويكون بالذي اسست من ذلك انجع ، فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع ، وخذ ما اوتيت بقوة ، وكن من الشاكرين . فان الله جل وعز زائد من شكره ، وعدا منه حقا لا خلف فيه ، فمن راقب الله حفظه ، ومن اضمر خلافه خذله ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ولسنا مع ذلك نامن من حوادث الامور وبغتات الموت قبل ما ابتدأت

به من قطيعتي ، فان تعجل بي امر كنت قد كفيت مؤونة ما اغتممت له ، وسترت قبح ما اردت اظهاره ، وان بقيت بعدك لم تكن اوغرت صدري ، وقطعت رحمي ، ولا اظهرت اعدائي في اتباع اثرك ، وقبول ادبك ، وعمل بمثالك .

وذكرت ان الامور كلها بيد الله ، هو مدبرها ومقدرها ومصدرها عن مشيئته ، فقد صدقت ، ان الامور بيد الله ، وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العمل به والانتهاء اليه . واعلم انا لسنا جررنا الى انفسنا نفعا ، ولا دفعنا عنها ضرا ، ولا نلنا الذي عرفته بحولنا ولا قوتنا ، ولو وكلنا في ذلك الى انفسنا واهوائنا لضعفت قوتنا ، وعجزت قدرتنا في طلب ما بلغ الله بنا ، ولكن الله اذا اراد عزما لانفاذ امره ، وانجاز وعده ، وتمام عهده ، وتأكيد عقده ، احكم أبرامه ، وابرم احكامه ، ونور اعلانه ، وثبت اركانه ، حين اسس بنيانه ، فلا يستطيع العباد تأخير ما عجل ، ولا تعجيل ما أخر ، غير ان الشيطان عدو مضل مبين ، قد حذر الله طاعته ، وبين عداوته ، ينزع بين ولاة الحق واهل طاعته ، ليفرق جمعهم ، ويشتت شملهم ، ويوقع العدواة والبغضاء بينهم ، ويتبرأ منهم عند حقائق الامور ، ومضايق البلايا ، وقد قال الله عز وجل في كتابه « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم »(١) . ووصف الذين اتقوا فقال : « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »(٢) ، فأعيذ امير المؤمنين بالله من ان يكون نيته وضمير سريرته خلاف ما زين الله به جل وعز من كان قبله ، فانه قد سألتهم ابناؤهم ، ونازعتهم اهواؤهم ، الى مثل الذي هم به امير المؤمنين فآثروا الحق على ما سواه ، وعرفوا الله لا غالب لقضائه ، ولا مانع لعطائه ، ولم يأمنوا من ذلك تغيير النعم وتعجل النقم ، فآثروا الآجلة ، وقبلوا العاقبة ، وكرهوا التغيير ، وخافوا التبديل ، فأظهروا الجميل فتمم الله لهم

---

(١) سورة الحج آية ٥٢ .

(٢) سورة الاعراف آية ٢٠١ .

امورهم وكفاهم ما اهمّهم ، ومنع سلطانهم ، واعز انصارهم ، وكرم اعوانهم ، وشرف بنيانهم ، فتمت النعم ، وتظاهرت المنن ، فاستوجبوا الشكر ، فتم امر الله وهم كارهون » .

والسلام على امير المؤمنين ورحمة الله[3] .

* * * *

(3) الطبري ١٧/٨ ـ ١٩ ، الصولي الاوراق ٣١٣/٢ ، وما بعدها وهناك كتب اخرى اوردها الصولي ومن اراد الاستزادة فليرجع اليها . الاوراق ٣١٥/٢ و ٣١٩ .

ملحق رقم (١٢)
كتاب المنصور الى الافاق بالبيعة للمهدي

« والمهدي - معشر المسلمين - في عفافه وصلاحه وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته ، واستصلاحه واستبقائه ، وعفوه ومقدرته ، ورأيه ومكيدته ، وشوكته على عدوه ، وحسن نقيبته ، وتوسعة ذات يده ، واغتفاره وهديه ، وحسن جزائه ، اهل اهل الغناء عنه والبلاء معه ، والطاعة له ، والسمع له ، ولينه وحزمه وعزمه ، ووفائه وصرفه ، هو المصطنع لولايتكم ، والمتخير لسياستكم ، واجتماع الفتكم ، وتمام نعمة الله عليكم ، ولم يكن الله ليعده لهذه الامور الا مصطنعا في رأيه كاملاً في فضله وسياسته ، قويا على طاعة الله ونصرة دينه ، والذب عن حقه وملته .

وقد بايع امير المؤمنين ومن قبله من اهل بيته وجنوده ورعيته للمهدي محمد ابن امير المؤمنين ، ولعيسى بن موسى من بعد محمد المهدي ، مستبشرين ببيعتهم ، راغبين فيما صفقت عليه ايمانهم من تخير للذي كان يذكر في الأمير من تمام نعمة الله عليهم ، مؤملين لما في الاحاديث المأثورة من اهل الحق قبلهم موقنين بخيرة الله لهم ، فان اسم المهدي محمد بن أمير المؤمنين واسم ابيه ، والزمان الذي يذكر ذلك فيه ، والامور التي تنسب اليه ، والفتوح التي كانت تذكر انها تفتح عليه في أول امره ، ومبتدأ زمانه وقد رأيناها وعرفناها يشهد بعضها لبعض ، متصلة على حالاتها متوالية على ما ذكر في الاحاديث منها يصدق الأول منها الآخر على مراتبها ومنازلها والاحايين التي تكون فيها ، لا يخرم[1] شيء منها عن شيء متلاحقة ملتئمة ان شاء الله ولا قوة الا بالله ، واصل هذه الاطراف المنكرة والاعلام المقدمة باصولها الجسيمة العظيمة التي ملأت[2] الأرض نورا وعدلا وعزا

---

(١) في الاصل (يحرم) .

(٢) في الأصل (علا) .

لأهل الاسلام ، وظفرا وتأييدا لأهل الحق ، ونصرا وفضلا ونعمة من الله عليهم ، ولم يحب امير المؤمنين ان يخرج عيسى بـن موسى من هذاالآل[٣] ،فعقد من بعد محمد بن امير المؤمنين ، وجعله ولي عهده ، ونوى امير المؤمنين الخير في ذلك ، واحتسب الاجر من الله عليه ، ورجا صلاح الرعية .

فبايعوا باسم الله وعلى بركته ، وتوفيقه وتسديده ، لمحمد بن امير المؤمنين بيعة رضوان من الله ان شاء الله ، بصحة من نياتكم ، وسلامة من صدوركم ، ووفاء واستقامة بخير صفقة صفقت عليها ايمانكم ، واعظمها ان شاء الله وأتمها نعمة واحسنها عاقبة وابلغها في طاعة الله منزلة ، وارفعها في الخير درجة ، فابشروا بنعم مخبآت عاجلات وآجلات ، يعز الله بها دينكم ، ويتم بها النعمة عليكم ، ويقمع بها الشيطان وجنوده وابالسته ، ويفل بها حدهم ، ويوهن بها قوتهم ، ويصرعهم في كل موطن . ويقتلهم في كل مشهد ، فانكم ـ معشر المسلمين ـ قد اخذتم في توفيق الله اياكم ، وتسديده لكم ، يطرف امر فيها الهكم الله من بيعتكم للمهدي بن امير المؤمنين سيؤديكم الى النعم التي كانت توصف ، والظهور الذي كان يذكر »[٤] .

---

(٣) في الأصل (الا) والال بمعنى العهد ،

(٤) ابن طيفور مخطوط اختيار المنظوم والمنثور ١٣/٣٣٩ .

وانظر احمد زكي جمهرة رسائل العرب ص ١٤٣ وما بعدها .

ملحق رقم (١٣)

نص وصية المنصور لابنه المهدي كما ذكرها البلاذري عن العمري عن ابراهيم السندي ،الذي قال« دعا المنصور بالمهدي حين اراد الحج في السنة التي توفي فيها ،فقال له يا أبا عبد الله اقرأ هذا الكتاب ،واعمل بما فيه ، فاذا فيه

« أوصيك بتقوى الله ومراقبته ، وعليك باكرام اهل بيتك واعظامهم ، ولا سيما من استقامت طريقته ، وطهرت سيرته ، وحسنت مودته فيهم ، فان اقرب الوسائل المودة ، وابعد الطيب البغضة ، واذكر اهل الجزالة والفضل والعقل منهم ، فشرفهم واوطىء الرجال اعقابهم ، فانه لا يزال لأمر القوم فطام ما كانت لهم اعلام ، واجزل لهم الاعطاء ، ووسع عليهم في الارزاق ، فان اكثر الناس مؤنة اعظمهم مروءة، ثم ليكن معروفك لغيرهم بعدهم ، فان الصلة تزيد الالفة ، وصنهم ينبلوا ولا تبتذلهم فيخلعوا ، واعلم ان رضا الناس غاية لا تدرك، فتحبب اليهم بالاحسان جهدك ، وتثبت فيما يرد من أمورهم عليك، ووكل همومك باموركـ، وتفقد الصغير، تفقدك الكبير، وخذ أهبة الامر قبل حلوله ، فان ثمرة التواني الاضاعة ، وكن عند رأس كل امر لا عند ذنبه ، فان المستقبل لامره سابق ، والمستدبر له مسبوق ، وول أمورك الفاضل يكن مستعليا ، ولا تول المفضول فانه مزر باختيارك وانظر الاموال فانها عدة الملوك، وبها السلطان ونظام التدبير ، فوفرها بولاية اهل العفاف عنها والحيطة عليها ، ولا تبذلها الا في ا صلاح أمور السلطان والرعية وثواب اهل الطاعة والنصيحة واحسن الى نصحائك ، واستدم مودتهم ومحبتهم بجميل التعهد لهم والتفقد لامورهم ولا تعط عطية تبطر الخاص وتؤسف العام ، واجعل لكل اليك حاجة ، واجعل لهم من فضلك مادة ، واسمع من اهل التجارب، ولا تردن ذوي الرأي ، وعود نفسك الصبر على التعب في اصلاح الرعية ، واترك الهوينا والدعة ، واعلم ان ذهاب السلطان

يؤتى من ثلاثة امور : قلة الحزم ، وضعف العزم ، وفقد صالح الاعوان . وان ثباته بأربع خلال : المعرفة ، وحسن التخير ، وامضاء الاختيار ، وتنكب اهل الحريص . فان الحريص لا يبيعك باليسير من حظه وشره ، والوزراء أضر الاعداء ، ومن خانك كذبك ، ومن كذبك غشك ، واعلم ان مادة الرأي المشاورة ، فاختر لمشاورتك اهل اللب والرأي والصدق وكتمان السر ، وكاف بالحسنة وتجاوز عن السيئة ، ما لم يكن في ذلك ثلم دين ولا وهن سلطان ، ودع الانتقام فانه اسوأ افعال القادر ، وقد استغنى عن الحقد من عصتهم عن المجازاة ، وعاقب بقدر الذنب ، واعف عن الخطأ واقل العثرات من اهل الرحمة والبلاء وعليك ببلاد نعمتك ومواليك من اهل خراسان وغيرها من الافاق فانهم انصح الناس واشدهم سعيا في بقاء دولتك ، فانما عزهم بعزك ، وتجنب دقيق اخلاق العراق ، فانهم نشئوا على الخبث ومذموم الخلاق واذا اطلعت من خاصيتك واهل نعمتك على هوى مفسد لنصيحتك فلا تقله عثرة ولا ترع له حرمة ، ودع الاعتزاز به ، فانك ان اغتررت به كنت كمدخل الحية ، دون شعاره ان شاء لله .

ولما قرأ الكتاب قال : افهمت يا بني ؟ قال : نعم ، قال : فاتخذه لك اماما ومثالا[1] » .

---

(١) مخطوط انساب الاشراف ٦/٤ ب .

ملحق رقم (١٤)

نص وصية المنصور لابنه المهدي كما رواها الطبري عن اسحق بن علي عن أبيه ، والتي جاء فيها

« يا أبا عبدالله ، أتق الله فيما اعهد اليك من امور المسلمين بعدي يجعل الله فيما كربك وحزنك مخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فأنه حوب عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فان ثوابك في الاجل ، وصلاحك في العاجل . واقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور ، فان الله لو علم أن شيئا اصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لامر به في كتابه واعلم ان من شدة غضب الله لسلطانه، امر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الارض فسادا ، مع ما ذخره له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا . . . الآية»(١) فالسلطان يا بني حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطه وحصنه ، وذب عنه ، واوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ، ولا تجاوز ما امر الله به في محكم القرآن. واحكم بالعدل ولا تشطط ، فان ذلك اقطع للشغب ، واحسم للعدو ، وانجع في الدواء ، وعف عن الفيء فليس بك اليه حاجة مع ما اخلفه لك ، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة ، واياك والأثرة ، والتبذير لاموال الرعية ، واشحن الثغور ، واضبط الاطراف . وأمن السبل وخص الواسطة ، ووسع المعاش ، وسكن العامة ، وادخل المرافق عليهم ، واصرف المكاره عنهم ، واعد الاموال واخزنها . واياك والتبذير ، فان

---

(١) سورة المائدة (٣٣) .

النوائب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ، وهي من شيم الزمان ، واعد الرجال والكراع والجند ما استطعت .وإياك وتاخير عمل اليوم الى غد ، فتتدارك عليك الامور وتضيع . جد في احكام الامور النازلات لاوقاتها أولا فأولا ، واجتهد وشمر فيها ، واعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن بربك ، واسىء الظن بعمالك وكتابك . وخذ نفسك بالتيقظ، وتفقد من يبيت على بابك ، وسهل اذنك للناس ، وانظر في امر النزاع اليك ، ووكل بهم عينا غير نائمة ، ونفسا غير لاهية ، ولا تنم فان أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ؛ ولا دخل عينه غمض الا وقلبه مستيقظ . هذه وصيتي اليك ، والله خليفتي عليك »[٢] .

* * *

---

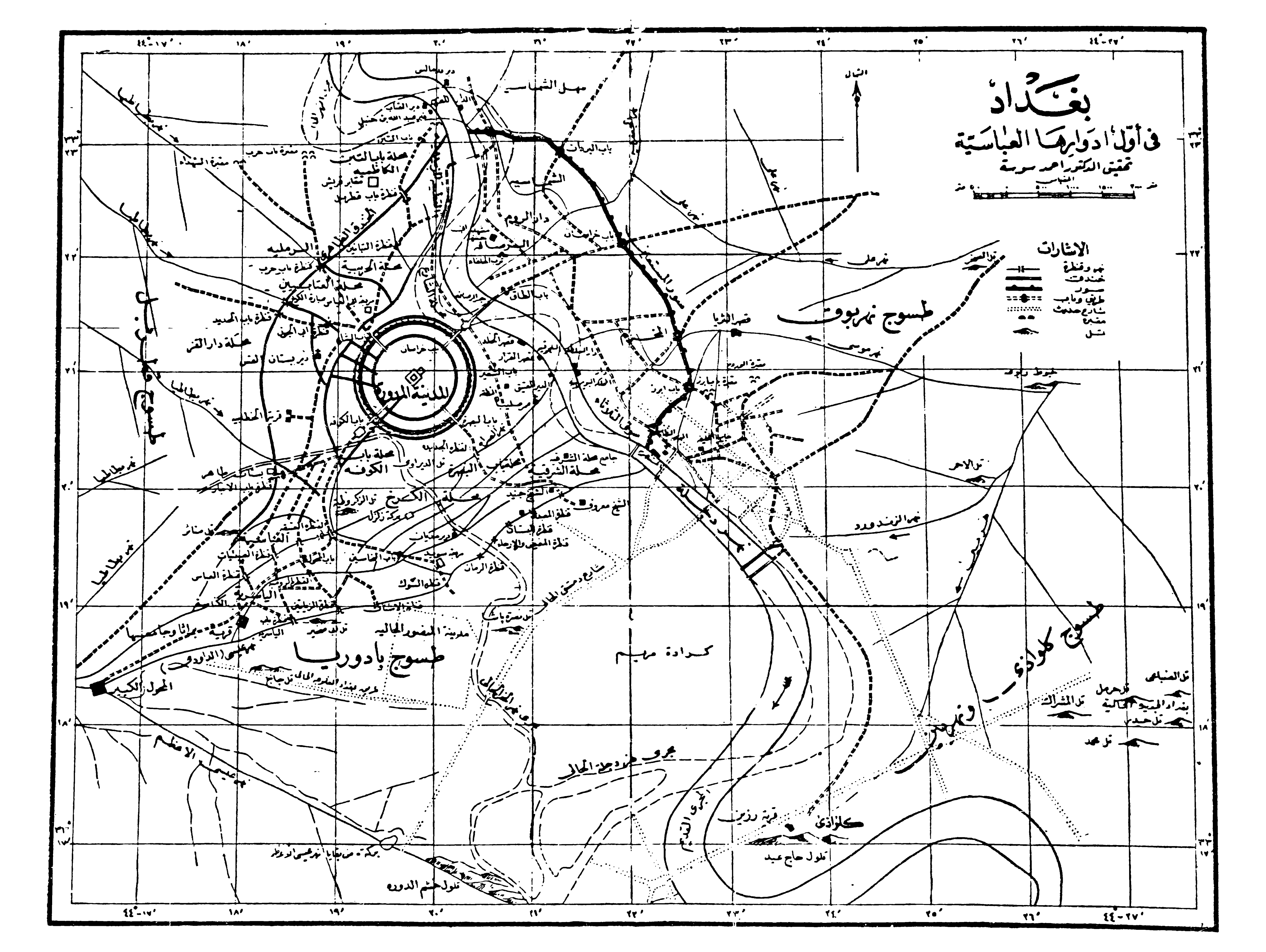
(٢) الطبري ٨/١٠٥ ـ ١٠٦ وانظر ابن الساعي كتاب مختصر اخبار الخلفاء ص ٢٠

الخرائط

١ ـ خارطة رقم (١) و (٢) ، عن كتاب ، دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة . طبع المجمع العلمي العراقي سنة **١٩٥٨** . وقام بتحقيقها الدكتور احمد سوسة .

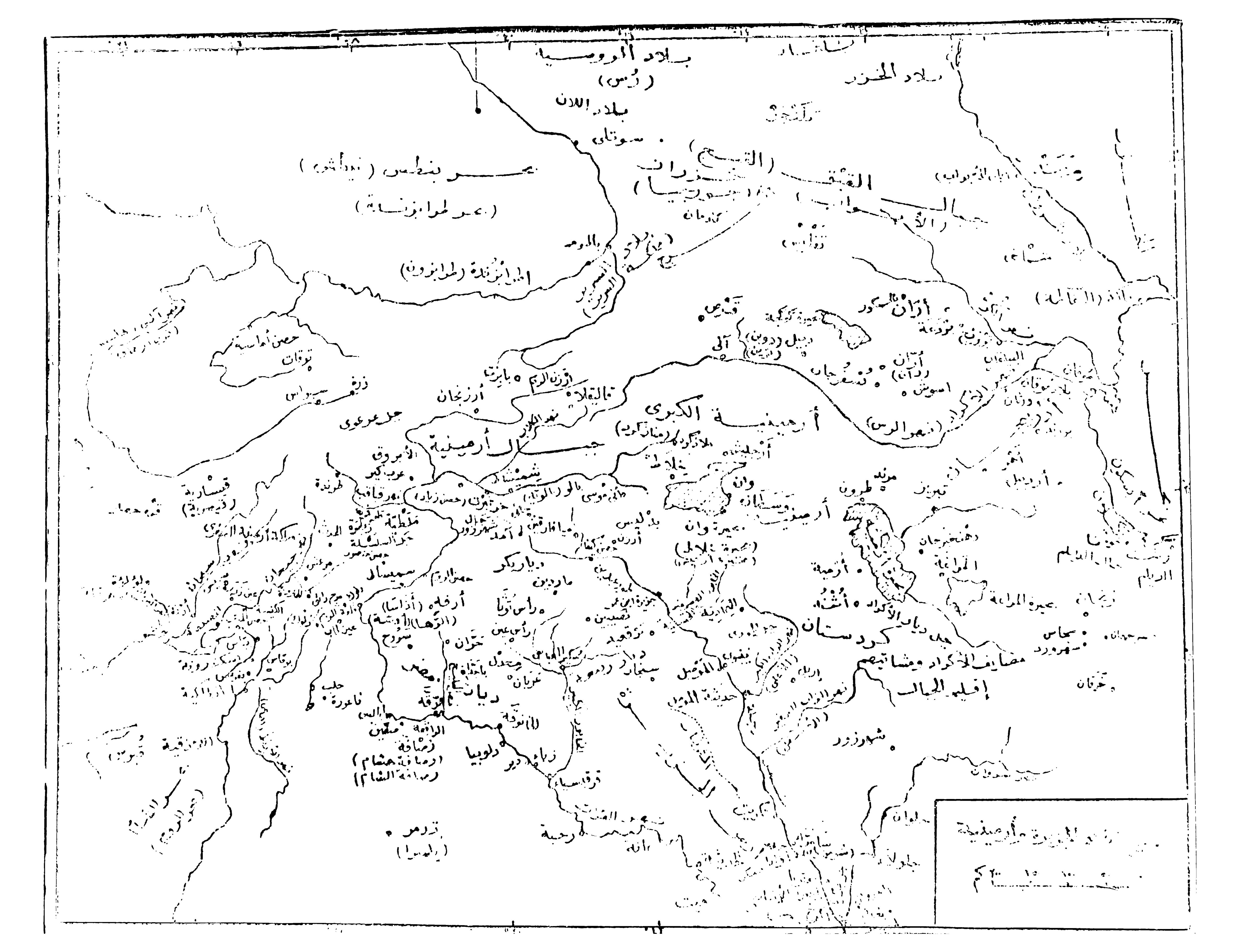
٢ ـ خارطة رقم (٣) و (٤) و (٥) ، عن كتاب الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ، صنفه وحققه الدكتور عبد المنعم ماجد ورسم خرائطه وحققه علي البنا ، مطبعة الرسالة مصر سنة **١٩٦٠** .

* * *

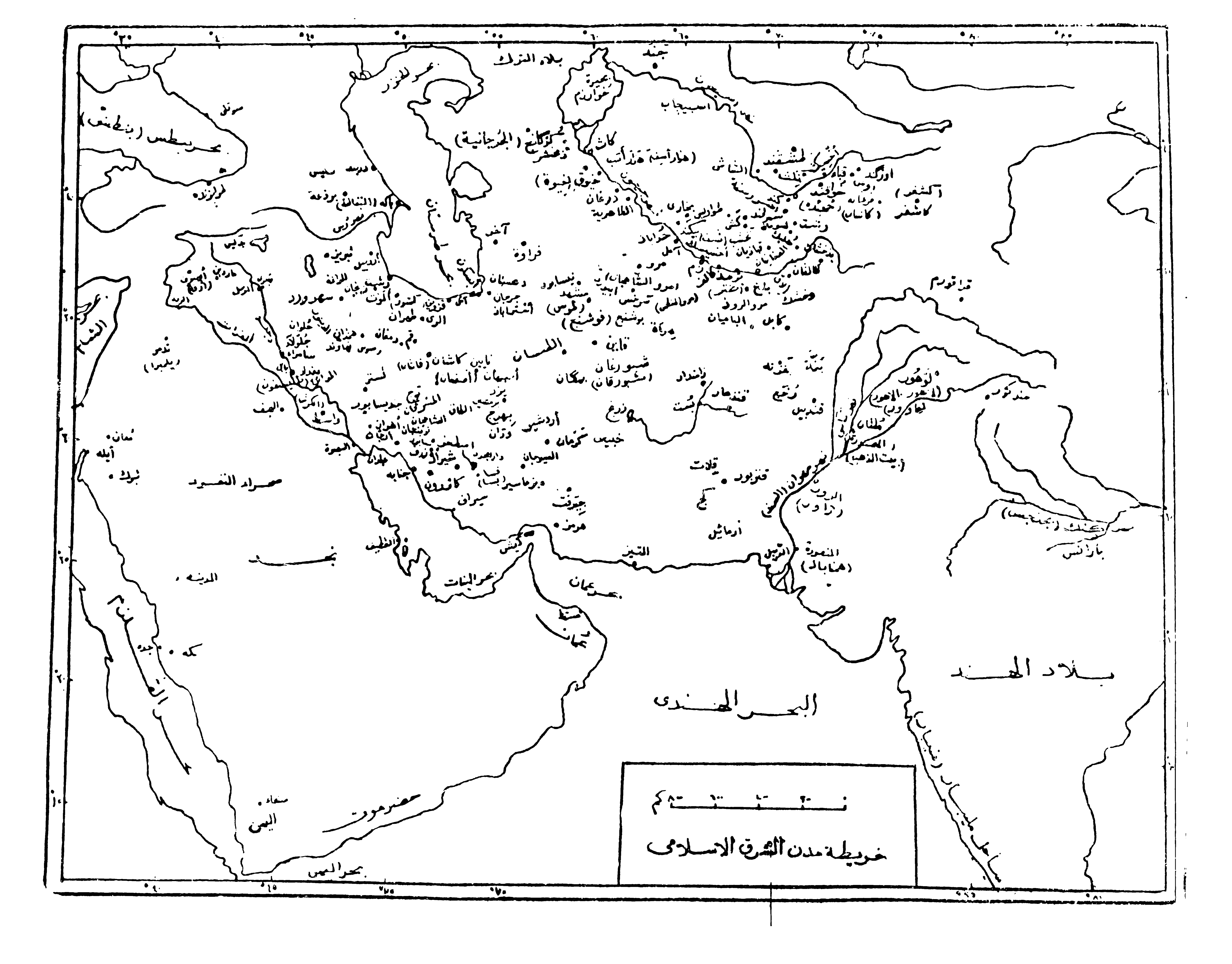


بغداد
في أول أدوارها العباسية
تحقيق الدكتور احمد سوسة
الشمال
الاشارات
نهر وقنطرة
خندق
سور
طريق وباب
شارع حديث
مقبرة
تل
طسوج نهر بوق
طسوج بادوريا
طسوج كلواذى ونهربين
المدينة المدورة
كرادة مريم
الحريم
الشماسية
الرصافة
دار الروم
محلة الكرخ
محلة الحربية
محلة باب الكوفة
محلة الشرقية
الكاظمية
المحول الكبير
كلواذى
قرية رزين
تلول حاج عيد
تلول حشم الدورة
مجرى الدجلة القديم
مجرى نهر وحي الحال
نهر الخالص
نهر موسى
نهر علي
نهر عيسى الاعظم
تل الاحمر
تل الصياحي
تل المشراك
تل محمد
قصر الثريا
باب خراسان
باب البردان
باب الشماسية
باب الطاق

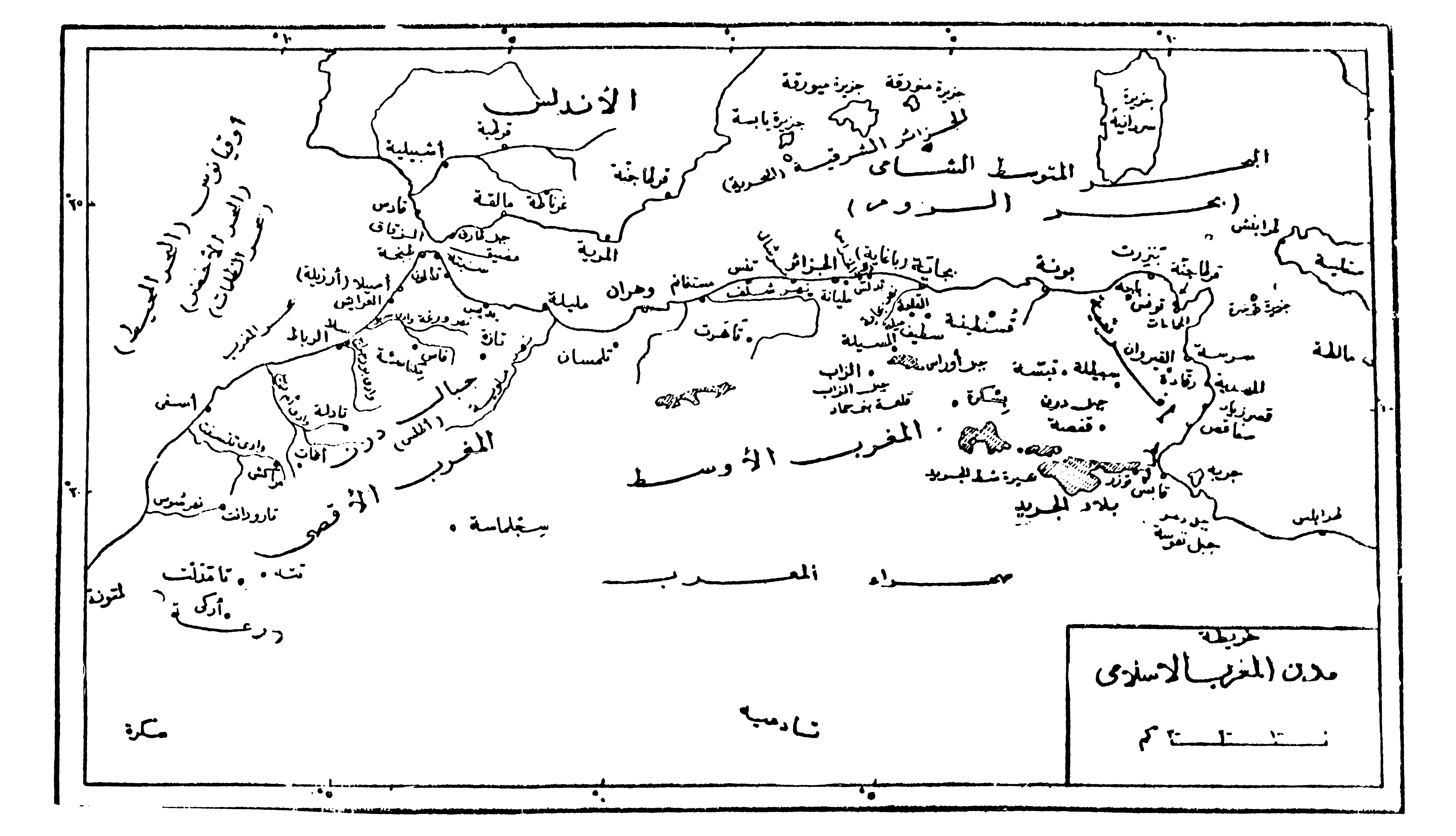
مدينة المنصور المدورة



بلاد الروسية
(روس)
بلاد الخزر
بلاد اللان
بحر بنطس (نيطش)
طرابزندة (طرابزون)
حصن أماسية
توقات
سيواس
أرزنجان
أرمينية الكبرى
جبال أرمينية
خلاط
وان
أرمينية
مرند
تبريز
أردبيل
أرمية
أشنه
بحيرة المراغة
زنجان
كردستان
مصايف الأكراد ومشاتيهم
إقليم الجبال
شهرزور
الموصل
ديار بكر
ماردين
نصيبين
رأس عين
حران
أرفه
سروج
سميساط
ملطية
قيسارية
ديار مضر
الرقة
سنجار
حلب
ناعورة
دلوبيا
قرقيسيا
رحبة
تدمر
٢٠٠ كم



خريطة مدن الشرق الاسلامى
البحر الهندى
بلاد الهند
بلاد الترك
بحر عمان
بحر البنات
بحر اليمن
حضرموت
اليمن
صنعاء
مكة
المدينة
نجد
صحراء النفود
تبوك
أيلة
البصرة
الكوفة
الأهواز
شيراز
كازرون
سيراف
جناية
كرمان
جيرفت
هرمز
قندهار
بست
غزنة
كابل
الباميان
هراة
بوشنج
مشهد
سرخس
نيسابور
قاين
الديبل
المنصورة
الملتان
قنوج
باب الأبواب
آمل
الري
طهران
قم
همذان
سهرورد
الموصل
تكريت
سامراء
بغداد
مرو
خوارزم
جند
اسبيجاب
الشاش
خوقند
اوزكند
كاشغر
كات



الأندلس
قرطبة
أشبيلية
قرطاجنة
غرناطة
مالقة
قادس
المرية
جزيرة ميورقة
جزيرة منورقة
جزيرة يابسة
الجزائر الشرقية
جزيرة سردانية
البحر المتوسط الشامى
(بحر الروم)
أوقيانوس (البحر المحيط)
(البحر الأخضر)
(بحر الظلمات)
الزقاق
مضيق
طنجة
سبتة
أصيلا (أرزيلة)
العرائش
سلا
الرباط
فاس
مكناسة
تازة
بادس
مليلة
وهران
مستغانم
تنس
الجزائر
مليانة
نهر شلف
تدلس
بجاية
القلعة
سطيف
المسيلة
قسنطينة
بونة
بنزرت
قرطاجنة
تونس
باجة
الحمامات
سوسة
القيروان
رقادة
المهدية
صفاقس
تلمسان
تاهرت
الزاب
بسكرة
تبسة
سبيطلة
قفصة
بحيرة شط الجريد
توزر
قابس
جربة
بلاد الجريد
جبل نفوسة
طرابلس
صقلية
مالطة
جزيرة قوصرة
المغرب الأوسط
جبال درن (الأطلس)
المغرب الأقصى
مراكش
أغمات
تادلة
أسفى
تارودانت
سجلماسة
تامدلت
درعة
لمتونة
صحراء المغرب
تادمكة
خريطة
مدن المغرب الإسلامى

المراجع

أ المخطوطات .

ب المراجع العربية والمعربة .

جـ المراجع الأجنبية

الشرقية والغربية

❊ ❊ ❊

أ ـ المخطوطات

١ ـ ابن اعثم الكوفي : ابو محمد بن أحمد (ت ٣١٤ هـ/ ٩٢٦ م) .
مخطوط الفتوح ، الجزء الثاني ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية رقم ٣٥٧ تاريخ .

٢ ـ الألوسي : محمود شكري افندي الحسيني الألـوسي البغدادي .
مخطوط اخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، المكتبة القادرية ، (بغداد) خزانة التاريخ بدون رقم .

٣ ـ ابن أيبك : صاحب صرخد الدواه داري (كان موجودا سنة ٧٣٦ هـ)
مخطوط كنز الدرر وجامع الغرر ، معهد المخطوطات العربية ، ، جامعة الدول العربية ، رقم ٤١٣ تاريخ .

٤ ـ البراقي : حميد بن احمد (توفي بعد سنة ٦٠٠ هـ) .
مخطوط الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ، المتحف العراقي ، بغداد ، رقم ١٨٦٧ .

٥ ـ البغدادي : عباس بن جواد بن رجب بن عبدالله الشافعي .
مخطوط نيل المراد في احوال العراق وبغداد ، مخطوط فريد بخط المؤلف فرغ منه في شعبان سنة ١٣٣٣ هـ . مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد، رقم ٩٥ .

٦ ـ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م) .

أ ـ مخطوط أنساب الاشراف ، الجزء الثالث ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ١٦٣٦ ، مصور عن نسخة الدار البيضاء ، بالرباط ، رقم ٦٨ .

ب ـ مخطوط انساب الأشراف ، الجزء الرابع ، مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد ، رقم ١٦٣٧ ، مصور عن نسخة الدار البيضاء ايضا .

اما نسخة الاستانة والموجودة في عاشر أفندي ، فمتكونة من مجلدين ضخمين تحت رقم ٥٩٧ و ٥٩٨ ، وكل مجلد فيه ستة اجزاء ، وصورته دار الكتب المصرية في اثني عشر مجلدا برقم ١١٠٣ تاريخ و ٤٨٥٦ تاريخ .

٧ ـ البلخي : أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ /٩٣٣)

مخطوط صورة الأقاليم ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ٣٢٩ .

٨ ـ بيبرس : ركن الدين المنصوري (ت ٧٢٥ هـ /١٣٢٤ م) .

مخطوط زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، الجزء الرابع ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٢٧٦ تاريخ .

٩ ـ أبن حمدون : ابو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .

مخطوط كتاب التذكرة ، جزء ١٢ ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ١٢٨٢ .

١٠ ـ الحميري : ابو عبدالله محمد بن ابي محمد عبداللهالحميري (ت ٦١٠ هـ ١٢١٣ م) .

مخطوط الروض المعطار في خبر الاقطار ، المجمع العلمي العراقي ، رقم ٧٧٨ و ٧٨١ .

١١ ـ ابن جابر الله : عبد القادر بن جابر الله بن أمين .

مخطوط ، مختصر مرآة الجنان في وقائع الزمان ، المكتبة القادرية ، بغداد ، رقم ٦٦٦ تاريخ

« تم نسخة سنة ١٠١٧ هـ من قبل ابراهيم المكـي الشيرازي بن عبد الرحمن »

١٢ ـ ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .

أ ـ مخطوط المنتظم ، الجزء السابع (من سنة ٩٥ هـ / ١٣٧ هـ) معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٥٢٦ تاريخ .

ب ـ مخطوط المنتظم ، الجزء الثامن (من سنة ١٣٧ هـ ١٩٤ هـ). معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٥٢٦ تاريخ .

١٣ ـ الدروبي : ابراهيم بن عبد الغني البغدادي (كان حيا سنة ١٣٣٤هـ) مخطوط انساب الطالبيين ، مجموع فيه كتاب المسالك ، وكتاب انساب آل النبي (ص)، المتحف العراقي ، رقم ١٥٧٥ .

١٤ ـ الدويهي : أسطيفان الدويهي ـ بطريك ماروني ـ

مخطوط تاريخ المسلمين ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ١٣ .

١٥ ـ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايماز (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .

أ ـ مخطوط سير أعلام النبلاء ، الجزء الخامس ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٢٨٧ تاريخ .

ب ـ مخطوط المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ، دار الكتب المصرية ، رقم ٣٢٤ تاريخ . وقد حققه الدكتور مصطفى جواد ، وطبع في بغداد بمطبعة المعارف سنة ١٩٥١ م .

١٦ ـ زادة نظمي : السيد مرتضى بن السيد علي البغدادي الرومي (ت ١١٣٦ هـ /١٧٢٣م)
مخطوط جامع الانوار في مناقب الاخيار ، المتحف العراقي رقم ٢٥٦ ، ونسخة أخرى برقم ١٣١٩ . وقام بترجمته للعربية عن الاصل التركي الموجود تحت رقم ٨١١٤ ، عيسى صفاء الدين القادري النقشبندي البندنجي المتوفي سنة ١٢٨٣ هـ .

١٧ ـ الازكوي : الشيخ سرحان بن سعيد .
مخطوط كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة ، الموسوم بتاريخ عمان ، المتحف البريطاني ، لندن ، رقم OR. 8076 ونسخة أخرى ـ مختصرة ـ برقم OR. 6568

١٨ ـ ابن سرابيون ، توفي حوالي سنة ٩٠٠ م .
مخطوط وصف ما بين النهرين وبغداد ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ٩٢٤ .

١٩ ـ أبن شدقم : السيد ضامن
مخطوط الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار ، المتحف العراقي ، رقم ١٣٨٢ .

٢٠ ـ شلال : كمال محمد أبو زيد « الدكتور »
مخطوط ـ رسالة دكتوراه ـ في أبي جعفر المنصور وقيام الدولة العباسية ، سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، مكتبة أصول الدين ، جامعة الأزهر ، رقم ١٥٥ .

٢١ ـ شمس الدين : ابن عبد الرحمن الامام .
مخطوط « تاريخ الفنون باللغة التركية » المتحف البريطاني ، لندن ، رقم OR 7335

٢٢ ـ الصنعاني : يوسف بن يحيى بن المؤيد بالله (ت ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م)
مخطوط نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، معهد المخطوطات العربية ،

جامعة الدول العربية ، رقم ٥٥٤ تاريخ .

٢٣ ـ أبن طيفور : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ /٨٩٣ م) .
مخطوط كتاب اختيار المنثور والمنظوم ، دار الكتب المصرية ، قسم علم الأدب رقم ٥٨١ .

٢٤ ـ ابن عبد العزيز : عثمان بن منصور الناصري التميمي الحنبلي .
مخطوط منهج المعارف لاخبار الخوارج ويسمى بالسيرة الخارجية المحتوية على كل غائلة وبلية ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٥٣١ تاريخ .

٢٥ ـ ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ /١٢٨٦ م) .
مخطوط مختصر الدول ، وكتب أيضا على أول صفحة منه عبارة « كتاب تاريخ النصراني » ، المكتبة القادرية ، بغداد ، خزانة التاريخ ، بدون رقم .
وهو مطبوع ، باشراف انطوان صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٨٩٠ م .

٢٦ ـ العمري : ياسين بن خيرالله العمري الخطيب البغدادي الموصلي .
أ ـ مخطوط غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ٨٣٣ .
ب ـ مخطوط تاريخ الموصل ، المجمع العلمي العراقي ، رقم ٤٨ .

٢٧ ـ العيني : بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ /١٤٥١ م) .

أ ـ مخطوط عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، الجزء السابع ، من سنة ٩٦ هـ ـ ١٤٧ هـ ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٣٣٤ تاريخ .

ب ـ مخطوط عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، الجزء الثامن ، من سنة ١٥١

هـ - ٢٢٥ هـ ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رقم ٣٣٤ تاريخ .

٢٨ - ابن الفقيه الهمذاني : أبو بكر احمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بأبن الفقيه ، « من علماء اواخر القرن الثالث الهجري » .
مخطوط مختصر كتاب البلدان ، قطعة منه تتعلق بوصف بغداد مدينة السلام مصور عن نسخة مشهد - بايران - الوحيدة ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ١٣٩٣ .

٢٩ - أبو المحامد : جمال الدين محمد عارف بن أحمد الشاكر .
مخطوط كوكب المريخ في خلاصة التاريخ ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ٤٤٤ .

٣٠ - السيد المرتضى : محمد بن عبد الرازق المعروف بالسيد المرتضى الحسين الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) .
مخطوط جذوة الاقتباس في نسب بني العباس ، دار الكتب المصرية رقم ٢١١٨ تاريخ .

٣١ - مؤلف مجهول « من القرن الثالث الهجري »
مخطوط اخبار العباس وولده ، مكتبة الأوقاف ، بغداد ، رقم ١٠٢٠٨ ومطبوع باسم « أخبار الدولة العباسية » .

٣٢ - مؤلف مجهول « من القرن الرابع الهجري » .
مخطوط غرر السير ، مكتبة بودليان في اكسفورد برقم 542

٣٣ - مؤلف مجهول :
مخطوط كتاب عجائب البلدان والجبال ، نسخة وحيدة في العالم ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد رقم ١٤ . الف المخطوط سنة ٨٧٣ هـ ، ولعله لعلي بن عيسى الدويهي ، كما يذكر الدكتور احمد صالح العلي .

٣٤ ـ مؤلف مجهول :

مخطوط رسالة في اسماء البلدان ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ٣٩٩ .

٣٥ ـ مؤلف مجهول :

مخطوط عجائب المخلوقات ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ١٧ .

٣٦ ـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المصري الكندي (ت ٧٣٣ هـ /١٣٣١ م) .

مخطوط نهاية الأرب في فنون الادب ، جزء ٢٢ ، دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

٣٧ ـ أبن الوردي : زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .

مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغددا ، رقم ١٨١ .

ب ـ المراجع العربية والمعربة :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أبن الابار : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ /١٢٥٩ م) .

أ ـ الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، طبع الشركة العربية ، مصر ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ م .

ب ـ أعتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦١ م .

٣ ـ الأبشيهي : شهاب الدين احمد .

المستطرف في كل فن مستظرف ، المطبعة الميمنية ، مصر ، سنة ١٣٢١ هـ .

٤ ـ أبن الاثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

الكامل ، طبعة بيروت سنة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م) ، والطبعة الأزهرية ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٠١ هـ وبهامشه عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي .

٥ ـ أحمد : محمد حلمي :

الخلافة والدولة في العصر العباسي ، الطبعة الاولى ، القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

٦ ـ أبن أحمد : القاضي حسين القرشي

بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وأمام ، عنى بنشره الاب أنستاس ، القاهرة ١٩٣٩ م .

٧ ـ أدهم : علي

أ ـ أبو جعفر ، أعلام العرب ، عدد ٨٢ دار الكاتب العربي للطباعة ، سنة ١٩٦٩ م .

ب ـ صقر قريش ، مطبعة المقتطف والمقطم ، مصر ، سنة ١٩٣٨ م .

٨ ـ الأربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) .

خلاصة الذهب المسبوك ، مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ، مصر ، سنة ١٨٨٥ م .

٩ ـ الأزدي : أبو زكريايزيد بن محمد بن أياس بن القاسم (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) .

تاريخ الموصل ، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، مؤسسه دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

١٠ ـ الأسفراييني : أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن علي الشافعي (ت ٤٧١ هـ ١٠٧٨ م) .

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تخريج وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

١١ ـ أمير علي : سيد

مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، نقله الى العربية رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٣٨ م .

١٢ ـ باجوت : جون غلوب

أ ـ الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب خيري حماد ، بغداد .

ب ـ امبراطورية العرب ، طبع بيروت ، سنة ١٩٦٦ .

١٣ ـ بارتولد : ف

أ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، طبع دار المعارف

القاهرة ، الطبعة الثانية ، والطبعة الرابعة ١٩٦٦ م .
ب ـ تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد السعيد ، القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

١٤ ـ الباروني : أبو الربيع سليمان بن عبدالله النفوسي (ت ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م)
أ ـ مختصر تاريخ الاباضية ، تونس سنة ١٩٣٨ م .
بـ كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، المطبعة البارونيه القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ .

١٥ ـ الباشا : حسن «الدكتور»
الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٧ م .

١٦ ـ أبن بدران : عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الحنبلي (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) .
تهذيب ابن عساكر ، وقف على طبعة أحمد عبيدة ، المكتبة العربية دمشق ، الطبعة الاولى .

١٧ ـ برانق : محمد احمد .
الوزراء العباسيون ، المطبعة النموذجية ، مصر .

١٨ ـ بدر : احمد
دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة .

١٩ ـ بروفنسال : لافي
نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى ، طبع بمدينة شالون ، سنة ١٩٢٣ م .

٢٠ ـ بروكلمان : كارل

تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية ، الدكتور نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٤٨ م للجزء الأول ، والطبعة الاولى ١٩٤٩ م للجزء الثاني .

٢١ ـ البستاني : فؤاد أفرام
دائرة المعارف ، الجزء الرابع ، طبعة بيروت ١٩٦٢ م والجزء الخامس ١٩٦٤ م .

٢٢ ـ البسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م)
المعرفة والتاريخ ، تحقيق الدكتور اكرم العمري ، مطبعة الارشاد ، بغداد سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٢٣ ـ أبن بطريق : البطريك افتيشيوس المكني بسعيد بن بطريق (ت ٣٢٨ هـ ١٩٣٩ م) .
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت .

٢٤ ـ البغدادي : عبد القادر بن طاهر (ت ٤٢٠ هـ /١٠٢٩ م)
الفرق بين الفرق ، طبعة مصر ، سنة ١٣٢٨ هـ

٢٥ ـ البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ /١٦٨٢ م) .
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، صورته بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦ ـ ابن بكار : الزبير (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) .
الاخبار الموفقيات ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٩٧٢ م .

٢٧ ـ البكري : أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥ م .

٢٨ ـ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م) .
فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة . وطبعة اخرى ، قامت بطبعها شركة طبع الكتب العربية ، مطبعة الموسوعات ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، سنة ١٩٠١ م .

٢٩ ـ البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م) .
الاثار الباقية عن القرون الخالية ، طبعة ليبزك سنة ١٨٧٨م ، ١٩٢٣ م .
وطبعة بولاق سنة ١٢٩٥ هـ .

٣٠ ـ بيلياييف : ي . أ .
العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر، بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٧٣ م .

٣١ ـ البيهقي : ابراهيم بن محمد .
المحاسن والمساوىء ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٩٠٦ م .

٣٢ ـ بول : استانلي لين
طبقات سلاطين الاسلام ، تحقيق على البصري ، دار منشورات البصري ، بغداد ، سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٣٣ ـ التستري : الشيخ محمد تقي
قاموس الرجال ، قاموس عام لاحوال جميع رواة الشيعة ومحدثيهم ، المطبعة العلمية ، بقم ، ايران سنة ١٣٨٧ هـ .

٣٤ ـ أبن تغري بردى : أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ /١٤٦٩ م) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٢٩ م للجزء الاول ، وسنة ١٩٣٠م للجزء الثاني .

٣٥ ـ التنوخي : ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم (ت ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م) .
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي المحامي ، بغداد سنة ١٩٧١ م .

٣٦ ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .
أ ـ لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابياري وحسين كامل الصيروفي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ب ـ يتيمة الدهر ، طبعة القاهرة ، سنة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤ م .

٣٧ ـ ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .
المحبر : تحقيق الدكتورة ايلزة ليحتن شتيز ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، سنة ١٩٤٢ م .

٣٨ ـ حتى : فيليب وأدور جرجي وجبرائيل جبور .
تاريخ العرب « مطول » ، مطبعة دار الكشاف ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٣ م .

٣٩ ـ أبن حجة الحموي : تقي الدين بن علي (ت ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م) .
خزانة الادب ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٩١ هـ .

٤٠ ـ ابن ابي الحديد : أبو حامد عز الدين عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م) .
شرح نهج البلاغة ، تحقيق الشيخ حسن تميم قاضي بيروت الشرعي بيروت ، سنة ١٩٦٣ م .

٤١ ـ ابن حزم : ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) .

أ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل ، المطبعة الادبية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣١٧ هـ .
ب ـ نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، سنة ١٩٥١ م .
ج ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٢ م .

٤٢ ـ حسن : حسن ابراهيم « الدكتور »
أ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٦٤ م .
ب ـ النظم الاسلامية ، بالاشتراك مع علي ابراهيم حسن ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٩ م ، والطبعة الرابعة ١٩٧٠ م .

٤٣ ـ حسن : علي ابراهيم
أ ـ التاريخ الاسلامي العام ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٩ م .
ب ـ النظم الاسلامية ، بالاشتراك مع حسن ابراهيم حسن .

٤٤ ـ حسين : طه « الدكتور »
من حديث الشعر والنثر ، مصر ، سنة ١٩٤٨ م .

٤٥ ـ حسين : محمد آل كاشف الغطاء
أصول الشيعة وأصولها ، مطبعة العرفان ، صيدا ، بيروت ، سنة ١٣٥٠ هـ .

٤٦ ـ الحسيني : محمد صادق
عمران بغداد ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، سنة ١٣٤٨ هـ

٤٧ ـ الحصري : أبو أسحق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م)
زهر الاداب وثمر الالباب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المطبعة

الرحمانية ، مصر ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٢ م .

٤٨ ـ الحلبي : محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية ، حلب ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣ م .

٤٩ ـ حمزة الاصفهاني : ابو عبدالله حمزة بن الحسن (توفي في منتصف القرن الرابع الهجري » .
تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، مطبعة كادياني برلين .

٥٠ ـ أبن أحمد العماني : الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي الاباضي المضيربي .
العقود الفضية في أصول الاباضية ، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان .

٥١ ـ أبن حوقل : ابو القاسم محمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) .
المسالك والممالك، طبعة ليدن ، سنة ١٨٩٩ م .

٥٢ ـ الحموي : أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن مزهر بن بركات بن علي .
التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، عني بنشره ووضع فهارسه بطرس غريازينويج، معهد الدراسات الشرقية ، موسكو ، سنة ١٩٦٠ .
«مخطوطة مصورة بالفوتستات ومنشورة بخطها الأصلي، وموجودة في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم ١١٥٠٣ تاريخ » .

٥٣ ـ الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
أ ـ التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩١٤ م .

ب ـ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٤٩ م .
ج ـ المحاسن والاضداد ، مطبعة الفتوح ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٣٢ هـ .

٥٤ ـ الجارم : علي
العرب في آسبانيا ، مطبعة المعارف مصر ، سنة ١٩٤٤ م .

٥٥ ـ الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/ ٩٤٢ م) .
الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٣٨ م .

٥٦ ـ جواد مصطفى « الدكتور » وأحمد سوسة .
أ ـ دليل خارطة بغداد ، طبع المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
ب ـ تخطيط بغداد في مختلف عصورها، بحث قام بنشره نقابة المهندسين العراقية على نفقة مؤسسة كولبنكيان ، بغداد، سنة ١٩٦٩ م .

٥٧ ـ ابن الجوزي : ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .
أ ـ مناقب بغداد ، عنى بتصحيحه محمد بهجة الاثري البغدادي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، سنة ١٣٤٢ هـ .
ب ـ اخبار الأذكياء ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، مصر ، سنة ١٩٧٠ م .

٥٨ ـ الجومرد : عبدالجبار « الدكتور »
داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس ، مطبعة دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٣ .

٥٩ ـ الخربوطلي : علي حسني « الدكتور »
أ ـ المهدي العباسي ، اعلام العرب عدد ٥١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطبعة دار مصر .
ب ـ رسالة الصحابة لابن المقفع ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م .

٦٠ ـ ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت في حدود ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك . وبذيله نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، صورته مكتبة المثنى ببغداد ، بالاوفست عن الطبعة الاصلية المطبوعة في ليدن ، مطبعة بريل ، سنة ١٨٨٩ م ، بتحقيق م . ج . دي جوبة .

٦١ ـ الخضري : الشيخ محمد
محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٩٥٩ م .

٦٢ ـ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٣١ م ، وطبعة بيروت نشرها دار الكتاب العربي في ١٢ مجلداً .

٦٣ ـ ابن الخطيب : أبوعبدالله لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م) .
أ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنسال طبع بيروت ، سنة ١٩٥٦ م . والقسم الثالث ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكناني ، الدار البيضاء ، سنة ١٩٦٤ م .
ب ـ الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٥٦ م .

٦٤ ـ أبن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
أ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الاكبر . طبعة قديمة ، بدون تاريخ .
ب ـ المقدمة ، الطبعة الازهرية .

٦٥ ـ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
وفيات الاعيان وأبناء ابناء الزمان ، تحقيق الدكتور احسان عباس مطبعة دار الثقافة ، بيروت .

٦٦ ـ خليفة : ابن حمد
تاريخ البحرين : المطبعة المحمدية ، مصر ، سنة ١٣٤٢ هـ .

٦٧ ـ ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بشباب (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) .
أ ـ كتاب التاريخ ، تحقيق اكرم العمري ، مطبعة الاداب ، النجف ، العراق ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م
ب ـ الطبقات ، تحقيق اكرم العمري ، بغداد ، سنة ١٩٦٧ م .

٦٨ ـ خورشيد ؛ ابراهيم زكي ، احمد الشنتناوي ، عبد الحميد يونس .
دائرة المعارف الاسلامية ، النسخة العربية ، كتاب الشعب ، القاهرة .

٦٩ ـ دبوز : محمد علي
تاريخ المغرب الكبير ، طبع دار احياء الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

٧٠ ـ دحلان : أحمد بن السيد زيني
الفتوحات الاسلامية ، طبع الجزء الاول منه في المطبعة الحسينية مصر ، وطبع الجزء الثاني في المطبعة العامرة الشرفية ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٢٣ هـ .

٧١ ـ ابن دحية : ابو الخطاب عمر بن الشيخ الامام أبي علي حسن بن علي سبط الامام أبي البسام الفاطمي المعروف بذي النسبين دحية والحسين (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) .
كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، صححه وعلق عليه المحامي عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٤٦ م .

٧٢ ـ دسلان : البارون .
تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب ، مطبعة الحكومة، الجزائر سنة١٨٤٧م).

٧٣ ـ الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) .
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مطبعة عثمان عبد الرازق ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٠٢ هـ .

٧٤ ـ ابن ابي دينار :أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن عمر الرعيني القيرواني (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م) .
المونس في أخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، تونس ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨٧ هـ .

٧٥ ـ الدينوري : أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
الاخبار الطوال ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٣٠ هـ .

٧٦ ـ الدوري : عبدالعزيز « الدكتور »
العصر العباسي الاول ؛ منشورات دار المعلمين العالية ، مطبعة التفيض الاهلية ، بغداد سنة ١٣٦٣ هـ/ ١٩٤٥ م .

٧٧ ـ دوزي :رينهارت
تاريخ مسلمي اسبانيا ، ترجمة الدكتور حسن حبشي ، مراجعة جمال محرز ، والدكتور مختار العبادي ، طبع دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٣ م

٧٨ ـ الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) .
أ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٦٧ هـ .
ب ـ العبر في خبر من غبر ، الجزء الاول، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار المطبوعات والنشر في الكويت ، الكويت ، سنة ١٩٦٠ م .
جـ ـ المختصرالمحتاج اليه من تاريخ بغداد، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٥١ م .

٧٩ ـ الراشد : عبد الجليل عبد الرضا
العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والاندلس ، مكتبة النهضة الرياض ، سنة ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩ م .

٨٠ ـ ابن رشيق : الحسن بن علي القيرواني: (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م)
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧٢ م .

٨١ ـ رستم : أسد
أ ـ أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي ، دراسة وتحليل ، طبعة دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٥ م .
ب ـ الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم ، طبع بيروت ، الطبعة الاولى ، الجزء الاول ، طبع سنة ١٩٥٥ م . والجزء الثاني سنة ١٩٥٦ م .

٨٢ ـ ابن رستة : أبو علي احمد بن علي
الاعلاق النفسية ، المجلد السابع ، مطبعة بريل ، ليدن سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م ، « ومعه كتاب البلدان لليعقوبي » .

٨٣ ـ زامباور
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمـود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، سنة **١٩٥١** م .

٨٤ ـ الزاوي : الظاهر بن احمد
تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، طبعة القاهرة ، سنة **١٩٦٣** م .

٨٥ ـ الزبيري : ابو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت **٢٣٦** هـ / **٨٥٠** م) .
نسب قريش ، نشره ليفي بروفنسال ، طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة **١٩٥٣** م .

٨٦ ـ الزجاجي : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي (ت **٣٣٧** هـ / **٩٤٨** م) .
كتاب الامالي ، شرح أحمد بن أمين الشنقيطي ، مطبعة السعـادة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة **١٣٢٤** هـ .

٨٧ ـ الزركلي : خير الدين
الاعلام « قاموس تراجم » الطبعة الثانية ، القاهرة .

٨٨ ـ زكي : أمين .
كتاب عمران بغداد ، بغداد ، الطبعة الاولى ، بدون تاريخ .

٨٩ ـ الزمخشري : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت **٥٣٨** هـ / **١١٤٣** م) .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الاول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، سنة **١٣٦٧** هـ /**١٩٤٨** م .

٩٠ ـ أبو زهرة : محمد
أ ـ الامام الصادق ، حياته ، وعصره ، أراؤه وفقهه ، دارالفكر العربي مصر .
ب ـ المذاهب الاسلامية ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٦٥ م .

٩١ ـ زيادة: محمد مصطفى « الدكتور »
تاريخ الدولة العباسية ، دار الطباعة الحديثة ، مصر ، سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

٩٢ ـ زيدان: جرجي : (ت ١٣٢٣ هـ / ١٩١٣ م) .
تاريخ التمدن الاسلامي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٠٢ .

٩٣ ـ ابن الساعي : علي بن أنجب البغدادي (ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م) .
كتاب مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعة الاميرية ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٠٩ هـ .

٩٤ ـ سالم : السيد عبد العزيز «الدكتور» .
أ ـ تاريخ المغرب الكبير من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، الجزء الثاني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ م
ب ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٦٢ م

٩٥ ـ السالمي : محمد بن عبدالله وناجي عساف
تاريخ عمان ، المطبعة العمومية ، دمشق، سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

٩٦ ـ سبط ابن الجوزي : أبو المظفر يوسف شمس الدين الملقب بسبط العلامة الشهير بأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٤ م) .
تذكرة الخواص ، المطبعة العلمية ، النجف ، العراق ، سنة ١٣٦٩ هـ .

٩٧ ـ ابن أبي السرور : ابو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) .

كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، مطبعة النجاح ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٠٩ م .

٩٨ ـ سرور : محمد جمال الدين « الدكتور »
الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، دار الثقافة العربية للطباعة ، مصر ، سنة ١٩٦٠ م .

٩٩ ـ السرتجاوي : عبد الفتاح
أ ـ الخلافة العباسية ، مطبعة الازهر ، سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .
ب ـ النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية ، مطبعة عطايا ، مصر ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٤٥ م .

١٠٠ ـ ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م) .
الطبقات الكبرى ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٥٧ م .

١٠١ ـ السلاوي: الشيخ احمد بن خالد الناصري
الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، طبعة قديمة ، كتب عليها عبارة (كتب في سنة ١٣٠٦ هـ) .

١٠٢ ـ سيديو : ل . أ
تاريخ العرب العام ، نقله للعربية عادل زعيتر ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ م .

١٠٣ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) .
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، مصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م .

١٠٤ ـ سوسة : أحمد « الدكتور » ومصطفى جواد « الدكتور »
أ ـ دليل خارطة بغداد ، طبع بالمجمع العلمي العراقي ، بغداد ، سنة

١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
ب ـ تخطيط بغداد في مختلف عصورها ، قام بنشره نقابة المهندسين العراقية على نفقة مؤسسة كولبنكيان ، سنة ١٩٦٩ م .

١٠٥ ـ الشابشتي : أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) .
الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، سنة ١٩٥١

١٠٦ ـ ابن شاكر : صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ابن شاكر بن هارون بن شاكر الكتبي الداراني الدمشقي المؤرخ (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .
فوات الوفيات ، طبع على نفقة خديوي مصر ، مطبعة بولاق ، سنة ١٢٨٣ هـ .

١٠٧ ـ شحاتة : عبد الفتاح على « الدكتور » .
تاريخ الامة العربية ، دراسات في تاريخ العباسيين ، مطبعة زهران ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .

١٠٨ ـ الشريقي : ابراهيم « الدكتور »
أ ـ التاريخ الاسلامي : طبعة بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧١ م .
ب ـ العالم الاسلامي في العصر العباسي بالاشتراك مع الدكتور حسن أحمد محمود ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الاولى .

١٠٩ ـ الشريف المرتضى : ابو القاسم بن الطاهر (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) .
الامالي ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٠٧ م و ١٩٣٢ م . ونسخة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ م .

١١٠ ـ شلبي : أحمد « الدكتور »
أ ـ في قصور الخلفاء العباسيين ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ م .
ب ـ موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، الجزء الثالث ،

مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٧٤ م .

١١١ ـ الشماخي : احمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م).
كتاب السير ، المطبعة البارونية ، القاهرة ، سنة ١٣٢٠ هـ .

١١٢ ـ الشهابي : الامير حيدر أحمد
كتاب الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان، ملتزم الطبع نعوم مغبغب ، بدون تاريخ .

١١٣ ـ الشهر ستاني : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ /١١٥٣ م) .
الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . وطبعة اخرى ، تخريج محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

١١٤ ـ الشيال : جمال الدين « الدكتور »
تاريخ الدولة العباسية ، الاسكندرية ، سنة ١٩٦٧ م .

١١٥ ـ صائغ : سليمان
تاريخ الموصل ، المطبعة السلفية ، مصر ، سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م

١١٦ ـ الصالح : صبحي
النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١١٧ ـ الصفدي : صلاح الدين خليل بن آيبك .
الوافي بالوفيات ، باعتناء س . دبد رينغ ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، سنة ١٩٥٣ م .

١١٨ ـ صفوت : احمد زكي
جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، الجزء الثالث ، مطبعة

البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م .

١١٩ ـ الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) .

أ ـ أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، مصر ، سنة ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م .

ب ـ كتاب الاوراق ، عني بنشره هيورث دن ، مطبعة الصاوي ، القاهرة، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٣٤ م .

١٢٠ ـ الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ؛ طبع دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦٦ م .

١٢١ ـ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م) .
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

١٢٢ ـ الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) .

اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، صححه وعلق عليه وقدم له حسن المصطفوي ، مشهد ، ايران ، سنة ١٣٤٨ هـ .

١٢٣ ـ ظريف الاعظمي : علي
مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، سنة ١٣٤٤ هـ /١٩٢٦ م .

١٢٤ ـ العاملي : محسن بن عبد الكريم أمين الحسيني العاملي الشقرائي (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥١ م) .
أعيان الشيعة ، طبعة بيروت ، الطبعة الثانية .

١٢٥ ـ العبادي : أحمد مختار « الدكتور »
في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٧٢ م .

١٢٦ ـ العبادي : عبد الحميد
صور وبحوث من التاريخ الاسلامي عصر الدولة العباسية والمغرب والاندلس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٥٣ م .

١٢٧ ـ عبد الباقي : محمد فؤاد
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار مطابع الشعب ، القاهرة .

١٢٨ ـ ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) .
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٧٤ هـ /١٩٥٥ م) .

١٢٩ ـ ابن عبد ربه : أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الاندلسي المالكي (ت ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨ م) .
العقد الفريد ، الطبعة الازهرية ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٢١ هـ وطبعة أخرى ، طبعت في مطبعة العامرة الشرفية ، القاهرة ، سنة ١٣٠٥ هـ .

١٣٠ ـ ابن العبري : ابو الفرج غريغوريوس بن أهرون الطبيب الملطي (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) .
تاريخ مختصر الدول ، وقف على طبعه الاب انطون صالحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٨٩٠ م .

١٣١ ـ العدوي : ابراهيم احمد « الدكتور »
الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر .

١٣٢ ـ ابن العديم : أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) .
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١ م .

١٣٣ ـ ابن عذاري : أبو عبدالله محمد المراكشي (توفي في نهاية القرن السابع الهجري » .
البيان المغرب في أخبار المغرب ، تصحيح رينحرت دوزي ؛ مطبعة بريل ، ليدن ، الجزء الأول طبع سنة ١٨٤٨ م . والجزء الثاني طبع سنة ١٨٤٩ م . وطبعة بيروت ٣ أجزاء ، سنة ١٩٥٠ م .

١٣٤ ـ ابن عربشاه : احمد بن محمد (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) .
فاكهة الخلفاء، طبع القاهرة ، سنة ١٨٨٩ م .

١٣٥ ـ ابن العربي : الصديق
كتاب المغرب ، طبعة الرباط ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٦م

١٣٦ ـ ابن عاسكر : ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن عساكر الشافعي (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م) .
التاريخ الكبير ، ٥ مجلدات ، مطبعة روضة الشام ، سنة ١٣٣٠ هـ .

١٣٧ ـ عثمان : فتحي
الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري « الكتاب الثاني في التاريخ الحربي » ، دار الكاتب العربي القاهرة .

١٣٨ ـ العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت [illegible] هـ / ١٦٩٩ م) .

سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، مصر ، سنة ١٣٨٠ هـ .

١٣٩ ـ ابن عماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، نشرته مكتبة القدسي ، القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

١٤٠ ـ عمر : فاروق(الدكتور)

أ ـ خصائص حكم الخليفة المنصور كما تعكسه وصيته السياسية لولي عهده محمد المهدي، مقال في مجلة الرسالة الاسلامية ، تصدرها ديوان الأوقاف ببغداد ، العدد ٦و ٧و ٨ ، السنة الاولى ، مطبعة دار البصرى ، سنة ١٩٦٩ م .

ب ـ الجيش العباسي ، مقال في مجلة الشرطة بغداد ، العدد ١٣ سنة ١٩٦٩ .

جـ ـ العباسيون الاوائل : الجزء الاول ، مطبعة دار الارشاد ، بيروت الطبعة الاولى ، سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م .

د ـ طبيعة الدعوة العباسية ، مطبعة دار الارشاد ، بيروت ، الطبعة الاولى ؛ سنة ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠ م .

هـ ـ العباسيون الاوائل ، الجزء الثاني ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٩٢ هـ /١٩٧٣ م .

و ـ القاب الخلفاء العباسيين الاوائل ودلالتها الدينية والسياسية مقال في مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد ١٣ سنة ١٩٧٠ م .

ز ـ من القاب الخلفاء العباسيين ، مقال في مجلة الجامعة المستنصرية بغداد ، العدد ٢ لسنة ١٩٧١ م .

١٤١ ـ العمري : شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م) .
مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق احمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م .

١٤٢ ـ عنان : محمد عبدالله
دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

١٤٣ ـ أبن عنبة : جمال الدين أحمد بن علي الحسيني : (ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م)
عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، عني بتصحيحه محمد حسن الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، العراق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦١ م .

١٤٤ ـ الفاخوري : حنا
ابن المقفع ، نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف ، مصر ، عدد ٢٠

١٤٥ ـ أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م) .
أ ـ تقويم البلدان ، طبعة باريس ، سنة ١٨٤٠ م « وقد قامت مكتبة المثنى ببغداد ، بتصويره بالاوفست ونشره .
ب ـ المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، مصر ، الطبعة الاولى ، بدون تاريخ .

١٤٦ ـ ابن فرحون : برهان الدين ابراهيم بن علي محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي .
كتاب الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، مطبعة السعادة ،

مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٢٩ هـ .

١٤٧ـ ابو الفرج الاصفهاني : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) .

أ ـ مقاتل الطالبيين ، أشرف على طبعة كاظم المظفر ، طبعة النجف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ، وطبعة أخرى بتحقيق السيد احمد الصقر ، طبع دار احياء الكتب العربية ، القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م .

ب ـ الاغاني : تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي ، مطبعة التقدم ، مصر ، بدون تاريخ .

١٤٨ ـ ابن الفقيه الهمذاني : ابو بكر احمد بن ابراهيم (من علماء اواخر القرن الثالث الهجري) .

مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، سنة ١٣٠٢ هـ .

١٤٩ ـ فكري :أحمد .

المدخل ـ مساجد القاهرة ومدارسها ـ طبع دار المعارف ، مصر ، سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م .

١٥٠ ـ فلهوزن : يوليوس

أ ـ احزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام ، الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مصر ، سنة ١٩٥٨ م .

ب ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية نقله الى العربية وترجمه الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده راجعه حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ م ـ والطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٨ م .

١٥١ ـ الفيروزابادي : أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ/١٤١٤ م)

القاموس المحيط ، مطبعة دار المأمون ، مصر ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م .

١٥٢ ـ فلوتن : فان
السيادة العربية ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٣٤ .

١٥٣ ـ القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٠ م)
كتاب ذيل الامالي والنوادر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٢٦ م .

١٥٤ ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوى (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م).
أ ـ عيون الاخبار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، الجزء الاول سنة ١٩٢٥ م ، الجزء الثاني سنة ١٩٢٨ ، والجزء الثالث والرابع سنة ١٩٣٠ م . وطبعة بيروت .
ب ـ المعارف، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، طبع دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٩ م .
جـ ـ الامامة والسياسة ويعرف بتاريخ الخلفاء (وينسب اليه) تحقيق الدكتور طه محمد الزين، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، نشر مؤسسة الحلبي سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

١٥٥ ـ قدامة : ابو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢م) .
كتاب الخراج وصنعة الكتاب، مطبعة بريل ، ليدن سنة ١٨٨٩ م .

١٥٦ ـ القزويني : ابو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٨٣ م) .
آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م .

١٥٧ ـ القلقشندي : ابو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) .
أ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩١٧ م .
ب ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، مطبعة السعادة مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م .
ج ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبعة الكويت ، سنة ١٩٦٤ م .

١٥٨ ـ القمى : عباس
الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، سنة ١٩٥٦ م .

١٥٩ ـ ابن قنفذ : ابو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطيني (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦ م .
كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، المكتب التجاري للطبع والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٧١ م .

١٦٠ ـ القهيائي : زكي الدين المولى عناية الله بن علي
مجمع الرجال ، صححه وعلق عليه السيد ضياء الدين الشهير بالعلامة الاصفهاني ، مطبعة روشن ، اصفهان ، سنة ١٣٨٧ هـ .

١٦١ ـ ابن القوطية : محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم (ت ٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م تاريخ افتتاح الاندلس ، طبعة مجريط سنة ١٨٦٨ م . وطبعة بيروت بتخقيق عبدالله انيس الطباع ، سنة ١٩٥٧ م .

١٦٢ ـ ابن الكازروني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) .
مختصر التاريخ ، حققه الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، سنة ١٩٧٠ م .

١٦٣ ـ ابن كثير : ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م) .

البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة ، مصر .

١٦٤ ـ كحيلة : عبادة عبد الرحمن .
صقر قريش عبد الرحمن الداخل اعلام العرب العدد ٧٦ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة١٩٦٨ م .

١٦٥ ـ كرد على : محمد
أ ـ خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، دمشق، سنة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥ م
ب ـ رسائل البلغاء ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٤٦ م .
جـ ـ الاسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٩ م .

١٦٦ ـ الكليني : ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الرازي (ت ٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م) .
الاصول من الكافي ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد الاخوندي ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨٨ هـ .

١٦٧ ـ الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م) .
كتاب الولاة وكتاب القضاة ، هذبه وصححه رفن ركست ، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت ، سنة ١٩٠٨ م .

١٦٨ ـ كوك : ريجارد
بغداد مدينة السلام ، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد ، مطبعة شفيق ، بغداد ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٢ م .

١٦٩ ـ لسترنج : غي (ت ١٩٣٣ م)
أ ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس المطبعة

العربية ، بغداد ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٣٦ م .

ب ـ بلدان الخلافة الشرقية ، نقله للعربية ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، سنة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م .

١٧٠ ـ مؤلف مجهول : من القرن الحادي عشر الميلادي

أ ـ نبذة من كتاب التاريخ ، عنى بنشرها وترجمتها بطرس غرياز نيويج دار النشر والاداب الشرقية ، موسكو ، سنة ١٩٦٠ م .

ب ـ تاريخ الخلفاء ، قام بنشر النسخة المصورة للمخطوطة الوحيدة وبكتابة المقدمة بطرس غريازنيويج ، دار النشر والاداب الشرقية ، موسكو ، سنة ١٩٦٧ م .

١٧١ ـ مؤلف مجهول

اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم ، طبع ريدنبر ، مجريط ، سنة ١٨٦٧ م .

١٧٢ ـ مؤلف مجهول :

العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، قام بطبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد، عن النسخة المطبوعة سنة ١٨٦٩ م .

١٧٣ ـ مؤلف مجهول . « من القرن الثالث الهجري »

أخبار الدولة العباسية ـ والمخطوط يحمل اسم اخبار العباس وولده ـ تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة ، والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٧١ م .

١٧٤ ـ ماجد : عبد المنعم « الدكتور »

أ ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ، المطبعة الانجلو مصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٧١ م .

ب ـ الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى ، رسم خرائطه وحققه علي البنا ، مطبعة الرسالة ، مصر ، سنة ١٩٦٠ م .

١٧٥ ـ الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .
الاحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

١٧٦ ـ المالكي : ابو بكر عبدالله بن أبي بكر .
رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥١ م

١٧٧ ـ المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م)
الكامل في اللغة والادب ، طبع على نفقة مطبعة مصطفى محمود ، القاهرة ، سنة ١٣٥٥ هـ .

١٧٨ ـ محمود : حسن أحمد « الدكتور »
أ ـ العالم الاسلامي في العصر العباسي ، بالاشتراك مع الدكتور احمد ابراهيم الشريقي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الاولى .
ب ـ تاريخ المغرب الاسلامي ، نشر دار النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

١٧٩ ـ محمود : كامل المحامي
الدولة العربية الكبرى ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية .

١٨٠ ـ ابن محمد العباسي : الحسن بن عبدالله بن محمد بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم بن عبد المحسن (من علماء القرن الثامن الهجري) .
آثار الأول في ترتيب الدول ، مطبعة بولاق، مصر ، سنة ١٢٩٥ هـ

١٨١ ـ المجلسي : محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) :
بحار الانوار ، المكتبة الاسلامية ، طهران ، سنة ١٣٨٥ هـ .

١٨٢ ـ مجيب : حسين المصري « الدكتور »
صلات بين العرب والفرس والترك ، مطبعة الانجلو مصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٧١ م .

١٨٣ ـ مختار : احمد باشا
كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية ، طبعة بولاق ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣١١ هـ .

١٨٤ ـ المدور : جميل نخلة :
حضارة الاسلام في دار السلام ، مطبعة المؤيد ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٢٣ هـ /١٩٠٥ م .

١٨٥ ـ المراكشي : ابو محمد محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) .
تاريخ الاندلس المسمى بالمعجب في تلخيص اخبار المغرب ، مطبعة الجمالية ، مصر ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩١٤ م . وطبعة اخرى بتحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة القاهرة ١٩٦٣ م .

١٨٦ ـ المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

أ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ /١٩٤٨ م .

ب ـ التنبيه والاشراف ، مكتبة خياط ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

١٨٧ ـ مصباح : أحمد مجاهد « الدكتور »
فتوحات الاسلام في افريقية والمغرب والاندلس ، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى النجار ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٧ هـ .

١٨٨ ـ مصطفى : شاكر
في التاريخ العباسي ، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سنة ١٩٥٧ م .

١٨٩ ـ مصطفى : كامل
الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٦ م .

١٩٠ ـ مظفر : طاهر العميد
بغداد ، مدينة المنصور المدورة ، مطبعة النعمان، النجف ، العراق ، سنة ١٩٦٧ م .

١٩١ ـ معروف:ناجي
عروبة المدن الاسلامية ، مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٣٨٤ هـ

١٩٢ ـ المقدسي : مطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٢٢ هـ/٩٣٣ م) .
البدء والتاريخ ـ منسوب الى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، مكتبة المثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجي بمصر ، سنة ١٩١٩ م .

١٩٣ ـ المقدسي : ابو عبدالله شمس الدين محمد الشافعي المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م) .
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبع ليدن ، سنة ١٩٠٦ م .

١٩٤ ـ المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٩٣١ م)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، طبعة القاهرة ، سنة ١٣٠٢هـ ، وطبعة اخرى يتحقيق محمدمحيي‌الدين عبد الحميد ، القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

١٩٥ ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .)
أ ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، طبع مطبعة النيل ، مصر ،

سنة ١٣٢٤ هـ .
ب ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زيادة، طبع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٣٤ م .
جـ ـ أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ م .

١٩٦ ـ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) .
لسان العرب ، طبعة بولاق ، بدون تاريخ ، وطبعة بيروت ، سنة ١٩٥٥ م .

١٩٧ ـ ابن مهمندار الفارسي ؛ يزدجرد (كان حيا في النصف الثاني من المئة الثالثة للهجرة) .
فضائل بغداد العراق ، عنى بتحقيقه ونشره ميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، سنة ١٩٦١ م . وطبع في اول مجلة كلية الآداب ، العدد ٨ نيسان ١٩٦٥ م ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١٩٨ ـ ناجي : عساف
تاريخ عمان ، بالاشتراك مع محمد بن عبدالله السالمي ، المطبعة العمومية ، دمشق ، سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

١٩٩ ـ النبهائي : الشيخ خليفة بن حمد بن موسى
تاريخ البحرين ، من كتاب التحفة النبهائية في تاريخ الجزيرة العربية المطبعة المحمودية ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٢ هـ .

٢٠٠ ـ النجار : محمد مصطفى « الدكتور »
فتوحات الاسلام في افريقية والمغرب والاندلس بالاشتراك مع الدكتور احمد

مجاهد مصباح ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٠١ ـ ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) .
الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

٢٠٢ ـ النرشجي : ابو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م) .
تاريخ بخارى ، عربه من الفارسية وقدم له وحققه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصرالله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، مصر .

٢٠٣ ـ أبو النصر : عمر
الخوارج في الاسلام ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ م .

٢٠٤ ـ أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الاصبهاني (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) .
كتاب ذكر أخبار اصبهان ، مطبعة بريل ، ليدن ، الجزء الاول سنة ١٩٣١ م ، الجزء الثاني سنة ١٩٣٤ م .

٢٠٥ ـ نكلسن : رينولد
تاريخ الادب العباسي ، ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ، المطبعة الاهلية ، بغداد ، سنة ١٩٦٧ م .

٢٠٦ ـ النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) .
فرق الشيعة ، طبعة اسطنبول ، سنة ١٩٣١ م .

٢٠٧ ـ نويهض : عجاج
أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان ، دار الصحافة ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٢ م .

٢٠٨ ـ هل : جوزيف
الحضارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم العدوى ، سلسلة الالف كتاب، القاهرة .

٢٠٩ ـ أبو هلال : الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .
كتاب الاوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار أمل ، بطنجة ، المغرب الاقصى .

٢١٠ ـ هوار : كليمان
خطط بغداد ، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه الاستاذ ناجي معروف ، مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٢١١ ـ الواسعي : عبد الواسع بن يحيى اليماني
تاريخ اليمن، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة ١٣٤٦ هـ .

٢١٢ ـ ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) .
تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٩ م .

٢١٣ ـ ويسلر : جاك س .
الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

٢١٤ ـ اليافعي : ابو محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م) .
مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،حيدر آباد ، الدكن ، الطبعة الاولى ، سنة ١٣٣٧ هـ .

٢١٥ ـ ياقوت : ابو عبدالله شهاب الدين الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
معجم البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ م .

٢١٦ ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) .

أ ـ كتاب التاريخ ، قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية ، النجف ، العراق ، سنة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م وحققه هوتسيما ايضا ، وطبع بمطبعة بريل ، ليدن ، سنة ١٨٨٣ م .

ب ـ كتاب البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م وطبعة ليدن سنة ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ م ، ومطبوع مع الاعلاق النفيسة لابن رسته .

ج ـ مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٢ م .

٢١٧ ـ يوجينا : غيانة ستشيجفسكا

تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها ، طبعة بيروت ، الطبعة الاولى ، سنة ١٩٦٦ م .

٢١٨ ـ أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م) .

كتاب الخراج ، طبعة بولاق ، مصر ، سنة ١٣٠٢ م .

جـ ـ المراجع الأجنبية الشرقية والغربية :

أ ـ المراجع الفارسية :

١ ـ ابن اسفند يار : محمد بن الحسن (توفي في القرن السابع الهجري) .
تاريخ طبرستان ، تصحيح عباس أقبال ، أستاذ جامعة طهران ، مطبعة المجلس ، طهرستان .

٢ ـ البلعمي : أبو علي محمد بن محمد (ت ٣٦٢ هـ/ ٩٧٢ م) .
تاريخ طبري ، طبع بمطبعة نول كشور ، الهند، سنة ١٣٩١ هـ .

٣ ـ مؤلف مجهول :
تاريخ سيستان ـ سجستان ـ مطبعة كتابخانة زوار ، تهران . وموجود في المكتبة المركزية ببغداد ، تحت رقم ٩٥٥ ب هـ ت .

المصادر الثلاثة السابقة
ترجمت لي
بصورة خاصة

ب ـ المراجع الانكليزية والفرنسية :

1- Arnold:Sir Thomas
    1- The caliphate, oxford, 1924.
    2- The Legacy of Islam, London, 1947.
2- Barthold, W.
    1- Turkestan down to the Mougol. Invision, London, 1928.
    2-History of Central Asia, Leiden 1956.

3- Browne, Edward
    Aliterary History of Persia from the Earliest Time until Firdawsi, London, 1909.

4- Creswell, K.A. C.
    Early Muslim Architecture , Oxford 1930 and 1938.

5- Dozy, R.
    Essoir sur L'Histoire de L'Islamişme, Paris, 1819.

6- Farouk, Omar
    The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969.

7- Finaly: George
    History of the Byzantine Empire,London. 1856.

8- Frye, R.N.
    The Heritage of Persia, London, 1962.

9- Kenndy, B.
    Arabian society at the time of Mohamed, Calcutta, 1926.

10- Lassnar, J.
    Why did Caliph al-Mansur build Ar-Rusafa, London, 1965.

11- Lwis, Bernard,
    The Arabs in History, London 1950.

12- Montagamry, W.
    A History of Islamic spain, Edinburgh, 1965.

13- Muir, William Temple
    The caliphate, Its Rise Decline and Fall, Edinburgh, 1924.

14- Nicholson, A. Reynold
    Literary History of the Arabs,cambridge,1930.

15- Noldeke, Theodor,
Sketches from Eastern History.
Tr. by J.S. Black, London, 1892.

16- Palmer,
Haroun al-Raschid, London, 1881.

17- Richard, Coke,
Baghdad the City of peace, London, 1927.

18- Sadighi, G.H.
Les mouvements religieux Iraniens du IIe et IIIe siecles de l'Hegire, Paris, 1938.

19- Sykes,
History of Persia, London, 1921.

المحتويات

« الباب الثالث »

« الباب الرابع »

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ـ ببغداد
«٤٤٧» لسنة ١٩٨١